مواهب الرحمن

في تفسير القرآن

تأليف

عبد الكريم محمد المدرس

عني بنشره

محمد علي القره داغي

المجلد السابع

الطبعة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

سورة غافر ، مكية وهي خمس وثمانون آية

نزلت بعد الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ، ذِي الطَّوْلِ ، لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ(٣) ما يُجادِلُ فِي آيات الله إِلاَّ الَّذين كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلاَدِ(٤) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ، فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ؟(٥) وَكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحابُ النَّارِ)(٦)

قوله (حـم) بتفخيم الألف أى قراءتها على الاستقامة لا على وجه الإمالة وسكون الميم . والكلام فيه هو الكلام في نظيره (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) إما خبر عن حم ، أو خبر مبتدأ محذوف راجع إلى القرآن الكريم المعهود المعروف بين المسلمين ، والعزيز العليم نعتان ، وكذلك

قوله (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) والاوصاف لكونها مستعملة بدون قصد الحدوث بل بقصد الاستمرار كانت كالأسماء الجامدة فإضافتها معنوية مفيدة للتعريف مصححة لكونها نعوتا لاسم الجلالة . وذكرها كذلك للترغيب والترهيب . والتوب مصدر بمعنى التوبة . وتوسيط الواو بين الاولين لإفادة الجمع بين الوصفين وأن مغفرة الذنوب ليست متوقفة على التوبة ، فإن شاء عفا بدون التوبة ، واذا تاب العاصي جاز ردها وعدم قبولها . والطول التفضل بترك العقاب عن المستحق (لا إله الا هو) فهو المعبود لانه هو الخالق المستحق للمعبودية من حيث أنه واجب الوجود وما سواه مستفاد من ارادته وقدرته فلا يُعْبَدُ قطعا و (إليه المصير) فقط لا الى غيره .

(ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا) أي ما يجادل في آياته تعالى لغرض ردها والطعن فيها ومنع الناس عن الايمان بها الا الذين كفروا بها (فلا يغررك تقلبهم) ونفوذ أقاويلهم في قلوب أمثالهم من الجهلة ومشايعتهم لهم بعضهم لبعض ووصول أخبارهم أو نفوذ كلامهم (في البلاد) فإن البلاد قيمتها بأهل الرشاد لا بأهل السفه والبغي والعناد . وهم يمهلون مدة من الزمن ولكن لا يهملون فيؤخذ منهم من جانب العزيز المنتقم وهو شديد الأخذ (كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم) أي وكذبت الاحزاب من بعدهم يعني الكفار المتحزبين على معاداة الرسل كعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم فأهلكهم الله وأبادهم وكذلك من يمشي مشيتهم يغشاه من العذاب ماغشيهم (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي ليتمكنوا من ايقاع ما يريدون به من السوء وجادلوا بالباطل (ليدحضوا به الحق) أي ليزيلوا به دين الله الحق (فأخذتهم) بالاهلاك (فكيف كان عقاب ؟) كان عقابا صارما خارجا عن الحساب (وكذلك) أي وكما وجب حكمه على

الكفار الذين سبقوا (حقت كلمة ربك) أي حكمه بالاهلاك (على الذين كفروا) في عهدك (أنهم أصحاب النار) أى لأنهم أصحاب النار ومستحقون للتعذيب فيها .

(الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ، وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا : رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ؛ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا واتبعوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ؛ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأَزْوَاجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ، ومَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمانِ فَتَكْفُرُونَ)(١٠)

قوله تعالى (الذين يحملون العرش) مبتدأ يأتي خبره ، والعرش في عرف الشرع جسم عظيم له قوائم ، ومعرفة حقيقته موكولة الى الله العليم ، وهو في الكبر بحيث يعد الكرسي وما فيه وما تحته من السماوات والارض بالنسبة اليه كحلقة في فلاة (ومن حوله) أي والذين من حول العرش وهم ملائكة ولا يعلم عددهم الا الله (يسبحون بحمد ربهم) أي يسبحون الله ويحمدونه ويؤمنون به إيمانا كاملا بمعناه التام وهذا التقييد للتشريف (ويستغفرون للذين آمنوا) فإن المؤمنين إخوة ولو كان أخ وليد عالم الخلق والآخر وليد عالم الأمر قائلين : (ربنا وسعت كل شيىء رحمة وعلما) يعني

لا يفوت من علمك شيء ولا تقصر رحمتك عن شيء (فاغفر للذين تابوا) أي رجعوا إليك من الكفر الى الايمان ومن العصيان الى الطاعة والاحسان (واتبعوا سبيلك) أي واستقاموا على سلوك سبيلك وهو الصراط المستقيم (وقهم) أي واحفظهم (عذاب الجحيم • ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح) أي ووعدت به من صلح (من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز) أي الغالب المطلق (الحكيم) ذو الحكمة في كل تصرفاتك (وقهم السيئات) أي واحفظهم من العذاب الوارد على السيئات ، أو احفظهم من العقوبات التي هي سيئات وأمور صعبة غير مرغوبة على الانسان (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تحفظه من العقوبات يوم القيامة فقد رحمته (وذلك هو الفوز العظيم) أي الظفر بالسعادة ظفرا عظيما جليل القدر عند كل مؤمن برب العالمين • (إن الذين كفروا ينادون) يوم القيامة عند تعذيبهم في جهنم (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) المقت البغض الشديد • يعني إنكم كنتم عندما يدعوكم الرسول الى الإيمان بالله وحده فتكفرون به بدلا عن الايمان أبغضتم أنفسكم وعاديتموها أو لما دعي انسان الى خير فامتنع فمعناه أنه يعادي نفسه بنفسه فأبغضكم الله سبحانه جزاء لذلك ، ولكن بغض الله لكم أكبر وأشد وأشق عليكم من بغضكم لانفسكم لان بغضكم لانفسكم كان بمنعها عن الايمان ولكن بغض الله لكم صار عذابا ووبالا ونكالا عليكم في دار الآخرة الى الابد •

(قَالُوا : رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ، فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١) ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ

تُؤْمِنُوا ، فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ ، وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً ، وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ (١٣) فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ، ذُو الْعَرْشِ ، يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ (١٥) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ؟ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، لا ظُلْمَ الْيَوْمَ ، إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(١٧)

(قالوا ربنا أمتنا اثنتين) أي خلقتنا أمواتا في بدء الخليقة حيث كُنّا نطفة في صلب الآباء وترائب الأمهات ، وأحدثت فينا الموت مرة ثانية عند انقضاء آجالنا (وأحييتنا اثنتين) إحياءة عند نفخ الروح فينا في بطون أمهاتنا ، وإحياءة عند البعث من القبور ولـمّا أحييتنا للمرة الثانية للبعث النشور وكنا قد أنكرناها في الدنيا (فاعترفنا بذنوبنا) واجرامنا من حيث نكار البعث الذي علمناه قطعا (فهل الى خروج من سبيل ؟) أي فهل هناك سبيل وطريق الى خروجنا من هذه النار ورجوعنا الى الحياة السابقة حتى نطيع رسولك ونؤمن بكل ما أتى به من عندك وجواب هذا الاستفهام بالنفي القطعي ، أي لا سبيل لكم إليه ، ويجب عليكم الاستمرار في العذاب (ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده) بلا ملابسة الشريك (كفرتم) بتوحيده (وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير) وهذه الجملة اما مخرجة في مقام اظهار الأسف كما هو المعتاد أي ماذا نقول بعد أن تحقق القضاء بكفركم ؟

أو معناها فما دام أنتم كفرتم بالتوحيد وآمنتم بالإشراك على خلاف ما هــو المشروع فالحكم بوجوب بقائكم في النار لله العلي الكبير الجبار *

(هو الذي يريكم آياته) أي يجعلكم بحيث ترون آياته الدالــة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرده بالألوهية (وينزل لكم من السماء رزقا) أي سبب رزق وهو المطر وبه تنبع المياه من العيون وينبت النبــات والاشــجار المثمرة والزراعات والفواكه (وما يتذكر) بتلك الآيات البينــات (الا مــن ينيب) أي يرجع إلى الله سبحانه وتعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين) من الشرك (ولو كره الكافرون) •

وقوله (رفيع الدرجات) خبر لمبتدأ محذوف أي هو رفيع الدرجات أي درجات صعود ملائكته من الارض الى السماوات فإلى العرش • وقيل : درجات ثوابه لأهل طاعته من أنبيائه الى أوليائه الى صلحاء عباده ، فهنــاك درجات ، وكل قوم واقع على درجة ، وكل شخص متصف بمقــام خــاص كما قالت الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم) وقيل معناه رفيع الصــفات ، وقيل معناه رفيع الدرجات أي له درجات لعباده في معرفــة ذاته وصفاتــه ، فمنهم من يعرفه بوجوه واعتبارات وضيعة حسب مستواه العلمي ، ومنهــم من يعرفه بشئون أعلى من ذلك ، فمثله كمثل جوهر معدني له آثار وصفات" خاصة مختلفة لا يعرفها الا المتخصصون بها • وقيل : انه عالي الجاه ومرتفع المقام ، ومن العباد اليه مقامات معنوية كثيرة لا تتناهي ولا يمكــن طيهــا ، فغاية ما يصل اليه العبد هو العرش وهــو (ذو العرش) وصاحبه وخالقــه ولا يناسب مقامه لأنه موصوف بوجوب الوجود فلا علاقة له بما هو ممكن خاص يستوي في حقه العدم والوجود (يلقي الروح) أي الوحي (من أمره على من يشاء من عباده) أن يكون مظهرا لتلك الروح (لينذر يوم التلاق) أي لينذر عباده بعذابه يوم لقائه في الآخرة (يوم هم بارزون) أي ظاهرون

ذاتا وأعمالا (لا يخفى على الله منهم شيء) أما ذواتهم فبذواتهم ، وأما أعمالهم فبما كتب في سجلهم (لمن الملك اليوم ؟) أي يقال من جانب العزيز الجبار : لمن الملك اليوم ؟ ويجيب عنه ذاته المتعال فيقول : (لله الواحد القهار . اليوم) أي في هذا اليوم (تجزى كل نفس بما كسبت ، لا ظلم اليوم ، ان الله سريع الحساب) .

(وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ، كاظِمِينَ ، ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطاعُ (١٨) يَعْلَمُ خائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) وَاللهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ، إِنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠) أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ كانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ ؟ كانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثاراً فِي الأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَما كانَ لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ واقٍ (٢١) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا ، فَأَخَذَهُمُ اللهُ ، إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ)(٢٢) .

قوله تعالى (وانذرهم يومَ الآزفة) الآزفة القريبة ، أي وأنذرهم بما يقع من العذاب يَومَ الساعةِ الآزفة (إذ القلوب لدى الحناجر) بدل من يوم الآزفة ، أي زمان كون القلوب لدى الحناجر يعني أنهم من شدة خوفهم تقرب قلوبهم من حلاقيمهم ويكاد أن يموتوا . وقوله (كاظمين) حال من القلوب بتقدير أصحابها أي حالكون أصحاب القلوب ماسكين عليها حتى لاتخرج من فزعهم (ماللظالمين من حميم) أي ليس لمن ظلم نفسه في الدنيا بالكفر والاشراك من قريب

مشفق ينفعه بماله أو مقاله (ولا شفيع يطاع) من الله في شفاعته لهم (يعلم خائنة الأعين) أي النظرة الخائنة كالنظر الى وجه المرأة الأجنبية عمداً (وما تخفي الصدور) أي وما تخفيه الصدور من العزم على العداء بغير حق، واضرار شخص بلا موجب مشروع (والله يقضي بالحق) لانه يقضي على علمه بالحقائق قضاء موافقا للعدل ، فهو دائما يقضي بالحق (والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء) رحم الله من قال ان السالبة لا تقتضي وجود الموضوع . فالقضاة في هذه القضية جمادات لا وجود لهم بصفة كونهم قضاة في الحقائق حتى يقضوا بشيء (إن الله هو السميع البصير) تقرير بعلمه بخائنة الأعين .

(أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل الذين كذبوا الرسل من قبلهم (كانوا هم أشد منهم) أي من قريش وأشياعهم (قوة) في المال والعَدَد والعُدَد وكانوا مسيطرين على بلاد غنية بالحاجيات والكماليات (وآثارا في الأرض) مثل المدن المحصنة ، والقلاع المستحكمة ، والارزاق المُوَفرة (فأخذهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق) أي حافظ يحفظهم من تلك الأخذة الشديدة (ذلك) الاخذ (بأنهم) أي بسبب أنهم (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي المعجزات أو الآيات الواضحات (فكفروا بها فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب) أعاذنا الله من سوء الحساب .

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وسُلْطانٍ مُبِينٍ(٢٣) إلى فِرْعَوْنَ وهامانَ وقارُونَ ، فَقالُوا : ساحِرٌ كَذَّابٌ(٢٤) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا : اقْتُلُوا أَبْناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، وَاسْتَحْيُوا نِساءَهُمْ ، وَماكَيْدُ الكافِرِينَ إلاَّ في

ضَلالٍ (٢٥) وقالَ فِرْعَوْنُ : ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسى ، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسادَ (٢٦) وَقالَ مُوسى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ (٢٧) وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ : أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ ؟ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ، وإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذي يَعِدُكُمْ ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ)(٢٨)

قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) هي معجزاته الباهرة القاهرة لأكبر طاغ في البلاد (وسلطان مبين) أي قوة قوية واضحة ، إما تفسير وبيان لما قبلـه ، وإما عبارة عن الحجج الظاهرة منه عند الكلام مع فرعـون (إلى فرعون وهامان) وزيره (وقارون) وكان مقدم جنود فرعون • وخصهم بالذكر لانهم كانوا أصحاب الامر والرأي (فقالوا : ساحر كذاب) أي هو ساحر في إبداء هذه الامور المعجزة ، وكذاب في دعوى أنه رسول الله (فلما جاءهم بالحق من عندنا) أي فلما استمر على دعواه وبلغهم من جانب الله تعالى ما أمر بتبليغه (قالوا : اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) أي أعيدوا عليهم ما تعودتموه من القتل والفتك والإزعاج والإزهاق والارهاب وحرب الانفس والاعصاب (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) من المطلوب ولا يصل الى جانب المقصود •

ولما رأى فرعون موسى ـ عليه السلام ـ قوة العزيمة وشدة الشكيمة وأنه لا تلين عريكته في هذا الميدان (قال فرعون) لملائه (ذروني أقتل موسى) لنتخلص من شره (وليدع ربه) لينصره أو يخلصه مني (إني أخاف أن يبدل

دينكم) الذي أنتم عليه (أو أن يظهر في الارض الفساد) بإشاعة الهرجة بين الشباب والناس المتفرجين وتضعف به شوكة الدولة (وقال موسى) لما سمع بذلك (إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) مخاطبا به قومه ومقويا به قلوبهم حتى لا تنفسخ عزائمهم أمام الدين (وقال رجل مؤمن) بالله تعالى وبدين موسى ـ عليه السلام ـ وهو (من آل فرعون يكتم إيمانه) منه وممن معه (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه) يختص به ولا يتخطاه (وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) من المواهب الدينية والدنيوية (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) جملة جميلة ذات وجهين لكن أقرب الى فرعون من موسى والا ذكرها مع الاولى •

(يا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جاءَنا ؟ قالَ فِرْعَوْنُ : ما أُرِيكُمْ إِلاَّ ما أَرى وَما أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ (٢٩) وَقالَ الَّذِي آمَنَ : يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزابِ (٣٠) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ (٣١) وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ، ما لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عاصِمٍ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ (٣٣) وَلَقَدْ جاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّناتِ فَما زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذا هَلَكَ قُلْتُمْ : لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ! كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتابٌ (٣٤) الَّذِينَ

يُجادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَيهُمْ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا ، كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ)(٣٥)

قوله تعالى (يا قوم لكم الملك اليوم) يتبين من الآية الشريفة أنه كان من الجماعة المالكة واشتهر أنه كان ابن عم فرعون وصاحب شرطته وفي محل ولي العهد ، وقد هداه الله للايمان قال يا قوم لكم الملك أي السلطان اليوم (ظاهرين في الارض) عالين على الرعايا من الاقباط وبني اسرائيل (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ؟) يعني لا تفسدوا في الارض وأطيعوا الله ورسوله حتى يرحمكم ، وان كفرتم أتاكم بأسه وعذابه ومن ذا الذي ينصركم ويحفظكم من بأس الله إن جاءنا ، وهذا الكلام خاطب به فرعون وملأه (قال فرعون) بعد سماع ذلك : (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أشير عليكم الا بما أريده وأختاره وأستصوبه لنفسي (وما أهديكم الا سبيل الرشاد) أي طريق الصلاح (وقال الذي آمن) يعني المنادى المذكور بعد سماع كلام فرعون : (يا قوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) وفسره بقوله (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) كقوم لوط كفروا بالله وكذبوا رسله فدمرهم الله شر تدمير وكل ما فعله فهو حق (وما الله يريد ظلما للعباد) أي فما فعله بهؤلاء كان جزاء لكفرهم وعنادهم ، واذا كفرتم أتاكم مثل ما أتاهم ، وليس ذلك الا احقاقا للحق وازهاقا للباطل (ويا قوم اني أخاف عليكم يوم التناد) أي العذاب الوارد يوم ابتلاء الكفار في الآخرة ونداء بعضهم بعضا استغاثة واستنجادا للخلاص ولات حين مناص قطعا . (يوم تولون مدبرين) أي يوم تولون عن الموقف منصرفين الى النار (ما لكم من الله) أي من عذاب الله (من عاصم) أي حافظ يحفظكم منه (ومن يضلل

الله) أي في الدنيا (فما له من هاد) يهديه الى الحق واذا لم يهتد ضل ضلالا بعيدا ، وإذا ضل كذلك أذاقه الله في الآخرة عذابا شديدا .

ثم أخذ يقص عليهم قصص الزمان السابق للاعتبار فقال (ولقد جاءكم يوسف) بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (من قبل) أي من قبل مجيىء موسى وهارون (بالبينات) أي بأعمال صالحة وأخلاق عالية تدل على صدقه في دعوى النبوة (فمازلتم في شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك) الاضلال (يضل الله من هو مسرف مرتاب) أي شاك في دينه حتى ولو شهدت عليه البينات . وظاهر قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ان فرعون موسى كان فرعون زمان يوسف فقد ذكر بعض أصحاب التأريخ ان وفاة يوسف ــ عليه السلام ــ كانت قبل ولادة موسى ــ عليهما السلام ــ بأربعوستين سنة . واستظهر في البحر أن فرعون يوسف هو فرعون موسى ــ عليهما السلام ــ ، وأن عمره كان أربعمائة وأربعين سنة . ولكن الذي ذكره أغلب المؤرخين أن فرعون موسى غير فرعون يوسف ، وأن اسم فرعون موسى (الريان) وان فرعون يوسف اسمه الوليد وأن يوسف مات في زمنه والله أعلم . وقوله (الذين يجادلون في آيات الله) بدل من الموصول السابق في قوله من هو مسرف مرتاب يعني يضل الله الذين يجادلون في آيات الله (بغير سلطان أتيهم) أي من جهة الباري تعالى اما على أيدي الرسل ــ عليهم السلام ــ ، واما بطريق الافاضة على عقولهم وقوله (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) توكيد وتقرير لما أشعر به الكلام من ذمهم ، وفاعل كبر راجع الى الجدال الذي دل عليه يجادلون ، أي كبر الجدال في آيات الله بغير حجة مقتا عند الله (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) بإضافة القلب الى متكبر أي على كل قلب كل متكبر جبار

بتقدير كل ، والا لزم أن يكون لمتكبر واحد قلوب متعددة . وأما اذا قرئ بالتنوين فلا حاجة فيه اليه .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ : يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبابَ (٣٦) أَسْبابَ السَّمواتِ ، فأَطَّلِعَ إلى إلهِ مُوسى ، وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كاذِباً ، وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَونَ سُوءُ عَمَلِهِ ، وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ، وما كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ في تَبابٍ (٣٧) وقالَ الَّذي آمَنَ : يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشادِ (٣٨) يا قَوْمِ إِنَّما هذهِ الحَياةُ الدُّنْيا مَتاعٌ ، وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دارُ القَرارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزى إلاَّ مِثْلَها ، وَمَنْ عَمِلَ صالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فيها بِغَيْرِ حِسابٍ (٤٠) وَيا قَوْمِ مالِي أَدْعُوكُمْ إلى النَّجاةِ وَتَدْعُونَنِي إلى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ ما لَيْسَ لي بِهِ عِلْمٌ ، وَأَنا أَدْعُوكُمْ إلى الْعَزيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيا وَلا فِي الآخِرَةِ ، وَأَنَّ مَرَدَّنا إلى اللهِ ، وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ ما أَقُولُ لَكُمْ ، وَأُفَوِّضُ أَمْري إلى اللهِ ، إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ (٤٤) فَوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا ، وَحاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوّاً وَعَشِيّاً ، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ ﴾ (٤٦)

قوله تعالى : (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا) أي بناء مكشوفا عاليا (لَعَلّي أبلغُ الأسباب) أي الطرق ولما كانت مبهمة بينها بقوله (أسباب السماوات)قيل : أمر بذلك لانه كان منجما فأراد أن يبني رصدا يصعد عليه فيترقب مع أعوانه أحوال النجوم كي يعرف عاقبة ماداهمه من دعوة موسى ــ عليه السلام ــ • وقيل : بل أراد أن يوهم الناس أنه إله الارض فيصعد الى برج يمكنه هناك أن يتفاهم مع إله السماء كما قال (فأطلع الى اله موسى) هل يوجد في السماء لانه اذا كان موجودا فهو إما في الارض او في السماء ، وليس في الارض بحسب اطلاعه فلابد أنه يكون في السماء ، ولم يفهم أن من كان موجودا قبل الارض والسماء لا استقرار له في الارض ولا في السماء (وإني لاظنه كاذبا) في دعواه أن ربه رب الارض والسماء أو أنه مرسل منه الى العباد لارشادهم الى الله (وكذلك زين لفرعون سوء عمله) وزعم أن ذلك ينفعه ويوصله الى الحقيقة ، ولم يدر أن الله نور السماوات والارض ولا يهتدي الى النور الا بالنور ، وبذلك كاد قومه وأغفلهم (وما كيد فرعون الا في تباب) أي في انقطاع ويبس وخسار •

(وقال الذي آمن) بالله ورسوله في مقابلة ما يدبره فرعون من المكيدة (ياقوم اتبعون) بحذف ياء المتكلم (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيل الوصول الى الله فانه هو العبادة لله المتعالي لا بناء الصرح العالي (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع به فيستهلك ولا يستملك (وإن الآخرة هي دار القرار) لخلودها ودوام ما فيها • (من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ، ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) وتقدير منهم ولما رأى من قومه نوم الغفلة عن الحق ولا يريدون الا ما أراده فرعون من الضلال قال (ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار ؟ تدعونني لاكفرَ بالله وأشرك به ما ليس لي

به علم) أي بوجوده الحقيقي أو باشتراكه مع الله علم ولا ظن (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الذي يدل عليه كل ما تعلمــون من الانفس والآفــاق والآثار (لا جَرَمَ) لا شك (أنما تدعونني اليه ليس له دعوة) أي لا يستحق أن يدعى لاتباعه ، وليس له قابلية الدعوة (في الدنيا ولا في الآخرة ، وأن مردنا الى الله ، وأن المسرفين) المنصرفين من الحق الى الباطل (هم أصحاب النار • فستذكرون) في المستقبل القريب عند هلاك فرعون وجنوده . أو في القيام عند توقيف كل عامل على حدوده وتطلعون وتفهمون (ما أقول لكم) الآن (وأفوض أمري الى الله) في عدم افادة ارشادي لكم (ان الله بصــير بالعباد) بأهل الارشاد وبأهل العناد (فوقيه الله سيئات ما مكــروا) مــن متاركتهم له أو معاندتهم له (وحاق بآل فرعون) أي بفرعون وآله (ســوء العذاب) الغرق بالماء والحرق بالنار كما قال تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) في عالم البرزخ بعد زهوق أرواحهم وانغــراق أشــباحهم ؛ ومعنــى عرضهم عليها احراقهم بها • ولو فرضنا أن العرض هو الاظهار أمامهم في مقام تذكيرهم بأنكم ستعذبون بذلك في الآخرة فهو عذاب أي عذاب • والجمهور من المسلمين على أن تعذيب الاموات في عالم البرزخ أي مدة مابين المــوت والبعث هو على مجموع الروح والجسم البرزخي •

(وَإِذْ يَتَحَاجُّــونَ فِي النَّارِ ؛ فَيَقُولُ الضُّعفاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُــمْ مُغْنُونَ عَنَّــا نَصِيباً مِنَ النَّارِ ؟(٤٧) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا : إِنَّا كُلٌّ فِيهــا ، انَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّــارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ : ادْعُوا رَبَّكُــمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمــاً مِــنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا : أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟

قالوا : بَلى، قالُوا : فَادْعُوا ، وَمَا دُعاءُ الْكافِرِينَ إِلاَّ في ضَلالٍ(٥٠) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا في الْحَياةِ الدُّنْيا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ(٥١) يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ، وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ ، وَلَهُمْ سُوءُ الدّارِ)(٥٢)

قوله تعالى (وإذ يتحاجون) منصوب على المفعولية لأذكر المحذوف أي أذكر زمان تحاججهم واستدلالهم بعض على بعض وتخاصمهم فيها (فيقول الضعفاء للذين استكبروا) في الدنيا (إنا كنا لكم تبعا) اتباعا كالخدام (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار ؟) بتحمل بعض عذابها عنا (قال الذين استكبروا) للضعفاء (انا كل فيها) أي في النار (إن الله قد حكم بين العباد) فجعل الجنة لأهلها والنار لأهلها وما دام كل آخذ حقه ومستحقه من قضاء الباري تعالى فلا حق لكم علينا ولا يمكن لنا التحمل عنكم (وقال الذين في النار) عندما ضاقت بهم الحيل (لخزنة جهنم) أي للقائمين عليها المأمورين بتعذيب أهلها (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا) في جوابهم : (أو لم تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا : بلى) أي أتونا بالبينات فعاندناهم واستكبرنا (قالوا : فادعوا) أي اذا كان الامر كذلك فلا نقدر نحن أن ندعو لكم فادعوا أنتم لأنفسكم (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع وبطلان . وهذه الجملة اما من المحولين للدعاء الى أنفس الطالبين أو من كلام الباري سبحانه وتعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) كلام مستأنف من الله سبحانه وتعالى لتأييد الرسول وأمته ، فيقول : انا لننصر رسلنا والذين آمنوا (في الحياة الدنيا) بالحجة والتأييد (ويوم يقوم الاشهاد) أي يوم القيامة الذي فيه جمع الاولين والآخرين وشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب . (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ،

ولهم اللعنة) أي الطرد في عالم الدنيا والآخرة من مراحمه الباطنة والظاهرة (ولهم سوء الدار) أي ولهم الدار السيئة وهي دار جهنم .

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ ، فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦) لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ)(٥٩)

قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) أي ما يهتدي به هو وأتباعه من المعجزات الباهرة التي تطمئن بها نفسه وتتذلل بها اعداؤه ، ومن الصحف والشرائع (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) وأعطينا ذلك الهدى المتمثل في الكتاب أنبياء بني اسرائيل يسترشدون به هم وأتباعهم (هدى وذكرى لاولي الالباب) ليكون ذلك الكتاب وسيلة الرشاد والوصول الى الحق ومذكرا بحقوق الله على عباده . وذلك انما يستفاد لاصحاب العقول الخالصة (فاصبر) أنت ايضا مثله على أداء رسالتك وان ابتليت بما لا يطيقه الا أولو العزم (إن وعد الله) اياك بالظفر والنجاح وإعلاء الكلمة وسعادة الدارين (حق) لا شبهة فيه أبدا (واستغفر لذنبك) واطلب السماح والمغفرة من الله تعالى

لما صدر منك مما لا يناسب علو مقام الرسالة أو ما يكون عائقا عن الفكر والذكر الروحي لك (وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار) والمراد بالعشي والإبكار إما الوقتان الخاصان أو الاوقات جميعا بذكر الطرفين . وعلى كل فالمراد بالتسبيح والتحميد معناهما المعروف ، والمراد دوامه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على التسبيح والتحميد وأن لا يكون غافلا عن ذكر ربه تعالى وليس المراد الصلاة المفروضة لانها فرضت ليلة الإسراء والمعراج . ومن الناس من قال : إن المراد ركعتان مفروضتان عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكرة ، وركعتان عشية .

(إن الذين يجادلون في آيات الله) أي في الآيات المنزلة من الله بقولهم إنها ليست من آياته وانما هي قول شاعر أو كاهن أو مجنون ، أو أنها أساطير الاولين ، أو أنها أخذت من بعض الاعجمين وتلك المجادلة منهم (بغير سلطان أتيهم) من النقل أو العقل (إن في صدورهم إلا كبر) ليس في صدورهم شيىء الا كبر وتكبر وتعظم وترفع فارغ غير مبني على موجب معقول و (ما هم ببالغيه) أي بواصلين نتيجة ذلك الكبر ، فإن ما يريدونه منها إمحاء الرسالة الاسلامية واطفاء نور الله وإفناء رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وازالة التوحيد ، وابقاء الشرك ، وقد أراد الله أن لا يبقى كذلك ، فقد جاء الحق وزهق الباطل (فاستعذ بالله) من شرهم وافسادهم والوصول الى مآربهم (إنه هو السميع) لدعائك واستعاذتك (البصير) بحالات الطرفين وحركاتهما . (لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس) فاذا كنا قادرين على خلق العلويات والسفليات وقد خلقناها فعلا فكيف لا نقدر على بعث الموتى للحشر والحساب ؟ وهذا هو أساس إنكارهم للتوحيد وبقائهم على الاشراك . أو اذا قدرنا على خلق العالم فكيف لا نقدر على اماتة

أولئك المشركين وخلق أناس اخرين موحدين ؟ (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) هذه الحقيقة ، ولذلك عموا عن إبصار طريق الحق •

(وما يستوي الاعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن والمشرك والموحد (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيىء) بتبديل الإيمان بالكفر والاعمال الصالحة بالسيئات • (قليلا ما تذكرون) أي في قليل من الاوقات تذكرون فتذكرون الحق (ان الساعة لآتية لا ريب فيها) وهناك يتبين الحق ويتميز المفسد من المصلح (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بذلك لقصر نظرهم •

(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠) اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ، إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ ، فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥) قُلْ : إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي ، وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)(٦٦)

قوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أي اعبدوني وحدي أثبكم ، وأطيعوني واطلبوا الخير مني ، وكونوا مع عبادي أعطكم في الدنيا قريرة وفي الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي محقرين أذلاء •

(الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي لتستريحوا فيه بالمنام والمقام وتستعيدوا قوتكم المعتادة وتستعدوا للعمل المشروع في النهار (والنهار مبصرا) أي وجعل لكم النهار مبصرا أي ذا إبصار ، وهذا الاسناد مجازي والمراد مبصرا فيه ، اسم مفعول لانه في الحقيقة زمان الابصار وظرفه (ان الله لذو فضل على الناس) أي لمولى النعم وفياض الكرم على البر والفاجر (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) نعمته وفضله وكرمه ورحمته لجهلهم بصاحب النعمة وفياض الرحمة (ذلكم الله) أي ذلكم المنعوت بما ذكر ربكم ومولاكم ، فتبارك الله رب العالمين (خالق كل شيء) من النعمة والمنعم عليه (لا إله الا هو فأنى تؤفكون ؟) وتصرفون ولأي سبب ينحرفون عن الاتجاه السليم والصراط المستقيم (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي مثل ذلك الإفك بلا داع مبرر ولا حجة وبرهانٍ مقرر (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) فهذه الخصلة القبيحة ماشية فيهم وفيمن سبق من الكافرين •

(الله الذي جعل لكم الارض قرارا) أي محل قرار (والسماء بناء) أي قبة مضروبة عليكم علق بها المصباح المضيء والمنور (وصوركم فأحسن صوركم ، ورزقكم من الطيبات) أي المستلذات المقبولة للاقتيات والتفكه والتداوي (ذلكم الله ربكم ، فتبارك الله رب العالمين • هو الحي) المنفرد بالحياة الذاتية (لا إله) حق (الا هو • فادعوه) أي فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه أحدا حالكونكم (مخلصين له الدين) أي العبادة ، ولا تشركوا به غيره (قل

إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات) أي التجليات الربانية والوحي السماوي والالهامات القدسية ، والبصيرة القلبية ، بحيث لم يبق لي مجال أي شبهة حيث وصلت الى الدرجة العالية من اليقين (من ربي ، وأمرت أن أسلم لرب العالمين) وأنقاد له قلبا وقالبا ، روحا وشبحا .

(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ، ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ، وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً ، وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ : كُنْ ، فَيَكُونُ(٦٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ؟(٦٩) الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ(٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ(٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ(٧٢) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ : أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ(٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالُوا : ضَلُّوا عَنَّا ، بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً ، كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ(٧٤) ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ(٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ(٧٦) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ)(٧٧)

قوله تعالى (هو الذي خلقكم من تراب) أي في ضمن خلق أبيكم آدم منه (ثم يخرجكم طفلا) اسم جنس يقع على القليل والكثير وبذلك تحصل المطابقة بين الحال وصاحبها (ثم لتبلغوا أشدكم) أي ثم يبقيكم ويربيكم لتبلغوا أعلى درجات قوتكم (ثم لتكونوا شيوخا) ثم يبقي بعضا منكم لتكونوا شيوخا (ومنكم من يتوفى من قبل) أي من قبل الشيخوخة (ولتبلغوا أجلا مسمى) متعلق بفعل مقدر أي ويفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو ما قرر لانتهاء أمد حياتكم (ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبلغوا ، أي ويفعل ذلك لعلكم تعقلون ما في تلك التنقلات والاحوال من نسبة الآثار المختلفة الى فاعل قادر مختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد • (هو الذي يحي) الاموات (ويميت) الاحياء (فإذا قضى أمرا) أي أراد حدوثه (فانما يقول له كن فيكون) من غير احتياج الى مساعد ومعاون •

(ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله) أي لأجل رفعها أو اهسالها (أنى يصرفون ؟) على أي حال يمنعون عنها مع ظهورها وقوتها (الذين كذبوا بالكتاب) أي بجنس الكتب السماوية (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الشرائع (فسوف يعلمون) حقيقة ما فعلوا ومقدار ما ارتكبوا من المعاصي والآثام (اذ الاغلال في أعناقهم ، والسلاسل) فيها (يسحبون في الحميم) أي الماء الحار (ثم في النار يسجرون) أي يسحبون فيها أو يحرقون بها (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي تبين لنا اليوم أنا لم ندع شيئا موجودا قائما بذاته نافعا لنفسه أو غيره فكأننا دعونا المعدومات (كذلك يضل الله الكافرين) أي هكذا يحيرهم حتى يفزعوا بالآخرة الى الكذب (ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أي تتوسعون في الفرح (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى المتكبرين) أي فبئس مأوى ومستقر المتكبرين عن

قبول الحق جهنم (فاصبر ان وعد الله) أي بدحر أعدائك في الدنيا وبتعذيبهم في الآخرة (حق) لا شبهة فيه (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) من الخزي والنكال فتراهم بعينك (أو نتوفينك) قبل ذلك واذا كان الامر الثاني (فالينا يرجعون) يوم القيامة وتعلم أحوالهم وعذابهم هناك .

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ ، مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨) أَللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ، وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ (٨١) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ ؟ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَاكَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا : آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)(٨٥)

قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك) أي رسلا أولي قدر وخطر من قبل ارسالك (منهم من قصصنا عليك) أي أنزلنا عليك أخبارهم في القرآن

كآدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم أكثر الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . أخرج الامام أحمد عن ابي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله كم عدد الانبياء ؟ قال « مأة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلثمأة وخمسة عشر جما غفيراً » .

(وما كان لرسول أن ياتي بآية الا باذن الله) أي بآية من الآيات المنزلة أو بمعجزة من المعجزات الا باذن الله (فاذا جاء أمر الله) أي بالعذاب والنكال في الدنيا أو الآخرة (قضي بالحق) أي حكم باثبات الحق وازهاق الباطل (وخسر هنالك المبطلون) أي وخسر وقت مجيىء أمر الله تعالى المتمسكون بالباطل (الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها) كالإبل (ومنها تأكلون) كالانعام كلها (ولكم فيها منافع) أي غير الركوب كالاكل والشرب واللباس وسائر وجوه الاطعام (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) كحمل الاثقال من محل الى آخر (وعليها) أي على تلك الانعام باعتبار بعض منها أعني الابل وهي سفن البر (وعلى الفلك) وهي سفن البحر (تحملون . ويريكم آياته) يعني ويريكم ويظهر لكم الله آياته ودلائله الدالة على كمال حكمته في أفعاله (فأي آيات الله تنكرون) فإن وجود الآيات وظهورها بديهي غني عن الحاجة الى الإثبات وكونها من آثار الصانع الواجب الوجود وآثاره الناشئة من العلم والإرادة والقدرة ثبت بالعقول السليمة من الآفات .

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أي أقعدوا في دورهم مكتفين بقلة الشعور (فلم يسيروا في الارض) العربية التي فيها آثار دمار الامم الظالمة (فينظروا) بالابصار ويتفكروا بالبصائر (كيف كان عاقبة) أحوال الكافرين (الذين كانوا من قبلهم) وعاندوا الرسل الكرام (كانوا أكثر منهم) عددا (وأشد قوة وآثارا في الارض) من الدور المستحكمة

والقلاع الحصينة ، والمخابىء والمخازن المستورة ، حتى يتوسلوا بها لدفع ما يرد عليهم من المضار ؟ (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون • فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) من الآيات والمعجزات (فرحوا بما عندهم من العلم) المحدود الناشىء من السيطرة على العباد والحرية في الاعمال وتصديق الضعفاء والمجزة والجهال ، ومن المدارس المبنية لترصد الافلاك وادارة الاملاك ورعاية التقاليد الجارية التي تميل اليها قلوب الناس بحيث غدوا أنفسهم من نوابغ العصر ، ولم ينظروا الى اكتساب العلوم الربانية المسيطرة على النفوس لحفظ النفوس عن الشهوات الفاسدة ، وقتل الأبرياء وهتك الاعراض ، واتباع الاغراض ، فعاندوا الرسل واتبعوا ما عندهم من السبل ، فغضب الله عليهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون • فلما رأوا بأسنا) أي شدة عذابنا النازل من السماء أو الناشىء من الارض (قالوا آمنا بالله وحده) ولا نشرك به شيئا (وكفرنا بما كنا به مشركين • فلم يك ينفعهم ايمانهم) لخلاصهم من العذاب المحتم الوارد عليهم (لما رأوا بأسنا) لان التوبة المقبولة انما هي عند الاختيار لا الالجاء والاضطرار (سنت الله التي قد خلت في عباده) من أن الإنذار أعذار ، فإن لم ينفع لم ينفع الرجوع الى المقصود بالاضطرار (وخسر هنالك) أي زمان رؤيتهم البأس (الكافرون) المعاندون لله ولرسوله المبلغ الأمين •

سورة فصلت ، وتسمى حم السجدة ، وهي مكية ، وآياتها أربع وخمسون
نزلت بعد غافر

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ(٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ
آياتُه قُرآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣) بشيرا ونذيرا ، فَأعْرَضَ
أكْثَرُهُمْ فَهم لا يَسمعُون(٤) وقَالُوا : قلُوبُنَا في أَكِنَّةٍ مِمَّا
تَدْعُونا إليْهِ وَفي آذانِنا وَقْرٌ ، وَمِنْ بَيْنِنا وَبَيْنِكَ حِجابٌ ،
فَاعْمَلْ إنَّنَا عامِلُونَ(٥) قُلْ : إنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى
إليَّ أَنَّما إلهكُمْ إلهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيموا إليْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ،
ووَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(٦) الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ ، وَهُمْ
بالآخِرَةِ هُمْ كافِرونَ(٧) إنَّ الَّذِين آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٨) قُلْ : أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بالَّذي
خَلَقَ الأَرْضَ في يَوْمَيْنِ ، وتَجْعلُونَ لَهُ أَنْداداً ؟ ذلِكَ رَبُّ
العالَمِين(٩) وَجَعَلَ فِيها رَواسِيَ مِنْ فَوْقِها ، وَبَارَكَ فِيها
وَقَدَّرَ فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِينَ(١٠) ثُمَّ

اسْتَوى إلى السَّماءِ ، وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها ولِلأَرْضِ : ائْتِيا طَوْعاً أو كَرْهاً ، قالَتا : أتَيْنا طائِعِينَ(١١) فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَمواتٍ في يَوْمَيْنِ ، وَأوْحى في كُلِّ سَماءٍ أمْرَها ، وَزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وَحِفْظاً ، ذلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَليم(١٢) •

قوله تعالى (حم) كنظائره واذا جعلناه اسما للسورة فاما خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره (تنزيل) على المبالغة ، أو تأويله بمتنزل ، وقوله (من الرحمن الرحيم) متعلق به ومؤكد لما أفاده التنوين من العظمة وقوله (كتاب) بدل منه وصف بقوله (فصلت آياته) أي بينت آياته بأقوال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله ، أو أوضحت آياته ، فإذا كانت آية مطلقة وجد القيد في آية أخرى وهكذا • وقوله (قرآنا عربيا) إما حال أو منصوب على المدح • وقوله (لقوم يعلمون) أي لانتفاع قوم يعلمون معناه ويعملون به ، لان العلم بلا عمل لا نفع له إلا الامتياز عن الجهل لو كان في نفس الامتياز فضل ، وكذلك (بشيرا ونذيرا) منصوبان أيضا على الحالية أو على المدح • وقوله (فأعرض أكثرهم) يعني به ذم الكفار المعرضين عن الخير يريد أنه مع حيازته لتلك المحاسن أعرض أكثر الناس المشركين عنه ولم يؤمنوا به ، فهم لا يسمعون المواعظ والارشاد ولا يريدون الخير لانفسهم ولا لغيرهم من العباد •

(وقالوا : قلوبنا في أكنة) أي أغطية متكاثفة (مما تدعونا إليه) من الإيمان بالله ورسوله أي بينه وبين قلوبنا حواجز تمنعه عن الوصول اليها (وفي آذاننا وقر) أي ثقل وصمم من سماعها لكلامك (ومن بيننا وبينك حجاب) يحجبنا عن رؤيتك أي لا نراك مطلقا ، أو لا نراك بعين المحبة يعني

أن الأمر بيننا هو الفصل لا الوصل (فاعمل) على دينك و (إننا عاملون) على ديننا • وهذا الكلام اما متاركة مثل لكم دينكم ولي دين ، واما معاركة ، والمقصود اعمل أنت للانتصار علينا ونحن نعمل للانتصار عليك ، لنعلم أي الجانبين أقوى في عاقبة الامر • قل في جوابهم (انما أنا بشر مثلكم) لست ملكا ولا ملكا ولا جنيا حتى لا يمكنكم الوصول الي وفهم ما أقوله والعمل به (يوحى الي أنما الهكم اله واحد) وهذا الامر ليس شيئا غير معقول حتى يتحاشى عنه القلوب ، بل أمر يدعو الناس الى وحدة المبدأ ووحدة الطريق، وهذا الاله الواحد موصوف بصفات الكرم والرحمة الواسعة (فاستقيموا) على الحق سالكين (اليه واستغفروه) مما صدر منكم من الذنوب يغفر لكم (وويل للمشركين) الذين من صفاتهم اللؤم والبخل بما في أيديهم ومنعه عن المستحقين (الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون • إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع (قل : أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ؟) أي أمثالا شركاء له من الملائكة والجن وغيرهم (ذلك رب العالمين) وموجدهم من العدم الى الوجود •

(و) لما خلق الارض (جعل فيها رواسي) أي جبالا عالية (من فوقها ، وبارك فيها وقدر فيها أقواتها) أي بين أي تعلق علمه الشامل بالمرتزقة عليها ، وبكمية أرزاقها من مختلف الوجوه فقدرها لهم للمستقبل الى نهاية الحياة الاعتيادية (في أربعة أيام) أي في تتمة أربعة أيام وهي يومان • والخلاصة أن خلق الارض في يومين ، وتقدير أقواتها وأرزاقها للمرتزقة فيها من النبات وسائر الأطعمة في يومين (سواء للسائلين) حال من أربعة أيام أي حالكونها عبارة واحدة غير مشوبة بالخلاف بالنسبة الى كل من يسأل عن مدة زمان خلق الارض والاقوات (ثم استوى الى السماء) أي توجه الى خلقها (وهي دخان) أي مادة ظلمانية وهي التي تركبت السماوات منها والله أعلم بحقيقتها (فقال

لهـا) أي للسماء (وللارض : ائتيا) أي تحققا واتصفا بالهوية الشخصية أو ائتيا بما خلقت فيكما من المنافع المخزونة فيكما (طوعا ، أو كرها) أي طائعات أو مكرهات أو طائعين أو مكرهين (قالتا : أتينا طائعين فقضاهن سبع سماوات) أي فخلق السماء سبع سماوات ، أو جعلها سبع سماوات في يومين ، والمـراد باليوم في هذا الخلق والتقدير اما اليوم المعروف عندنا أي زمان وجود الشمس فوق الأفق فلابد أن يقدر المقدار لان الشمس لم تكن مخلوقة في ذلك الوقت واما اليوم الذي قال تعالى في بيانه (وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون). (وأوحى في كل سماء أمرها) أي خلق في كل منهن ما استعدت له واقتضـت الحكمة وجوده فيها مما يعلمه الله سبحانه (وزينا السماء الدنيا) مـن تلـك السماوات السبع (بمصابيح) مشرقة لماعة بالذات أو باستنارة بعضها من بعض كما يقال نور القمر مستفاد من الشمس ، وكذلك سائر الكواكب (وحفظا) مفعول لفعل مقدر أي وجعلناها وسيلة حفظ وصيانة للسماء مـن الشياطين المسترقة . وظاهر الآية الكريمة أن جميع الكواكب اللماعـة الموجودة التي يشاهد بعضها بالعين المجردة وبعضها بالمجاهر ، والتي لم يكتشف لحد الآن بواسطة بعد المسافة كلها في السماء الدنيا أي القربى مـن الارض ، وأمـا السماوات الست الباقية فلا يعلم ما فيها وما عليها الا العليم الخبير . وفي ذلك الخلق هيبة ورهبة عظيمة ولذلك قال سبحانه وتعالى (ذلك تقدير العزيـز العليم) أي جميع ماذكرناه من الاعمال المدهشة كخلق الارض والمواد السفلية من الماء والهواء معها ، وخلق السماوات والكواكب تقدير وتأثير للاله العزيز الغالب على كل شيء العليم بكل موجود ومعدوم بوجه الامتياز .

(فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ : أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ : أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، قَالُوا : لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ

مَلائِكَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ(١٤) فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وقالُوا : مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ؟ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ؟ وكانوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ !(١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ، وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزَى ، وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ(١٦) وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فاسْتَحَبُّوا الْعَمَى على الْهُدَى ، فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ(١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكانُوا يَتَّقُونَ)(١٨)

قوله تعالى (فان أعرضوا) مرتبط بقوله السابق (قل أئنكم) أي فان أعرضوا عن التدبير فيما ذكر من عظائم الامور التي تدعو الانسان الى الايمان (فقل : أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) صيغة الماضي في محل المضارع مجاز لإفادة التحقق الاكيد . والصاعقة في الاصل جثة وهي قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ، وبما أنه لم تنزل الصاعقة على قوم عاد وثمود ، وانما هلاك عاد بالريح وثمود بالبركان أو بصيحة جبريل ــ عليه السلام ــ قالوا ان المراد من الصاعقة لازمها وهي العذاب . وقال بعض : ان الصاعقة جاءت بمعنى العذاب . وعلى كل فالمراد من الآية الكريمة : فقل أنذركم أيها المعرضون بعذاب مثل ما جاء على قوم عاد وثمود فأدمركم كما دمرتهما (اذ جاءتهم الرسل) أي جاءت قوم عاد وثمود الرسل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أي من الجهات الكثيرة ، والمراد بالرسل هود وصالح ومن معهما من المؤمنين المعاونين لهما كل في عصره . قائلين : (ألا تعبدوا الا الله . قالوا) أي قوم عاد في مقابل هود ، وقوم ثمود في مقابل صالح : (لو شاء ربنا لانزل ملائكة)

إلينا فإنكم بشر لا تستحقون رتبة الرسالة من الله (فانا بما أرسلتم به) من الشريعة (كافرون) لانها لا يأتي بها البشر •

ثم أخذ في تفصيل ما لكل واحدة من الطائفتين فقال (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) إذ لا يجوز لأحد ولا يحق له أن يتكبر في مقابل الرسول (وقالوا) لبيان أساس تكبرهم : (من أشد منا قوة) أي لا أشد منا قوة ، فلا أحد يقاومنا (وكانوا غافلين) عن قدرة الله (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟) فانه تعالى قادر قدرة ذاتية متناهية ولا تتمثل في أناس يحاربون عادا حتى يظنوا أنهم أقوى منهم بل له جنود كثيرة ، (وما يعلم جنود ربك الا هو فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي شديد الحرارة السموم ، وفسره بعضهم بشديد البرد والاول أنسب بالمكان (في ايام نحسات) مشئومات بالنسبة اليهم • قيل : ان هذه الايام كانت من آخر شباط الشرقي وتسمى أيام العجوز ، وكانت في ما روى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء ، وانما أرسلناها عليهم (لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) فيها بأي وجه من الوجوه •

(وأما ثمود فهدَيناهم) أي فأرسلنا اليهم صالحا فأرشدناهم بإرشاده وبينا لهم طريق الحق والسلامة والسعادة في الدارين (فاستحبوا العمى) والبقاء على الضلال بدون البصيرة (على الهدى ، فاخذتهم صاعقة العذاب الهون) واضافة الصاعقة الى العذاب بيانية ، وإضافته الى الهون لامية سببية ، أي أخذهم عذاب كان سببا لخذلهم وذلهم وحقارتهم في الدنيا (بما كانوا يكسبون) أي وذلك بسبب ماكانوا يكسبونه من اختيار الضلالة على الهدى (ونجينا الذين آمنوا) وهم للاولين هود ومن معه ، وللآخرين صالح ومن معه من أهل الايمان (وكانوا يتقون) •

(وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ(١٩)
حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ: لِمَ شَهِدْتُمْ
عَلَيْنَا؟ قَالُوا: أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ
خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٢١) وَمَا كُنْتُمْ
تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ، وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا
تَعْمَلُونَ(٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ،
أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ
مَثْوًى لَهُمْ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ(٢٤)
وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا
خَلْفَهُمْ، وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(٢٥) وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَغْلِبُونَ(٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا،
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ(٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ
أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ(٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ)(٢٩)

وقوله تعالى (ويوم يحشر أعداء الله الى النار) شروع في بيان عذابهم يوم القيامة ، ويوم منصوب بأذكر مقدرا ، أو بفعل مستفاد من قوله (فهم يوزعون) أي اذكر زمان حشر الكفار المشركين الذين عادوا ربهم الذي خلقهم الى نار جهنم فهم يوزعون ، ويحبس آخرهم الى مجيىء أولهم ، أو يوقف أول جمع واصل منهم الى مجيىء آخر جمع منهم (حتى إذا ما جاؤها) سئلوا من جانب الزبانية عما أجرموا أو سئلوا عن جمعهم للمحاسبة عند الله ثم إرسالهم الى النار فأنكروا تحقق الاجرام منهم وعند ذلك (شهد عليهم سمعهم) باستماع ما لا يحل استماعه (وأبصارهم) بابصار ما يحرم النظر اليه (وجلودهم) أي جلود أبدانهم ، وأيديهم وأرجلهم بمساس ما لايحل مسه وبالمشي والحركة والبطش للمحرمات والمعاصي وللقول الحرام والفعل الحرام، وبغير ذلك (بما كانوا يعملون • وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟) وانما العذاب يمسكم ويصيبكم (قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة) بلا مادة ، فإخراج الشيء من العدم الى الوجود أهم من اجراء الكلام على ما لا يعتاد التكلم (واليه ترجعون) للجزاء فلابد من اثبات موجبات العقوبة حتى تجزون بما كنتم تعملون وسؤالهم من الجلود فقط يمكن أن يكون لعظم الذنوب التي تحصل من مساس الجلود أو للاشارة الى أن الشهادة جرت مما يعذب باديء بدء ، فان الجلود تنضج فتحرق ويتأذى صاحبها ، ومع ذلك لما كان الاستشهاد من الله لم تكن لها طاقة الكتمان فشهدت بجميع ما حصلت من الاجرام الموجبة للعقاب والآلام •

(وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) هذا من قول الباري تعالى لهم يوم القيامة بعد شهادة الاشهاد ، فيقول لهم : ما كنتم تستترون في الدنيا عند الاتيان بالفواحش مخافة أن يشهد عليكم اليوم سمعكم وأبصاركم وجلودكم (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما

تعملون) فكنتم تستترون عن أعين الناس لبعض الاعتبارات فقط . (وذلكم) الظن الفاسد (ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم) أي أهلككم (فاصبحتم من الخاسرين) على رأس مال الحواس والجوارح التي أعطاكم الله تعالى لكسب السعادة بها فصارت وسيلة لكسب الشقاوة (فان يصبروا) على عذابهم (فالنار مثوى لهم) أي محل ثواء واقامة (وان يستعتبوا) أي يسألوا العتبى أي الرجوع الى ما يحبونه (فما هم من المعتبين) أي من المجابين اليها (وقيضنا لهم) في الدنيا لسوء أدبهم وجسارتهم على الله بالاشراك وعلى رسوله بقصد الإهلاك (قرناء) أخدانا وأحباء من شياطين الإنس والجن فزينوا لهم مابين أيديهم أي ما أمام عيونهم من متاع الدنيا (وما خلفهم) من الاهواء المأمولة في المستقبل (وحق عليهم القول) أي فتوغلوا فيها وعاندوا الحق فحقت عليهم مقتضى قولي لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) أي مع أمم كافرة خاسرة باغية طاغية قد خلت من قبلهم من الجن والانس (إنهم كانوا خاسرين) في صرف نقد حياتهم بموجب عقوباتهم ولبئست التجارة .

(وقال الذين كفروا) أي بعضهم لبعض : (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) اي وأتوا بلغو الكلام عند قراءته لتشوشوا على الناس المستمعين (لعلكم تغلبون) بعملكم ذلك على الطالبين له ولمنهاجه (فلنذيقن الذين كفروا) فوالله لنذيقن أولئك الذين كفروا وتآمروا على القرآن بما سمعتم (عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أي لنحبطن أعمالهم الحسنة ظاهراً حيث لم تقترن بالايمان بالله الكريم (ولنجزينهم) على السيئات بأسوأ الاعمال التي كانوا يعملونها ، لانه لما قارن الكفر بالله استحق العذاب عليه (ذلك) أي الجزاء المذكور (جزاء أعداء الله) وأعداء رسوله وهو (النار، لهم فيها دار الخلد) أي لهم في الساحة الواسعة الممتلئة بالنار مواقع خاصة

هي دار الخلد الابدية لهم أو لهم فيها أي في تلك الدار دار فالنار في شدتها وقوتها تجرد منها دار أخرى (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون • وقال الذين كفروا) وهم منقلبون في النار : (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا) ندوسهما بأقدامنا (ليكونا من الاسفلين) ذلا وحقارة فمن كان له القلب الواعي يعلم ما هي نتيجة البطر والغرور والخروج من استماع الحق والدين •

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا : رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ : أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ : إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ؟(٣٣) وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ، ادفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَما يُلَقَّيها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَما يُلَقَّيها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ والْقَمَرُ ، لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ ، وَاسْجُدُوا للهِ الَّذي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاه تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَهُمْ لا يَسْئَمُونَ (٣٨) وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى

الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلنا عَلَيْهَا الماءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، إِنَّ الَّذِي أَحْياها لَمُحْيِي المَوْتى ، إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(٣٩)

قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله) شروع في بيان أحسن أحوال المؤمنين فيقول ان الذين قالوا قولا موافقا للقلب ربنا الله (ثم استقاموا) على ذلك ومقتضاه من ترك المحرمات وأداء الواجبات متوجهين الى الله ومتوكلين عليه غير غافلين (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت • وقال بعض عند البعث ، وبعض عند نزول القبر (ان لا تخافوا) ما تقدمون عليه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم وأن مصدرية ولا ناهية أو نافية أو مخففة من المثقلة ، واسمه ضمير الشأن ، والجملة تفسير له وفي محل الخبر (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها على ألسنة الرسل الكرام ــ عليهم السلام ــ والمبلغين لكم منهم (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) أي أعوانكم في المهمات والملمات بالإعداد وإلهام الصبر والطمأنينة وتذكير التوكل على الله (وفي الآخرة) نمدكم بالشفاعة والشهادة لاعمالكم الحسنة وتلقاكم بالإكرام عند تلقي الكافرين بالإهانة (ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم) من الملاذ والمشتهيات الطيبة في الطباع السليمة (ولكم فيها ما تدعون) أي تطلبون لانفسكم من الرحمة والرضوان ولقاء ذات المنان حالكون ذلك كله (نزلا من غفور رحيم) ستار للعيوب غفار للذنوب • ثم أخذ في الثناء على أهل الايمان والدعوة الى الله المنان والتزام الإسلام وأداء الواجبات وترك العصيان فقال (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) أي الى الاعتراف بوجوده ووحدته (وعمل صالحا) أي عملا صالحا (وقال) متحدثا بنعمة ربه (إنني من المسلمين) •

ثم استأنف لبيان الفرق بين أحوال الناس واختلاف درجاتهم فقال : (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) وكلمة لا الثانية زائدة للتأكيد والتحسين أي

لا تستوي الاعمال الحسنة والسيئة فهما أمران متباينان يتباين الموصوفون بهما وللموصوف بالحسنات درجات كما أن للموصوف بالسيئات دركات (ادفع) أيها المؤمن المحسن ادفع (بالتي هي أحسن) أي واذا اعترضتك من أحد الناس أو من أحد أعاديك الخصلة السيئة من أي باب كانت بالخصلة التي (هي أحسن) أي أحسن الوجوه وأحسن الطرق في دفعها فاذا قابلك بالشتام فقابله بالسكوت أو بالسلام أو بالإكرام (فاذا الذي بينك وبينه عداوة) انقلب عن حاله وغرق في انفعاله ويواجهك بوجهه (كأنه ولي حميم) أي قريب أو صديق حار الصداقة (وما يلقيها) أي هذه الخصلة الجميلة المباركة في دفع السيئة (الا الذين صبروا) على مكابدة المحن والإحن بحيث صار الصبر من غرائزهم (وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم) ونصيب جسيم من الله الكريم (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) وهو في الأصل المس بطرف أصبع أو قضيب بعنف مؤلم ، والمقصود به هنا وسوسة فاسدة مؤثرة في القلب حاملة له على ارتكاب أمر غير محمود العاقبة (فاستعذ بالله) الحافظ من شره ولا تطعه (إنه هو السميع العليم) أي السميع لاستعاذتك اذا كانت لفظية ، والعليم بها اذا كانت نفسية .

ثم شرع في عظمة ذات الخالق الباريء المصور الواحد القهار ، فقال : (ومن آياته) أي آيات عظمته وأدلة توحيده (الليل والنهار) تعاقبهما بطول الزمان ودخول الليل في النهار والنهار في الليل (والشمس) التي هي آية النهار (والقمر) الذي هو آية الليل فكلها مخلوق لله تعالى ومن آثار قدرته (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) فإنهما لا يستحقان أن تسجد لهما (واسجدوا لله الذي خلقهن ، إن كنتم اياه تعبدون) فان الخالقية هي المبدأ للمعبودية (فان استكبروا) أي أولئك الكفار المشركون عن السجود له فلا تهتم بهم (فالذين عند ربك) ومقربون من حضرة قدسه كالانبياء والرسل وسائر

الخلائق في العالم من جنه وإنسه (يسبحون له بالليل والنهار ، وهم لا يسئمون) لا يملون من ادامة التسبيح والذكر والحمد له والقنوت والركوع والسجود (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) أي يابسة متطامنة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي فاذا أنزلنا المطر تحركت بالنبات وانتفخت (إن الذي أحياها) بانزال المطر عليها لمحي الموتى بالبعث (انه على كل شيء قدير).

(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ، أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ اِعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ اِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ(٤٠) اِنَّ الَّذِين كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ، وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(٤٢) مَا يُقَالُ لَكَ اِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ، اِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ(٤٣) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا : لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ! ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؟ قُلْ : هُوَ لِلَّذِين آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ ، وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً ، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ(٤٤) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ، وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ(٤٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ(٤٦) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا، وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ :

أَيْنَ شُرَكَائِي ؟ قَالُوا : آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ(٤٧) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ، وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ)(٤٨)

قوله تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي ينحرفون في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة (لا يخفون علينا) فنجازيهم على إلحادهم ، أي نجعلهم في نار جهنم (أفمن يلقى في النار خير" أم من يأتي آمِناً يَوْمَ القِيامةِ ؟ اِعْمَلُوا ما شِئتم انه بما تعملون بصير") والامر للتهديد ، وهذه الآية للوعيد على الملحدين (ان الذين كفروا بالذكر) أي بالقرآن (لما جاءهم، وانه لكتاب) أي والحال انه لكتاب (عزيز) نادر الوجود وليس له مثيل (لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا من خلفهِ ، تنزيل من حكيم حميد) وخبرَ ان محذوف أي معاندون متعنتون • وقوله تعالى (ما يقال لك) تسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ عما أصابه من كلمات الكفرة المشركين وتعنتهم وعنادهم فيقول (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك) من الكلام الذي لا واقع له ، وكما صبروا عليها ينبغي أن تصبر عليها (إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) •

(ولو جعلناه) أي هذا الكتاب المنزل (قرآنا أعجميا) أي قرآنا مكتوبا بلغة العجم (لقالوا) أي أولئك المتمردون (لولا فصلت آياته) أي لولا بينت وأوضحت لنا • أي ولم لم ينزل بعبارة عربية واضحة (ءَأعجمي وعربي) ؟ أي أكلام أعجمي ورسول عربي (قل هو للذين آمنوا هدى) يهدي الى الحق (وشفاء) لما في الصدور (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي ثقل (وهو عليهم عمى) أي القرآن واسطة العمى لهم • (أولئك ينادون من مكانٍ بعيد) أي أولئك الذين في آذانهم وقر من استماع القرآن الكريم كأنهم ينادون من

مكان بعيد لا يبلغ اليهم صوت الدعاة ، فلا تبتئس أيها الرسول الكريم بما يعاملونك في شأن الكلام المنزل عليك ، فان لك سلفا فيه .

(ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة (فاختلف فيه) من جانب الإسرائيليين فمنهم من يصدق بأنه كتاب الله ومنهم من لا يصدق (ولولا كلمة سبقت من ربك) في حق أمتك وهي الوعد بتأخير عذابها (لقضي بينهم) بابادة المكذبين (وانهم لفي شك منه مريب) أي وان كفار قومك لفي شك من كونه كلام الله مريب موجب للقلق (من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها) ضره لا يتجاوز الى غيره (وما ربك بظلام) أي بذي ظلم (للعبيد) لا من القديم ولا من الجديد .

(اليه يرد علم الساعة) أي اذا سئلت عن الساعة فقل : علمها عند ربي . وفيه وعيد للكافرين أي ان الساعة التي فيها عذابهم معلومة لله وهي قريبة فينالون عذابهم الموعود (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أي واليه يرد علم ما يخرج من الثمرات من أوعيتها ، ومن عنده ذلك العلم ، فعنده العلم بأعمال المعاندين للرسول ولكتابه (وما تحمل من أنثى) أي حمل (ولا تضع) من الرحم الى الارض (الا بعلمه) أي ملابسا بعلمه (ويوم يناديهم : أين شركائي ؟) أي شركائي المزعومون (قالوا : آذناك مامنا من شهيد) أي قال الذين نودوا : أعلمناك يا ربنا ما منا من أحد يشهد لهم بالشركة معك . والمراد بالاعلام الاخبار ، فان الله تعالى يعلم كل شيىء بلا اعلام أحد (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أي وغاب عنهم أو ضاع شركاؤهم الذين كانوا يدعونهم من قبل ويرجون نفعهم لهم (وظنوا) أي وأيقنوا أنه (مالهم من محيص) أي مهرب يهربون اليه فيخلصون من العذاب والعقاب .

(لا يَسْئَمُ الإنْسانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ ، وَإنْ مَسَّهُ الشَرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْناهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ

مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ : هذا لي ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبِّي إِنَّ لي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى ، فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ، مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ؟(٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ؟(٥٣) أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ)(٥٤)

قوله تعالى (لا يسئم الإنسان من دعاء الخير) أي لا يمل ولا يفتر من طلب الخير ووسعة العيش ورغده (وان مسه الشر فيؤس قنوط) أي فهو يؤس قنوط من رحمة الله ، وهذا صفة الكافر والآية نزلت في الوليد بن المغيرة ، وقيل في عتبة بن ربيعة ، وإلا فالمؤمن على رجاء من رحمته وفضله في كلتا الحالتين ،

(ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) أي لئن وسعنا عليه بصحة بعد مرض أو بغنى بعد فقر أو بعز بعد ذل (ليقولن هذا لي) أي هذا الأمر العارض هو استحقاقي ولابد أن يحصل لي ولا ينسبه الى فضل الله ورحمته (وما أظن الساعة) أي يوم القيامة (قائمة) حاصلة في المستقبل (ولئن رجعت الى ربي) على فرض مجيىء يوم القيامة (إن لي عنده للحسنى) ان لي عنده للعاقبة الحسنى من النعمة والكرامة وانما يقول ذلك للبطر وعدم

اعترافه بالدين وأصوله (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أي لنخبرنهم في المستقبل بحقيقة أعمالهم ولنفهمنهم أن الامر على عكس ما اعتقدوا (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) أي شديد لا يمكنهم الهرب منه (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن ربه وطاعته وشكره (ونأى بجانبه) وابتعد عن الحق بجانبه أي اذا دعي الى عمل خير يعمله يعطف وينقلب على جانبه الآخر معرضا عن الحق (واذا مسه الشر فذو دعاء عريض) واذا مسته نقمة ونكبة فله دعاء كثير مستمر جدا •

(قل أرأيتم ان كان) أي القرآن الكريم (من عند الله ثم كفرتم به) مع قوة جانب الايمان به (من أضل ممن هو في شقاق بعيد) وخلاف مع القرآن ومن بلغه ومن أنزله • أي ان ذلك الكافر بالقرآن ضال بل أضل الضالين • فإذا استمروا في هذا الضلال فقل لهم (سنريهم آياتنا) أي آيات عظمتنا وقدرتنا ، وأن القرآن كلامنا ، وأنه أنزل على رسولنا (في الآفاق) فنريهم أن الله مقتدر ، وأن الإسلام ينتصر ، ورسوله يفتح البلاد ، ويؤمن به العباد ، ويكون القرآن نبراس الهدى والرشاد (وفي أنفسهم) فيرون بالعيون انهزامهم أمام الحق وان كثيرا منهم يتراجعون ويؤمنون (حتى يتبين لهم أنه) أي القرآن (الحق) لا كلامهم وأقاويلهم • والشاهد على تحقق هذه الإراءة هو الله وهو خير شاهد • (أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ومن الشيىء المشهود عليه خذلانهم وخزيهم ، وعلو الاسلام وانتصاره (ألا إنهم) أي ان أولئك الكافرين المارقين (في مرية) وشبهة (من لقاء ربهم) يوم الدين (ألا انه) أي الباري تعالى (بكل شيىء محيط) فيعلم كفر الكافرين وايمان المؤمنين •

سورة الشورى ، مكية وآياتها ثلاث وخمسون
نزلت بعد فصلت

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) عسق(٢) كذلِكَ يُوحي إليكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ(٣) لَهُ ما فِي السَّمواتِ وما فِي
الأرْضِ ، وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ(٤) تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ
مِنْ فَوْقِهِنَّ ، وَالمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ،
وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ ألا إنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ
الرَّحِيمُ(٥) والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ اللهُ حَفِيظٌ
عَلَيْهِمْ ، وَما أنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ(٦) وكذلِكَ أوْحَيْنا إلَيْكَ
قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرى وَمَنْ حَوْلَها، وَتُنْذِرَ يَوْمَ
الجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ ، فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ ، وفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ(٧)
وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً ، وَلكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ
فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمُونَ ما لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ(٨) أمِ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أوْلِياءَ ؟ فاللهُ هُوَ الوَلِيُّ ، وهُوَ يُحيِي
المَوْتى وَهُوَ عَلى كُلِّ شيْءٍ قَدِيرٌ)(٩)

قوله تعالى : (حم عسق) الكلام في أنهما اسمان للسورة أو اسم واحد لها ، وفي المراد بهما •• مفوض الى الله العليم بالاسرار • وقوله تعالى (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) جملة مستأنفة وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما في تضاعيف الكتب المنزلة على سائر الرسل ، اذ معناها مثل ذلك الإيحاء يوحي اليك والى الذين مضوا من قبلك من الرسل إلهكم وإله العالمين المعلم بالاسم المقدس الله الواجب الوجود العزيز الغالب على كل شيء الحكيم في صنعته (له ما في السماوات وما في الارض وهو العلي العظيم • تكاد السماوات يتفطرن) أي يتشققن تشققا بادئا (من) جهة (فوقهن) أي يتشقق الاعلى فالاعلى الى أن تتشقق الارض فتصير العوالم أجزاء متفرقة بل ذرات منتشرة في الجوّ من هيبة ذات الباري وعظمته (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن في الارض) تسبيحهم لله على وسعته في الرحمة والاحسان واستغفارهم لمن في الارض على ابتلائهم وعصيانهم وزيادتهم في النقصان (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اذ ما من مكلف الا وله نوع من الذنب الداعي للمغفرة بمعناهما الواسع ، وحفظ من رحمته تعالى ، فهو المبالغ في المغفرة وافاضة الرحمة •

(والذين اتخذوا من دونه أولياء) وجعلوهم شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) ورقيب على أعمالهم وعقائدهم وسيجزيهم جزاء وفاقا (وما أنت عليهم بوكيل) أي بموكول اليك أمرهم (وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى) أي أهل أم القرى (ومن حولها) أي جميع أهل الارض لانا اذا جعلنا مكة نقطة انطلاق الدين ومركز الدائرة الاسلامية فجميع أهل الارض يقع تحت مدار من المدارات الدائرة حولها ، سواء كانت مكة سرة الارض أو لا ، لأنا جعلناها نقطة القطب بالنسبة الى كرة الاسلام لا بالنسبة الى كرة الارض وفهم هذا يحتاج الى تأمل صادق (وتنذر يوم الجمع) أي ولتنذر الناس من

هول يوم الجمع وهو يوم القيامة اذ فيه تجمع الخلائق كلها (لا ريب فيه) أي في يوم الجمع (فريق في الجنة وفريق في السعير) أي فريق من أولئك الناس المجموعين في يوم القيامة في الجنة وفريق منهم في السعير (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) مهتدين أو ضالين (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) فيجعلهم من المهتدين لعلمه بحسن توجيه استعدادهم الى السعادة (والظالمون) الذين شاء أن يدخلهم في نقمته وعذابه لعلمه الازلي بسوء توجيهاتهم وسوء تصرفهم أولئك (ما لهم من ولي) أي صديق يتولى أمورهم (ولا نصير) ينصرهم ويدفع عنهم العذاب . وانما غير الباري أسلوب المقابلة للدلالة على أن العلة هي ظلمهم على أنفسهم في توجيهاتهم السيئة . ومن المفسرين من قال ان المراد ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة مهتدية على غرار قوله تعالى فلو شاء لهداكم أجمعين وأمثاله لانه قادر على كل شيء ممكن من الممكنات ، ولكن لم يشأ ذلك بل شاء أن يدخل بعض الناس في رحمته وهم المطيعون ، وبعض الناس في نقمته وهم العاصون الظالمون .

وقوله تعالى : (أم اتخذوا من دونه أولياء ؟) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء وجود الولي والنصير للظالمين من حيث أنهم اكتسبوا أفظع الجرائم وهي أنهم اتخذوا من دونه أولياء شركاء وأندادا مع أن عملهم ذلك عمل باطل عاطل فاسد (فـ) الحق أن (الله هو الولي) الحميد والمحصي المبدىء المعيد كما قال (وهو يحي الموتى) يوم البعث (وهو على كل شيء قدير) فلا معنى ولا وجه لاعتبار الاولياء من دونه ، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ، ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَمِنَ

الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً ، يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(١٢)

قوله تعالى (وما اختلفتم فيه من شيىء) حكاية لقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للمؤمنين ، أو خطاب من الله سبحانه وتعالى لرسوله وأمته، أي وماخالفكم الكفار فيه من أمور الدين فحكمه إلى الله، أي فاتبعوا فيه ماجاءكم من الله ولا تميلوا إلى مايعتقدونه ، أو المعنى فحكمه وفصل الحق من الباطل فيه الى الله ، أو المعنى فجزاؤه موكول الى الله يجزي كلا من الطرفين جزاء وفاقاً (ذلكم الله ربي عليه توكلت) في كافة أموري لا على غيره (واليه أنيب) أي ارجع لا إلى من سواه (فاطر السماوات والارض) خبر آخر لقوله ذلكم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الانعام أزواجا ، يذرؤكم فيه) أي يكثركم بسبب هذا الجعل والتأثير على طريق التوالد والتناسل (ليس كمثله شيىء) لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا (وهو السميع البصير) المحيط سمعه بكل المسموعات وبصره بكل المبصرات لا يخرج منها شيىء (له مقاليد السماوات والارض) أي خزائنها (يبسط الرزق لمن يشاء) بسطه له (ويقدر) أي ويضيق الرزق على من يشاء ضيقه عليه (انه بكل شيىء عليم) وهو في كل ما يفعله من البسط والقبض حكيم .

(شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً ، وَالَّذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسى وعيسى : أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ

مَنْ يُنِيبُ(١٣) ومَا تَفَرَّقُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَإنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ(١٤) فَلِذلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَقُلْ آمَنْتُ بِما أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتابٍ ، وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ، اللهُ رَبُّنا وَرَبُّكُمْ ، لَنا أَعْمالُنا ، وَلَكُمْ أعمالُكُمْ ، لاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ، وَإلَيْهِ الْمَصِيرُ(١٥) وَالَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)(١٦)

قوله تعالى (شرع لكم من الدين) لما قرر أن الله له مقاليد السماوات والارض ، بين أن خلقه لها لم يكن عبثا بل كان حسب علمه وارادته الازليين لتشريع الاحكام وارسال الرسل لإرشاد الانام حتى يكونوا على معرفة بالخالق وعبادة له على الوجه اللائق فقال : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وقوله (أن أقيموا الدين) أن فيه مصدرية على أنه مفعول شرع وما عطف عليه أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي وهو إقامة الدين وقوله (ولاتتفرقوا فيه) الخطاب شامل للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه وسائر الانبياء والمرسلين ، أي ولا تتفرقوا في الدين الذي هو الاعتقاد بالله وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، فإن الاصول عبارة عن ذلك وأما الفروع فهي أحكام عملية تختلف بحسب الزمان وأحوال الامم ، وأساس هذا الدين هو التوحيد لرب العالمين ، ويؤيده قوله تعالى (كبر على المشركين

ما تدعوهم اليه) على الاستمرار من التوحيد لرب العالمين ، واذا كبر عليهم ذلك وعاندوك فلا تهتم بذلك (ألله يجتبي إليه من يشاء) ويختاره لأعباء الرسالة (ويهدي اليه من ينيب) اليه ويريد طاعته (وما تفرقوا) أي أمم الانبياء بعد وفاة أنبيائهم (الا من بعد ما جاءهم العلم) من أنبيائهم بأن الفرقة ضلال وفساد وكان ذلك (بغيا) وعداءً (بينهم) فهذا الفريق لم يقبل دأب فريق آخر ، وتجسمت العداوة واستفحلت حتى كفرت الامم السابقة بالرسل اللاحقين (ولولا كلمة سبقت من ربك) من تأخيرهم إلى أجل مسمى (لقضي بينهم) باستئصال كل مبطل (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) أي من بعد القدامى منهم ، وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهده ـ صلى الله عليه وسلم ـ (لفي شك منه مريب) •

(فلذلك) التفرق وعدم الثبات على الهدى (فادع) الى الالفة والاعتصام (واستقم كما أمرت) أي اثبت على الدعاء الى الله كما أوحى إليك (ولا تتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أي من جنس الكتاب أي بجميع ما أنزله الله (وأمرت لأعدل بينكم) أي أمرني ربي لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع فلا أخص جمعا بشيىء أبدا (الله ربنا وربكم) أي خالق الكل ومعبود الكل (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لا يعاقب أحد بمعصية أحد ولا يثاب أحد بحسنة أحد (لاحجة بيننا وبينكم) أي لايحتج بعض على آخر على وجه الخصومة والتفرق لأن الحق قدظهر فلم يبق للاحتجاج ثمر (الله يجمع بيننا وإليه المصير) •

(والذين يحاجون في الله) أي يخاصمون في دينه (من بعد ما استجيب له) أي من بعد ما قبل الناس دينه ودخلوا فيه (حجتهم داحِضة عند ربهم وعليهم غضب) عظيم من الله لمكابرتهم ولهم (عذاب شديد) لا يقادر قدره •

(اَللهُ الَّذي أَنزَلَ الكِتابَ بِالحَقِّ والميزانَ ، وَما يُدريكَ لَعلَّ السّاعَةَ قريبٌ (١٧) يَستَعجِلُ بِها الَّذينَ لا يُؤمِنون بِها وَالَّذينَ آمَنوا مُشفِقونَ مِنها ، ويَعلَمونَ أَنَّها الحَقُّ مِن رَبِّهِم ، أَلا إِنَّ الَّذينَ يُمارونَ في السّاعةِ لَفي ضَلالٍ بَعيدٍ (١٨) الله لَطيفٌ بِعِبادِهِ يَرزُقُ مَن يَشاءُ وَهوَ القَوِيُّ العَزيزُ (١٩) مَن كانَ يُريدُ حَرثَ الآخِرَةِ نَزِد لَهُ في حَرثِهِ ، ومَن كانَ يُريدُ حَرثَ الدُّنيا نُؤتِهِ مِنها وَمالَهُ في الآخِرَةِ مِن نَصيبٍ (٢٠) أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدِّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ الله ؟ وَلَولا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَينَهُم ، وَإِنَّ الظّالِمينَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ (٢١) تَرَى الظّالِمينَ مُشفِقينَ مِمّا كَسَبوا وَهوَ واقِعٌ بِهِم ، وَالَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ في رَوضاتِ الجَنّاتِ لَهُم ما يَشاءونَ عِندَ رَبِّهِم ذلِكَ هوَ الفَضلُ الكَبيرُ (٢٢) ذلِكَ الَّذي يُبَشِّرُ الله عِبادَهُ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ ، قُل : لا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ في القُربى ، وَمَن يَقتَرِف حَسَنَةً نَزِد لَهُ فيها حُسناً ، إِنَّ الله غَفورٌ شَكورٌ)(٢٣)

قوله تعالى (الله الذي أنزل الكتاب بالحق) أي أنزل جنس الكتاب بالحق اذ لا ينزل من الحق الا الحق (والميزان) أي العدل أعني رعاية الحقوق على الاطلاق ، أو الميزان بين الله وعباده وبين الرسول وأمته وبين أولي الأمر والمؤتمرين بأوامرهم ، وكذلك كل من عليه حق الاطاعة لغيره. كالعبد بالنسبة الى مولاه ، والمتعلم بالنسبة الى معلمه ، والاولاد بالنسبة الى

آبائهم . ويفسر هذا المفهوم الحديث الشريف : « إن لنفسك عليك حقا ، ولربك عليك حقا ... » الحديث أو الآلة المعروفة المستعملة لمعرفة التساوي والاختلاف في الموازين . وإنزال الكتاب وما بعده لشعور العاقل بالمسئولية ، والجزاء يتبين في الآخرة ، ولذلك عقبه بقوله (وما يدريك لعل الساعة قريب) أي لعل حلولها قريب وهناك يتبين الناس كل ما يحكم الله رب العالمين (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال استهزاء واستنكار (والذين آمنوا مشفقون) أي خائفون (منها) لإيمانهم بوجودها (ويعلمون أنها الحق من ربهم) بلا ارتياب ومراء (ألا إن الذين يمارون في الساعة) أي يجادلون في مجيئها وزمانه (لفي ضلال) عن الصراط المستقيم (بعيد) جدا ، لا يرجعون الى الصراط السوي الا بلطف رب العالمين وقوته .

(الله لطيف بعباده يرزق من يشاء) بكافة الوجوه المادية والمعنوية ، وأفضل الأرزاق المعنوية العقل فالعلم ، وأهمه الايمان بالله ايمانا كاملا فالصحة في القلب وطاقة إدارة الناس وتوجيههم الى السعادة ، وأفضل الارزاق المادية الصحة في الجسم ، والكفاف ، وموافقة الاهل والاولاد ، والجار العاقل الامين (وهو القوي) ذو القوة المتين القادر على تنفيذ ما أراده (العزيز) الذي لا يغالب أبدا .

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) والحرث في الأصل إلقاء البذر في الارض ، يطلق على الزرع الحاصل منه ، ويستعمل في ثمرات الاعمال ونتائجها . وحاصل معنى الآية : من كان يريد ثمرات الاعمال الحسنة في الآخرة أي يعمل في الدنيا بأمل حصول ثوابها في الآخرة نَزِدْ له في ثمرات أعماله ونعطه جزاء فوق ما تقتضيه أعماله (ومن كان يريد حرث الدنيا) أي اللذة الحاصلة من مكاسبها الدنيوية التي ليس فيها ابتغاء مرضات الله وانما المقصود العيش حسب الهوى في الدنيا (نؤته منها) أي

شيئا منها يتمتع بها في دنياه (وما له في الآخرة من نصيب) يتمتع به في الآخرة .

وقوله تعالى (أم لهم شركاء) كلمة أم منقطعة بمعنى الهمزة وبل للإضراب عن مضمون شرع لكم من الدين الآية ... يقول : أضرب عن ذلك فان الراعي لتلك الآية من رافقته العناية الربانية من الموحدين وأما أولئك الكفار المشركون فقد قرروا بلا أصل وأساس شركاء لله تعالى وأقروها لهم و (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وهو دين الهوى ودين الكفر ودين الضلالة والجهالة بحيث استجلب مقت الله عليهم (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء من الله في سابق الزمان بتأجيل عذاب الكافرين الى الاوقات المحدودة (لقضي بينهم) أي بين الكافرين في الدنيا واستعجل عذابهم فيها ، ولكن القضاء جرى بأن يكون عذابهم في وقت محدود وهو يوم القيامة الذي هو يوم الفصل بين العباد في كافة الاعمال . (وان الظالمين) الذين ذكرناهم ومن حذا حذوهم من المشركين أو مطلق الظالمين بالمعاصي (لهم عذاب أليم) في الآخرة . ويحتمل أن يكون العذاب منتشرا في دنياهم وأخراهم بقدر ما قرر الله لهم (ترى الظالمين مشفقين) أي خائفين خوفا شديدا (مما كسبوا) أي من السيئات (وهو واقع بهم) أي والعذاب وارد عليهم وواقع لهم بلا ريب (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم) أي انه هو المقرر لهم (ذلك) الجزاء الطيب ذلك الجزاء (هو الفضل الكبير . ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي به .

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) أي لا أسألكم على ما أعمله وأتكلفه لكم أجرا يصل إليّ إلا المودة في القربى ، أي الا مودتكم في من لهم معكم صلة القرابة ، فودادكم لهم هو أجري أو المودة في ذوي

قرباكم ومعاونتهم وأنا من ذوي قرباكم أي لا أطلب منكم أجرا الا مودتي ، فان لم تعرفوا حقي لنبوتي وكوني رحمة عامة ونعمة تامة فلا أقل من مودتي لاجل حق القرابة وصلة الرحم التي تعتنون بحفظها ورعايتها • والخطاب لقريش وذلك أنهم جمعوا له مالا وأرادوا أن يرشوه على أن يمسك عن سب آلهتهم فلم يفعل ونزلت • وله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في جميعهم قرابة • أخرج أحمد والشيخان والترمذي وغيرهم عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى الا المودة في القربى ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

فقال ابن عباس : عجلت ، إن النبي ــ عليه الصلاة والسلام ــ لم يكن بطن من قريش الا كان له فيه قرابة أو للانصار بناء على ما قيل أنهم أتوه بمال ليستعين به على ما ينوبه ، فنزلت فرده • وله ــ عليه الصلاة والسلام ــ قرابة منهم لانهم أخواله فان أم عبدالمطلب وهي سلمى بنت زيد النجارية منهم وكذا أخوال آمنة أمه ــ صلى الله عليه وسلم ــ كانوا على ما في بعض التواريخ من الانصار أيضا •

وفي روح المعاني : وذهب جماعة الى أن المعنى لا أطلب منكم أجرا الا محبتكم أهل بيتي وقرابتي • وفي البحر أنه قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب • و (في) على هذا المعنى للظرفية المجازية ، والقربى بمعنى الاقرباء ، والجار والمجرور في موضع الحال • أي إلا المودة ثابتة في أقربائي متمكنة فيهم • ولمكانة هذا المعنى لم يقل الا مودة القربى • وذكر أنه على الاول كذلك وأمر اتصال الاستثناء وانقطاعه على ما سبق •

والمراد بقرابته ــ عليه الصلاة والسلام ــ في هذا القول قيل : ولد عبدالمطلب وقيل علي وفاطمة وولدها ــ رضي الله تعالى عنهم ــ ، وروي ذلك مرفوعا •

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق ابن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية قل لا أسئلكم ، قالوا : يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت مودتهم ؟ قال : « علي وفاطمة وولدها ـ صلى الله تعالى على النبي وعليهم ـ » وسند هذا الخبر على ما قال السيوطي في الدر المنثور ضعيف ، ونص على ضعفه في تخريج أحاديث الكشاف ابن حجر . وأيضا لو صح لم يقل ابن عباس ما حكي عنه في الصحيحين وغيرهما . وقد تقدم الا أنه روي عن جماعة من أهل البيت ما يؤيد ذلك .

ثم قال : والحق وجوب محبة قرابته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من حيث أنهم قرابته ـ صلى الله عليه وسلم ـ كيف كانوا ، وما أحسن ما قيل :

داريت أهلك في هواك وهم عدا

ولاجل عين ألف عين تكرم

وكلما كانت جهة القربى أقوى كان طلب المودة أشد فمودة العلويين الفاطميين ألزم من محبة العباسيين على القول بعموم القربى ، وهي على القول بالخصوص قد تتفاوت أيضا باعتبار تفاوت الجهات والاعتبارات . وآثار تلك المودة التعظيم والاحترام والقيام بأداء الحقوق أتم قيام . انتهى باختصار .

(ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي ومن يكتسب أيّ حسنة كانت نزد له فيها حسنا بمضاعفة الثواب عليها . (ان الله غفور) يستر الذنوب ويغفرها و (شكور) يجزي من أطاع منهم بمزيد الثواب .

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ؟ فَإِنْ يَشَأَ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ، وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ ، وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ، إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ

عَنْ عِبادِهِ ، وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ ، وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ(٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، وَالْكافِرُونَ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ(٢٦) وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ، وَلكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يَشاءُ إِنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ(٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ ما قَنَطُوا ، وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ(٢٨) وَمِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَثَّ فِيهِما مِنْ دابَّةٍ وَهُوَ عَلى جَمْعِهِمْ ، إِذا يَشاءُ ، قَدِيرٌ(٢٩) وما أصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ، وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ(٣٠) وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ، وَما لَكُم مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)(٣١)

قوله تعالى (أم يقولون افترى) أي بل أيقولون افترى محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ على الله كذبا بدعوى الرسالة منه وانزال القرآن عليه ؟! والاستفهام للاستنكار (فان يشأ الله يختم على قلبك) فكيف يوسع لك المجال ويعطي القوة والقابلية حتى تفتري على الله ، أو أنك انسان ذو بصيرة فائقة وذو سريرة لائقة والافتراء لا يناسب انسانا مثلك فان يشأ الله أن تفتري عليه يختم على قلبك يجعلك مختوما على القلب غير منشرح الصدر حتى تكون مثل أولئك الناس الفاسدين المنقبضين في العقل والمشاعر وتقدر أن تفتري على الله ، فان هذا العمل الفاسد لا يحصل الا من الفاسدين • وقوله تعالى (ويمح الله الباطل ويحق الحق) تسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أي لاتهتم بقولهم ان محمدا افترى على الله الكذب ، وهو ليس برسول منه ، وليس القرآن كلامه ، فان الله يمحو كل قول باطل

مثل أقوال أولئك المشركين الطاعنين فيك (ويحق الحق) ويثبت الحق (بكلماته) وهو أنك رسوله الامين ، وأن القرآن كلام نزل به جبريل الامين لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، والمراد بكلماته قضاؤه وتأييده للرسول من كل الجهات حتى يستقر أمره ويتحقق نصره ويجوز أن يراد بالكلمات الآيات التي نزلت بعد ذلك وأيدت رسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ (انه عليم بذات الصدور) يعني ان الله عليم بالخيالات الجارية في القلوب التي في الصدور فيؤيدها ان كانت متوجهة الى الخير ويمحيها اذا كانت متوجهة الى الشر .

(وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) صغائرها وكبائرها (ويعلم ماتفعلون) فيجازي التائب ويتجاوز عن غيره اذا شاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي يجيبهم ويقبل دعاءهم وينصرهم ويقهر أعداءهم (ويزيدهم من فضله) الواسع جل شأنه (والكافرون لهم عذاب شديد) .

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي لتكبروا وتعاظموا على الفقراء ، أو طغوا وبغوا وتجاوزوا الحدود المقررة (ولكن ينزل بقدر) أي بتقديره (ما يشاء) أي ما اقتضته حكمته ورحمته (انه بعباده خبير بصير) خبير بالخفيات بصير للجليات (وهو الذي ينزل الغيث) أي المطر الذي يغيثهم من الجدب (من بعدما قنطوا) أي يئسوا منه (وينشر رحمته) أي مطره على أكناف البلاد وأطرافها حتى تصبح الارض مخضرة ، أو ينشر ما تنتج من المطر وهو الحبوب (وهو الولي الحميد) الذي يتولى عباده باللطف والاحسان .

(ومن آياته) أي ومن دلائل رحمته وقدرته (خلق السماوات والارض وما بث فيهما من دابة) وظاهر الآية الكريمة أن ما يسمى بالدابة في اللغة

أو العرف موجود في كل من السماوات والارض ولا داعي الى تفسير الآية بوجود الملائكة في السماوات والانسان والحيوان في الارض لان الملائكة لا تسمى بالدابة لا في اللغة ولا في العرف • وكذلك لا يسمى الانسان بالدابة عرفا (وهو على جمعهم اذا يشاء قدير) أي والله تعالى قادر على حشرهم بعد البعث للمحاسبة أينما كانت ويحتمل أن يكون المعنى والله تعالى قادر على جمع ما في السماوات والارض في صعيد واحدٍ لان العلوم الكونية أخذت تتطور فيمكن أن يصل الانسان الى بعض الكواكب السماوية المعمورة بالدواب وينزلها من السماء الى الارض في المستقبل •

(وما أصابكم من مصيبة) مما عرضت عليكم في الدنيا من الاشياء الخارجة عن المعتاد كالسيل والجدب والآفات الواردة على المزارع والاشجار والامراض الفاسدة والحروب الحاصدة (فبما كسبت أيديكم) أي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها ، ونسبتها الى الايدي لانها آلة البطش والاخذ • ومن أهم تلك المعاصي الجالبة للمآسي انتشار فساد الاعتقاد بالمعتقدات الاساسية وكثرة القتل وارتكاب الفواحش (ويعفو عن كثير) من الذنوب الجالبة للكروب (وما أنتم بمعجزين في الارض) أي ولستم بقادرين على تعجيز الباري سبحانه وتعالى ومنعه من أن يصيبكم بالمصائب فهو قادر عليكم أينما كنتم (وما لكم من دون الله من ولي) يتولى أموركم باللطف والرحمة (ولا نصير) يدفع عنكم المصائب بالقوة •

(وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ(٣٢) ، إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ، وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ(٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ

فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ(٣٥) فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ، وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ(٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ(٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ(٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ(٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ(٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(٤٣)

قوله تعالى (ومن آياته الجوار) أي ومن آيات علمه وحكمته وقدرته إلهام عباده صنع السفن الشراعية التي تستعمل للسير في البحار الجارية فيها حالكونها مرتفعات (كالاعلام ، إن يشأ) الله (يسكن الريح) التي تجرى بقوتها السفن (فيظللن رواكد على ظهره) أي فتصير تلك السفن المتحركة واقفة ثابتة على ظهر البحر (إن في ذلك) الأمر الماخوذ مما ذكر من إلهام صنع السفن ، وركوب الناس عليها ، وسلوكها على البحر ، وجريانها بالرياح الموافقة للمقصد أو ايقافها على ظهر البحر .. (لآيات لكل صبارٍ شكور) لكل إنسان وقف على أحوال السفن الشراعية وركبها فتوقفت بسكون الريح ، وصبر حتى تحركت ، أو ركبها فتحركت نحو المقصد وشكر

الله على ذلك (أو يوبقهن) عطف على يسكن أي أو يهلكهن ويغمسهن في أعماق البحر (بـ) سبب شؤم (ما كسبوا) أي ركابها (ويعفو عن كثير) (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) عطف على مقدر مقرون بلام العلة أي لينتقم منهم ويعلم الذين أو ليظهر عظيم قدرته تعالى ويعلم الذين (يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص) أي مهرب ومخلص من العذاب (فما أوتيتم من شيىء فمتاع الحياة الدنيا) أي فهو متاعها وتتمتعون بها مدة محدودة فقط (وما عند الله) من ثواب العقيدة السليمة والاعمال الصالحة (خير) في ذاته لانه لا يشوبه ألم روحي أو مادي (وأبقى) زمانا حيث لا يفنى (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره تعالى أصلا . وعن علي ــ كرم الله وجهه ــ أنه اجتمع لأبي بكر مال فتصدق به كله في سبيل الله ، فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا) . أي على شخص (هم يغفرون) .

وفي الكبائر آراء فمنهم من قال : هي ما ترتب عليه الوعيد . ومنهم من قال : ما يوجب الحد . ومنهم من قال : كل مادل على عدم مبالاة مرتكبه بالدين . وقيل : كل ما نهى الله عنه كبيرة بالنسبة الى عظم من نهى عنه ؛ فيشمل الذنوب كلها . وظاهر قوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم) يدل على أن بعض ما نهى عنه من الصغائر . وقيل : المراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع ، وبالفواحش ما يتعلق بالشهوات . وبقوله واذا ما غضبوا ما يتعلق بالقوة الغضبية . وقوله تعالى : (والذين استجابوا لربهم) نزلت في الانصار دعاهم الله تعالى على لسان رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ للايمان به وطاعته فاستجابوا له ، فأثنى عليهم جل وعلا بما أثنى به . والآية ان كانت مدنية فالامر ظاهر ، وان كانت مكية فالمراد بالانصار من آمن بالمدينة قبل الهجرة ، أو المراد بهم أصحاب العقبة (وأمرهم شورى

بينهم) أي ذو شورى لانها مصدر كالبشرى . والامر ما تشاوروا فيه . قال الراغب : والمشورة استخراج الرأي بمراجعة البعض الى البعض ، من قولهم شُرْتُ العَسَلَ وأشرته استخرجته . والشورى الامر الذي يتشاور فيه . إنتهى . فعليه لا يحتاج الى تقدير المضاف لانه ليس بمصدر حينئذ . (ومما رزقناهم ينفقون) أي في سبيل الخير ، وقد يستأنس به على أن أهل الشورى هم الاغنياء من أهل الحل والعقد .

(والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله لهم ولكن لايعتدون . يدل على هذا قوله تعالى (وجزاؤ سيئةٍ سيئة مثلها) والجزاء على المماثلة انتصار ، وعلى الزيادة ظلم . والأحسن ما أفاده بقوله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) فيجزيه أحسن الجزاء وأعظمه (انه لا يحب الظالمين) تأكيد على اعتبار المماثلة (ولمن انتصر بعد ظلمه) اى بعد أن ظلموه فصار مظلوما ثم انتصر عليهم فلا سبيل عليه كما قال تعالى (فأولئك ما عليهم من سبيل) لأي أحد لذكرهم بسوء أو أخذهم بعمل سيىء لأنهم حازوا حقهم ، ومن حاز حقه فقد فاز . (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق) أي يتكبرون فيها ويتجبرون (أولئك لهم عذاب أليم) جزاء وفاقا (ولمن صبر) في ما أوذي (وغفر) عند قدرته على الانتقام والانتصار (إن ذلك لمن عزم الامور) أي لمن أصحاب عزائم الامور وله أجر موفور . أو أن عمله وحالته من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور ، ومن كان له ذلك فهو على أوفى الاجور . قالوا : النجاة في الصدق ، قلنا والصدق في الصبر ، وتحقق بعد تجاريب الامور أن من صبر ظفر ، والعاقبة للصابرين .

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ، وَتَرَى الظّالِمِينَ لَمّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ : هَلْ إِلى مَرَدٍّ مِنْ

سَبِيلٍ ؟(٤٤) وَتَرَيهُم يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ، وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا : إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ(٤٥) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ(٤٦) اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ ، مالَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ ، وما لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ(٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ، وإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها ، وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم فَإِنَّ الإِنْسانَ كَفُورٌ(٤٨) للهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ، يَخْلُقُ ما يَشاءُ ، يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ(٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً ، وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً ، إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)(٥٠)

قوله تعالى (ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده) أي ما له من ناصر يتولاه من بعد أن خذله الله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) يوم القيامة (يقولون : هل الى مردّ من سبيل ؟) أي هل لنا من وسيلة لرجوعنا الى الدنيا حتى نؤمن ونعمل صالحا يرضاه الباري تعالى ؟ (وتريهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين) متنكسين (من الذل) والهوان (ينظرون من طرف خفي) الى من يأخذهم للتعذيب (وقال الذين آمنوا : إن الخاسرين الذين خسروا انفسهم وأهليهم) للحمل على الكفر ومعاندة الرسول حتى

يلحقهم العذاب (يوم القيامة ، ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) اما من تتمة قول الذين آمنوا ، أو اعلان من الله سبحانه وتعالى (وما كان لهم من اولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) والله سبحانه وتعالى لا يرفع عنهم العذاب لانه لا يغفر أن يشرك به (ومن يضلل الله فما له من سبيل) الى الهدى في الدنيا أو النجاة في الآخرة .

(استجيبوا لربكم) اذا دعاكم على لسان رسوله (من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له) أي لذاته ولا لما يقع فيه من العذاب والعقاب (من الله ، ما لكم من ملجأ) يومئذ تلتجئون إليه (وما لكم من نكير) أي انكار (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، ان عليك الا البلاغ) وقد بلغت كاملا (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها) على مقتضى فطرته الانسانية (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) من السيئات (فان الانسان كفور) مبالغ في الكفر بنعمة ربه ونسيانها .

(لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء) على حسب اختياره وارادته (يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور) من الاولاد (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) بنين وبنات (ويجعل من يشاء عقيما) لا تلد أبدا (انه عليم قدير) مبالغ في العلم والقدرة .

(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْياً ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وكذلك أَوحَيْنا إِليكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ(٥٢) صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ)(٥٣)

قوله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) أي وما صح لفرد من أفراد البشر أن يتكلم معه (الا وحيا) أي تكلما متحققا في ضمن الوحي، وهو القاء المقصود في قلب من يتكلم معه بصورة خفية عن الناس ، ويختص به كليمه سواء كان في المنام كما كان مع الرسول سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في أوائل النبوة ستة أشهر ، وكما كان مع سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ في قضية ذبح سيدنا اسماعيل ـ عليه السلام ـ ، أو في اليقظة كايحائه تعالى الى أم موسى ـ عليهما السلام ـ (أو من وراء حجاب) أي أو كلاما باللفظ المسموع من وراء حجاب كما وقع مع سيدنا موسى في الطور ، ولسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة المعراج عند فرض الصلوات الخمس (أو يرسل رسولا) أي أو إلا وحيا بأن يرسل رسولا وهو جبريل ـ عليه السلام ـ (فيوحي) أي فيلقي ذلك الرسول (بإذنه) أي بإذن الله (ما يشاء) أي ما يشاء الله تعالى أن يلقيه اليه كجميع ما أوحي الى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ماعدا الاشهر الستة الابتدائية التي كان الوحي بالرؤيا الصادقة • فوصول القرآن اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحي بالمعنى الثالث أي تكلم الله مع رسوله ، بتوسط جبريل بعين الألفاظ الواصلة بأمره تعالى اليه بدون تغيير وتبديل ، وبدون تصرف من جبريل عليه• وكذلك الاحاديث القدسية فكلها جاء بها الملك جبريل اليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والفرق بينها وبين آيات القرآن أن الآيات وصلت درجة الإعجاز دون الاحاديث القدسية • وأن القرآن متعبد بتلاوته دونها ، وأن القرآن أحكام وقصص وغيرها دون الاحاديث القدسية • ومن الناس من

قال : ان الاحاديث القدسية لم ترد عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالالفاظ وانما ألهم معناه . وأما اللفظ فمن الرسول وهذا الرأي مرجوح لا قيمة له ، والحق هو الاول . وصرح به أحمد بن حجر الهيتمي ـ رحمه الله ـ في الفتح المبين (انه علي) متعال عن صفات المخلوقين (حكيم) تجري أفعاله على سنن الحكمة .

(وكذلك أوحينا إليك) أي ومثل ذلك الإيحاء المذكور أوحينا وأرسلنا اليك (روحا) أي ملكا مقربا وهو جبريل (من أمرنا) من إرادتنا لتأخذ حقائق الشريعة الالهية في ضمن الآيات البينات حالكونك (ماكنت تدري) سابقا قبل الإيحاء (ما الكتاب) المنزل من الله (ولا الايمان) برب العالمين وبسائر ما يؤمن به (ولكن جعلناه) أي ذلك الروح أو ما معه وهو القرآن الكريم الذي نزل به (نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ، وإنك لتهدي) بهذا الروح وذلك النور الباهر عبادنا (الى صراط مستقيم) هو الاسلام وشرائع الاحكام من الاصول الاعتقادية والفروع العملية (صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض ، ألا الى الله تصير الامور) . أي أمور من فيهما ابداعا ورعاية وحفظا وابقاء . سواء كان ذلك في الدنيا أو في الآخرة والى الله تعالى العلم بتفاصيل الامور التي ترجع اليه .

سورة الزخرف ، مكية وهي تسع وثمانون آية
نزلت بعد الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) والكتاب المبين(٢) إنا جعلناه قرآنا عربيا
لعلكم تعقلون(٣) وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي
حكيم(٤) أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما
مسرفين ؟(٥) وكم أرسلنا من نبي في الأولين(٦) وما
يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون(٧) فأهلكنا
أشد منهم بطشا ، ومضى مثل الأولين(٨) ولئن
سألتهم من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن :
خلقهن العزيز العليم(٩) الذي جعل لكم الأرض مهدا ،
وجعل لكم فيها سبلا ، لعلكم تهتدون(١٠) والذي
نزل من السماء ماء بقدر ، فأنشرنا به بلدة ميتا ،
كذلك تخرجون(١١) والذي خلق الأزواج كلها ، وجعل
لكم من الفلك والأنعام ما تركبون(١٢) لتستووا على

ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ، وَتَقُولُوا : سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)(١٤)

قوله (حم) الكلام فيه كما في نظيره (والكتاب المبين) أي القرآن الواضح لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم (إنا جعلناه قرآنا عربيا) جواب للقسم بالكتاب . ومعنى كونه عربيا عربية مفرداته وتراكيبه وأسلوب تنسيقه بنوع عجز عنه البلغاء (لعلكم تعقلون) أي لكي تفهموه بسهولة (وانه في أم الكتاب) أي اللوح المحفوظ الثابت (لدينا لعلي) رفيع الشأن (حكيم) ذو حكمة بالغة . ووجه كونه عليا اعجازه ببلاغته وسائر وجوه الاعجاز ، ووجه كونه حكيما أنه ثابت لا ينسخ . وأما أحكام غيره فمنها ما نسخ (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) مفعول مطلق لقوله نضرب على غير لفظه . أي فنعرض عنه إعراضا بتبعيده عنكم (ان كنتم مسرفين) أي لكونكم منهمكين في الإسراف وتجاوز الحدود يعني أن الحكمة تقتضي انزال القرآن فيكم وتذكيركم به ، ولو كنتم مسرفين غاية الاسراف مصرين عليه .

(وكم أرسلنا من نبي في الاولين) أي في الامم المتقدمة (وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزءون . فأهلكنا أشد منهم) أي من القوم المسرفين الذين أرسلناك اليهم (بطشا) أي قوةً وهجمةً (ومضى مثل الاولين) أي سلف وسبق في القرآن الكريم مرارا كثيرة قصة الظالمين الاولين والكافرين السابقين (ولئن سألتهم : من خلق السماوات والارض ؟ ليقولن : خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا) أي محل استقرار ونموّ (وجعل لكم فيها سبلا) للعبور والمراد يسلكونها بسهولة (لعلكم تهتدون) بسلوكها الى غاياتكم ومقاصدكم (والذي أنزل من السماء ماء بقدر) أي بمقدار

تقتضيه الحكمة (فأحيينا به بلدة ميتا) خالية من النماء . وتذكير ميتا لان البلدة في معنى البلد ، أو باعتبار المكان (وكذلك تخرجون) أي مثل ذلك الانشاء والاخراج للنبات تخرجون أي تبعثون من قبوركم (والذي خلق الازواج كلها) أي أصناف المخلوقات (وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) أي تركبونه (لتستووا على ظهوره) وتستريحوا عند مروره (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ، وتقولوا : سبحان الذي سخر لنا هذا) وذلله لنا (وما كنا له مقرنين) اي مطيقين (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون أي تذكروا عند علوكم واستوائكم على ظهوره نزولكم وانحطاط منزلكم في القبر .

(وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الإِنْسانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَيكُمْ بِالْبَنِينَ ؟(١٦) وَإِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً ، وَهُوَ كَظِيمٌ !(١٧) أَوَ مَنْ يُنَشَّؤُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ؟(١٨) وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً ، أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ؟ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ ؟(١٩) وَقَالُوا : لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ، مالَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ إِلاّ يَخْرُصُونَ (٢٠) أم آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ؟(٢١) بَلْ قَالُوا : إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاّ قالَ مُتْرَفُوها : إِنَّا وَجَدْنا

آباءَنا عَلى أُمَّةٍ ، وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ(٢٣) قالَ : أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ ؟ قالُوا : إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ(٢٤) فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)(٢٥)

قوله تعالى : (وجعلوا له من عباده جزءاً) مرتبط بقوله السابق (ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض) يقول سبحانه وتعالى أنظروا الى هؤلاء الكافرين المعاندين كيف يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، فهم اذا سألتهم من خلق الكائنات أجابوا بأن الله هو الخالق وهو المسيطر على السماوات والارض ، ومعنى ذلك أنه غني عن العالم وأجزائه ، وخالق للكل مع أنهم جعلوا لله تعالى من عباده المخلوقين له جزء اي ولدا هو لوالده كالجزء من وجوده كما اشتهر أن أولادنا أكبادنا (ان الانسان لكفور مبين) بالله الحق كفرانا واضحا لا يحتاج الى البيان . (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفيكم) أي واختاركم (بالبنين ؟) . (و) الحال أنهم (اذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي والحال أنهم بحيث اذا بشر أحدهم باحدى البنات التي ذكروها للباري تعالى ونسبوها اليه صار وجهه مسودا من شدة ما أخبر به عنده (وهو كظيم) أي ممتليء غضبا وحزنا وألما (أو من ينشؤ في الحلية) استفهام آخر استنكاري تقريرا وتأكيدا للاول ، يعني أو جعلوا من تنمو وتتربى في كسوة الحلية من القلادة والسوار والخلخال وغيرها مبتعدة عن أعمال الرجال (وهو) مع ما ذكر من النقص (في الخصام) والجدال الدائر بين الناس عادةً (غير مبين) أي غير موضح جعلوه جزءً الله ومن بناته مع القصورين في الفعل والقول ؟ ثم قرن ما استنكره عليهم بقوله الكريم (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) أي اعتبروها بناتٍ لله تعالى عن ذلك علوا

كبيرا • وجعلهم ذلك مما يوجب العجب لكل عاقل (أشهدوا خلقهم ؟) أي أحضروا خلق الله تعالى لهم ذلك والجواب : لا •

ولما كانت دعواهم لهـا كذبا وافتراء على الله تعالى ف (ستكتب) في ديوان أعمالهم (شهادتهم) التي شهدوا بها على الملائكة مـن كونهم اناثا وبنات لله تعالى (ويسئلون) عنها يوم القيامة •

(وقالوا : لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي وقالوا : نحن نعبد الملائكة وعبادتنا لهم أمرٌ حسن اعتيادي داخل تحت المشيئة ولو شاء الرحمن أن لا نعبدهم ما عبدناهم • وقولهم ذلك باطل عاطل (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) ويخمنون ويقولون ذلك رجما بالغيب • وقولـه تعالى (أم آتيناهم كتابا من قبله) اضراب عن نفي العلم بذلك ، أي لا تبحثوا عن عدم علمهم وانظروا هل آتيناهم كتابا من قبل بعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو من قبل القرآن ، وفي ذلك الكتاب أمرناهم بعبادة الملائكة (فهمْ به) أي بذلك الكتاب (مستمسكون ؟) ويعتصمون به ويجعلونه عمـدة وسندا لعقيدتهم (بل) اضربوا عن ذلك أيضا فانه ليس لهـم علم بذلـك ولا نزل عليهم كتاب يتمسكون به وانما نهاية أمرهم أن (قالوا انا وجدنـا آباءنا على أمة) أي على دين وملة (وانا على آثارهم مهتدون) أي حاصل قولهم أنهم وجدوا آباءهم على تلك العقيدة ، وهم يهتدون بهـم ويقتدون بهم ، أي أنهم أناس مقلدون على العمى بآبائهم الضالين ، ولا حجة لهم أبدا (وكذلك) أي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة (ما أرسلنا قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها) أي متنعموها (إنا وجـدنا آباءنا على أمة) أي ملة ودين (وانا على آثارهم مقتدون) بهم (قال) حكاية لما جرى بـين الرسل المنذرين وبين اممهم المقلدين : (او لو جئتكم بأهدى مما وجدتـم عليه آباءكم ؟) من الامور المفتعلة المزعومة (قالوا : انا بمـا أرسلتم بـه

كافرون . فانتقمنا منهم) أي ولما آل الأمر الى هذه الدرجة من الوقاحة وسوء المقال انتقمنا منهم شر انتقام (وجعلناهم) عبرة للايام (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ؟) من الاستئصال وإبادة الناس من النساء والرجال .

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ ، وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ)(٣٠)

قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم) أي واذكر لهم وقت قوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ لأبيه آزر وقومه المتهالكين على عبادة الاصنام كيف تبرأ من عقائدهم وأعمالهم وقال (انني براء مما تعبدون) وبراء صفة مشبهة أي بريء ، أو مصدر كالطلاق والعتاق وصار خبرا بطريق المبالغة . ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث (الا الذي فطرني) استثناء متصل ان كانت ما عامة لذوي العقول وغيرهم ، وان كانت مختصة بغير ذوي العقول فمنقطع ، ويجوز أن تكون الا صفة بمعنى غير على أن ما في وما تعبدون نكرة موصوفة ، والتقدير : انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني وخلقني (فانه سيهدين) يثبتني على الهداية ، فالسين للتأكيد لا للاستقبال لانه جاء في الشعراء يهدين بدونها (وجعلها) أي كلمة الاستثناء باعتبار ما يستفاد منها ، أو جعل جملة انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني أو كلمة التوحيد المستفادة من الآية (كلمة باقية في عقبه) أي في ذريته وفي من تبعه (لعلهم يرجعون) الى التوحيد وهو تعليل للجعل أي جعلها باقية في عقبه كي يرجع من أشرك منهم بدعاء من وحد منهم (بل متعت هؤلاء)

الكفار المعاصرين للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (وآباءهم) السابقين بطول العمر ومزيد النعمة (حتى جاءهم الحق) أي دعوة الحق أو القرآن أو الموت والكل سائغ في المعاصرين (ورسول مبين) ظاهر الرسالة بما له من الآيات البينات (ولما جاءهم الحق قالوا : هذا سحر وانا به كافرون) فزادوا كفراً على كفر .

(وَقَالُوا : لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ(٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ؟ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً ، وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ(٣٢) وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ ، سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ(٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ(٣٤) وَزُخْرُفاً ، وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ)(٣٥)

قوله تعالى (وقالوا : لولا نزل) بيان لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة المبنية على الهوى فقالوا : كيف نزل القرآن على هذا الرجل الذي ليس له مال وثروة ؟ ولم لم ينزل على رجل عظيم الشأن عليّ المقام نافذ الامر من احدى القريتين الكبيرتين : مكة أو المدينة ؟ (أهم يقسمون رحمت ربك ؟) فيرد عليهم الباري سبحانه وتعالى ويستنكر كلامهم ، ويقول : أهم يقسمون رحمة ربك حتى يعطوا المقام لمن يريدونه أم نحن (نحن قسمنا بينهم

معيشتهم) أي أسباب معيشتهم وكذلك أسباب عزهم وكرامتهم وشرفهم (في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) في الرزق وسائر ما يتفاوت فيه الناس من المكارم والمعالي وغيرها ، وذلك (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليستعمل بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهمات أمورهم ليحصل بينهم ترابط وتحابب وتآلف فينتظم بذلك نظام الحياة الاجتماعية . وفي بعض التفاسير ليتخذ بعضهم بعضا محل هزء ومسخرة فتتفكك عرى المحبة وينتقم الله منهم . وقوله تعالى (ورحمتُ ربك خير مما يجمعون) معناه أن نظرهم الى أهل القرى الكبيرة وعظمة مقام رجالها أمر دنيوي لا قيمة لها في سعادة البشر عند ربه ، ورحمة ربك واعزازه للناس في الآخرة وشرف لقائه فيها خير مما يجمعونه في الدنيا .

(ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي ولولا كراهة أن يكون الناس كلهم أمة واحدة كافرة بها بواسطة النظر الى تنعم الكافرين (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج) أي مصاعد منها (عليها يظهرون) أي يعلون على السطوح (ولبيوتهم أبوابا) نفيسة ثمينة (وسررا) من قوائم عالية غالية (عليها يتكئون . وزخرفا) وزينة في أجزائها وفرشها ونواعمها وغيرها (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي إلا متاع الحياة ، وان نافية أو أنه لمتاع الحياة الدنيا واللام فارقة ، وما زائدة على تخفيفها (والآخرة عند ربك للمتقين) ومعنى العندية الاعتبار ، أي والآخرة المعتبرة المرضية عند ربك للمتقين .

(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ : يَا لَيْتَ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ(٣٨) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٩) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ ، وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ؟(٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ(٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ، فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ(٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ(٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا : أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ؟)(٤٥)

قوله تعالى (ومن يعشُ عن ذكر الرحمن) يعني ان من يتعام ويعرض عن ذكر الرحمن ، أي عن هذا القرآن الذي هو ذكر الله تعالى حيث نزل بتسبيحه وتحميده وتوحيده ودعوة الناس الى طاعته وعبادته في ركاب رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين (نقيض له شيطانا) أي نهيىء له شيطانا ماردا ليستولي على قلبه ويجعله وكره لإلقاء مكره وفكره الفاسد حتى يحركه للاعتقاد الباطل والعمل العاطل (فهو له قرين) أي فذلك الشيطان قرين لذلك الشخص المعرض عن ذكر الله (وانهم ليصدونهم عن السبيل) أي وان تلك الشياطين لا شك أنهم يمنعون أولئك الناس عن السبيل أي عن سلوك سبيل الحق (ويحسبون أنهم مهتدون) أي أن أولئك الشياطين مهتدون لطريق الحق ولذلك يتبعونهم ، أو الضمير عائد الى العاشين أي ويحسب أولئك الناس المتعامون عن ذكر الرحمن أنهم باتباعهم للشياطين مهتدون لطريق الخير (ولا يعلمون) أن أولئك الشياطين غربان .

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم طريق الهالكينا

(حتى اذا جاءنا) أي فيستمر مقارنة ذلك الشيطان لذلك الانسان العاشي حتى اذا جاءنا ذلك العاشي أي مات وتحول الى الله ، ورأى يوم القيامة بأم عينه واطلع على حقيقة الحال وأن نفع الشياطين له محال (قال) ذلك الانسان العاشي لذلك الشيطان (يا ليت بيني وبينك) في الدنيا (بعد المشرقين) والمراد بهما المشرق والمغرب على التغليب أو بعد مشرق الصيف عن مغربه وبعد مشرق الشتاء عن مغربه (فبئس القرين) أنت وقد ملكتني وأهلكتني . ويقول الله سبحانه وتعالى لذلك الانسان المتندم عما ارتضاه في دنياه (ولن ينفعكم اليوم) هذا التمني فإن وقت الندم قد فات وقوله تعالى (اذ ظلمتم) بدل من اليوم بتقدير مضاف اليه أي اذ صح أنكم ظلمتم أو تبين أنكم ظلمتم في الدنيا ، وقوله (أنكم في العذاب مشتركون) بفتح الهمزة مقدر بلام العلة لعدم النفع ، أي لن ينفعكم الندم والتمني في هذا اليوم يوم القيامة زمان تبين ظلمكم في الدنيا لتقرر أنكم في العذاب مشتركون مع الشياطين . وقرىء بكسر الهمزة فتكون جملة مستأنفة مقررة لعدم النفع . وقوله اذ ظلمتم يكون علة لعدم النفع ، أي لن ينفعكم التمني اليوم لانكم ظلمتم أنفسكم بالاشراك في الدنيا والاشتراك مع الشياطين فيه انكم اليوم أنتم وقرناؤكم الشياطين في العذاب مشتركون كما كنتم في الدنيا في الظلم مشتركين . وقوله (أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي) مصدر بهمزة الاستفهام الانكاري ليستريح الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن اتعاب النفس في ارشادهم فيقول : أبعد ما جرى من الكفار المشركين في مكة أنت تقدر أن تسمع القوم الصم عن سماع الحق ، أو تهدي القوم العمي عن ابصاره (و) تهدي (من كان في ضلال مبين) واضح بعلم اليقين ؟! أي فلا تبال بهم ولا تهتم .

(فإما نذهبن بك) وتتوفينك الينا (فإنا منهم منتقمون) بعدك (أو نرينك الذي وعدناهم) وننصرك عليهم (فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك) من القرآن نزل عليك (انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك) أي وان ما أوحي اليك لذكر وبيان حال وكمال ونضال في سبيل الحق وشرف عند الله وعند الناس العقلاء لك ولقومك الذين أجابوا دعوتك من المهاجرين والانصار وسائر الصحابة الاخيار (وسوف تسئلون) يوم القيامة أنت وقومك المجيبون عن مدى القيام بأعباء الرسالة وكفاح أهل الضلالة (واسأل من أرسلنا) أي أمم من أرسلنا (من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟) أي هل حكمنا بعبادة غير الله رب العالمين .

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بآياتِنا إلى فِرْعَوْنَ وَمَلأِهِ ، فَقالَ : اِنّي رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جاءَهُمْ بِآياتِنا اِذا هُمْ مِنْها يَضحكُونَ (٤٧) وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ اِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ، وَأَخَذْناهُمْ بِالْعَذابِ لَعَلَّهُمْ يرْجِعُونْ (٤٨) وَقالُوا : يا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنا ربَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدكَ إِنَّنا لمُهْتَدونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُم الْعَذابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥٠) ونادى فِرْعونُ فِي قومِهِ قال : يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ؟ أَفَلا تُبْصِرونَ ؟ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ ؟ (٥٢) فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِين (٥٣) فَاسْتَخَفَّ

قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ، فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ)(٥٦)

قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي متلبسا بآياتنا أي معها معية استعدادية قريبة (الى فرعون وملأه) أي أشراف قومه الذين يملأون ديوانه (فقال : اني رسول رب العالمين) اليكم لإطاعة الله الجليل وإطلاق الحرية المعقولة لبني اسرائيل (فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون) أي استهزءوا به وبالآيات التي أتى بها استهزاء عميقا بحيث جاءهم الضحك الناشيء من التعجب عن مجيئه وقوله ذلك ، وهو أضعف انسان ، عندهم ولم يصدقوا بأن معه آيات ربانية ومعجزات خارقة وتعاليم موافقة للعادات التي مشوا عليها (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) يعني وقد أريناهم آياتنا الدالة على كمال قدرتنا بتتابع تكون الثانية منها أكبر وأوقع في النفوس من الأولى ، بحيث تدهش العقول وتأخذ بالألباب فلم تفدهم (وأخذناهم بالعذاب) أي بالقحط سنين وبالجراد والقمل وغيرها(لعلهم يرجعون) الى رشدهم ويأخذون طريق رشادهم في الدين واعتقدوا به أنه ساحر .

(وقالوا : يا أيها الساحر ادعُ لنا ربك بما عهد عندك) أي بعهده الموجود عندك وهو عهد النبوة والرسالة منه الى عباده ، ومعناه أن من كان ثقة مأمونا مختارا عند صاحبه لمهمة عالية عالمية فله وجه عنده ، واذا دعاه وترجاه لمهمة تقبل دعاءه وأجابه ، فان دعوته وأجابك فـ (إننا لمهتدون) الى سلوك سبيل الايمان والطاعة لربك (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) أي فدعانا موسى لكشفه فأجبناه ولما كشفنا العذاب كان الحق أن يؤمنوا فلم يؤمنوا واذا هم ينكثون ذلك القرار الجاري بينهم وبين موسى ونقضوه .

(ونادى فرعون في قومه) أي جمعهم ، ونادى فيهم كمن يطلب تصويت الامة للانتخاب : (يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار) أي الجداول والفروع المأخوذة من النيل في كل جانب وأراد بملك مصر كل البلاد من أسكندرية شمالا الى أسوان جنوبا مع ما يليهما شرقا وغربا ، وكان ملك مصر عندهم كملك الدنيا وقوله (تجري من تحتي ؟) اما المقصود تجري تحت مستقره وعرشه وساحة جلوسه ، أو المراد من تحت تصرفي للاستثمار والاستغلال (أفلا تبصرون ؟) كل ذلك . وأراد من وراء ذلك أن يشتهر خضوع الامة له واعترافها بأن الملك ملكه وتخويف الناس من الايمان بموسى وأتباعه في أهدافه التي كان يتزلزل بها عرشه وقوله (أم أنا خير) أم فيه منقطعة أي بل أنا خير وأفضل وأشرف (من هذا) الرجل الذي (هو مهين) أي ذليل حقير (ولا يكاد يبين ؟) أي ولا استعداد له أن يأتي بعبارة فصيحة يظهر منها مقصوده بسهولة وراحة (فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب ؟ أو جاء معه الملائكة مقترنين ؟) قال مجاهد : كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوارين ، وطوقوه بطوق من ذهب علامة لسؤدده . فيقول فرعون للناس في اغفالهم عن الحق : ان كان موسى أميرا وملكا دنيويا فلم لم يسور بأسورة من ذهب كما هو العادة ؟ وان كان ملكا دينيا ربانيا فلم لم يجيء معه الملائكة مقترنين له ومحيطين به ؟ ولم يدر هو وأتباعه الفاسدون أنه رسول من رب العالمين فلا حاجة له الى اقتران الملائكة كما أنه لا يدعي الملكية الفرعونية حتى يلبس الأسورة وشعائر السلطنة . (فاستخف قومه فأطاعوه) أي فطلب فرعون من قومه الخفة في اطاعته بهذه الكلمات الاحتيالية فأطاعوه واعترفوا بأن ملك مصر له وان موسى لا يعتمد عليه (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن اطاعة الله وبذلك دخلوا في طاعة الكافر الذي لا شرف له عند الله .

(فلما آسفونا) أي أسخطونا وجعلونا في ما لا نستحبه من الاعتقادات الفاسدة والاقوال الفارغة والاعمال الكاسدة (انتقمنا منهم) أي من فرعون وملأه (فأغرقناهم) في نهر النيل (أجمعين • فجعلناهم سلفا) أي اماما للكفار الذين يتمردون بعدهم (ومثلا) أي قصة ذات شأن وعظة ذات قيمة (للآخرين) بأن يقال لمن يتمرد بعده مثلك مثل فرعون يأتي عليك ما أتى عليه •

(وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ(٥٧) وقالُوا : ءَآلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً ، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ(٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنعَمْنا عَلَيْهِ وَجَعَلْناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائِيلَ(٥٩) وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ(٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِها وَاتَّبِعُونِ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ(٦١) وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ(٦٢) ولَمَّا جاءَ عِيسى بِالبَيِّنَاتِ قالَ : قدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ(٦٣) إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هذا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ(٦٤) فَاخْتَلَفَ الأَحْزابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ)(٦٥)

قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أي ولما ذكر عيسى ابن مريم مثلا وشبيها لآلهة الكفار ، أي قيل انه يعبد من طرف النصارى كآلهتنا فإذا كان حَصَبًا لجهنم فلتكن آلهتنا أيضا حَصَبًا لها • وجواب لما قوله تعالى

(اذا قومك منه يصدون) أي يضجون ويفرحون ويبطرون . (وقالوا) للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ءآلهتنا خير") من عيسى (أم هو) أي عيسى خير من آلهتنا . وفي واقع الحال تقول يا محمد انه خير من آلهتنا فاذا صار هو حصب جهنم فلتكن آلهتنا حصبها (ماضربوه لك الا جدلا) أي ما جاؤا بذكر عيسى ـ عليه السلام ـ الا للجدال والزامك واسكاتك (بل هم قوم خصمون) ابطال لاقوالهم اجمالا ، وانتقال الى بيان أنهم قوم مبالغون في الخصومة والعداوة مع الحق . (ان هو) أي عيسى (الا عبد أنعمنا عليه) وشرفناه بشرف النبوة والرسالة (وجعلناه مثلا) أي عبرة (لبني اسرائيل) . (ولو نشاء لجعلنا ملائكة في الارض) أي لخلقنا ملائكة في الارض (يخلفون) لكم كما يخلفكم أولادكم ، أو يكونون خلفا ونسلا لكم ؛ ليعرف تميزنا بالقدرة الباهرة وليعلم أن الملائكة ذوات ممكنة تخلق توليدا كما تخلق ابداعا ، فمن أين لهم استحقاق الالوهية والانتساب اليه سبحانه وتعالى بالبنوة له ؟ تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها) أي وان نزول عيسى من السماء الى الارض لعلامة تكون سببا للعلم بقرب حلول الساعة فلا تشكن في الساعة وحلولها ، أو أن وجود عيسى من الام بلا أب له علامة لقدرة الله تعالى على خلق الانسان بلا والد ولا والدة وبلا والد كعيسى ، وبلا والدة كحواء ، وعلى خلق الانسان واعادة حياته وبعثه من القبور يوم الساعة فلا تشكن بها . أو أن وجود عيسى واحياءه للموتى بإذننا علامة لتحقق الساعة لانا اذا أقدرنا عبدا على احياء الموتى فنحن أقدر منه على احيائهم عند البعث وحلول الساعة فلا تشكن فيها (واتبعوني) فيما أبلغه اليكم من أن الله واحد لا شريك له وأنه لا يعبد سواه ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن كل مكلف له دفتر حساب يحاسب على

مقتضاه (هذا صراط مستقيم) موصل الى الحق القويم (ولا يصدنكم الشيطان) أي ولا يمنعنكم الشيطان عن اتباعي (انه لكم عدوّ مبين) •

(ولما جاء عيسى بالبينات) أي بالمعجزات الواضحات أو بالإنجيل (قال) أي لبني اسرائيل : (قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) من أمر الدين والشريعة وحساب الموتى بعد البعث والنشور (فاتقوا الله) يا بني اسرائيل (وأطيعون) فيما أقول لكم (ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه) لا غيره (هذا صراط مستقيم) أي هذا التوحيد والتزام الحق صراط مستقيم لا يضل من سلك فيه (فاختلف الاحزاب من بينهم) في أن عيسى ورسالته وعبوديته لله (فويل للذين ظلموا) من المختلفين بالانكار لرسالته أو بالقول بأنه ابن الله (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة •

(هل يَنظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ؟(٦٦) الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ(٦٧) ياعِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ(٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآياتِنا وَكانُوا مُسْلِمِينَ(٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْواجُكُمْ تُحْبَرُونَ(٧٠) يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأَكْوابٍ ، وفيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ، وَأَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ(٧١) وتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٧٢) لَكُمْ فِيها فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ)(٧٣)

قوله تعالى : (هل ينظرون إلا الساعة) الضمير عائد الى قريش وقوله (أن تأتيهم) بدل من (الساعة) و (ينظرون) بمعنى ينتظرون • أي هل

تنتظر قريش شيئا الا حلول الساعة واتيانها عليها مفاجأة (وهم لا يشعرون ؟) بإتيانها وغشيانها عليها كما تغشى سائر الناس • وحاصل الآية : ان أولئك الكفار لا يقبلون أية نصيحة ولا يخافون من أي انذار ولا يرفع رءوسهم الا حلول الساعة في حال لا يشعرونها فيه كما روى أبو سعيد قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « تقوم الساعة والرجلان يحلبان النعجة ، والرجلان يطويان الثوب » ثم قرأ ـ عليه الصلاة والسلام ـ هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؟

(الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الاالمتقين) والآية نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط ، ومعناها أن المحبات تنقطع يوم اذ تأتيهم الساعة ، ولا تبقى الا محبة المتقين ، وهم المتصادقون في الله عز وجل لما أنهم يرون ثواب التحابب في الله عز وجل (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) أي ويناديهم الباري سبحانه وتعالى بقوله : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (الذين آمنوا) اما صفة للمنادى ، أو بدل ، أو مفعول لمقدر أي أمدح ونحوه • وأفاد بقوله آمنوا اتصافهم بالعلم بما جاء به الرسول من الله تعالى وبقوله (وكانوا مسلمين) اتصافهم بالإذعان الفعلي وهو الانقياد النفسي لما جاء به ـ صلى الله عليه وسلم ـ (أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون) أي تسرون سرورا ظاهرا يعرفه الناس (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة (بصحاف من ذهب) والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة (وأكواب) جمع كوب بمعنى المشربة الصغيرة التي ليس فيها عرى (وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين) أي تستلذ وتقر بمشاهدته وتستطيبه العقول السليمة (وأنتم) يا عبادي (فيها خالدون) •

(وتلك الجنة التي أورثتموها) أي أوتيتموها إيتاء قسريا كإيتاء المواريث ، وذلك (بـ) سبب (ما كانوا يعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها

تأكلون) وكثرة الفواكه بحسب تعدد الانواع • وقوله منها يعني لا تأكلون الا بعضا منها وذلك لكثرتها •

(إنَّ المُجْرِمينَ فِي عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ(٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ(٧٥) وَما ظَلَمْناهُم وَلكِنْ كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ(٧٦) ونادَوا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ ، قالَ : إنَّكُمْ ماكِثُونَ(٧٧) لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالحَقِّ وَلكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُون(٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإنّا مُبْرِمُونَ(٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْويهُمْ ؟ بَلى ورُسُلُنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ(٨٠) قُلْ اِنْ كانَ للرَّحْمنِ وَلَدٌ فأَنا اَوَّلُ العابِدينَ(٨١) سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ والأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ(٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا حَتّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الّذي يُوعَدُونَ(٨٣) وهو الّذي فِي السَّماءِ إلهٌ وفِي الأَرْضِ إلهٌ ، وهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ)(٨٤)

قوله تعالى (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) أي ان الراسخين في الاجرام وهم الكفار (في عذاب جهنم خالدون • لا يفتر عنهم) أي لا يخفف العذاب عنهم (وهم فيه) أي في العذاب (مُبْلسون) حزينون (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) أنفسهم لسوء اختيارهم (ونادوا) أي المعذبون في جهنم خازنها وقالوا : (يا مالك ليقض علينا ربك) أي ليمتنا (قال : إنكم ماكثون) أي مقيمون في العذاب لابد لكم من ذلك (لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون • أم أبرموا) أي الكفار (أمرا ؟) أي أم أبرموا أمرا وجعلوه مقطوعا في الاضرار بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(فإنا مبرمون) أي كدنا حقيقة نحن لا هم (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟) المراد بالسر حديث النفس ، وبالنجوى ما يتناجون به بينهم بالاخفاء عن غيرهم (بلى) نسمع ونعلم ونطلع على كل ذلك وغيره (ورسلنا لديهم يكتبون) ما أمروا بكتابته لا لعلمنا فإننا لا نحتاج الى كتابتهم بل للاحتجاج به عليهم يوم القيامة عند الميزان والحساب . وظاهر الآية الشريفة أن حديث النفس مسموع للباري تعالى ، كما أنه يدل على أن الكتبة مطلعون أيضا على حديث النفس ، والكلام السري في النجوى ، ولا مانع من أن يكشف الله ذلك لهم حتى يحيطوا بما في باطنهم وظاهرهم .

(قل ان كان للرحمن ولد) كما تدعون أن الملائكة بنات الله (فأنا أول العابدين) لذلك الولد ، فإن تعظيم الوالد يوجب تعظيم الولد . وحاصل الكلام أنه ان صح وثبت وجاز أن يكون للرحمن ولد فأنا أول وأقدم العابدين ، وكانت عبادة ذلك الولد أنسب بحالي لاني أعلمكم بالله وبما يناسب مقامه من تعظيمه وتنظيم علاقته ، ولكن ليس له ولد ولا يصح له ، فإنه واجب الوجود وغيره ممكن الوجود ، ولا يتناسبان في الحقيقة والماهية بأي حال . وقد ظهر أن وجه الملازمة كونه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعلم الناس بشئون الباري وتعظيمه . ومما يجب أن يعلم أن صحة الشرطية لا تتوقف على إمكان الشرط والجزاء لجواز تركيبها من محالين ، كما تقول : لو كانت الثلاثة زوجا لانقسمت بمتساويين بلا كسر . ولو كانت النار باردة ما أحرقت اليد الماسة لها ، ولو كان زيد أسدا كان مفترسا (سبحان رب السماوات والارض رب العرش عما يصفون) أي عن الذي يصفونه به من تحقق الوالد له (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) في دنياهم غافلين عما يحتاجون اليه في عقابهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) وهو يوم القيامة . وقال جمع انه يوم بدر (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) الظرفان متلعقان

بما في اله من معنى المعبودية (وهو الحكيم) في تأجيل العقاب وتعجيله (الخبير) بأعمال كل عامل وما يستحقه •

(وتبارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ والأَرْضِ ومَا بَيْنَهما ، وعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ(٨٥) وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بالحَقِّ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٨٦) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ : مَنْ خَلَقَهُمْ ؟ لَيَقُولُنَّ اللهُ ، فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ؟(٨٧) وَقِيلِهِ : يا ربِّ إِنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ(٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ : سَلامٌ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)(٨٩)

قوله تعالى (وتبارك الذي له ملك السماوات والارض وما بينهما) أي السلطنة والتصرف في كل ذلك ، لأنه الخالق له والخالق حقه التصرف المطلق (وعنده) لا عند غيره (علم الساعة) ووقت تبدل عالم الدنيا بعالم الآخرة (واليه ترجعون) للجزاء (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة) كما زعم المشركون أنهم شفعاؤهم عند الله (الا من شهد بالحق) وهو التوحيد فهم لاعترافهم بالتوحيد والتزامهم الطاعة لله تعالى يستحقون الشفاعة ممن أذن له الرحمن • وقوله (وهم يعلمون) دليل على أن اعتبار الشهادة بالحق والتوحيد انما ينفع اذا كانت من علم وتصديق ذاتي ، وان كان بدليل مجمل لا من تقليد صرفٍ (ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن الله) لتعذر المكابرة في ذلك (فأنى يؤفكون ؟) أي وما دام هم معترفون بأن الله خلقهم وأخرجهم من العدم الى الوجود فأنى يؤفكون ، أي فكيف يصرفون عن

طاعته الخالصة وتوحيده (وقيله) معطوف على الساعة ، أي وعند الله علم قيله أي قول الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونداؤه بـ (يا رب إن هؤلاء) المشركين (قوم لا يؤمنون) فما دام الله يعلم بذلك القول وذلك النداء فلا تهتم ولا تحزن . (فاصفح) وأعرض (عنهم) لتستريح ولا تطمــع في ايمانهم (وقل سلام) أي أمري معكم سلام ومتاركة (فســوف يعلمون) جزاءهم جزاء وفاقا .

سورة الدخان ، مكية وآياتها تسع وخمسون آية ،
نزلت بعد الزخرف

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ
مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ(٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ(٤) أَمْراً مِنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ(٥) رَحْمَةً مِنْ
رَبِّكَ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ(٧) لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ،
رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ(٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ
يَلْعَبُونَ(٩) فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ(١٠)
يَغْشَى النَّاسَ هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ(١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ
إِنَّا مُؤْمِنُونَ(١٢) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرى وَقَدْ جاءَهُمْ رَسُولٌ
مُبِينٌ ؟(١٣) ثُمَّ تَوَلَّوا عَنْهُ وَقَالُوا : مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ(١٤) إِنَّا
كاشِفُوا الْعَذابِ قليلاً إِنَّكُمْ عائِدُونَ(١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ
الْبَطْشَةَ الْكُبْرى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)(١٦)

قوله تعالى (حم) الكلام فيه كما سبق (والكتاب المبين) أي أقسم بالكتاب المبين الواضح الموضح للحقائق والمقسم به قوله (انا أنزلناه) أي ذلك الكتاب المبين (في ليلة مباركة) هي ليلة القدر بدليل قوله تعالى (إنا أنزلناه في ليلة القدر) اذ يتركب من هاتين الآيتين الكريمتين قياس من الشكل الثالث تقريره : القرآن الكريم أنزل في ليلة مباركة ، والقرآن الكريم أنزل في ليلة القدر ، والنتيجة أن تلك الليلة المباركة هي ليلة القدر . وهذه النتيجة اذا لوحظت مع قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) يظهر بحق أن ليلة القدر ليلة من ليالي شهر رمضان فطوبى لمن أحياها بطاعة الرحمن (إنا كنا منذرين) أي ومبشرين بذلك الكتاب جميع المكلفين (فيها) أي في تلك الليلة المباركة (يفرق كل أمر حكيم) ويفرق بمعنى يفصل ويلخص والحكيم بمعنى المحكم لأنه لا يبدل ولا يغير بعد إبرازه للملائكة ــ عليهم السلام ــ بخلافه قبله وهو في اللوح المحفوظ ، فإن الله تعالى يمحو منه ما يشاء ويثبت .

وأخرج محمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال في ذلك : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر حتى يكتب : يحج فلان ... وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن ربيعة بن كلثوم قال : كنت عند الحسن فقال له رجل : يا أبا سعيد ليلة القدر في كل رمضان هي ؟ قال : أي والله انها لفي كل رمضان ، وانها لليلة يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضي الله تعالى كل أجل وعمل ورزق الى مثلها . وأخرج البيهقي عن أبي الجوزاء (فيها يفرق كل أمر حكيم) هي ليلة القدر يجاء بالديوان الأعظم السنة الى السنة فيغفر الله تعالى شأنه لمن يشاء .

وفي كثير من الاحاديث الشريفة أن الليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان بحيث لا يمكن انكارها • فقال بعض الأجلة : كون التقدير في هذه الليلة يشكل عليه قول كثير أنه ليلة النصف من شعبان وهي المراد بالليلة المباركة التي قال الله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم • وأجاب بأن ههنا ثلاثة أشياء : الاول نفس تقدير الامور ، أي تعيين مقاديرها وأوقاتها وذلك في الأزل • والثاني اظهار تلك المقادير للملائكة ـ عليهم السلام ـ بأن تكتب في اللوح المحفوظ ، وذلك في ليلة النصف من شعبان • والثالث : اثبات تلك المقادير في نسخٍ وتسليمها الى أربابها من المدبرات ، فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات والامطار الى ميكائيل ـ عليه السلام ـ ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف الى جبريل ـ عليه السلام ـ • ونسخة الاعمال الى إسرافيل ـ عليه السلام ـ • ونسخة المصائب الى ملك الموت وذلك في ليلة القدر • هذا وسيأتي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة القدر مزيد تفصيل للموضوع •

وقوله تعالى (أمرا من عندنا) منصوب على الاختصاص وتنكيره للتفخيم ، والجار والمجرور في موضع الصفة له (إنا كنا مرسلين) وقوله (رحمة من ربك) تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً من عندنا، ورحمة مفعول به لمرسلين وتنوينها للتفخيم ، والجار والمجرور في موضوع الصفة لها (انه هو السميع) لكل مسموع (العليم) لكل معلوم (رب السماوات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين) أي من أهل الايقان (لا إله الا هو) أي لا اله حق إلا هو (يحي ويميت ، ربكم ورب آبائكم الأولين) خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من رب السماوات •

(بل هم في شك) اضراب ابطالي حالكونهم (يلعبون) ما يقولون بشيىء مطابق للواقع (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي يوم تأتي بجدب

ومجاعة فان الجائع يرى ما أمامه الى السماء كهيئة الدخان • أو يوم ظهور الدخان المعدود في أشراط الساعة ، لما روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « أول الآيات الدخان ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر » قيل : وما الدخان ؟ فتلا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الآية وقال : « يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخره وأذنيه ودبره » • (يغشى الناس) يحيط بهم وقوله (هذا عذاب أليم • ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) مقدر بقول وقع حالا ، وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب أو اعتراف به وتضرع وتشفع به عند الله تعالى • وقوله تعالى (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ؟) بين لهم واجبهم وثوابهم على تقدير الاجابة وعقابهم على تقدير العناد ، وذلك الرسول هو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ثم تولوا عنه وقالوا : معلم مجنون) أي قال بعضهم : انه معلم من أعجمي ، وقال بعضهم : انه مجنون • وقوله (إنا كاشفوا العذاب) أي انا كاشفوه ورافعوه عنكم بدعاء الرسول ، فانه لما دعا رفع القحط (قليلا) كشفا قليلا أو في زمان قليل (انكم عائدون) هذا جواب من جانب الباري سبحانه وتعالى عن قولهم واخبارهم بالعود على تقدير الكشف • وقوله (يوم نبطش البطشة الكبرى) ظرف لقوله (إنا منتقمون) •

(وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ، وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ(١٧) : أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ(١٨) وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(١٩) وإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ(٢٠) وإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ(٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هؤُلاءِ قَوْمٌ

مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤)

قوله تعالى (ولقد فتنا قبلهم) تذكير للكافرين المشركين بما جرى قبلهم على فرعون وقومه على أثر عنادهم مع موسى ـ عليه السلام ـ لعلهم يتعظون ويعتبرون فقال (ولقد فتنا) وامتحنا وابتلينا (قبلهم) أي قبل أولئك المشركين المعاصرين لك (قوم فرعون) أي فرعون وقومه لكن لما كان قوامه بقومه قد اكتفى بهم (وجاءهم) أي قوم فرعون (رسول كريم) مكرم محترم عند الله وهو موسى ـ عليه السلام ـ (أن أدوا الي عباد الله) أي قائلا أن أدوا إلي وسلموا الي عباد الله أي بني اسرائيل المعذبين لانهم اشتهروا بأنهم عباد الله أي يعبدونه ويوحدونه (اني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله) أي لا تستكبروا على الله باستكباركم على رسوله (إني آتيكم بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة تدل على سلطنة الباري وقدرته على الممكنات ، يتصرف فيها كيف يشاء فيقلب العصا حية مثلا . ولما أدرك موسى ـ عليه السلام ـ سوء نيتهم قال (واني عذت بربي وربكم أن ترجمون) أي التجأت وتحصنت به من أن تؤذوني بالضرب أو القتل (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي فكونوا بمعزل مني لا لي ولا عليّ (فدعا ربه) أي فلما علم بقصدهم السيىء دعا ربه (أن هؤلاء قوم مجرمون) مصرون على العداء والعناد . وقوله تعالى (فأسر بعبادي) أي فأوحى اليه (أن أسر بعبادي ليلا) أي بقطع من الليل (انكم متبعون واترك البحر رهوا) أي ولما وصلت البحر انفتح لك وانفرج فيكون طريقا لعبورك بسلامة ، ولما عبرت فلا تضرب البحر بالعصا حتى يعود الى حاله القديم ، واتركه رهوا أي منفتحا منفرجا ليطمع فرعون وجنوده في عبوره ، فاذا خاضوه انطبق عليهم وهلكوا (فانهم جند مغرقون) في علمي ، ولابد أن يغرقوا في هذا السفر . فسرى موسى بقومه ، ولما وصل النيل وجده

على ما ذكرنا فعبروا منه ، وتركه على حاله رهوا ، ولما وصله فرعون وجنوده على تلك الحالة اقتحموه ، ولما وصلوا كلهم الى مابين حافتيه انطبق عليهم فصاروا مغرقين . وعلى هذا تكون جملة انهم جند مغرقون علة لتركه رهوا .

(كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ)(٣٣)

قوله تعالى (كم تركوا) كم منصوب محلا على المفعولية لما بعده ، أي تركوا كثيرا في مصر (من جنات وعيون ، وزروع ، ومقام كريم) أي مواقع حسنة للبقاء فيها (ونعمة كانوا) أي فرعون وأتباعه (فيها) أي في تلك النعم (فاكهين) أي أصحاب فاكهة أو طيبي الانفس (كذلك) أي الامر كذلك (وأورثناها قوما آخرين) وهم بقايا بني اسرائيل من الذين كانوا موالين لفرعون وما أمكنهم أن يخرجوا مع موسى ــ عليه السلام ــ أو المراد قوما آخرين ممن ملك مصر بعد هلاك فرعون وقومه . وتفسيره ببني اسرائيل الخارجين مع موسى ــ عليه السلام ــ لا يوافق الواقع لانهم لم يرجعوا الى مصر (فما بكت عليهم السماء والارض) كناية عن عدم الاكتراث بهم ، فانه اشتهر بين العامة أن كل قوم شريف اذا هلكوا تبكى عليهم السماء والارض بنزول نوع من الندى من السماء أو بظهور بعض الصعيق على سطح الارض ، فيقول

انه بعد هلاك فرعون وقومه لم يتحقق ذلك . والمقصود الإهانة كما ذكرنا .
(وما كانوا منظرين) ممهلين مؤجلين الى وقت آخر يهلكون فيه .

(ولقد نجينا بني إسرائيل) بتلك الحادثة (من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا) متكبرا جبارا (من المسرفين) في الشر والاضرار بالناس (ولقد اخترناهم) أي بني اسرائيل (على علم) باستعدادهم واستحقاقهم أو مع علمنا بعواقبهم (على العالمين) أي من الموجودين في زمانهم فلا يلزم تفضيلهم على أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنص قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وأدلة أخرى (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر ، وتظليل الغمام ، وانزال المن والسلوى وغيرها ... (ما فيه بلاء مبين) أي اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون .

(إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) : إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ ؟ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤١) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٢) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هذا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ (٥٠) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كذلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولى ، وَوَقَيهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ)(٥٩)

قوله تعالى (ان هؤلاء) أي ان كفار قريش (ليقولون : ان هي الا موتتنا الاولى) أي ما العاقبة الا موتتنا الاولى القريبة منا وهي الموتة بعد الحياة الدنيوية ، أي ليست القصة التي تتلقاها من الرسول من الموت ثم البقاء في البرزخ الى الساعة ، ثم البعث والحشر والميزان والحساب ، ثم السوق الى النار أو الى الجنة متحققة في المستقبل الا جزء منها وهو الموت وهو انمحاء كلي بلا أثر ولا خبر ولا حشر ولا نشر ولا مسئولية في الآخرة ، ولا ثواب ولا عقاب ، فاذا كفرت أو آمنت أو صدقت أو كذبت ، وعدلت أو ظلمت ، وقتلت أو أبقيت ، وزنيت أو تعففت ، وأصلحت أو أفسدت فالكل لا جزاء وراءه ، وهذا تفصيل قولهم (وما نحن بمنشرين) أي بمبعوثين بعدها ، فانظروا أيها العقلاء هل يستوي الخير والشر ؟ والنور والظلمة ؟ والعدل والجور ؟ وسائر المتقابلات ؟ والذي خلق العقل والشعور لا يقول بالاستواء من له مستوى في العقل والشعور ومن في عين قلبه نور ، وكانوا يقولون في مقابل من وعدهم بالنشور من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمؤمنين : (فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) في قولكم وانظروا أيضا الى

هذا الكلام الفارغ الغير الموجه في مقابل الرسول القائل بأن الله الذي خلقكم يميتكم ثم يحييكم لمحاسبة أعمالكم فهو كما قدر على خلقكم واماتتكم قادر على بعثكم ومحاسبتكم ، ولم يقل أنا قادر على إحياء الموتى حتى يتوجه طلبهم في فأتوا بآبائكم ان كنتم صادقين ؟ فلم يكن كلامهم ذلك الا ناشئا عن عناد للحق واستكبار على الخلق •

ولما كان المنشأ تلك العظمة رد عليهم الباري وقال (أهم خير) أي في الحال والمال والعدد والعدة التي تكون داعية الى التكبر (أم قوم تبع) هو تبع الاكبر الحميري ، واسمه أسعد بهمزة ، وكنيته أبو كوب ، وكان باليمن وسار بالجيوش ، وحير الحيرة ، وبنى سمرقند وقيل : هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين • وقيل لملوك اليمن : التبابعة لانهم يتبعون كما قيل لهم الاقيال لانهم يتقيلون (بصيغة المجهول) أي يقتدى بهم • وعن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم » (والذين من قبلهم) أي قبل قوم تبع كعاد وثمود ، أو قبل قريش (أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) فليحذر كفار قريش من الإهلاك اذا بقوا متمردين مجرمين ، وكيف نتركهم كذلك بلا نصيب في الدنيا ولا عذاب في الآخرة •

(وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين) أي عابثين والعابث هو الذي يعمل بدون حكمة في عمله وغاية في تصرفه (ما خلقناهما الا بالحق) أي ما خلقنا في حال من الاحوال الا في حال رعاية الحق والعدل وتشريع للنظام (ولكن أكثرهم) أي أكثر قريش أو أكثر الناس (لا يعلمون) ذلك ، وأقلهم وهم المؤمنون يعلمون • ولذا قال المؤمنون : ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار • ثم هددهم بقوله المبين : (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) أي يوم فصل الحق عن الباطل وهو يوم القيامة ميقاتهم

للحساب ونيل الجزاء بلا استثناء (يوم لايغني مولى عن مولى شيئاً) والمولى الصاحب الذي من شأنه أن يتولى معونة صاحبه على أموره ، فيدخل في ذلك السيد والخادم وابن العم والصديق والمعاهد . ويغني من الإغناء بمعنى الإجزاء ، وشيئا مفعول به ، أي لا يجزي مولى عن مولى شيئا قليلا أو كثيرا (ولا هم ينصرون) من أي ناصرٍ (الا من رحم الله) وهو الذي كان مؤمنا وترحم عليه ربه وعفا عنه بذاته أو بشفاعة من يقبل شفاعته (انه هو العزيز) الغالب (الرحيم) بمن أراد أن يرحمه .

ثم ذكر الباري ما لأهل النار من الفجار ، ومالأهل الجنة من المتقين الابرار فقال : (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم) أي الكثير الآثام (كالمهل) وهو خلط الزيت (يغلي) من حرارته (في البطون) فيقطع الأمعاء (كغلي الحميم) أي الماء الحار الشديد الحرارة فيقول مالك النار (خذوه فاعتلوه) أي وجروه واسحبوه (الى سواء الجحيم) أي وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) أي من الحميم المورث للعذاب (ذق) بجميع أجزاء جسدك ما يصب عليك (انك أنت العزيز الكريم) فيما كان والآن أنت الذليل المهان ، أو يقال له ذلك باعتبار حال الآخرة اهانة له وتحقيرا (ان هذا) أي هذا العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون وتجادلون المسلمين فيه (ان المتقين في مقام أمين) من المكاره (في جنات) محيطة به من الجوانب (وعيون) لكل منها تلك لمناظرهم ومآكلهم (يلبسون من سندس واستبرق) من ناعم الحرير وغليظ يختارون ما يختارون (متقابلين) في مجالسهم يستأنس بعضهم ببعض وذلك اذا أرادوا (كذلك) أي الامر (وزوجناهم بحور عين) والحور جمع الحوراء وهي البيضاء ، وقيل شديد سواد العين وبياضها ، وقيل الحور سواد المقلة كلها كما في الظباء . والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين . (يدعون فيها بكل فاكهة) يريدونها (آمنين) من الضرر

الناتج من أكلها (لا يذوقون فيها) أي في الجنة (الموت الا الموتة الاولى) وهي الموتة عقب الحياة في الدنيا والاستثناء مقيد أي ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها هناك وليس فليس (ووقيهم عذاب الجحيم ، فضلا من ربك) قيد للوقاية والرعاية أي ان ما أعطوا في الجنة كان فضلا ووقايتهم عن الجحيم كانت فضلا (ذلك) المذكور من الرعاية والوقاية (هو الفوز العظيم) ولا ينال الفوز العظيم الا من الرب العظيم لعبده الكريم (فانما يسرناه) اي القرآن (بلسانك) الموافق للسانهم (لعلهم يتذكرون) ويتعظون ويتوبون ويؤمنون فيؤتيهم الله أجرا غير ممنون (فارتقب) أي فان لم يتذكروا فانتظر ما يحل بهم من الجزاء (انهم مرتقبون) ما يحل بك ولا يحل بهم الا ما أعد الله لهم من العذاب ولا يحل بك الا ما آتاك الله من حسن الثواب .

سورة الجاثية

مكية وآياتها سبع وثلاثون ، نزلت بعد الدخان

بسم الله الرحمن الرحيم

(حمٓ(١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ(٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ(٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ، آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٥) تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ؟)(٦)

قوله تعالى (حم) ان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي هذه السورة مسماة بحم ، أو مبتدأ خبره تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقوله تعالى (ان في السماوات والارض لآيات) استئناف للتنبيه على الآيات الكونية التي تدل دلالة ظاهرة على وجود صانع قادر ، وتلك الآيات فيها دلالة على المقصود (للمؤمنين) لأن المؤمن

هو الذي يتفكر بالبصيرة السليمة وأما الكافر فليس له بصر يحس بما لا يشتهيه وبصيرة ترشده الى حقيقة ما يبتغيه (وفي خلقكم) على بسيط الارض مع القوة العقلية والحواس والمشاعر الدقيقة (و) في (ما يبث) أي وفي خلق ما ينتشر عليها (من دابة) تدب على الارض على أحوال مختلفة وأوجه متنوعة (آيات) على عظمة الله (للموقنين) أي لأناس من شأنهم النظر في النسب العقلية حتى يحصل لهم الإيقان بها ، والتوسل بمعرفتها الى أمور هامة يجب ادراكها والتوسل بمعرفتها الى سعادة الدارين (واختلاف الليل والنهار) أي وفي اختلافهما ومجيىء الواحد تلو الواحد ، أو في اختلاف مقدار أوقاتهما بحسب المدارات المختلفة (وما أنزل الله من السماء من رزق) أي من مطر يحصل منه الرزق للانسان وغيره مما يعيش على الارض (فأحيا به الارض بعد موتها) أي بعد جمودها وعدم انباتها نباتا (وتصريف الرياح) أي وفي تصريفها من جهة الى جهة ومن حال الى حال واثارتها السحاب (آيات لقوم يعقلون) أي يدركون بالعقل مبادئها وعواقبها ومنشأها ومصرفها (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) أي نتلوها عليك متلبسين بمحبة الحق واستفادة الناس منها ، أو نتلوها تلاوة بالحق (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

(وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا ، فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(٩) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً ، وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠) هَذَا هُدًى ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ(١١) اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)(١٣) •

قوله تعالى : (ويل لكل أفاك أثيم) نزلت في أبي جهل وقيل في النضر بن الحرث وكان يشتري حديث الاعاجم ويشغل به الناس عن استماع القرآن لكنها عامة كما هو مقتضى كل ويدخل فيه من نزلت فيه دخولاً أوليا أي ويل لكل كذاب كثير الاثم (يسمع آيات الله) الجملة صفة بعد صفة لأفاك (تتلى عليه ، ثم يصر مستكبرا) عن قبول معانيها (كأنْ لم يسمعها ، فبشره بعذاب أليم • وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها (أولئك لهم عذاب مهين) أي مذل محقر لهم (من ورائهم جهنم) أي من قدامهم في مستقبلهم جهنم (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا) من عذاب الله أو شيئا من الإغناء (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) عطف على ما كسبوا أي ولا يغني عنهم ما اتخذوه أولياء من دون الله (ولهم عذاب عظيم هذا هُدىً) أي هذا القرآن هدى للمكلفين اذا اهتدوا به وآمنوا (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) أي من أشد العذاب •

(ألله الذي سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح (لتجري الفلك فيه بأمره) أي بامر الله (ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون • وسخر لكم ما في السماوات وما في الارض جميعا منه) أي من الله (ان في ذلك) التصرف البارز البديع (لآيات لقوم يتفكرون) •

(قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بما كانُوا يَكْسِبُونَ(١٤) مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَساءَ فَعَلَيْها ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ(١٥) وَلَقَدْ آتَيْنا بَنِي إِسْرائِيلَ الْكِتابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ، وَفَضَّلْناهُمْ على الْعالَمِينَ(١٦) وَآتَيْناهُمْ بَيِّناتٍ مِنَ الْأَمْرِ ، فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ(١٧) ثُمَّ جَعَلْناكَ عَلى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْها ، وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ(١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، وَإِنَّ الظّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ، واللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ(١٩) هذا بَصائِرُ لِلنّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(٢٠)

قوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا) حذف المقول لدلالة يغفروا عليه ، يعني قل للذين آمنوا اغفروا للذين لا يرجون أيام الله يغفروا . وفي مورد نزول الآية روايات فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما أنها نزلت في عمر ـ رضي الله عنه ـ ، شتمه مشرك بمكة قبل الهجرة فهم أن يبطش به فنزلت. وهذا ظاهر في كونها نزلت بمكة . وروي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع ، فأرسل عبدالله بن أبي غلامه ليستقي فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له : ما حبسك ؟ قال : غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرب أبي بكر ـ رضي الله ـ تعالى عنه .

فقال ابن أبي : ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل : « سمن كلبك يأكلك » فبلغ ذلك عمر ــ رضي الله عنه ــ فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه ، فأنزل تعالى الآية . وحكاه الإمام عن ابن عباس وهو يدل على أنها مدنية . وروي عن ميمون بن مهران أن فنحاص اليهودي قال لما أنزل الله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) : احتاج رب محمد ! فبلغ ذلك عمر ــ رضي الله عنه ــ فاشتمل سيفه وخرج فبعث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في طلبه حتى رده فنزلت . وهذا أيضا يدل على مدنيتها .

ومعنى الآية قل يا رسولي للذين آمنوا : اغفروا للذين لا يرجون أيام الله ، أي لا يتوقعون أن يأتي يوم القيامة وهو يوم الله الذي يجزي فيه الناس حسب أعمالهم ويعصون الله ورسوله ، ويتكلمون بالباطل ويشتمون الناس حتى لا يحصل شغب بين الناس ، ويأتي يوم الجزاء فينالون عقابهم كما يستحقون . واذا كانت الآية مكية كان هذا الامر لضعف المسلمين اذ ذاك ، وكان الرسول يخاف من المقابلة النزاع والفتنة وعذاب المؤمنين . وأما اذا كانت مدنية فالوجه أن هذه الامور التافهة تقع كثيرا بين الناس لاسيما بين الفريقين المتخالفين فيجب حينئذ السماح وصرف النظر حتى لا يتزلزل النظام ولا يبتلى الناس بالمحن والآلام . وقوله تعالى (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) تطمين للمؤمنين بأن الله تعالى لا يهمل شأن أولئك الناس الفاسدين ويجزيهم جزاء حسب أعمالهم ، ولا حاجة الى أخذهم في الدين بالبطش والإيلام . وكذلك قوله (من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) .

(ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب) أي التوراة ، وفي الحقيقة أنها هي الموسوعة المفيدة في ذلك العصر لبني اسرائيل وكل أنبيائهم يعملون بها ، وزبور داود ــ عليه السلام ــ كان فيه القصص والمواعظ ، وأما الاحكام

فكانت كما في عهد موسى ــ عليه السلام ــ • وأما الانجيل فقد كان فيه من الاحكام الطارئة ولكنها كانت قليلة • (والحكم) أي القضاء وفصل الخصومات ، وذلك لان الملك كان فيهم • واختاره أبو حيان ، أو الفقه في الدين وخصه بالذكر مع دخوله في التوراة للاهتمام به لوسعة الفقه في الاحكام على عهد موسى ــ عليه السلام ــ • ومنه ما هو منصوص التوراة ، ومنه ما جرى على لسان موسى ــ عليه السلام ــ (والنبوة) حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ، وسره كثرة المشاجرة والمنازعة وابداء الآراء بينهم فما كان يعالجها الا الانبياء ــ عليهم السلام ــ (وآتيناهم بينات من الأمر) أي دلائل ظاهرة واضحة تطمئن بها القلوب ، أو معجزات تندهش عندها الاعداء ، أو آيات ظاهرة في رحمة الله عليهم كالمن والسلوى عندما كانوا بالتيه (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) وهذا من سوء الحظ ومن النكبات الأممية اذ لا نزاع بعد العلم الا من العناد والكفر والاستكبار وذلك دليل الدمار للديار أعاذنا الله • ولذلك عقبه بقوله (بغيا بينهم) يعني كان الاختلاف ناشئا من البغي لا من الجهل بالاحكام وكانوا يعلمون الحق ويعاندونه (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين •

(ثم جعلناك) وأنت الرسول الوحيد من بني إسماعيل ــ عليهما السلام ــ (على شريعة من الأمر) أي أمر الدين وأحكامه الاصلية والفرعية الاعتقادية والعملية (فاتبعها) وأمر أمتك تتبعها بنشر العلماء العاملين واستنباطاتهم من المنطوق ، والمفهوم ، من عبارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص ، واشارة النص ••• كما أنزلنا عليك (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) ويتبعوا النصوص الداعية الى الاعتصام والاجماع ، وكونوا على حذر من الجمود والجحود ، ولا يغرنهم البساطة

والتنازل والتسافل ، فإن الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها ، واعلموا أن الشيطان وأعوانه لكم بالمرصاد والله عليكم بالمرصاد (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) الحق ويكتفون بما عندهم من الخيالات السافلة والخزعبلات الباطلة ، لاسيما الاجانب الذين لا يرقبون فيكم الا ولا ذمة ، ويتربصون بكم الدوائر، فإنهم ظالمون، ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار • (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) من الاشياء لا في الدين ولا في الدنيا ، أما في الدين فظاهر ، وأما الدنيا فلأنهم لا ينفعونهم بقيمة درهم حتى ينتفعوا بقيمة دينار (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) فالظلم صفة سخيفة واحدة وجريمة كبيرة واحدة وأصحابها أمة واحدة (والله ولي المتقين) وأهل التقوى هم أهل الحق وماذا بعد الحق الا الضلال •

(هذا) أي هذا القرآن وهذه الشريعة الشريفة (بصائر للناس) أي أسباب تنوير البصائر فهو كحل لعيون القلوب وشفاء لأهل الامراض والكروب (وهدى ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) أي فائزون باليقين •

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ !(٢١) وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ(٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ؟ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ؟)(٢٣)

قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) استئناف سيق لبيان حال المسيئين والمحسنين بعد بيان حال الظالمين والمتقين . وأم منقطعة ، والاضراب للانتقال من بيان الى بيان ، واجتراح السيئات كسبها بالجوارح ، والمراد هنا أعم من ذلك فان أهل الاعتقاد الفاسد ليسوا مع أهل الاعتقاد السليم متساوين . والمعنى أبل حسب الذين اكتسبوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقوله (سواءً) بدل من الكاف في كالذين فانه بمعنى المثل . و (محياهم) فاعل سواء بمعنى مستو ، و (مماتهم) عطف عليه . وقوله : (ساء ما يحكمون) انشاء لذم حكمهم بالمساواة بين الفريقين ، فانه يعارضه الشرع الإلهي في كل عهد وعصر ، كما يعارضه العقل البهي في كل زمان (وخلق الله السماوات والارض بالحق) أي متلبسا ذلك الخلق بالحق . ومعنى تلبسه بالحق موافقته للحكمة ورعاية الإنصاف ومراعاة العدالة في الامور وقوله (ولتجزى) معطوف على مقدر أي ليدل به على قدرته (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون) .

(أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجب من أحوال من اتبع الهوى فصار يتبعه كما يتبع الصبي الرضيع ثدي أمه . والهوى ما تحبه النفس من مستلذاتها حقا أو باطلا ، وفساد النفس الأمارة وعداؤها للانسان انما هو لانها الامارة بالهوى ، وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها . وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ما ذكر الله الهوى الا ذمه . فالهوى اذا توجه الى الحق صار الانسان مؤمنا كاملا . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئتُ به » وكفى في مدح تسخيره للحق قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) قال سهل التستري ـ رضي الله عنه ـ : هواك داؤك فان خالفته فدواؤك . فيقول الباري جل شأنه : أخبرني عن حال من اتخذ إلهه

هواه ؟ أي اتخذ هواء الها له ومعبودا يطيعه في كل ما يأمر به وينهاه (وأضله الله) عن سلوك سبيل الخير (على علم) به ، فلو كان جاهلا أمكن أن يكون معذورا ، ولكنه عالم واتبع الباطل مغرورا (وختم على سمعه) فلا يسمع آيات الذكر الحكيم ولا مواعظ المرشد السليم (وقلبه) فلا يتفكر في عاقبته ولا يسعى في عافيته (وجعل على بصره غشاوة) غطاء يمنعه عن ابصار ما أمامه من المستوي والمعوج ، والشارع المستوي والطريق المنهار فيصل الى شفا جرف هار فينهار به في النار (فمن يهديه) أي فمن يهدي ذلك الهاوي في نار جهنم (من بعد الله ؟) فهل هناك هادٍ أهدى من الله للعباد ؟ لا حاشا وكلاّ لا يوجد الى يوم التناد (أفلا تذكرون ؟) أي أفلا تلاحظون الادلة حتى تتذكروا ما ينفعكم في الدارين •

(وَقَالُوا : ما هِيَ الاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ، وَمَا يُهْلِكُنَا إلاّ الدَّهْرُ ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ انْ هُمْ إلاّ يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إلاّ أَنْ قَالُوا : ائْتُوا بِآبَائِنَا انْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ : اللهُ يُحْيِيكُمْ ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦) وللهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرى كُلَّ أُمَّةٍ جاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إِلى كِتَابِهَا : الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هذا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، انَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا

الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠) وأما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين)(٣١)

وقوله تعالى (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا) الضمير ضمير مبهم مفسر بالحياة أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا ، أي هذه الحياة المعلومة في هذا العالم عالم التعب والألم عالم الأكل والشرب والمنام والمقام ولا حياة جديدة في عالم آخر يسمى بعالم الآخرة (نموت ونحيا) أي نموت نحن معاشر الآدميين الموجودين فنفنى ولا يبقى منا أثر ، ونحيا . أي باعتبار جيل ينوب مناب الأموات سواء كانوا من أولادهم أو من غيرهم . والحاصل أنه يعيش جيل في قرن فيموتون ، وينبعث جيل ثان لقرن آخر وهكذا الى الابد . وعلى هذا المعنى لا يبقى مجال للقول بأن المناسب أن يقول نحيا ونموت . (وما يهلكنا الا الدهر) أي الزمان الطويل المستمر (ومالهم بذلك من علم) مستند الى عقل أو نقل أي كلام يخرج من الافواه مستند الى الاوهام (ان هم الا يظنون) ظنا مأخوذا من تقليد آباء بنوا تقليدهم على تقليد آخر ، والتقاليد اذا لم تصحب نوعا من البصيرة آل أمرها الى خيالات فارغة . (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، ما كان حجتهم) في معارضتها ورفضها (الا أن قالوا : ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) في دعوى البعث بعد الموت . ومعلوم أن ماجعلوه حجة كخيط العكبوت لأن الرسول لم يدع أنه يأتي بالبعث بعد الموت ، وانما يقول ان الله يبعثكم فصارت حجتهم داحضة ساقطة . ولذلك قال سبحانه وتعالى (قل : الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انتهاء الاجل للحياة (ثم يجمعكم الى يوم القيامة) أي فيه

(لا ريب فيه) أي في ذلك الجمع (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وذلك سهل يسير على الله • (ولله ملك السماوات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) اذ لا يبقى عندهم أية شبهة فضلا عن حجة •

(وترى كل أمة جاثية) على رُكبها أي وترى كل أمة من الامم المجموعة يوم القيامة جاثية أي جالسة على أطراف أصابع رجليها مستوفزة للحركة والسير الى حيث يساقون اليه (كل أمة تدعى الى كتابها) أي تدعى الى محل خاص يؤتى في ذلك المحل كتابها من اليمين أو الشمال أو الظهور ويقال لهم (اليوم تجزون ما كنتم تعملون • هذا) الكتاب الذي تؤتونه (كتابنا ينطق عليكم بالحق) أي يشهد عليكم بالحق (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نأمر كرام الكاتبين يستنسخون في دقائق الاعمال ما كنتم تعملونه في الدنيا وليس في ذلك شبهة قطعا • فالكتاب ينطق عليكم بالحق القويم (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي في جنته التي هي دار رحمته (ذلك هو الفوز المبين • وأما الذين كفروا) فيقال لهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم) عن استماعها وقبولها (وكنتم قوما مجرمين ؟) •

(وإذَا قِيلَ : إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ، قُلْتُمْ : ما نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إنْ نَظُنُّ إلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ ما عَمِلُوا وحَاقَ بِهِمْ ماكانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٣) وقِيلَ : اليَوْمَ نَنْسَيكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذا ، ومَأْويكُمُ النَّارُ ، وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آياتِ اللهِ هُزُواً ، وَغَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيا ، فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ولا هُمْ

يَسْتَعْتَبُونَ(٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٣٧)

قوله تعالى (واذا قيل ان وعد الله حق) أي اذا قيل ان ما وعد الله تعالى به من الامور المنتظرة التي تأتي في يوم القيامة حق (قلتم) في الجواب لعنادكم : (ما ندري ما الساعة) أي شيىء هي استغرابا واستنكارا (ان نظن الا ظنا) أي ان نظن بوجودها ووقوعها في المستقبل الا ظنا حقيرا كاد أن يلتحق بالتصورات (وما نحن بمستيقنين) لها استيقانا يكون أساسا للتقوى ومبنى للاعتراف الثابت بالساعة وما يقع فيها •

ومما ينبغي التنبيه عليه أن أمثال قوله تعالى (ان نظن الا ظنا) من استثناء المصدر التأكيدي من الفعل مشكل لانه يوجب استثناء الشيىء من نفسه أي ما ظننت الا ظننت ! وأجيب عن هذا الإشكال بأمرين :

الاول ـ تحويل المفعول المطلق التأكيدي الى النوعي بأن يقال في الآية الكريمة : للظن مراتب مختلفة بالقوة والضعف ويراد من المصدر مرتبة مخصوصة مناسبة للمقام فيكون المعنى ما ظننا أو ما نظن بالساعة آتية الا ظنا ضعيفا حقيرا كما مر آنفا • فيكون هذا المستثنى مرتبة واحدة من مراتب المستثنى منه •

والثاني ـ أن يقال ما دام سياق كلام المتكلم على تأكيد تحقق الظن يؤول نظن بنعتقد أي ما نعتقد بالساعة الا اعتقاد الظن بالمعنى العام الشامل لما عدا اليقين ، وما نحن بمستيقنين للساعة ، وعلى اليقين يبنى الاعتراف بالساعة وما فيها • ويؤول نحو ما ضربت الا ضربا بما فعلت شيئا الا ضربا وهكذا •

(وبدا لهم) أي وظهر لهم حينئذ (سيئات ما عملوا) في الدنيا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون) أي وأحاط بهم جزاء استهزائهم في الدنيا بوعود الباري سبحانه وتعالى (وقيل : اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم) أي نترككم في العذاب كما تركتم أسباب حصول لقاء يومكم هذا (ومأويكم النار وما لكم من ناصرين) ينصرونكم ويدفعون عنكم العذاب (ذلكم) العذاب (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) أي مهزوءً به (وغرتكم الحياة الدنيا ، فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يُستعتبون) أي لا يطلب منهم ارضاء الباري لانه قد ولى زمان التوبة وارضاء البارى تعالى (فلله الحمد رب السماوات ورب الارض رب العالمين) تقديم الخبر للحصر وعلة اختصاص الحمد به تعالى على كل الفقرات أن الكل نعمة منه تعالى • والاول أنه رب السماوات التي ينزل منها المطر الذي من اسباب الارزاق • والثاني أنه رب الارض التي استقر عليها الحامد أيا كان • والثالث أنه مصدر الخيرات والنعم الكثيرة وأهمها أنه رب حبيبه محمد الذي أرسله رحمة للعالمين (وله الكبرياء في السماوات والارض ، وهو العزيز الحكيم) والكبرياء العظمة والملك • وقال الراغب : الترفع عن الانقياد • ووجه تخصيص الكبرياء بالأمرين ظهور آثاره فيهما • ونسأله أن يسترنا بستار كبريائه عن الابتلاء بشر أعدائه ، وأن يتغمدنا برحمته وآلائه انه سميع قريب مجيب •

الجزء السادس والعشرون

سورة الاحقاف ، مكية وآياتها خمس وثلاثون
نزلت بعد الجاثية

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم(١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(٢) ما خَلَقْنَا السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ(٣) قُلْ : أَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ؟ أروني ماذا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ ، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمواتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هذا أَو أَثارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ الى يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَهُمْ عَنْ دُعائِهِمْ غافِلُونَ ؟(٥) وَإِذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا لَهُمْ أَعْداءً وَكانُوا بِعِبادَتِهِمْ كافِرِينَ)(٦)

قوله (حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه ما في نظائره (ما خلقنا السماوات والارض وما بينهما) من المخلوقات المكشوفة لحد الآن أو غير المكشوفة (إلا) خلقا متلبسا (بـ) رعاية (الحق) العدل

والحكمة ، ومن الحكمة الاعتراف بخالقها المسيطر على الوجود والفياض بالجود (والذين كفروا) بالله وصفاته وآثاره المستندة اليه (عما أنذروا) به (معرضون) فان الكافر بالذات كافر بالصفات وبالآثار في الكائنات وبطبيعة كفرهم يُعرِضون عن كل ما أنذروا به من البعث للحساب والميزان ودخول النار أو الجنة مع الابرار الى غير ذلك من الامور التي وردت بها الآيات (قل) يا رسولي لهم توبيخا (أرأيتم) أيها المشركون (ما تدعون من دون الله ؟) من الاصنام والنار وسائر المعبودات الباطلة (ماذا خلقوا من الارض) ترابها أو أحجارها معادنها أو نباتها أو حيوانها (أم لهم شرك في السماوات ؟) أضرب عما تقدم في الارض هل لهم نصيب مع الله سبحانه في السماوات ذواتها الاثيرية الخالصة أو كواكبها الدرية الثابتة أو السيارة ، أو ما في أي كوكب منها من الاجزاء النافعة والنابعة (ائتوني) ان كنتم على بصيرة في أمركم (بكتاب من قبل هذا) القرآن الناطق بالتوحيد فيه ماتدعون، أو ان لم يكن لكم كتاب فأتونى (بأثارة من علم) أي بقايا من علم العلماء والحكماء السابقين تعتمدون عليه فيما تتوجهون اليه من الإشراك (ان كنتم صادقين) في مبادئكم ومقاصدكم ، فإن الإنسان الصادق مع نفسه أو غيره يجب أن يعتمد في اعتقاده وأقواله وأفعاله على نقل مستقيم أو علم من عقل سليم والا فهو مريض سقيم ، وكل ما يدعيه عاطل عقيم .

واذا علمنا أنه ما عندهم مدرك من المعقول والمنقول فاعلموا أنهم أهل ضلالة لا ضلالة فوقها (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) في مطلب ولا يؤويه في مهرب من يومنا هذا (الى يوم القيامة و) الحال أن (هم) أي الذين يدعونهم (عن دعائهم غافلون ؟) لا يسمعون ولا يبصرون ولا يفهمون ولا يعقلون . وهذا الذي ذكرنا من أحوال شركائهم في الدنيا (واذا حشر الناس) عند قيام الساعة (كانوا) أي الشركاء المعبودون (لهم)

أي للمشركين العابدين كافرين مكذبين (أعداء) ألداء (وكانوا بعبادتهم) لهم (كافرين) منكرين مكذبين • قالوا لهم : ماعبدتمونا وانما عبدتم النفس والشيطان والهوى ، وما كنا طالبين منكم أي تذلل وسجود •

(وَاِذا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الَّذينَ كَفَروا لِلْحَقِّ ، لما جاءَهُمْ ، : هذا سِحْرٌ مُبِينٌ(٧) أَمْ يَقُولُونَ : افْتَرَيهُ ؟ قُلْ : اِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لي مِنَ اللهِ شَيْئاً ، هو أَعْلَمُ بِما تُفِيضُونَ فيهِ ، كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ(٨) قُلْ : ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ ، وَما أَدْرِي ما يُفْعَلُ بي وَلا بِكُمْ ، اِنْ أَتَّبِعُ إلاّ ما يوحى إليَّ ، وما أَنَا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ(٩) قُلْ : أَرَأَيْتُمْ اِنْ كانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُم بِهِ ، وَشَهِدَ شاهِدٌ مِن بَنِي اِسْرائيلَ عَلى مِثْلِهِ فآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ؟ اِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمِينَ(١٠) وَقالَ الَّذينَ كَفَروا لِلَّذينَ آمَنُوا : لَو كان خَيْراً ما سَبَقُونا إِلَيْهِ ، وَاِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ : هذا اِفْكٌ قَدِيمٌ(١١) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ موسى إماماً ورَحْمَةً ، وهذا كِتابٌ مُصَدِّقٌ لِساناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وبُشْرى للمُحْسِنِين)(١٢)

قوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي واضحات وموضحات للطريق (قال الذين كفروا للحق) أي في رد ذلك الحق (لما جاءهم : هذا سحر مبين) أي ظاهر لا شك في كونه سحرا • وانما قالوا ذلك لانهم لما عجزوا عن معارضته وهم من العرب العرباء ظنوا أن ذلك مقرون بسر مانع

للناس عن مقابلته ، وهذا أيضا يدل على جهلهم بالحقائق ، والا كان الاقرب الى العقل أن يتفكروا في أسلوبه المخالف لاسلوب كلام الناس ، وبذلك كانوا يصلون الى الايمان بأنه كلام الله تعالى (أم يقولون افتريه) أي كذب على الله (قل : ان افتريته) على الفرض والتقدير (فلا تملكون لي من الله شيئا) أي فان الله يعاقبني على افترائي عليه كما قال سبحانه وتعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين وما منكم من أحد عنه حاجزين) واذا عاقبني فلا طاقة لكم على الدفاع عني وترونني من الهالكين أمامكم ، فكيف أنا مع علمي بذلك أتجاسر على الافتراء على الله ؟ ولما ردهم وعارضهم بذلك قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) بالذي تخوضون فيه من القدح في ذاتي وفيما يوحى الى من كلامه ، ولا شك أن الله لا يهملكم وان امهلكم مدة من الزمان (كفى به) أي بالله العليم (شهيدا بيني وبينكم) حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ والبيان ، وعليكم بالكذب والعناد والكفران (وهو الغفور الرحيم) لكم اذا تبتم ورجعتم اليه •

(قل) يا رسولي لهم : (ماكنت) أنا (بدعا من الرسل) أي شخصا مبتدعا مخالفا لسيرتهم وأعمالهم وآمالهم وآدابهم فقد سمعتم أنه جاء الرسل ، وأوضحوا السبل ، وبلغوا للكل حسب نطاق رسالتهم ، وأنا جئتكم على ذلك المنهاج أبلغكم رسالة ربي أن آمنوا به ووحدوه واعبدوه (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) في الدارين على التفصيل وان اخبرت من الله تعالى بأني وأصحابي منتصرون ، وأن نور الله يتم ولو كره الكافرون ، وأننا ندخل الجنة في الآخرة ، وأن الكافرين هم أصحاب النار (ان اتبع) في أعمالي وحركاتي (الا ما يوحى الي ، وما أنا الا نذير) لاهل العصيان بالعقاب ، ولاهل الطاعة بالثواب ، وانذاري وتبشيري وارد حسب الوحي المبين •

(قل : أرأيتم ان كان) أي ما يوحى الي (من عند الله) ولم يكن سحرا ولا مفترى (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) أي على مثل ما أوحي الي من القرآن حسب ما أخذه من التوراة من التوحيد وبعث الرسول العربي في آخر الزمان ، وأنه خاتم النبيين (فآمن) أي بما أوحي إلي مع أنه ليس من قومي (واستكبرتم ؟) أنتم وكفرتم به مع أنكم من قومي وبني جلدتي . وجواب الشرط وهو ألا يتبين أنكم قوم ظالمون محذوف بقرينة قوله (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) .

(وقال الذين كفروا) أي كفار مكة أي في شأنهم ولاجلهم : (لو كان خيرا ماسبقونا اليه) أي لو كان ما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حقا وسعادة للبشر وسائر المكلفين ما سبقونا اليه أي ما سبقنا محمد وأتباعه اليه ، ولا يعلمون أن الملازمة في كلامهم ممنوعة لان الخير من الرسالة وغيرها عائد الى الله وفي تصرفه . وهو أعلم حيث يجعل رسالته والقرآن والدين خير ، ويختص به محمدا وأتباعه ولا يؤتيه من عاند الحق وأشياعه (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن (فسيقولون : هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة) أي أن الكفار المشركين يعاندون الحق من التاريخ الثابت ويعتبرون دعوى الوحي والرسالة افكا قديما وكذبا دارجا في العهود السابقة مع أنهم يعلمون علما قطعيا أنه كان كتاب موسى وهو التوراة من قبل القرآن الكريم والناس يعلمون أنه كان لذلك الكتاب دور مهم في العالم ، وكان موسى اماما للمهتدين ورحمة لاهل الدين كما كان كتابه اماما لسائر الكتب النازلة بعده ورحمة للمسلمين في عهده . وهذا أمر محقق لا ينكره الا المعاندون (وهذا) القرآن الذي نزل ويقولون في شأنه انه كذب مفترى كلام صدق وحق و (كتاب مصدق) لكتاب موسى وسائر الكتب (لسانا عربيا) أي ذا لسان عربي (لينذر الذين ظلموا) أنفسهم بالاشراك بربهم وظلموا

الكعبة الشريفة بتحويلها من بيت التوحيد الى بيت الاشراك، وظلموا الناس لمنعهم عن الاهتداء بالدين المبين، ومع ذلك كله فهو (و بشرى للمحسنين) الى أنفسهم بالتوحيد والى الناس بنشر الدين المجيد •

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا : رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٤) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً : حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً ؛ وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ؛ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؛ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَ : رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ؛ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ، وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ(١٦) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ : أُفٍّ لَكُمَا ! أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ، وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ؟ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ : وَيْلَكَ آمِنْ ! إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ : مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ(١٨) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا ، وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ)(١٩)

قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) اي ان الذين جمعوا بين الاعتقاد السليم والدوام على ذلك الاعتقاد مع الاعمال الصالحة (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوت محبوب بمعناه ان العباد المؤمنين المستقيمين على الحق تأتيهم البشرى عند الموت بالعافية في العاقبة فلا يرد عليهم بعد ذلك خوف من المحاذير المستقبلة ولا حزن على فائت ، لانهم يستغنون بهذه البشارة ويكتفون بها (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء) أي يجزون جزاء (بما كانوا يعملون) من الحسنات الاعتقادية والعملية .

(ووصينا الانسان بوالديه احسانا ، حملته أمه كرها) أي حملا ذا كره ومشقة وتعب (ووضعته كرها) أي وضعا ذا كره ومشقة وألم (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) منها أربعة وعشرون شهرا للرضاع لقوله تعالى : (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) (حتى اذا بلغ أشده) أي فعاش واستمر حتى اذا بلغ واكتهل وبلغ أربعين سنة (قال : رب أوزعني) أي وفقني ورغبني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ ، وأن أعمل صالحا ترضاه ، وأصلح لي في ذريتي) أي اجعل الصلاح ساريا مستمرا في ذريتي (اني تبت اليك) عما لا ترضاه (واني من المسلمين . أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات (وتتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة ، وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) على لسان الرسول . والآيتان نزلتا في شأن أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ .

(والذي قال لوالديه) عند دعوتهما له الى الايمان (أفّ لكما) اسم مبني على الكسر مبتدأ ولكما خبر ، وأف اسم صوت يصدر عن الانسان عند تضجره (أتعدانني) اتعطيانني الوعد (أن أخرج) من القبر بعد الموت (وقد خلت القرون من قبلي) أي مضت القرون ولم يخرج واحد منهم منه

(وهما يستغيثان الله) أي يقولان الغياث بالله تعالى منك ، ومن كلامك ، قائلين له : (ويلك آمن !) وأصل ويل الدعاء بالثبور يقام مقام الحث والترغيب على الفعل المقصود للمتكلم ، أي خذ ويلك ان لم تفعل ، وآمن فعل أمر من آمن يؤمن ايمانا مشتق من تؤمن بحذف حرف المضارعة ، واعادة همزة القطع المحذوفة وتخفيف الهمزة الثانية بقلبها ألفا وبنائها على السكون (ان وعد الله) أي بالبعث بعد الموت (حق فيقول : ماهذا الا أساطير الاولين • أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) الكافرين (إنهم كانوا خاسرين• ولكل درجات مما عملوا) أي ولكل من الفريقين درجات مما عملوا من النبيين الى الصديقين الى الشهداء والى الصالحين • وكذا لأهل الكفر دَرَكات في جزاء كفرهم وجزاء ما عملوا ، فالكفر قدر مشترك ، وأما باقي الاعمال السيئة فلها حساب ، فعذاب الكافر المستور في زاوية تخالف جزاء كافر داعٍ الى الفساد ، داعٍ للباطل ، حيال على الامم ، دساس على البلاد والعباد ، يُعذب الناس أشد التعذيب ، ويخرب البلاد أقسى تخريب • وكل من أفراد الكافرين أيّ مقدار من العذاب قرر له لا يخفف ذلك عنه قليلا أو كثيرا (وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون) بنقص ثواب لمن أثيب أو زيادة عذاب لمن عذب وهو الحكم بل أحكمُ الحاكمين •

(وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ : أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ(٢٠) وَاذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقافِ ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ

يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ : أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ اللهَ إنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(٢١) قالُوا : أَجِئْتَنا لِتَأْفِكَنا عَنْ آلِهَتِنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ(٢٢) قالَ : إنَّما العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وأُبَلِّغُكُمْ ما أُرْسِلْتُ بِهِ ، ولكنِّي أَرَيكُمْ قَوماً تَجْهَلُونَ(٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا: هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا ، بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ : رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ(٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّها ، فَأَصْبَحُوا لا يُرى إلاَّ مَساكِنُهُمْ ، كَذلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمينَ(٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنّاهُمْ فِيما إنْ مَكَّنّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وأَبْصاراً وأَفْئِدَةً ، فَمَا أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ ، إذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ(٢٦) وَلَقَدْ أَهْلَكْنا ما حَوْلَكُمْ مِنَ القُرى ، وَصَرَّفْنا الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(٢٧) فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْباناً آلِهَةً ، بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ، وَذلِكَ إفْكُهُمْ وَما كانُوا يَفْتَرُونَ)(٢٨)

قوله تعالى : (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أي اذكر يوم يعذب الذين كفروا بالنار : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) أي فيقال لهم في مقام اللوم والتوبيخ على غفلتهم عن الآخرة : أذهبتم حصتكم من الطيبات في حياتكم الدنيا لانكم استوفيتموها وما تركتم مشتهى الا وأخذتم منه شيئا (واستمتعتم بها) فلم يبق لكم منها للآخرة (فاليوم تجزون عذاب

الهون) أي عذابا هو الهوان والحقارة والذل (بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أي تخرجون من طاعة الله أي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين ٠

(واذكر) لكفار مكة (أخا عاد) وهو هود ـ عليه السلام ـ (إذ أنذر قومه بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل فيه اعوجاج يقال : إحقوقف الشيىء اذا اعوج ، وكانوا بدويين بين اصحاب خباء وعمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر من بلاد اليمن (وقد خلت النذر) أي الرسل (من بين يديه) أي من قبله ـ عليه السلام ـ (ومن خلفه) فقد كان قبله نوح وبعده صالح ـ عليهما السلام ـ قائلا لهم (ألا تعبدوا الا الله ، إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ٠ قالوا : أجئتنا لتأفكنا) أي لتقلبنا وتحولنا (عن) عبادة (آلهتنا) الاصنام (فأتنا بما تعدنا) من معاجلة العذاب (ان كنت من الصادقين) في وعيدك وتهديدك لنا بنزوله اذا بقينا على الاشراك (قال) هود : (انما العلم) أي بوقت نزول العذاب (عند الله) وحده لا علم لي بذلك (ولكني أراكم قوما تجهلون) ومن أدلة ذلك أنكم تستعجلون عليّ ما ليس من شأني ولا قدرة لي عليه ولا ادعيته ٠

وقوله (فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم) أي فأتاهم العذاب فلما راوه عارضا أي سحابا مستقبل أوديتهم أي متوجه أوديتهم (قالوا : هذا عارض ممطرنا) ولنا فيه منفعة (بل هو ما استعجلتم به) من العذاب (ريح فيها عذاب أليم ٠ تدمر كل شيىء) من الخيام والبيوت والأعمدة المستحكمة (بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم (كذلك نجزي القوم المجرمين ولقد مكناهم) أي قررنا وأحكمنا قوم عاد (فيما إن مكناكم فيه) أي في شيىء من القوة والسلطة والنفوذ ما

مكناكم فيه يا قوم قريش ، فأنتم في الثرى وهم في الثريا ، فإن معيشتكم على كدّ الأكتاف ، وتجارة الأطراف ، والبيوع والاستسلاف ، وليس لكم إدارة ولا مَلِك من الأشراف ، وهم كانوا دولة عادية يمنية ترضخ لها الأطراف والأكناف ، وكانوا مسيطرين على البحر عند جنوب اليمن ، وكان لهم نفوذ على البحر ، وكانوا أهل عمارات لم يخلق مثلها في البلاد (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) أي كانوا أهل شعور وإحساس وإدراك يستفيدون من النظر العقلي كما استفادوا من المشاعر والحواس (فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا به يستهزءون) أي وأحاط بهم جزاء إنكار حق والهزء بحق من الرسالة والقرآن وأحكامه كانوا به يستهزءون •

(ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) كحجر ثمود ، وقرى قوم لوط ، ومدين شعيب وسائر القرى التي تمرد فيها سكانها (وصرفنا الآيات) أي كررناها وغيرناها وبدلنا آية بآية (لعلهم يرجعون • فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله) أي فهلا نصرهم أولئك الأصنام التي اتخذوها من دون الله (قرباناً آلهة) أي آلهة متقرّبا بها الى الله (بل ضلوا عنهم) أي بل فقدوهم فلم يبق أثر (وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) أي ضلال آلهتهم عنهم اثر افكهم وافترائهم •

(وَإِذْ صَرَفْنا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ؛ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالُوا : أَنْصِتُوا ، فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قالوا : يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللهِ ،

وآمِنوا بِهِ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، ويُجِرْكُمْ مِنْ عذَابٍ أَلِيمٍ(٣١) وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ ، ولَيْسَ لَهُ مِنْ دونِهِ أَوْلِياءُ ، أولئكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ(٣٢) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى ؟ بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ : أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ ؟ قالُوا : بَلَى وَرَبِّنا ، قالَ : فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(٣٤) فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ، وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ ساعَةً مِنْ نَهارٍ ، بَلاغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ ؟)(٣٥)

قوله تعالى (وإذ صَرَفنا إليك) أي وَجَّهْنا إليكَ وَأَمَلْناهُم ورغبناهم في الاقتراب منك والاستماع لما أوحي إليك من القرآن والانتفاع به (نفرا من الجن) أي جمعا منهم ٠ والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة ٠ والنفر من النفير أي الخروج إلى المهمات ، فإن القوم إذا داهمهم أمر خطير خرج جمع منهم للمدافعة والمكافحة ٠ والجن أمة خلقها الله تعالى قبل الإنسان ، وأبوهم (الجان) خلق من مادة نارية أي أكثر عناصرها النار ، وهم جسم لطيف يقبل التشكل بأشكال مختلفة يتوالدون ويتناسلون ، وأرسل إليهم الرسل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وإرساله إليهم معلوم من الدين بالضرورة وإنكار ذلك كفر واضح ، ومنهم المؤمن والكافر ٠ ومن المؤمنين أمثال ما في البشر من الأولياء والصالحين والعلماء العاملين ، كما أن منهم العامة الفسقة ٠ ومن الكافرين فئة متمردة يسمّون بالشياطين ٠ وإن

الشيطان المعروف بالمنكرات منهم ، ولقب بإبليس لأن من شأنه الإغواء والتلبيس للباطل بالحق والحق بالباطل .

وفي القرآن الكريم ذكرهم في عدة مواضع ، وفي سورة الجن ذكر دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لهم إلى الإسلام ، وقد آمن به كثير ، وكالانس منهم المؤمن ومنهم الكافر قال تعالى : (وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وأن ذلك النفر كانوا من جن نينوى أو نصيبين في ديار بكر جاءوا إليه بوادي النخلة على مسافة ليلة من مكة المكرمة . فقد أخرج أحمد وعبد بن حميد والشيخان والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن عباس قال : انطلق النبي صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ؟ فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو وأصحابه بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو عليه الصلاة والسلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له هذا والله للذي حال بيننا وبين خبر السماء . فهنالك حين رجعوا إلى قومهم .

وفي رواية ابن المنذر عن عبدالملك : أنهم (لما حضروه قالوا : أنصتوا ، فلما قضي) وفرغ صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح (ولّوا إلى قومهم منذرين) مؤمنين لم يشعر بهم حتى نزل (قل أوحي) إلى (أنه استمع نفر من الجن) وأولئك النفر كانوا سبعة ولما ولوا منذرين إلى قومهم جاءوا وافدين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثمائة ، فانتهوا إلى الحجُون فجاء واحد منهم واسمه الأحقب فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

إن قومنا قد حضروا الحجون يلقونك فواعده رسول الله صلى الله عليه وسلم لساعة من الليل بالحجون .

وفي وفادة الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روايات . وذكر الشهاب الخفاجي أنه قد دلت الأحاديث على أن وفادة الجن كانت ست مرات ويجمع بذلك اختلاف الروايات في عددهم وفي غير ذلك . وقوله تعالى (يستمعون القرآن) أي قراءته صلى الله عليه وسلم للقرآن في صلاة الصبح كما ذكرنا (فلما حضروه قالوا : أنصتوا) أي فلما حضروا قراءته للقرآن قال بعضهم لبعض : أنصتوا أي اسكتوا لسماعه (فلما قضي) أي تم وفرغ صلى الله عليه وسلم عن قراءته (ولّوا إلى قومهم منذرين) أي مقدرين إنذارهم لهم عند وصولهم إليهم . ولما وصلوا (قالوا : يا قومنا أجيبوا داعي الله) أرادوا به ما سمعوه من القرآن والداعي إلى الله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وبما جاء به من عند الله تعالى واعملوا به (يغفر لكم من ذنوبكم ، ويجركم من عذاب أليم . ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء) ينصرونه من العذاب (أولئك في ضلال مبين ، أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعْيَ) أي لم يتعب (بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير) وبكل شيء خبير بصير .

(ويوم يعرض الذين كفروا على النار قال : أليس هذا بالحق ؟) أي ليس هذا العرض على النار المعدة للعذاب حقاً ؟ (قالوا : بلى وربنا) تصديق بحقيقته (قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) أي بسبب استمراركم على الكفر في الدنيا (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر أي إذا كان الإرشاد لا ينفع أهل العناد فاصبر على ما يصيبك من جهتهم ليزداد أجرك عند الله كما صبر أولو العزم من

الرسل للغاية عينها • والعزم يطلق على الجد والاجتهاد في الشيء وعلى الصبر عليه • واختلف في عدتهم وتعيينهم على أقوال فقال الحسن بن الفضل ثمانية عشر وهم المذكورون في سورة الأنعام لأنه سبحانه وتعالى قال بعد ذكرهم (فبهداهم اقتده) وقيل : تسعة نوح لصبره على أذى قومه طويلا ، وإبراهيم لصبره على الإلقاء في النار ، وإسماعيل لصبره على الذبح ، ويعقوب لصبره على فقد يوسف ، ويوسف لصبره على البئر والسجن ، وأيوب لصبره على البلاء ، وموسى لصبره على إلحاح قومه القائلين إنا لمدركون فقال إن معي ربي سيهدين ، وداود لصبره واستقامته على حرب أعدائه ، وعيسى لصبره على أذى اليهود حتى أرادوا صلبه فرفعه الله تعالى •

وقال الجلال السيوطي : الاصح أنهم خمسة : نوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ــ عليهم الصلاة والسلام ــ •

(ولا تستعجل لهم) أي لكفار مكة (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) أي من العذاب (لم يلبثوا) أي في الدنيا (الا ساعة من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب (بلاغ) أي هذا الذي يجب عليك هو البلاغ أي وصول القرآن الى المكلفين وقد بلغت بالحق (فهل يهلك الا القوم الفاسقون ؟) الخارجون عن اطاعة الله تعالى ورسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ •

جاء في بعض الآثار أن هذه الآية لها خاصية في قضاء الحوائج • أخرج الطبراني في الدعاء عن أنس عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : اذا طلبت حاجة وأحببت أن تنجح فقل : لا اله الا الله وحده لا شريك له العلي العظيم ، لا اله الا الله وحده لا شريك له الحليم الكريم ، بسم الله الذي لا اله الا هو الحي الحليم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها • كأنهم يوم

يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون • أللهم اني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بِرٍّ ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، أللهم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا دينا الا قضيته ، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة الا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين • وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وأتباعه بإحسان الى يوم الدين • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

سورة محمد ، مدنية وآياتها ثمان وثلاثون
نزلت بعد سورة الحديد

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَآمَنُوا بما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّآتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ ، وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ)(٣)

هذه السورة مدنية الا آية (وكأين من قرية) الى آخرها ، فانها نزلت بعد أن خرج ــ صلى الله عليه وسلم ــ من مكة الى الغار وتأسف على فراقها .

وقوله تعالى (الذين كفروا) أي الذين أعرضوا عن الإسلام (وصدوا) الناس بقدر امكانهم (عن) سلوك (سبيل الله) وهو الذي جاء به محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ (أضل أعمالهم) أي جعلها ضائعة غير مفيدة كمن

ضاع في مفازة لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنوا بالله وعملوا الصالحات (وآمنوا بما نزل على محمد) من القرآن وخصه بالذكر مع اندراجه في الايمان بالله بناء على أن الايمان به كان بسبب دعوة الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ اهتماما بمقامه وتنويها بشأنه الشريف ، ويؤكده قوله تعالى (وهو الحق من ربهم) والموصول مبتدأ وخبره (كفر عنهم سيآتهم) أي سترها بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أي حالهم في الدارين ، أما في الدنيا فبالبصيرة الحاصلة له من التزام نظام الحق ، وأما في الآخرة فبالخلود في الجنة والرضوان (ذلك) الأمر المذكور من اختصاص كل من الفريقين بما خص به (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) وهو سيرة الهوى (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق) النازل (من ربهم) وهو القرآن الكريم الهادي الى الصراط المستقيم • (كذلك) أي مثل ذلك الذكر الوارد هنا (يضرب الله للناس امثالهم) أي يذكر الله للناس أحوالهم ومآلهم •

(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ ، وَإِمَّا فِدَاءً ، حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ، ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ، وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) (٨)

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يعني بعد أن ظهر لكم حال المؤمنين ورشادهم وحال الكافرين وعنادهم وأرادوا أن يناجزوكم ، فإذا لقيتم الذين كفروا وهم مستعدون لضربكم فضرب الرقاب أي فبادروا بالعمل واضربوهم ضرب الرقاب (حتى اذا أثخنتموهم) أي أكثرتم فيهم من القتل وتمكنتم من الاستيلاء عليهم (فشدوا الوثاق) أي فأسروا من بقي منهم غير مثخن ، واحفظوهم وراعوهم بالتداوي والاطعام على العادة بما في الامكان (فاما منا بعد ، واما فداء) أي فاما تمنون عليهم منا بلا شيء وتطلقون سراحهم على أن يبقوا أحرارا في ذمة المسلمين يعطون الجزية كما فعل عمر ـ رضي الله عنه ـ ذلك في أهل السواد ، إلا أسارى مشركي العرب والمرتدين ، فانهم لا يقبل منهم جزية ، ولا يجوز استرقاقهم بل الحكم فيهم اما الاسلام أو السيف ، وان اسلم الأسرى بعد الاسر فلا يجوز قتلهم لاندفاع شرهم بالاسلام ، ولكن يجوز استرقاقهم ، فان الاسلام لا ينافي الرق جزاء على الكفر الاصلي ، والحال أنه وجد بعد انعقاد سبب الملك وهو الاستيلاء . (واما) تفدون (فداء) أي تسلمونهم الى أميرهم ، أو ترجعونهم الى دارهم فدية لاجل استرجاع الاسرى المسلمين عندهم .

ويجوز أيضا اطلاق سراح الاسرى في مقابل فدية يأخذها منهم الامام حسب مصلحة المسلمين في ذلك . وكما يجوز للامام أن يبقيهم ويسترق الرجال والنساء ويقسمهم بين المحاربين يجعل الكل خمسة أقسام أربعة للمحاربين ، وقسم واحد لبيت المال على ما قسمه الله تعالى في القرآن .

ومسألة استرقاق الكافرين فرع لعادة مستمرة ابتدأت من فجر التأريخ الى عهد سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فكان الغالب من المتحاربين يسترق جانب المغلوب رجالا ونساء ، فاذا وقعت أية أمرأة في سهم أي محارب تكون مملوكة له ملك اليمين ، ويجوز له أن يعتقها ثم يتزوجها كسائر الحرائر

ويكون لها نكاح وطلاق على الاصول • ويجوز أن لا يتزوجها بل يجامعها بقوة ملك اليمين ، لان الله جعل نكاحها في تملكها كما جعل نكاح الحرائر بالتلفظ بالإيجاب والقبول والشهود والصداق للمرأة • ولما جاء دور الاسلام ما كان ممكنا ابطال هذه القاعدة المقررة من قديم الزمان والغاؤها حيث كان هناك عبيد وجوار للمالكين يعيشون في البيوت كأفراد العائلة وطردهم عنها ليكتسبوا ويعيشوا بأنفسهم كان في ذلك العصر جد عسير عليهم • لكن الاسلام قرر لعتقهم واطلاق سراحهم ليعيشوا احرارا ستة وثلاثين أصلا شرعيا •

منها : عتق الرقبة في كفارة اليمين ، وفي كفارة الظهار ، وفي كفارة القتل، وفي كفارة الافطار بالجماع في رمضان • الى غير ذلك من الاصول يطلع عليها المراجع المتتبع للامور ومع ذلك احترمهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، أطْعِمُوهم مما تطعمون واكسوهم مما تكسون ، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فان كلفتموهم فأعينوهم » وأعتقد أنه لو بقي الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى عمر سبعين كان يؤول الامر الى زوال الرق الا ما شذ •

وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) غاية للمقررات السابقة ، والأوزار بمعنى وزر بمعنى الثقل ، والمقصود حتى تنتهي الحرب ، وأهمل استعمال آلاتها (ذلك) أي الامر ذلك الذي نزل (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي لانتقم من الكافرين بإبادتهم بدون حرب (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) اي ولكن أمركم بالقتال ليختبر بعضكم ببعض ويظهر من الذي يحارب ويجاهد في سبيل اعلاء كلمة الحق ومن الذي لا يحارب أو يحارب لغاية أخرى (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أي لا يضيعها أبدا بل هي تثبت في دفتر أعمالهم ويجزون عليها في مآلهم (سيهديهم) أي سيرشدهم في دار الآخرة الى مقر استراحتهم ونيل ثوابهم (ويصلح بالهم)

أي شأنهم بإعلان كرامتهم (ويدخلهم الجنة) المخصوصة المهيأة لهم و (عرفها لهم) أي يجعل عليها علامات واضحة بحيث يعرف كل محله ومنزله .

(يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) وتجتهدوا وتجاهدوا في سبيل اعلاء كلمته (ينصركم) على أعدائكم بالتوفيق على اعداد العدة ، واتحاد الكلمة ، واطاعة أولي الامر ، وتحقيق المشورة في المخاطر ، وخلق المشاكل لدى أعدائكم ، وتشتيت قلوبهم ، وتضعيف كروبهم (ويثبت أقدامكم) عند اللقاء فتكونون كالحديد المغروز في الارض ولا تتزلزون أمام الاعداء ولا تهتمون بما تسمعون من أسباب الخذل وضعف الهمة حتى تنالوا احدى الحسنيين . (والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم) والتعس الهلاك ، وانتصابه على المصدرية لفعل محذوف واجب الحذف لانه للدعاء كسقيا ورعيا، أي فتعسوا تعسا لهم أي فهلكوا هلاكا لائقا بهم .

(ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللهُ ، فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (٩) أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكافِرِينَ أَمْثالُها (١٠) ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ (١١) إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحاتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ ، والنّارُ مَثْوىً لَهُمْ (١٢) وكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ، أَهْلَكْناهُمْ فَلا ناصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا

أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿١٥﴾ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾

(ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي ذلك الاضلال للاعمال والخزي في المآل بسبب أنهم كرهوا ما أنزل الله من القرآن وقد أنزله لارشاد العقل الى السعادة (فأحبط) الله جزاء لهم (أعمالهم) ثم أخذ الباري على لطفه الجاري ينصحهم ويقول : (أفلم يسيروا في الارض) أي أرض ديار العرب حواليهم (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم الفاسدة الكارهة لدين الله (دمر الله عليهم) أي دمر الله دورهم عليهم (وللكافرين) الناهجين منهجهم (أمثالها ذلك) الامر المنتج لنتيجة الفرق بين الفريقين (بأن الله مولى الذين آمنوا ، وأن الكافرين لا مولى لهم) فينصرهم ويدفع ما حل بهم •

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ، والذين كفروا يتمتعون) بمتاع الدنيا بلا مراعاة للآخرة (ويأكلون كما تأكل الانعام) من الاشواك والاوراد ، ومن الانجاس والاقذار ، ومن الكسب والغصب ، ولا ينظرون الى الحق ، ولا يتبعون ما أنزل الله فعاقبتهم العذاب (والنار مثوى لهم) أي موضع اقامة لهم يقيمون فيها مع العذاب الذي أعد لهم حسب ما تناسب النفوس الشريرة وتكفيها (وكأين من قرية) ظالمة (هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)

وستكون عاقبة أهل قريتك كعاقبة أهالي تلك القرى إذا لم يرجعوا الى ربهم ومولاهم .

(أفمن كان على بينة من ربه) أي فمن كان على شهود عدول تشهد بحقية اعتقاده وعمله وتلك الشهود جاءته من ربه كالآيات النازلة من الله على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كمن زين له) من النفس وهواها والشيطان الذي أغواها (سوء عمله) من الإشراك والفسوق وما والاها فاستمروا في اتباع شهواتهم (واتبعوا أهواءهم) وجواب الاستفهام موكول الى أولى الافهام ، وهو أنه ليس بين الفريقين الا كما بين المشرقين ، أولئك الأولون من صفوة المختار وأولئك الآخرون من شر الأشرار ، ولذلك يجزى الاولون بالجنة والاخرون بالنار (مثل الجنة التي وعد المتقون) أنها جنة (فيها أنهار من ماء غير آسن) لم يتغير لا طعمه ولا لونه ولا ريحه (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لم يحمض ولم يصر قارصا شديد الحموضة ، ولا حاذرا أي فوق الحامض (وأنهار من خمر لذة للشاربين) بلا ذهاب عقل ولا صداع ولا غول ولا تأليم ولا تأثيم (وأنهار من عسل مصفى) من الشمع وفضلات النحل وغيرها (ولهم فيها) أي في الجنة (من كل الثمرات) أي كل فرد من كل صنفٍ من كل نوعٍ من الثمرات (ومغفرة) أي ولهم فوق هذه الامور المادية مغفرة من ربهم أي نعومة ولطافة حاصلة (من) مغفرة (ربهم) وقوله (كمن هو خالد في النار) خبر لمبتدأ محذوف أي أمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار (وسقوا ماءً حميما) أي حارا (فقطع امعاءهم ؟) من فرط الحرارة . قلنا في الجواب : لا .

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ : مَاذَا قَالَ آنِفاً ؟ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٦)

وَالَّذِينَ اهْتَدَوا زادَهُمْ هُدىً وَآتيهُمْ تَقْويهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ؟ فَقَدْ جاءَ أَشْراطُها ، فَأَنَّى لَهُمْ إِذا جاءَتهُمْ ذِكريهُمْ ؟(١٨) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبكُمْ وَمَثْويكُمْ)(١٩)

قوله تعالى (ومنهم من يستمع إليك) استئناف لبيان أحوال بعض من المنافقين فيقول : ومنهم من يستمع اليك ، ولكن لا يهتم به ولا يريد أن يستمع استماع فهم وقبول ، (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من باب الاسلام أو من استماع كلامه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (ماذا قال آنفا ؟) أي قبيل هذه الدقيقة ، وليس مقصوده من هذا السؤال فهم المقال بل أراد التحقير والاستهزاء بكلامه (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم • والذين اهتدوا) الى طريق الحق (زادهم) الله (هدى) اليه (وآتيهم تقويهم) أي وآتاهم سكينة تحملهم على تقويهم (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أي مفاجأة (فقد جاء أشراطها) من بعث الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبي آخر الزمان وانشقاق القمر •

(فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) أي فأنى لهم ذكراهم ، وكيف يحصل لهم التذكر والندم اذا باغتتهم أي لو كانت عندهم بصيرة لتوجهوا الى الله وآمنوا به وبرسوله قبل أن يأتيهم الموت وأنى لهم ذلك ؟

وللعلماء في أشراط الساعة كتب مختصرة ومطولة • وثبت من قوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه لا تتحقق الساعة حتى تظهر كبريات الآيات منها : الدخان ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى ــ عليه السلام ــ ، وظهور

المهدي ، وخروج الدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، وقلة العلم والحياء ، وكثرة الجور والهرج والفوضى .. ولكن الامر الذي يطمئن له القلب في قرب وقوعها ما روي أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ خطب أصحابه بعد العصر حين كادت الشمس تغرب ولم يبق منها الا أسف أي شيىء قليل فقال : « والذي نفس محمد بيده ما مثل ما مضى من الدنيا فيما بقى منها الا مثل ما مضى من يومكم هذا فيما بقى منه ، وما بقى منه الا اليسير » وهذه النسبة المفهومة هنا لا تتحد الا اذا تحددت مدتها من الاول ، فالعلم بحلولها عند الله العليم الخبير . غير أنا نعلم أن هذه الاضطرابات والتزلزل لقواعد الدين الموجودة من كل الوجوه في عصرنا الحاضر تهدد بأن الساعة قريبة جدا والله أعلم .

(فاعلم أنه لا اله الا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) أي واثبت على العلم بالتوحيد كما كنت ، واستغفر لذنبك بالنسبة الى علو مقامك من خلاف الاولى ، ولذنوب المؤمنين كيفما كانت (والله يعلم متقلبكم) في الدنيا (ومثويكم) في الآخرة .

(ويَقُولُ الَّذينَ آمَنوا : لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ! فإذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فيها الْقِتالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ ، فَأَوْلى لَهُمْ (٢٠) طاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فإذا عَزَمَ الأَمْرُ فَلوْ صَدَقوا اللهَ لَكانَ خَيراً لَهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ؟ (٢٢) أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ ، فَأَصَمَّهُمْ وأعمى أَبْصارَهُمْ) (٢٣)

قوله تعالى (ويقول الذين آمنوا) أي حرصا ورغبة في الجهاد (لولا نزلت سورة) أي هلا نزلت سورة يؤمر فيها بالجهاد (فإذا أنزلت سورة محكمة" وذكر فيها القتال) بصورة الامر به ، والمراد بقوله محكمة واضحة مبينة لا اشتباه فيها ، أو سورة ثابتة لا نسخ عليها (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي نفاق وقيل ضعف في الدين (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) أي نظر المحتضر الذي يشخص بصره (فأولى لهم ، طاعة" وقول" معروف) • في قوله تعالى فأولى لهم وجوه من المعاني ، والاحسن من بينها أن يكون أولى أفعل تفضيل ومبتدأ ولهم صلته ، واللام بمعنى الباء ، وطاعة خبرا له ، وقول خبر بعد خبر ، ومعروف صفته • أي فالاولى والاليق بأولئك الناظرين نظر المغشي عليه من الموت طاعة لله في مباشرة الجهاد ، وقول معروف مع العباد (فإذا عزم الامر) أي جد الامر وتحقق (فلو صدقوا الله) في دعاويهم ووعودهم بالجهاد (لكان خيرا لهم) ولا خير في هذه الحالة تجدونها فيهم •

ثم خاطب الباري تعالى أولئك الذين في قلوبهم مرض على طريق الالتفات فقال (فهل عسيتم ان توليتم) أمور الناس وصرتم متولين عليها (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم ؟) تكالبا على مطامع الدنيا الدنية ، أو فهل عسيتم ان توليتم أي استدبرتم عن الاسلام ورجعتم الى حالكم في الجاهلية أن تفسدوا في الارض بمنع الناس عن الاسلام وتقطعوا أرحامكم بمقاتلة الاقارب وعداء المسلمين ؟ (أولئك الذين لعنهم الله) أي أبعدهم عن رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق ورعايته (وأعمى أبصارهم) عن النظر الى الحق والعناية به •

(أفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أمْ على قُلُوبٍ أقْفالُها ؟(٢٤)
إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا على أدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى

الشَّيْطانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلى لَهُمْ (٢٥) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ : سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الْأَمْرِ ، واللهُ يَعْلَمُ إِسْرارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ ؟(٢٧) ذلك بأنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللهَ ، وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغانَهُمْ ؟(٢٩) وَلَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ ، وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ في لَحْنِ الْقَوْلِ ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ والصَّابِرِينَ ونَبْلُوَ أَخْبارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَشاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى ، لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئاً وسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ)(٣٢)

قوله تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) كلام مع أولئك الناس المرضى القلوب فيقول تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) أي لا يلاحظونه ولا يتأملون فيه وفي ما اشتمل عليه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا في ما وقعوا فيه (أم على قلوب أقفالها ؟) أي أم تدبروا ولكن لم يدخل ما افتهموه في قلوبهم لانه كانت أقفال حديدية على قلوبهم فما كانت تنفتح ولم تدخل المفاهيم فيها حتى ينتفعوا بها (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما : نزلت في منافقين كانوا أسلموا ثم نافقت قلوبهم • وقال بعض : نزلت في اليهود ارتدوا عن

الهدى بعد أن عرفوا أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبي ورسول (من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أي زين لهم ذلك الارتداد (وأملى لهم) أي ومد لهم الشيطان في الاماني والآمال (ذلك) أي الارتداد (بأنهم) أي بسبب انهم (قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) سنطيعكم في بعض الامر أي في بعض الشئون والاحوال التي ترد عليكم ونعينكم فاغتروا بذلك ولم يفدهم ما قالوه (والله يعلم اسرارهم فكيف) تكون أحوالهم (اذا توفتهم الملئكة) أي قبضت أرواحهم حالكونهم (يضربون وجوههم وادبارهم ؟) وبما أن الجملة حال والاصل فيها المقارنة يستفاد من الآية عذاب عالم البرزخ أي عالم ما بين الموت والبعث للحشر (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) من الاعتقاد الفاسد والعمل السيىء (وكرهوا رضوانه) أي ما يرضى به سبحانه وتعالى (فأحبط) الله (أعمالهم) الحسنة التي عملوها قبل الارتداد •

(أم حسب الذين في قلوبهم مرض) وهم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الفاسدة (أن لن يخرج الله أضغانهم) أم منقطعة والاخراج الابراز والاظهار • والاضغان جمع ضغن بمعنى الحقد • والمعنى بل حسب أولئك الناس المنافقون الحاقدون على الاسلام أن لن يظهر الله أحوالهم للمؤمنين ولا يكشف عن نفاقهم ويبقون متسترين (ولو شئنا لاريناكهم) أي لعرفناكهم أو لأبصرناكهم ويؤيد الاول قوله تعالى (فلعرفتهم بسيماهم) أي وكانت سيماهم تؤيد ما علمته • (ولتعرفنهم في لحن القول) جواب قسم محذوف أي والله لتعرفنهم في لحن القول أي في مفهوم كلامهم فانه كان بحيث يستفاد منه مخالفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ • أو المراد وضع التلفظ بالكلام ولهجته الخالصة (والله يعلم أعمالكم • ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد والاعمال التي فيها المشقة على النفس (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على

مشاق التكاليف والاعمال العسيرة (ونبلو أخباركم) عن الايمان وموالاة المؤمنين ومعاداتهم ، فانه اذا تتبع الانسان أخبار قوم أدرك مدى ما بينهم وبين غيرهم من الولاء أو العداء .

(إن الذين كفروا وصدوا) أي ومنعوا الناس عن سلوك (سبيل الله) وهو الاسلام (وشاقوا الرسول) أي نازعوه وصاروا في شق غير شقه وعلى سبيل غير سبيله (من بعد ما تبين لهم الهدى) لما شاهدوا من نعوته في الأسفار السابقة ومطابقة أخباره اللاحقة لها ، وظهور أخلاقه الحميدة العالية حتى شهد بحسنها الاعداء الاغبياء والاذكياء (لن يضروا الله شيئا) ولا يقدرون أن يوقفوا ركب الرسالة عن الحركة نحو الامام (وسيحبط أعمالهم) المكائد التي يكيدونها لعرقلة الحركة الدينية ، أو أعمالهم الحسنة التي عملوها قبل الارتداد عن الاصول السنية .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِين كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ ماتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ (٣٤) فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلى السَّلْمِ ، وَأَنتم الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعمالَكُمْ (٣٥) إِنَّما الحَيَاةُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْئَلْكُمْ أَمْوالَكُمْ (٣٦) إِنْ يَسْئَلْكُمُوها فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغانَكُمْ (٣٧) ها أَنْتُمْ هؤلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَمِنكُمْ مَنْ يَبْخَلُ ، وَمَنْ يَبْخَلْ فإِنَّما يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ، وَاللهُ الغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الفُقَراءُ ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثالَكُمْ)(٣٨)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم) قيل ان بني أسد أسلموا وقالوا لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد آثرناك وجئناك بنفوسنا وأهلنا كأنهم منوا بذلك فنزلت فيهم هذه الآية . وقوله تعالى (يمنون عليك أن أسلموا) ولذا قيل في تفسير قوله الكريم (ولا تبطلوا أعمالكم) لا تبطلوها بالمن على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاسلام (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي ومنعوا الناس عن سلوك سبيل الله وهو دين الاسلام (ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) عام في كل من مات على الكفر ، وان صح نزوله في أهل قليب بدر من الكفار المشركين المقتولين الذين ألقوا هنالك (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم) أي اذا علمتم أن الله مبطل أعمالهم ومعاقبهم فلا تشكوا في أن الله خاذلهم ، فلا تهنوا أمامهم ولا تظهروا ضعفا عندهم ولا تدعوهم الى السلم حتى يظنوا أنكم تخافون منهم (وأنتم الاعلون) أي أنتم الاغلبون (والله معكم) أينما كنتم (ولن يتركم) أي ولن ينقصكم (أعمالكم . انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لا عاقبة حميدة لها ولا نفع فيها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أي ثواب إيمانكم وتقويكم من الباقيات الصالحات (ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها) أي أموالكم (فيحفكم) أي فيجهدكم بطلب الكل (تبخلوا) بإعطائها (ويخرج أضغانكم) أي ويظهر للناس حبكم لها (ها أنتم هؤلاء) أيها المخاطبون (تدعون لتنفقوا في سبيل الله ، فمنكم من يبخل) أي ناس يبخلون بالانفاق (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي فانما يمنع الخير عن نفسه ولا يسري الضرر الى غيره (والله الغني وأنتم الفقراء) الكاملون في الفقر والاحتياج اليه (وان تتولوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم) أي يستبدلكم بقوم غيركم يخلفونكم (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولي عن الايمان والتقوى .

سورة الفتح ، مدنية ، نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية
وآياتها تسع وعشرون نزلت بعد سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَيَهْدِيَكَ
صِراطاً مستقيماً(٢) وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً(٣) هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ السَّكِينَةَ في قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لِيَزْدادُوا ايماناً مَعَ
إِيمانِهِمْ ، وَللهِ جُنُودُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَكانَ اللهُ عَلِيماً
حكيماً(٤) لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِين وَالْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الأَنهارُ خَالِدِينَ فِيها ، ويُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ ،
وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً(٥) وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ
وَالمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ الظانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ
السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ ، وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ،
وَلَعَنَهُمْ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَساءَتْ مَصِيراً(٦) وللهِ جُنُودُ
السَّموات وَالأَرْضِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً)(٧)

قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) اخبار عن صلح الحديبية عند الجمهور ، قال ابن عطية وهو الصحيح : وأصل الفتح إزالة الاغلاق عن أي عقدة، وفتح البلد ازالة غلق باب سوره وفتحه للظافرين الغالبين الذين يدخلونها من الباب . وقال بعض : ان المراد بالفتح هنا : فتح خيبر . وقال بعض : فتح مكة . وعليه تكون الآية الكريمة وعداً بالفتح ، والتعبير بالماضي لتحقق الوقوع . والظاهر أنه اذا حملناه على فتح البلاد فالمراد به فتح مكة ؛ لانه هو الذي كان نصب العين للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والهدف الاشرف ، فانه بعد فتح أم القرى ففتح ما سواها سهل يسير والله على كل شيىء قدير . واذا حملناه على ازالة الاغلاق فالمراد به الوعد بإزالة الموانع التي كانت أمامه حتى يصل الى غايته القصوى وهي النجاح في مهمته ونشر شريعته واعتناق الامة لدينه والالتفاف حول لوائه في تنوير العباد وتعمير البلاد مادة ومعنى ، وهذا هو الفتح المبين والنصر العزيز لسيد المرسلين .

وقوله : (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قالوا ان اللام ليست للتعليل لان أفعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض ، بل بمعنى الفاء التي تدخل على الغايات المترتبة على الاسباب وهذا البحث بحث طويل قد دار بين العباد ، ولكن الحق الذي يجب قبوله أن العلل الواقعية موجودة بسيطة أو مركبة ، وأنه قد يترتب عليها المعاليل اذا قارنتها الارادة ، وقد لا فهي الجزء الاخير من العلة كما أن الغايات المتفرعة والمترتبة عليها موجودة أيضا . وان أفعال الله تعالى يجوز تعليلها بالعلل المناسبة المقرونة بالحكم والمصالح التي يراعيها لكن لا بمعنى أن الفاعل المختار والمبدأ الفياض يحتاج الى تلك العلل لترتب المعاليل عليها ، بل بمعنى تطبيق سنته وجريان عادته بها .

وأما تفسير قوله (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) فهو عبارة عن

ستر ما يكاد لا يناسب مقامه الشريف ورتبته العالية ، ويعبر عنها بخـلاف الاولى ، وذلك لان النصوص متكاثرة على أن الانبياء والرسل الكرام هـم المصطفون الاخيار وهم صفوة العباد وخيـار الامة على بسـيط الارض ، والادلة دالة على عصمتهم من الذنوب والمعاصي . ويمكن أن يقال : ان بعض الامور الاجتماعية التي لابد من ورودها على الانسان ويصعب العدول عنها وقد يراها بعض الناس الضعفاء العقول كالذنوب في الصورة أعلن الله تعالى أنها مغفورة بالنسبة اليك ولا تعتبر جريمة لانسان يقود الناس بأسرهم الى السعادة ويريد تهذيب وتصفية أحوالهم عن المفاسد والعيوب . ولابد مـن حلق رأس ضربته الجروح وجبر مكسور الايدي والارجل ، وان حصل منها آلام . (ويتم نعمته عليك) باضافة فتح البلاد التي تبعد عن الجزيرة اليها ، والملك الى النبوة ، وأن يهيىء لك من الامم التي تدخل تحت لواء الاسلام من يأخذ به ويجعله على كتفه ويوصله الى المشارق والمغارب (ويهديـك صـراطا مستقيما) بقوة الاخلاق العالية والسيرة السامية حتى يسهل سلوك ذلـك السبيل عليك وعلى من يتبعك في الحال والاستقبال (وينصرك الله) على كل من عاداك في عصرك وينصر من ينصر دينك على عدوه في عصره ، فان نصره نصر" لك وعونه عون لك . (نصرا عزيزا) في الوجود لـم يسـبق مثلـه ولا يتحقق في المستقبل نظيره ، وقد كان الامر كذلك .

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) قلنا هذه السورة نزلت عند رجوع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مـن الحديبية الى المدينـة المنورة بعد المصالحة مع قريش على أن يرجعوا للعمرة في السنة الآتية ، وفي وقت الصلح كان الاصحاب الكرام منزعجين من عدم الوصول الى الهدف المقصود أعني العمرة ، لكن بعـد أن تحلل ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الاحرام تحللوا ، وزالت تلك العقدة وذلك الانزعاج عنهم ، وتبدلت بالسكينة

والاطمئنان كما قال تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي ليزدادوا ايمانا برحمة الله المتوالية عليهم ، وأن الله معهم، وانه ناصر الرسول وأصحابه وأتباعه المستقيمين على الحق الى يوم القيامة . وهذا الايمان علاوة على ما كان في قلوبهم من الايمان (ولله جنود السماوات والارض) وما يعلم جنود ربك الا هو ، ومن جنوده الايمان ، وقوة المعنويات ، وزيادة العدة ، والاجهزة والآلات الحربية والعينة والنفقات ، وتوجه الناس في الآفاق الى المبدأ المرسوم كما أن من جنوده ملائكة السماوات حيث تنزل عند الحاجة اليها ، وقد أنزلها الله تعالى في بدر ، وفي حنين ، وفي أحد ايضا ، وفي مواضع أخرى على المؤمنين لمعونتهم . وكذلك من جنوده تشتت قلوب الاعداء والشقاق والخلاف بينهم وعدم اجتماع اسباب حركاتهم وهجماتهم على المسلمين . والمقصود هنا تنبيه المؤمنين على الرجاء القوي من الله تعالى لمزيد النصر والتأييد في المستقبل وأن الله معهم ماداموا هم مع الله (وكان الله عليما) بأحوال الرسول والمؤمنين وغيرهم (حكيما) في أفعاله ونصره للرسول في كل أمر عسره ويسره .

وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) متعلق بما يدل عليه ما تقدم ، أي ويؤيدكم على ما أنتم عليه ويقهر الكافرين (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم) بما عملوا من حسناتهم (وكان ذلك) الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لا يعلم مقداره الا من قرره وقدره . وقوله ويعذب معطوف على ما قبله أي (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) وهو أن الله لا ينصر الرسول وأصحابه (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم وساءت مصيرا) جهنم (ولله جنود السماوات والارض) ينصر بهم

من ينصر ويقهر بهم من يقهر (وكان الله عزيزا) منيعا لا يغالب في أمره (حكيما) لا تخلو أفعاله من الحكم والمصالح •

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً(٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ ، وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٩) إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)(١٠)

قوله تعالى : (انا أرسلناك شاهداً) أي على أمتك لقوله تعالى : ويكون الرسول عليكم شهيدا (ومبشرا) بالثواب لاهل الطاعة (ونذيرا) بالعقاب على المعصية • وقوله (لتؤمنوا بالله) خطاب للنبي وأمته أي لتؤمنوا أنتم أيها الرسول والمؤمنون بالله ورسوله (وتعزروه) أي تنصروه(وتوقروه) تعظموه (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أي تأتون بتسبيحه في الوقتين بأن تقولوا سبحان الله العظيم ، أو سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، لان ضم الحمد الى التسبيح توقير وتعظيم مليح • أو لتصلوا له غدوة وعشيا أي صلاتي الصبح والعصر • وروي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ تفسير الآية بصلاة الصبح وصلاة الظهر وصلاة العصر •

وقوله تعالى (ان الذين يبايعونك) أي يوم الحديبية على الموت في نصرتك ، والمبايعة مفاعلة من البيع يقال بايع السلطان مبايعة اذا ضمن بذل الطاعة له • وقد وقعت قبل نزول الآية في الحديبية • والآية نزلت في أثناء الطريق عند رجوعه ــ صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فصيغة المضارع لاستحضار الصورة (انما يبايعون الله) لان المقصود من المبايعة اطاعته واطاعته اطاعة لله تعالى (يدالله فوق أيديهم) أي أنه عند جعل الايدي في يد الرسول

كأنهم جعلوا الايدي في يد الله تعالى • ولما كانت اليد مستحيلة الاضافة اليه تعالى فالمعنى أن نصرة الله تعالى لهم فوق قوتهم ونصيرتهم أي أن الله معكم في هذه المبايعة معية السيطرة ومعية القوة ومعية المنة والعطاء والكرم الشامل (فمن نكث) أي نقض العهد (فانما ينكث على نفسه) أي فلا يعود ضرر نكثه الا على نفسه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) وهو الجنة وما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •

(سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أَمْوالُنا وأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ، يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، قُلْ : فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أرادَ بِكُمْ نَفْعاً ؟ بَلْ كانَ اللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً(١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً ، وَزُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ، وظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ ، وكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً(١٢) ومَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً (١٣) ولله مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً)(١٤)

قوله تعالى (سيقول لك المخلفون) قال مجاهد وغيره : المخلفون من الاعراب هم جهينة ومزينة ، وغفار ، وأشجع ، والديل ، وأسلم • استنفرهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمراً ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا لهم بحرب أو يصدوهم عن البيت وأحـزم هو ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسـاق معه الهدى ليعلم أنه

لا يريد حربا ، ورأى اولئك الاعراب أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستقبل عددا عظيما من قريش وثقيف وكنانة والقبائل المجاورين مكة وهم الأحابيش ، ولم يكن الايمان تمكن من قلوبهم فقعدوا عن النبي وتخلفوا ، وقالوا : نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم . وقالوا : لن يرجع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا أصحابه من هذه السفرة قطعا ففضحهم الله تعالى في هذه الآية وأعلم رسوله بقولهم واعتذارهم قبل أن يصل اليهم في رجوعه الى المدينة . والحاصل أنهم لم يوافقوه في السفر معه الى مكة وظنوا خيبة الرسول ، ولما حفظ الله رسوله وأصحابه من القتال وانتهى الامر بالمصالحة ورجع الرسول الى المدينة وخاب ظن أولئك الاعراب .. أنزل الله تعالى هذه ، وبين له أنهم يعتذرون اليك بكذا وكذا ولكنهم ينافقون .

والأعراب سكان البادية من العرب لا واحد له ، أي سيقول لك الاعراب الذين لم يوافقوك في السفر والخروج معك الى مكة بأنه (شغلتنا) عن السفر معك (أموالنا وأهلونا) أي لم يكن معنا من يقوم بحفظهم وحمايتهم ، وتقديم ذكر الاموال على الاهل للاشارة الى لؤمهم ودناءتهم حيث كان اهتمامهم بحفظ الاموال أكثر من اهتمامهم بحفظ الأهل . (فاستغفر لنا) الله تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) أي ان كلامهم هذا غير مطابق لما في قلوبهم ، ولو كان لهم ايمان ثابت بالله تعالى لوافقوك في الخروج معك ولم يتخلفوا (قل) لهم يا حبيبي بعد أن وصلت اليهم واعتذروا عندك : (فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ؟) يعني انكم خالفتم خوفا من أن يصيبكم في مكة شيء فهل اذا خلصتم من ذلك تخلصون ايضا من سائر المضرات ؟ وهل أسباب الضر والنفع قليلة ؟ واذا بقيتم في باديتكم وأتاكم عارض (فمن يملك لكم من الله شيئا) لابتعادكم

عن الفضاء (ان أراد بكم ضرا أو) من الذي يصد باب الخير عنكم ان (أراد) الله (بكم نفعا ؟ بل) أعرضوا عن هذا الاعتذار الصوري فقد (كان الله بما تعملون) من الامور المخالفة لاتباع الدين (خبيرا) فانكم لستم مؤمنين متمكنين ، وكان يعجبكم أن لا يرجع الرسول من ذلك السفر ولا أحد من أصحابه .

(بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم) أي عشائرهم (أبدا) وذلك بإبادتكم من جانب أهل مكة (وزين ذلك في قلوبكم) من طرف النفس والشيطان (وظننتم ظن السوء) أي ظن الشر (وكنتم قوما بورا) جمع بائر أي قوما هالكين ، وذلك لعدم تمكن الايمان في قلوبكم (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا) أي فهو كافر ونحن أعتدنا وهيأنا للكافرين سعيرا يعذبون به (ولله ملك السماوات والارض) يتصرف فيهما وفيمن فيهما بما يشاء (فيغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وكان الله غفورا رحيما) للعباد .

(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا : ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ، قُلْ : لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ، فَسَيَقُولُونَ : بَلْ تَحْسُدُونَنَا ! بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٥) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ : سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ، فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ ، يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(١٦) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ

حَرَجٌ ، وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً)(١٧)

قوله تعالى (سيقول المخلفون) ... الآية اللام للعهد إشارة الى الاعراب المخلفين عن السفر المذكورين آنفا ، وذلك الإخبار السابق كان إخباراً عن الغيب ، وهذا إخبار آخر يثبت بهما وبأمثالهما أن القرآن كلام الله المنزل على حبيبه المفضل يعني سيقول لك أولئك المخلفون (اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها) وأرادوا بها خيبر ، لان اليهود كانوا يعارضون الاسلام ، وفي خيبر قوة ومنعة وتصوروا في أنفسهم أن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ يحاربهم ويفتح البلد (ذرونا نتبعكم) أي دعونا ولا تمنعونا حتى نكون في عداد المحاربين ، واذا فتح البلد يكون لنا نصيب من الغنائم (يريدون أن يبدلوا كلام الله) النازل في شأن أهل بيعة الحديبية المعروفة ببيعة الرضوان الناطق بأن الله وعدهم مغانم كثيرة يأخذونها ، فيكون هذا الامر محولا اليهم ، ويكون لهم من تلك المغانم حصة (قل) لهم يا حبيبي (لن تتبعونا) أي لن تكون لكم حالة نفسية قدسية مطمئنة راضية بالدخول في الجهاد لاعلاء كلمة الله حتى تستحقوا شيئا من المغانم على تقدير الفتح ، وقالوا ان النفي في معنى النهي ، أي لا تتبعونا ولا نرضى باتباعكم لنا ، فان من لم يكن لنا في وقت أردناه لا يكون معنا في وقت لا نريده (كذلك قال الله من قبل) أي من قبل أن تهيأتم للخروج معنا . وذلك عند الانصراف من الحديبية الى المدينة (فسيقولون) أي أولئك الاعراب المخلفون للمؤمنين (بل تحسدوننا) أي أعرضوا عن أن يكون عدم اتباعنا لكم حكم الله تعالى ، وانما هو ناشيء من أنفسكم ولا تحبون صحبتنا لكم لانكم تحسدوننا في أن يكون لنا نصيب من المغانم (بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وهذا الاضراب معناه عدم الالتفات الى كلام المخلفين فكل ما يأتون به عاطل باطل وكانوا

لا يفقهون من أمور الدين وحقيقة الاسلام والجهاد في سبيله الا شيئا قليلا ، فلا تجادلوهم عند ظهور بوادر الخلاف .

(قل للمخلفين من الأعراب) المعروفين بالتخلف حتى صار سمة لهم (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) أي ذوي قوة شديدة في الحرب ، وهم على ما قاله بعض ورواه الطبراني عن الزهري بنو حنيفة : مسيلمة وأهله وقومه من أهل اليمامة ، وعليه جماعة . وفي رواية زيادة أهل الردة . وعن رافع بن خديج : أنا كنا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم ، حتى دعا أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الى قتال بني حنيفة فقلنا : إنهم أريدوا بها . وعن عطاء بن أبي رباح ومجاهد في رواية ، وعطاء الخراساني ، وابن أبي ليلى : هم الفرس الذين حاربهم عمر ـ رضي الله عنه ـ وبهذه الآية تثبت خلافة الشيخين ـ رضي الله عنهما ـ ، لانهما دعوا المسلمين الى الجهاد مع قوم أولي بأس . أما أبو بكر فدعا الناس الى مقاتلة مسيلمة وأتباعه والى مقاتلة مانعي الزكاة ، وعمر ـ رضي الله عنه ـ دعاهم الى قتال الفرس في دور (يزدجرد) وكانوا أولي بأس شديد والداعي الذي تقرر الآية الكريمة دعوته الى القتال هو الداعي المحقق المحق الواجب اطاعته وقبول دعوته ، وهذا هو الظاهر منها .

(تقاتلونهم أو يسلمون) على معنى التنويع لا التشكيك ، أي يكون أحد الأمرين اما المقاتلة أو الاسلام لا غير كما دلت عليه قراءة أو يسلموا لان النصب يقتضي أن أو بمعنى الا أن ، فان قلت : هذا يفيد أن أمر القوم الذين يقاتلون منحصر في الأمرين فلا يبقى لترك المقاتلة وأخذ الجزية مجال فيفسد الاستدلال بها على خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ لانه قاتل المجوس وكان يصح أخذ الجزية منهم ! قلت : ان كان الاسلام على المعنى العرفي قلنا : يكفي اثبات خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ

لانه بعد أن ثبتت خلافته لا يبقى خلاف في جواز استخلافه لاي انسان مسلم بعده ، وقد استخلف عمر ـ رضي الله عنه ـ • وان كان الاسلام على المعنى اللغوي أعني الانقياد والاطاعة فالانقياد كما يكون باعتناق الدين الاسلامي يكون بالتزام الجزية أيضا (فان تطيعوا) أي ذلك الداعي الى القتال وتقاتلوا اولئك القوم لاعلاء كلمة الحق (يؤتكم الله أجرا حسنا) يعني الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) عن الداعي (كما توليتم من قبل) في أمر الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) فيهما (ليس) في التخلف عن تلك الدعوة (على الاعمى حرج) أي اثم (ولا على الاعرج حرج ، ولا على المريض حرج) لوجود العذر ، والعذر يجعل العسر يسراً (ومن يطع الله ورسوله) في الاوامر والنواهي (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ، ومن يتول) أي عن الطاعة (يعذبه عذابا أليما) لا يقادر قدره •

(لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً(١٨) وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها ، وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً(١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَها ، فَعَجَّلَ لَكُمْ هذِهِ ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النّاسِ عَنْكُمْ ، وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَيَهْدِيَكُمْ صِراطاً مُسْتَقِيماً(٢٠) وَأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بِها ، وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً(٢١) وَلَوْ قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبارَ ، ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً(٢٢) سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)(٢٣)

قوله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونـك تحت الشجرة) روي أنه لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي الى أهل مكة ، فهموا بقتله فمنعه الاحابيش ، فرجع فبعث عثمان بن عفان ، فحبسـوه فأرجف بقتله . فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه ، وكانوا ألفا وثلاثمائة أو أربعمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم ، وكان جالسا تحت سمرة أو سدرة . وهذه البيعة سميت بيعة الرضوان لنزول آية الرضا فيها . والحديبية تصغير الحدباة ، سمي بها المكان . وخراش بكسر الخاء وفتح الراء المهملة ، وأرجف أي أذيع قتله بلا أصـل يعتمـد عليه ، والاحابيش جمع أحبوش ، وهم قوم من قبائل شتى سموا به قيل لسوادهم كالحبش ، وقيل لتحالفهم عند جبل يسمى حبشي (فعلم ما في قلوبهم) من الاخلاص (فأنزل السكينة عليهم) أي الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو بالصلح أو بهما (وأثابهم فتحا قريبا) فتح خيبر عند انصرافهم وقيل فتح مكة أو هجر بالبحرين (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني مغانم خيبر (وكان الله عزيزاً حكيماً) .

(وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هي ما قرر الله للمسلمين من أول القتال الى آخر الايام ، فان الغنائم لم تحل لامة قبل الاسلام وقد أحلت لها الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) أي مغانم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أيدي أهل خيبر وحلفائهم وقوله (ولتكون) عطف على مقدر علة لقوله وكف أي وكف أيدي أهل خيبر عنكم لتسلموا ولتكون هذه الكرة آية وأمارة للمؤمنين على أنه اذا جاء نصر الله سخر الاعداء ومنع أنصارهم عن التعاون معهم وامدادهم (ويهديكم صراطا مستقيما) هي صراط الثقة بوعد الله تعالى بأن المؤمنين منتصرون (وأخرى) أي ووعدكم الله مغانم أخرى وهي مغانم

هوازن في غزوة حنين (قد أحاط الله بها) علما وقدرة وستتحقق لا محالة (وكان الله على كل شيء قديرا) ماضيا وعاجلا وآجلا .

(ولو قاتلكم الذين كفروا) أي من أهل مكة ولم يصالحوكم أو حلفاء يهود خيبر من قبيلة أسد وغطفان (لولوا الادبار) أي لانهزموا وولوا الادبار (ثم لا يجدون وليا) يتولى أمورهم وينظم جيشهم إذا قاتلهم المسلمون (ولا نصيرا) ينصرهم ويعينهم ليغلبوا على المسلمين (سنة الله) أي سن سبحانه وتعالى سنة الله (التي قد خلت من قبل) أي من قبل هذا العصر وهي تأييد المؤمنين (ولن تجد لسنة الله تبديلا) .

(وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ، مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا(٢٤) هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ، لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(٢٥) إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)(٢٦)

قوله تعالى : (وهو الذي كف أيديهم عنكم) أي منع أيدي كفار مكة عنكم (وأيديكم عنهم) أي وكف أيديكم عنهم (ببطن مكة) يعني به

الحديبية ، وكونه ببطن مكة مبني على أن بعضها داخل في الحرم أو على اعتبار قربها منها منزلا منزلة كونها جزء منها . وقوله (من بعد أن أظفركم عليهم) أي من بعد أن جعلكم ظافرين وظاهرين وغالبين عليهم .

أخرج الامام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أنس قال : لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فدعا عليهم فأخذوا ، فعفا عنهم ، فنزلت هذه الآية (وهو الذي كف) ... آه (وكان الله بما تعملون) أي بجميع ماتعملون ومنه العفو بعد الظفر (بصيرا) فيجازيكم عليه .

(هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) أنْ تصلوا اليه وتطوفوا به (والهَدْيَ) أي وصدوا الهدي (معكوفا) أي محبوسا ومربوطا للخير (أن يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدي أي منعوا بلوغ الهدي الى محله المعهود للذبح وهو منى ، والا فعند الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ مكانه لمن منع حيث منع . وعند الامام أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ أرض الحرم وبعض الحديبية حرم عنده . ومع ذلك فالمحل المعهود هو منى وقد منعوا وصول الهدي اليه (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) في مكة سبعة من الرجال وامرأتان (لم تعلموهم أن تطئوهم) بدل اشتمال عن الضمير المنصوب أي لم تعلموا وطئهم ودوسهم بالاقدام (فتصيبكم منهم معرةٌ) أي فتصيبكم بسبب دوسهم وايذائهم معرة ومكروه (بغير علم) وقوله (ليدخل الله في رحمته) علة لما يدل عليه الجواب المحذوف أي ولولا ذلك لامرنا بالتعرض لهم لكنه سبحانه كفها عنهم ليؤدي الصلح الى فتح مكة ليدخل الله في رحمته (من يشاء) وهم المؤمنون الذين سكنوا في مكة ولم يهاجروا لحد الآن وادخالهم في الرحمة بأن يبقوا أمناء لا يتعرض لهم

كفار مكة انتقاما لمد المسلمين الايدي الى الكفار (لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) والتزيل التفرق ، أي لو تفرق أولئك المؤمنون والمؤمنات وتميزوا عن الكفار الساكنين في مكة لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما .

(اذ جعل) منصوب بأذكر على المفعولية (الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) أي حمية الامة الجاهلية فمنعوا الرسول وأصحابه الجائين للاعتمار (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وهدأت أعصابهم واستراحت قواهم ، فلم يتعرضوا لاحد بالسوء ، ولم يقع ما لا تحمد عواقبه (وألزمهم كلمة التقوى) وهي كلمة التوحيد فيكررونها (وكانوا أحق بها) أي بتلك الكلمة وأهلها (وكان الله بكل شيىء عليما) فيعلم من هو الأحق بالشيىء ومن هو أهله . والفرق بين الأهل والأحق أن الاهل أدخل في الاستحقاق فكان الشيىء ماله وحاله وملكه الخاص المغروز فيه خلقة كالصفات الغريزية . وأما الأحق فهو أولى من باقي المستحقين بوجه لشيىء ما من العلل المؤيدة في الموضوع . والله أعلم .

وتفصيل تفسير الآية ما روي أنه لما نزل بالحديبية وصار أمر قريش المنع له ولاصحابه من الاعتمار وطواف البيت ، واهتم بقتالهم بعث قريش سهيل بن عمرو ، وحويبط بن عبدالعزى ، ومكرز بن حفص ليسألوه أن يرجع من عامه على أن تخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة أيام فأجابهم وكتبوا بينهم كتابا ، فقال ــ عليه الصلاة والسلام ــ لعلي ــ رضي الله عنه ــ « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقالوا : ما نعرف هذا ، اكتب باسمك اللهم . ثم قال : « اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة » فقالوا : لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ، اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله أهل مكة ــ فقال ــ عليه الصلاة

والسلام ـ : « اكتب ما يريدون » فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا به فأنزل الله السكينة عليهم ، فتوقروا وتحملوا وألزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم ، أو الثبات والوفاء بالعهد ، واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها أو كلمة أهلها .

(لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ، لا تَخَافُونَ ، فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا ، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً(٢٧) هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً(٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَيهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ، يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّورِيةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الأِنْجِيلِ : كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ ، فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً)(٢٩)

قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل خروجه الى الحديبية أنه هو وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا . فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في العام الذي هم فيه ، وقالوا : إن رؤيا رسول الله

ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق ، فلما تأخر ذلك قال عن طريق الاعتراض عبدالله بن أبي ، وعبدالله بن نفيل ، ورفاعة بن الحرث : والله ما حلقنا ، ولا قصرنا ، ولا رأينا المسجد الحرام ، فنزلت الآية .

والمعنى صدقه في رؤياه وقوله بالحق أي متلبسا به فان ما رآه كائن لا محالة في الوقت المقدر له وهو العام القابل . ويحتمل أن بالحق قسما بالحق وهو اسم الله تعالى ، وعلى هذا فقوله (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه والا فهو جواب لقسم محذوف أي والله لتدخلن المسجد الحرام . قوله (آمنين) أي من بطش الاعداء وقوله (محلقين رؤسكم ومقصرين) كل لبعض منهم والمشتقات أحوال متوالية مفردة . وقوله (لا تخافون) جملة حالية ، أو مستأنفة أي لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) أي فعلم الله تعالى ما لم تعلموا من التأخير في الدخول والحكمة فيه (فجعل من دون ذلك) الدخول (فتحا قريبا) هو فتح خيبر ، أو فتح مكة المكرمة .

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي متلبسا بالهدى وهو القرآن (ودين الحق) أي دين الاسلام الثابت المطابق للواقع (ليظهره على الدين كله) بانتشاره في جميع الدنيا وبخلوده الى يوم القيامة ، وبعمومه للامم كلها ، وبمقارنته للمعجزة المستمرة معه ، وبجهاد منتسبيه لاعلاء كلمة الحق ، وبمماشاته مع الازمنة بثبات أركانه وأصوله وفروعه الكلية ، وبجواز اجتهاد المجتهدين لاستنباط الفروع المتنوعة ، وبعدم اتفاق أتباعه على الضلال ، وبتجديده في كل مأة عام مرة بمجدد معه أعوان كالاطواد والاوتاد الراسخة في العالم (وكفى بالله شهيدا) على ذلك .

(محمد رسول الله) أي ذلك الرسول الذي أرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله المبعوث رحمة للعالمين الى كافة الثقلين أجمعين . وذلك لانه

ادعى الرسالة العامة من الله تعالى وأظهر المعجزات الكثيرة ومنها القرآن المتواتر بحروفه وكلماته وجمله السليمة وآياته الحكيمة ، وتأيدت بالاخلاق العظيمة التي اندهشت عقول العالمين منها كايمانه ، وأمانه ، واستقامته ، وبره ، وتقواه ، ومثابرته ، وجوده ، وجهاده ، وحلمه للاجانب كعشيرته وحبه لمساكين أمته وخيره الفائض على العالم ودوامه على فضائله ، وذكره الدائم لربه ، ورحمته بالمستضعفين ، وزهده عن الدنيا ، وسلامة صدره ولسانه ، وسماحته وشكره لله ، وشجاعته ، وصراحته في البيان ، وصبره ، وصدقه ، وصفائه ، وصيامه ، واضاءة وجهه للخلق ، وطهارة جوارحه ، وحواسه وعقله وعلمه وعفوه ، وعلو همته ، وغيرته على شريعته ، وفرط تفقده لفقراء أمته ، وقوة قلبه عند تفاقم الاهوال ، وقيامه بالليل مع تعب نهاره ، وكرامة نفسه ، ولين كلامه ، وميله الى أيسر الوجوه في معاشرته ، ومدده ، ومروته ، ونجدته ، ووفائه بوعوده وعهوده ، ووقاره وهدوئه وهيبته وهمته ، ويمنه ويقينه ... فهذه الاخلاق الحسان معجزة من أهم المعجزات لم يجمعهن الخالق في غيره من البريات ، وعلى وجودها له بينة بل بينات ، فالصلاة والسلام عليه وعلى آله وأصحابه وسائر أتباعه ما دامت الارض والسماوات . (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا) أي راكعين ساجدين لله رب العالمين (يبتغون فضلا من الله) في الدارين (ورضوانا) منه لهم (سيماهم في وجوههم) أي علامتهم في وجوههم من الجباه والخدود وذلك (من أثر السجود) ذلك المذكور من النعوت الجليلة (مثلهم) أي وصفهم العجيب المستحسن عند اللبيب الكائن (في التورية) الجليل المنزل على موسى رسول بني اسرائيل (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه) أي فروخه (فآزره) أي أعانه وقواه الزرع (فاستغلظ) فتحول من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه)

أي فاستقام على قصبه (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره • ومعلوم أن كل هذه النعوت الجليلة والاوصاف الجميلة انما حدثت لهم من الله سبحانه وتعالى وانما جعلهم كذلك (ليغيظ بهم الكفار) ويغبط بهم المؤمنون الابرار • ويستفاد من الآية الكريمة أن الغائظ لهم كافر بيقين وأن المغتبط بهم مؤمن أمين (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة) لهفواتهم (وأجرا عظيما) في جناتهم وكلمة من في الآية الكريمة للبيان لا للتبعيض اذ قد تقرر قبلها أن الذين معه أشداء على الكفار فيمتنع أن يكونوا من الكافرين وأنهم راكعون ساجدون طالبون رضوانا من الله • وما دام وصفوا بذلك وعقب ذلك بقوله الكريم سيماهم في وجوههم من أثر السجود لا تبقى شبهة ولا شك من أي عاقل أن كلهم صالحون ومرحومون ومغفورون ومأجورون أجرا عظيما ، فاحتمال كونها للتبعيض لا يمكن اعتباره بأي وجه من الوجوه الا من وجه مريض •

وعلى وجه اللطافة أحكي نكتة لطيفة سمعتها من بعض الفضلاء قال : ان هذه الآية الكريمة عمت جميع المؤمنين في العالم ، فسيد العالمين محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه هم الذين ذكر الله نعوتهم الجليلة وحكاها عن التوراة والانجيل ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين هم المشمولون لآخر الآية فيقول سبحانه وتعالى (وعد الله الذين) أي المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله (وعملوا الصالحات) بادئين منهم وكاسبين لها منهم أي متعلمين منهم مغفرة وأجرا عظيما وهذا المفهوم وان لم يتطرق اليه أحد فيه نوع من الملاحة واللطافة المقبولة جعلنا الله بفضله واحسانه من التابعين لهم باحسان الى يوم الدين •

سورة الحجرات مدنية وآياتها ثماني عشرة

نزلت بعد المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ، كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ(٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأَجرٌ عَظِيمٌ(٣) إِنَّ الَّذِين يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ(٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ)(٥)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) هذه السورة مدنية الا آية (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) فهي مكية عند بعضٍ وبالجملة هذه السورة سور محيط بآداب اجتماعية مع الله

ورسوله ، ومع المسلمين بعضهم مع بعض ، ومع الناس كافة ، وبالآخرة ببيان رجوع الكل الى الله تعالى وأن النعم والفضائل كلها منه ، وأهمها الاسلام ولا تمنوا على الرسول ولا على غيره ولا تقدموا اما من قدم المتعدى والمفعول محذوف لقصد العموم أي لا تقدموا أمرا من الامـور الدينيـة أيا كان في حكمكم فيه ايجابا أو سلبا بين يدي الله ورسوله أي لا تحكموا فيه قبـل حكمهما به أو منزل منزلة اللازم لعدم القصد الى المفعول كما تقول : فـلان يعطي ويمنع ، أي يفعل الاعطاء والمنع ، وذلك لان القصد عدم التقدم عليهما وعدم المخالفة لحكمهما بتاتا بدون تقييده بشيء ، أو من قدم اللازم بمعنى تقدم ، أي لا تتقدموا كناية عن لا تخالفوهما فان من تقدم على شخص في سيره لا يربط سيره بسيره ويتمشى لقصد شخصه وخيره ولا يهتم بغيره . وقوله (بين يدي الله ورسوله) اليدان مجازان عن الجهتين اليمين والشمال مجازا مرسلا بعلاقة الجوار ، ثم استعيرت الجملة الناهية عـن التقـدم في الجانبين الى معنى النهي عن الحكم بأي شيء قبل حكمهـا لان المقصود التوقف عن الاحكام مطلقا الى صدور الحكم من الباب العالي ، هذا في ذلك العصر ، وأما بعده فيجب سلوك ما قرره من التقيد بالنصوص ودلالاتها ثم الاعتبار بالاجماع ، ثم بالاستدلال الاجتهادي لمن هو أهل له لا الحكـم الاشتهائي كما هو سهل (واتقوا الله) أي مخالفته عن مراعاة النظـام فان الانام لا قيام لهم بدون النظام ، والنظام من أحكام الله الملك العلام والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مبلغ لها ومبينها للانام (إن الله سميع) لكل ما يسمع و (عليم) بكل المعلومات .

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) يعنـي اذا تكلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في موضوع فـلا تتكلموا عند ذلك بصوت جهوري يعلو على صوته فلا يسمعه المستمعون له . واذا تكلمتم

معه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليكن صوتكم همسا ، لا جهارا بحيث يرتفع على صوته أو يساويه بل أخفضوه رعاية للادب في مكالمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي واذا ابتدأتم بالكلام معه فلا تجهروا له بحيث يؤذي سمعه ويؤلم شعوره كجهر بعض لبعض كأن يناديه للاستنجاد والاستغاثة من بعيد ، فان ذلك من آداب البدويين العائشين في الصحارى والجبال ، وأنتم صرتم متمدنين بمدنية الاسلام الحاوي للاحكام ، والداعي للنظام ، والسالك على طريق الاسلام ، وليكن فيكم الدراية والرعاية كراهة (أن تحبط) وتسقط (أعمالكم) بما يؤذيه ـ عليه السلام ـ (وأنتم لا تشعرون) بأن هذا النوع من اللا أدبية يرفع الهيمنة والامانة ويجلب الانسان الى التوحش عن نظام الدين .

(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) سواء عند سكوته عن الكلام ، أو تكلمه مع غيره ، أو تكلمه معه ، أو في بدء الكلام معه في سؤال حكم أو استفسار عن أمر (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أي أعدها وهيأها لها (لهم مغفرة وأجر عظيم) على رعاية الادب الرفيع مع الشفيع .

(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) أي من خارجها خلفها أو قدامها (أكثرهم لا يعقلون) الفرق بينك وبين غيرك في المناداة وانك قد ينزل عليك الوحي في تلك الاوقات أو مشغول بمهمة من المهمات . والحجرات جمع حجرة بضم الفاء وسكون العين قطعة أرض محجورة أي ممنوعة من دخول غير أهلها فيها بحائط وباب أو بأمر آخر (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) حيث استفادوا العلم بمقصودهم بصورة معتادة مقبولة بدون ازعاج أحد واستفاد الناس من أدبهم (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة عما تقدم وواسع الرحمة لمن تأدب .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ(٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ والعِصْيانَ ، أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ(٧) فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(٨)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتعرفوا وتصفحوا وحققوا الخبر ، وأصله حتى لا تقعوا فيما لا تحمد عواقبه • روي أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعث الوليد بن عقبة لاخذ الزكاة الى بني المصطلق ، وكان بينه وبينهم سوء تفاهم ، فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه، فرجع وقال لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قد ارتدوا ومنعوا الزكاة ، فهم بقتالهم ، فنزلت • وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع • واستدل بالآية على أن من الصحابة من ليس يعدل لان الله تعالى أطلق الفاسق على الوليد بن العقبة فيها ، فان سبب النزول قطعي الدخول وهو صحابي بالاتفاق فيرد بها على من قال انهم كلهم عدول ولا يبحث عن عدالتهم في رواية ولا شهادة • وهذا أحد الاقوال في المسألة •

وثانيها : أنهم كغيرهم ، فيبحث عن عدالتهم في الرواية والشهادة الا من يكون مقطوع العدالة أو ظاهرها كأعيانهم •

والثالث : أنهم عدول الى قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ ويبحث عن عدالتهم من حين قتله لوقوع الفتن فيهم ، وفيهم الممسك عن خوضها •

والرابع : أنهم عدول الا من قاتل عليا ـ كرم الله وجهه ـ لفسقه بالخروج على الامام الحق والى هذا ذهبت المعتزلة . والحق ما ذهب اليه الاكثرون وهم يقولون : ان من طرأ له منهم قادح ككذب أو سرقة أو زنا عمل بمقتضاه في حقه ، الا أنه لا يصر على ما يخل بالعدالة بناء على ما جاء في مدحهم من الآيات والاخبار وتواتر من محاسن أعمالهم فلا يسوغ لنا الحكم على من ارتكب منهم مفسقا بأنه مات على الفسق ولا ننكر أن منهم من ارتكب في حياته مفسقا لعدم القول بعصمتهم ، وانه كان يقال له قبل التوبة فاسق ، لكن لا يقال باستمرار هذا الوصف فيه ، ثقة ببركة محبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومزيد ثناء الله عز وجل عليهم كقوله سبحانه وكذلك جعلناكم أمة وسطا أي عدولا وقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) الى غير ذلك .

(أن تصيبوا قوما بجهالة) علة للامر بالتبين ، أي كراهة أن تصيبوا قوما بجهالة أي متلبسين بجهالة بحقيقة الامر (فتصبحوا على ما فعلتم) بايذاء بعض الناس على أثر الخبر الكاذب (نادمين) على ما فعلتم مغتمين .

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) أي لوقعتم في الجهد والهلاك (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم) وأمنتم (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فتركتم (أولئك هم الراشدون) أي أولئك الناس الموصوفون بالأمرين هم الراشدون الواصلون الى الرشد ، الموصوفون به . والرشد صلاح الدين والمال ، وعند بعض الأئمة صلاح المال وليس بمقصود هنا . وقوله (فضلا من الله ونعمة) مفعول له للفعلين السابقين حبب وكره ، وما بينهما معترضة (والله عليم) بأحوال المؤمنين ودرجاتهم و (حكيم) في هباته .

(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بينهما ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَيهُمَا عَلَى الأخرى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)(١٠)

قوله تعالى : (وان طائفتان) ••• الآية روي أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان متوجها الى زيارة سعد بن عبادة في مرضه • فمر على عبدالله بن ابي بن سلول فقال ما قال ، فرد عليه عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ ، فتعصب لكل منهما أصحابه ، فتقاتلوا ، فنزلت فقرأها ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليهم فاصطلحوا ، وكان ابن رواحة خزرجيا وابن أبي أوسيا •

يقول تعالى : (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أي ان اقتتل طائفتان اقتتلوا ، والجمع باعتبار أن كل طائفة جمع والتثنية في قوله (فأصلحوا بينهما) باعتبار نفس الطائفتين ، والاصلاح يكون بعد فهم ماعند الجانبين ، ثم الدعوة الى التزام حكم الله ، فان صلحتا فالصلح خير حاسم للشر (فإن بغت إحديهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله) أي حتى ترجع الى حكم الله (فإنْ فاءَتْ فأصلحوا بينهما بالعدل) أي بفصل ما بينهما على ما حكم الله ، وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الجور (وأقسطوا) اى اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) اى العادلين (إنما المؤمنون إخوة) من حيث الانتساب الى أصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية (فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) •

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ، عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ ، ولا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنهُنَّ ، وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلا تَنابَزُوا بِالْأَلقابِ ، بِئْسَ الاسمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، ولا تَجَسَّسُوا ، ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً ؟ فَكَرِهْتُمُوهُ ، واتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقيكُم إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(١٣)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أي منكم (من قوم) أي من قوم آخرين منكم ، والسخر الهزؤ ، وفي الزواجر : هو النظر الى المسخور منه بعين النقص ، وقد يكون بالقول ، وقد يكون بالفعل ، وكل ذلك جريمة كبيرة مفسدة للمسلين وموجبة للشقاق والاختلاف ، ثم علل النهي بقوله (عسى أن يكونوا) أي المسخور بهم (خيرا منهم) أي من الساخرين (ولا نساء من نساء) أي ولاتسخر نساء من نساء (عسى أن يكن) أي المسخور بهن (خيرا منهن) أي من الساخرات (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا تعيبوا آحادا أو جماعات آخرين ، فإنهم ما داموا مؤمنين يعتبرون من أنفسكم فتعييبكم لهم تعييب لانفسكم ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لما عيب بعض بعضا جاء البعض المعيوب بعيب العائبين ، وعند ذلك كان كأن اللامز لَمَزَ

نفسه (ولا تنابزوا بالالقاب) أي لاينادي أحدكم أحدا بالالقاب ولا يدعوه بها، ولا يسميه ، ولا يلقبه بما فيه عيب ، والمراد بالالقاب ألقاب السوء ، والا فالالقاب الحسنة استعمالها على وجه الصدق من الحسنات ، وقد لقب أبو بكر بالعتيق وبالصديق ، وعمر بالفاروق، وعثمان بذي النورين، وعلي وحمزة بأسد الله ، وخالد بسيف الله وامثالها ... نعم اللقب الغير المحبوب اذا كان من المميزات والمشخصات فلا بأس باستعماله (بئس الاسم الفسوق) أي بئس الذكر المشهور بين الناس وهو الفسوق ، وقوله (بعد الايمان) أي بعد دخول ذلك الانسان المذكور باللقب الفاسد في الايمان أي المناسب للانسان الداخل في الايمان أن يذكر ويشهر بالالقاب الشريفة الرفيعة لا بالالقاب البذيئة الوضيعة . وعلى ما قلنا فالاسم فاعل ، والفسوق مخصوص بالذم . (ومن لم يتب) عن التنابز بالالقاب السيئة الى الناس (فأولئك هم الظالمون) أنفسهم بارتكاب الجريمة التي تنجر الى جرائم أخرى لان ذلك الاستعمال يحرض الناس على المقابلة والتخاصم والتنابذ . والظالمون غيرهم لانهم يتحقرون في أعين الناس بتلك الكلمات والالقاب التافهة . أعاذنا الله من كل قول وفعل فاسد ، وحفظنا من كل نابز حاسد انه هو الحفيظ العليم والرءوف الرحيم .

(يا أيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) أي تباعدوا منه وأصل اجتنبه كان على جانب منه ، ثم شاع في التباعد . ومما ينبغي علمه ان الظن هو التصديق بالنسبة التامة الخبرية بحيث لا يقطع الطرف الآخر بأن يبقى عنده مرجوحا ، كظنك بمن يدور حول الازقة بالليل خائنا ، فهذا الظن اذا كان في الاعتقاديات فهو ساقط لا اعتبار له . فقال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) وان كان في الاحكام العملية ، فإن كان حاصلا من اجتهاد انسان واصل الى درجة الاستنباط فهذا يجوز العمل به ، بل يجب . وأما اذا كان

متعلقا بأحوال الناس وأفعالهم مع بعض ، فان كان المظنون به مجاهرا بالفسق، أو مشهورا به فلا بأس في ذلك الظن بل ويجب عليه نصيحة الناس ومنعهم من مجاورته واقترابه . وأما اذا كان متعلقا بالناس الصالحين أو بمن لا يعرف حاله ، فهو حرام ، وهذا هو المراد في الآية الكريمة . وفي ذلك قال تعالى (ان بعض الظن إثم) وقوله تعالى (ولا تجسسوا) أي لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم ، ولا تستكشفوا ما هو المستور من عيوبهم . عن أبي برزة الاسلمي قال : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين ، فان من تتبع عورات المسلمين فضحه الله تعالى في قعر بيته » (ولا يغتب بعضكم بعضا) أي لا يذكر بعضكم بعضا بما يكره ، سواء كان في دينه أو دنياه ، أو خلقه أو خلقه ، أو ماله أو ولده ، أو زوجته ، أو مملوكه ، أو خادمه ، أو لباسه او غير ذلك ... (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ فكرهتموه) تمثيل لما يصدر عن الغياب بأكل لحم أخيه الميت ، وذلك شيء مذموم مكروه جدا (واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم) .

وقد تجب الغيبة لغرض صحيح شرعي لا يتوصل اليه الا بها وتنحصر في ستة أبواب :

الاول : التظلم فلمن ظلم أن يشكو لمن يظن أن له قدرة على ازالة ظلمه .

الثاني : الاستعانة على ازالة المنكر بذكره لمن يظن أنه قادر على ازالته .

الثالث : الاستفتاء فيجوز للمستفتي أن يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا فهل يجوز له ذلك ؟

الرابع : تحذير المسلمين عن الشر كجرح الشهود والرواة والمصنفين والمتصدين للافتاء أو الاقرار مع عدم أهليته ، فتجوز اجماعا ، بل تجب •

الخامس : أن يتجاهر بفسقه كالمكاسين وشربة الخمور ، فيجوز ذكرهم بما تجاهروا فيه •

السادس : التعريف بنحو لقب كأن تقول : قال القاضي الاعمش •

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) أي من آدم وحواء ــ عليهما السلام ــ (وجعلناكم شعوبا وقبائل) والفرق بين الشعب والقبيلة أن الشعب هو الجمع العظيم المنسوب الى أصل واحد وهو يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن يجمع الافخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل • فخزيمة شعب ، وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة • وسميت الشعب شعبا لان القبائل تفصل منها • وقوله (لتعارفوا) علة للجعل ، أي جعلناكم كذلك ليعرف بعضكم بعضا ، فتصلوا الارحام وتبينوا الاسباب والتوارث ، لا للتفاخر والتشاجر (ان أكرمكم عند الله أتقيكم) أي من هو أكثر خوفا من الله ويراعي الحرام والحلال ، ويترك المحرمات ، ويؤدي الواجب عينا وكفاية • (ان الله) سبحانه وتعالى عليم بكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن قلوبكم •

روي عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن سبب نزولها قول ثابت بن قيس لرجل لم يفسح له عند النبي ــ صلى الله عليه وسلم : يا ابن فلانة ! فوبخه ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنزلت • وروى البيهقي في سننه عن الزهري قال أمر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم ، فقالوا : يا رسول الله أنزوج بناتنا موالينا ؟! فأنزل الله قوله (يا أيها الناس انا خلقناكم) ••• الآية • وقد دلت على أنه لا ينبغي التفاخر بالانساب وبذلك نطقت الاخبار •

واخرج ابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر أن النبي طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدي الرجال فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه وقال : « الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها . يا أيها الناس الناس رجلان : بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله ، الناس كلهم بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، قال الله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، الى قوله تعالى خبير » وأخرج البيهقي وابن مردويه عن جابر بن عبدالله قال خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في وسط أيام التشريق خطبة الوداع ، فقال : « يا أيها الناس ألا ان ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ألاهل بلغت ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال « فليبلغ الشاهد الغائب » .

(قَالَتِ الأَعْرَابُ : آمَنَّا ، قُلْ : لَمْ تُؤْمِنُوا ، وَلَكِنْ قُولُوا : أَسْلَمْنَا ، وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ(١٥) قُلْ : أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ ، وَاللهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ؟(١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ : لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

هَدَايكُمْ لِلإيمانِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(١٧) إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ والأَرْضِ واللهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ)(١٨)

قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا) ... الآية قال مجاهد نزلت في بني أسد بن خزيمة قبيلة تجاور المدينة ، أظهروا الاسلام وقلوبهم دغلة انما يحبون المغانم وعرض الدنيا . وروي أنهم قدموا المدينة في سنة جدبة فأظهروا الشهادتين ، وكانوا يقولون لرسول الله : جئناك بالاثقال والعيال ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان ، يريدون بذكر ذلك الصدقة ، ويمنون به على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وقيل : هم مزينة ، وجهينة ، وأسلم ، وأشجع ، وغفار . قالوا آمنا فاستحققنا الكرامة فرد الله تعالى عليهم . وعلى كل فليس المراد بالاعراب العموم . وقوله تعالى (قل لم تؤمنوا) إكذاب لهم في دعوى الايمان اذ هو تصديق مع الثقة واطمئنان القلب ولم يحصل لهم والا لما منوا على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بترك المقاتلة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول في السلم ، وهو ضد الحرب ، وما كان من هؤلاء شيىء يشعر به .

وتحقيق المقام أن الايمان علم وتصديق للرسول بما جاء من الله به اجمالا فيما علم اجمالا ، وتفصيلا فيما علم كذلك ، فهو من الكيفيات النفسية . وأما الاسلام فهو الانقياد والاستسلام وذلك فعل وقد يظهر المرء ذلك الانقياد بين الناس وليس عنده حب من خردل من الايمان . ولذلك قال الباري : (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فالايمان والاسلام الواقعي الحقيقي متغايران معنى ، ولكنهما متساويان تحققا . وأما الاسلام الظاهري فقد يكون مع الايمان الواقعي كما هو لعباد الله المؤمنين وقد يكون بدونه، كما في صورة الآية الكريمة حيث قال : (ولما يدخل الايمان في قلوبكم ، وان تطيعوا الله ورسوله) أي بالاخلاص (لا يلتكم من أعمالكم) أي لا ينقصكم

شيئا من الاعمال ، ولا من أجورها ، ويجعلها مقبولة مجزئة (ان الله غفور رحيم) .

(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أي لم يشكوا مطلقا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي في سبيل طاعته واعلاء كلمته (أولئك) الموصوفون بما ذكر (هم الصادقون) في دعوى الايمـان (قل : أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه سبحانه وتعالى بذلك بقولكـم آمنا (والله يعلم ما في السماوات وما في الارض ؟ والله بكل شيىء عليـم) يعنى ان الله تعالى عالم بايمان المؤمنين الصادقين المجاهدين في سبيل الله كما أنه عالم بأنكم لستم مؤمنين صادقين ولم تجاهدوا في سبيله ، فعليكـم أن تتحولوا من النفاق وتتوجهوا الى الله وتؤمنوا حق الايمان وتجاهدوا حـق الجهاد ، فاذا وفيتم بذلك أخذتم كمال الاجور هنالك (يمنـون عليك أن أسلموا) أي يعتدون اسلامهم منة عليك (قل : لا تمنوا علي اسـلامكم) أي لا تعتدوا اسلامكم منة علي ، أولا تمنوا علي باسلامكم (بل الله يمـن عليكم أن هديكم للايمان ان كنتم صادقين) أي في الايمـان على حسـب مازعمتم أي لو كنتم مؤمنين بحق لكان حقا لله أن يمن عليكم بأن هديكـم ، ولكن ما آمنتم بحق ولا معنى لمنتكم بما ليس موجودا عندكم (ان الله يعلم غيب السماوات والارض) أي ما غاب فيهما (والله بصير بمـا تعملـون) بالاسرار والاعلان فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم ؟

سورة ق ، مكية وآياتها خمس واربعون

نزلت بعد المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

(ق ، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الْكافِرُونَ : هذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً ؟ ذلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا ما تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا الى السَّماءِ فَوْقَهُمْ : كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَما لَها مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ ، وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكاً فَأَنْبَتْنا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقاً لِلْعِبادِ وَأَحْيَيْنا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً ؟ كَذلِكَ الْخُرُوجُ)(١١)

قوله تعالى (ق) إحدى الاحتمالات فيها أنها اسم للسورة ، وتسمى بالباسقات ايضا • أخرج أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي عن أبي واقد الليثي أنه كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ في العيد بقاف واقتربت • وفي رواية ابن ماجه كان يقرؤها في الركعة الأولى من صلاة الفجر • وأخرج أبو داود وابن ماجه والبيهقي وابن أبي شيبة عن أم هشام ابنة حارثة قالت ما أخذت سورة ق والقرآن المجيد الا من في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كان يقرأ بها في كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس •وفي حديث ابن مردويه عن أبي العلاء ـ رضي الله تعالى عنه ـ مرفوعا : «تعلموا ق والقرآن المجيد» وذلك دليل على أنها من السور العظام•

(والقرآن المجيد) أي ذي المجد والشرف من باب النسب (ذى كذا) كلابن وتامر ، والواو للقسم وجوابه محذوف يدل عليه المقام ، والكلام كأنه قال ق والقرآن المجيد انا أنزلناه لتنذر به الناس (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) وبل للاضراب عما يشعر به جواب القسم الى أحوالهم الشاذة ومقالتهم الناشئة عن عقائدهم الزائغة ، فانهم عجبوا أن جاءهم منذر منهم أي رسول منذر لأهل الكفر والمعاصي ، وهو منهم يعرفونه بالصدق والأمانة (فقال الكافرون : هذا شيىء عجيب) أي ان انذار هذا الشخص لنا ولأمثالنا شيىء غريب عجيب يتعجب منه ، اذ من جملة ما جاء به أنه نعاد بعد الموت الى الحياة ثانية ونجمع ونسأل ونحاسب ونأخذ الجزاء على ما قدمنا ، وهذا الشيىء يتعجب منه (أءذا متنا وكنا ترابا ؟) الاستفهام للتعجب ، وتأكيد الانكار يقولون : أءذا متنا وتفتتت أجسادنا وكنا ترابا (ذلك رجع بعيد) أي ذلك الرجوع الى الحياة الجديدة بعيد عن عقولنا المشوبة بأوهام التقليد الموجبة لاهمال قوة القادر الفعال لما يريد (قد علمنا ما تنقص الارض) أي نحن أهل علم شامل بالكليات والجزئيات والاعيان والاعراض ونعلم

ما تنقص الارض من لحومهم بالتفتيت والتمزيق وتغيير صورته النوعية ، (وعندنا كتاب حفيظ) أي كتاب حافظ لتفاصيل الاشياء كلها ، فاذا كانت الاجزاء الممزقة معلومة لنا قدرنا على جمعها وخلق الحياة فيها ، وهذا الكتاب هو اللوح المحفوظ • (بل كذبوا بالحق) أي بالدين الحق أو منشئه وهو الرسول الحق الصادق المصدوق (لما جاءهم ، فهم في أمر مريج) أي اعتقاد مضطرب متزلزل ، فاذا جاءهم وسيلة ايمان وثبات من جانب أتاهم موجبات من أسباب الضلال من جوانب أخرى •

(أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها ؟) ورتبنا سماء على سماء (وزيناها) بالمصابيح المنورة والشهب المستنيرة (ومالها من فروج) أي من فتوق وشقوق وخلاء في الموجات الاثيرية المترتبة (والارض مددناها) أي بسطناها (وألقينا فيها رواسي) أي جبالا ثوابت رواسخ تمنعها من الميلان يمنة ويسرة (وأنبتنا فيها من كل زوج) من الاشجار ، والنباتات المختلفة موصوف بأنه (بهيج) أي ذي بهجة ونضارة وحسن في اللون والعطر الساري في الدماغ (تبصرة وذكرى) علتان لفعل مقدر بطريق الاستئناف ، أي فعلنا ما فعلنا تبصرة أي تبصيرا وذكرى أي تذكيرا (لكل عبد منيب) أي راجع الى ربه لانه هو الذي يستفيد من أمثال تلك الآيات •

(ونزلنا من السماء ماء مباركا) أي كثير البركات والخيرات (فأنبتنا به جنات) أي أشجاراً ذات ثمار كثيرة (وحب الحصيد) أي وأنبتنا به زروعا ذات حب من شأنها أن تحصد (والنخل باسقات) أي وأنبتنا به النخل باسقات ، أي طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت (لها طلع نضيد) أي منضود بعضه فوق بعض (رزقا للعباد) وفي ذكر التبصرة والذكرى سابقا ورزقا هنا اشارة الى أن حق العبد المرزوق بهذه الامور التي يتقوت أو يتفكه بها أن يكون بحيث يستبصر ويستذكر بها ، لا أن يهمل شكر

الإنعام بها (واحيينا به) أي بذلك الماء (بلدة ميتا) أي أرضا لا نماء فيها ، فجعلناها رابية منبتة (كذلك الخروج) أي ومثل تلك الحياة المعادة على الارض سنة فسنة حياة الموتى بالبعث من القبور .

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ(١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ(١٣) وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ، كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ(١٤) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ ؟ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ(١٥) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ(١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ(١٧) ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(١٨) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ)(١٩)

قوله تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح) هذه الجملة مع ما بعدها استئناف لتقرير أن البعث حق (وأصحاب الرس) وهو البئر التي لم تُبْنَ ، وقيل : هو وادٍ ، وأصحابه قيل هم الذين بعث اليهم شعيب ــ عليه السلام ــ ، وقيل : قوم حنظلة بن صفوان (وثمود ، وعاد ، وفرعون) والمراد به هو وقومه (واخوان لوط) قيل : كانوا من أصهاره ــ عليه السلام ــ فليس المراد الاخوة الحقيقية من النسب (وأصحاب الايكة) والايكة الغيظة وأصحابها قوم غير أهل مدين بعث اليهم شعيب ــ عليه السلام ــ (وقوم تبع) الحميري كان تبع مؤمنا وقومه كافرين (كل) من المذكورين (كذب الرسل) في ما أرسلوا به من الشرائع (فحق وعيد) أي فثبت وحق عليهم وعيدي (أفعيينا بالخلق الاول) أي أفتعبنا وهلكنا بالخلق الاول أي بخلقهم

أول مرة فلم تبق لي طاقة اعادة الحياة اليهم في المرة الثانية ؟ (بل هم في لبس من خلق جديد) بل للاضراب أي أعرض عن موضوع العي والتعب بالخلق الاول ، فانهم معترفون بذلك ، وانما هم في لبس واشتباه من خلق جديد ، ولو كانوا من أهل الفكرة لعلموا أنا قادرون على البعث وإحياء الموتى ، فان العالم القادر قدرة شاملة لا يعجزه ولا يمنعه أي مانع من اعادة الحياة في العالم الثاني .

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) من الخيالات الايجابية أو السلبية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) والحبل معروف واضافته الى الوريد وهو عرق مخصوص في العنق للبيان كشجر الأراك . وقوله (اذ يتلقى) ظرف منصوب بقوله أقرب ، أي ونحن أقرب الى الانسان من عرق عنقه إذ يتلقى (المتلقيان) أي الملكان الذان يتلقيان كل ما يقوله ويعمله (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد ، والقعيد فعيل بمعنى المفاعل ، أي عن اليمين مقاعد وعن الشمال مقاعد . والباري سبحانه وتعالى أعلم بكل شيىء من كل شيىء لكن ارسال الملكين وتقريرهما على الجانبين من الانسان لحكمة الشهادة عليه في يوم الحساب (ما يلفظ) أي الانسان (من قول الا لديه رقيب) أي ملك يرقب أعماله وأقواله ويكتبها فان كان خيرا فهو صاحب اليمين ، وان كان شرا فهو صاحب الشمال . وقوله (عتيد) أي مُعَدٌّ ومهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر . والظاهر أنهما في سائر أحوال الانسان عن يمينه وعن شماله . وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : ان قعد فأحدهما عن يمينه والآخر من شماله ، وان مشى فأحدهما أمامه والآخر خلفه . وان رقد فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه . والانسان يبقى في هذه الحالة مع وجود دواعيه للخير والشر الى الأجل .

(وجاءت سكرة الموت) أي دهشة الموت التي تزيل العقل كشرب المسكر القوي ومجيئها (بالحق) أي متلبسا بالثبوت الواقعي لا شبهة فيه (ذلك) أي مجيء الموت (ما كنت منه تحيد) أي تميل وتنحرف ولا تريده ولا ترضى به .

(وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢) وَقَالَ قَرِينُهُ : هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٣) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٥) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ، فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٦) قَالَ قَرِينُهُ : رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ : لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٨) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٢٩) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ : هَلِ امْتَلَأْتِ ؟ وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ (٣٠) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ)(٣٥)

قوله تعالى (ونفخ في الصور) أي نفخة البعث بقرينة البيان الآتي (ذلك يوم الوعيد) أي ذلك النفخ يوم انجاز الوعيد الوارد في الدنيا على لسان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، أو الوارد في القرآن الكريم

(وجاءت) بعد البعث (كل نفس) من النفوس البرة أو الفاجرة حالكونها (معها سائق) يسوقها (وشهيد) من الملائكة لتشهد لها أو عليها . وهذا السوق يختلف بحسب مراتب المبعوثين المسوقين ، كما أن كلام الشهيد للخير وعلى الاعمال الصالحة غير كلام الشهيد على الشر وعلى الاعمال السيئة ، فيقال للمسوق الى ميدان الحساب والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك : (لقد كنت في غفلة من) مجيىء (هذا) اليوم (فكشفنا عنك غطاءك) أي الحجاب الساتر لامور المعاد فزال (فبصرك اليوم حديد) أي نافذ الإبصار لزوال المانع له (وقال قرينه) أي شيطانه المقيض له في الدنيا : (هذا مالدي عتيد) الاشارة الى الكافر الملزوم عنده ، أي هذا الشخص الكافر عندي ومهيأ لجهنم قد هيأته منذ وجدته لعذاب جهنم .

فقال الله سبحانه وتعالى للسائق والشهيد (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) مبالغ في العناد وعدم الخضوع للحق (مناع للخير) مبالغ في منع الحقوق المالية عن المستحقين (معتد) متجاوز عن حدود الله (مريب) شاك في الله أو في البعث، أو في القرآن ، أو في دين الاسلام ، أو في الكل (الذي جعل مع الله الها آخر فألقياه في العذاب الشديد ، قال قرينه) رد الكلام المقرون : (ربنا) ان هذا القرين أغواني وأطغاني ربنا (ما أطغيته) وما أجبرته على الطغيان (ولكن كان) هو بالذات (في ضلال بعيد) من الصراط المستقيم . قال الباري سبحانه وتعالى (لا تختصموا لدي) في موقف الحساب (وقد قدمت اليكم) الى كل من القرين ومن قرن به (بالوعيد) على الغاوي والمغوي فلا نفع في اختصامكم ولا تطمعوا في الخلاص عن العذاب الذي تستحقونه (ما يبدل القول لدي) الذي صدر مني في معاقبة الكافرين (وما أنا بظلام) أي بذي ظلم مثقال ذرة (للعبيد) وبه يتعلق قوله (يوم تقول لجهنم : هل امتلأت ؟) من المعذبين وهل تحقق ما حلفت عليه بقولي لأملأن جهنم منك وممن تبعك

(وتقول هل من مزيد ؟) على هذا العدد حتى تأتوا به وتجعلوه مع زملائه الداخلين • فيضع الجبار قدمه فيها ويتجلى عليها بالقبض ، فتقول : قطني قطني بعزتك •

(وأزلفت الجنة للمتقين) أي وقربت لمن اتقى الكفر والمعاصي (غير بعيد) أي حالكونها في مكان غير بعيد منهم • وقيل لهم من جانب الله أو الملك المأمور (هذا ما توعدون لكل أواب) رجاع الى الله أي من كان بحيث كلما غفل عنه تذكر ، وكلما نسي تفكر ، وكلما عصى تاب ، وكلما ابتعد عنه آبَ (حفيظ) حافظ على نفسه وقواها من أن تتورط وتنغمر ولا تخلص حتى ينقهر (من خشي) مخالفة (الرحمن بالغيب) عن الرقابة المادية ، أو الرحمن الثابت المتلبس بالغيب عنه فاتقى شهوات نفسه وهواها ، وأرجعها عن غيها الى هُداها (وجاء) الى ربه المجيب (بقلب منيب) فيه قوة نورية ربانية يرجع قواه الى مولاه فيقال لهم (أدخلوها) أي تلك الجنة المهيأة متلبسين (بسلام) من المكاره والمخطورات، أو سلام من انتهاء زمان الراحة (ذلك يوم الخلود، لهم ما يشاؤن) مما تشتهيه الأنفس وتلذ الاعين (فيها ، ولدينا مزيد) على ذلك من لقاء الباري ورضوانه وتجليات الرحمة وغفرانه • فعن علي ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قولـه تعالى ولدينـا مزيد قال : يتجلى لهـم الرب عز وجلّ •

(وَكَمْ أَهلَكنا قَبْلَهُمْ مِـنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُـمْ بَطْشاً ؟ فَنَقَّبُوا فِي البِلادِ : هَلْ مِنْ مَحيصٍ ؟(٣٦) إنَّ في ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَـهُ قَلْـبٌ أَوْ أَلْقَـى السَّـمعَ وهُـوَ شَهِيدٌ(٣٧) وَلَقَـدْ خَلَقنا السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيَّامٍ وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ(٣٨) فاصْبِرْ عَلى مايَقُولُونَ ،

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ(٣٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ(٤٠) وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ(٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ(٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ، وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ(٤٣) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ(٤٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ)(٤٥)

قوله تعالى (وكم أهلكنا قبلهم) أي كثيرا أهلكنا قبل قومك (من قرن) أي من أهل قرن مقترنين في قرن واحد ومعاصرين في عصر واحد (هم أشد منهم) أي من قومك (بطشا) أي قوة وعدة وعددا (فنقبوا في البلاد) أي فساروا في الارض للاستيلاء عليها ، أو نقبوا في البلاد عند خوف الهلاك والفساد فانه روي عن الراغب أن معنى نقبوا هربوا بلغة أهل اليمن قائلين (هل من محيص) أي من منجى ومخلص لنا ينجينا من الموت ؟ وذلك القول اما بلسان الحال أو بلسان المقال عند بوادر نزول العذاب عليهم فخافوا وطلبوا الخلاص من العذاب ولم يجدوا ما يريدون (ان في ذلك) أي في اهلاك القرون المتمردة (لذكرى لمن كان له قلب) عاقل عالم واع راع للحقائق المعلومة فيجعلها أدلة قاطعة لأخذ النتائج التي يسعد بها المكلف في الدارين (أو ألقى السمع) وأصغى لما يتلى عليه من المواعظ والارشاد (وهو شهيد) حاضر أي متفطن يستفيد مما ألقي اليه .

(ولقد خلقنا السماوات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) أي تعب وإنا قادرون على كل إيجاب وسلب (فاصبر على ما يقولون)

أي المشركون في الله وفي شخصك ورسالتك ودينك وفي الكتاب النازل عليك وفي البعث والنشور (وسبح بحمد ربك) أي ونزه ذاته عما لا يليق به واحمده على نعمه (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) أو المراد صل صلاة الصبح وصلاة الظهر والعصر (ومن الليل فسبحه) تسبيحا لائقا بك تؤديه لربك ، أو صل في بعض أوقات الليل أي صلاة المغرب والعشاء ، أو صلاة التهجد التي تعرف بصلاة الليل أيضا (و) صل (أدبار السجود) أي في ما بعد الصلاة المفروضة ما شرع من الرواتب والسنن (واستمع) ما يسمع من أهوال الساعة وزلزال العالم أو صوت صور اسرافيل (يوم ينادي المنادي) كل ميت مكلف (من مكان قريب) هو صخرة بيت المقدس ، أو من مكان يعتبره المنادي قريبا منه لقوته (يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) فان كان صوت النفخة فهو قريب من الخروج ، والا فهو يوم الخروج نفسه (انا نحن نحيي) الاموات في الآخرة (ونميت) الاحياء في الدنيا (والينا المصير) أي الرجوع لا الى غيرنا (يوم تشقق الارض عنهم سراعا) مصدر وقع حالا عن ضمير عنهم أي مسرعين في الخروج (ذلك) العمل أو ذلك اليوم (حشر) أي يوم حشر للناس وجمعهم في صعيد واحد للمحاسبة وهو (علينا يسير) سهل لانه بأمر الاله القدير (نحن أعلم بما يقولون) في الله وفي كتاب الله ورسول الله وأتباعه المجاهدين في سبيل الله ، وفي بعث أنفسهم وسوقهم الى الله (وما أنت عليهم بجبار) بمسيطر تجبرهم على ما تريده (فذكر) وأرشد (بالقرآن) وآياته البينات (من يخاف وعيد) فانهم هم المنتفعون به • نفعنا الله به في الدنيا والآخرة يوم تكون وجوه ناضرة الى ربها ناظرة •

الجزء السابع والعشرون

سورة الذاريات مكية ، وآياتها ستون ،

نزلت بعد الأحقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً(١) فَالْحَامِلاتِ وِقْراً(٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً(٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً(٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ(٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ(٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ(٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ(١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ(١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ؟(١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ(١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ، هذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)(١٤)

قوله تعالى (والذاريات ذروا) أقسم الله تعالى بالرياح التي تذرو التراب وغيره (فالحاملات وقرا) أي السحب الحاملات للأحمال الثقيلة من الامطار وغيرها • (فالجاريات يسرا) أي السفن الجارية على سطح البحار بسهولة (فالمقسمات أمرا) أي الملائكة الذين يقسمون الامور بين الخلائق على ما أمروا به • والقسم في الحقيقة بالله الذي خلق هذه الاشياء ، فان الله هو مصدر القوة والقدرة والعمل العظيم • والمقسم عليه جملة (انما توعدون

لصادق) أي ان ما توعدون من البعث بعد الموت والحشر والميزان ومحاسبة الاعمال ، ثم السوق الى الجنة أو النار لصادق مطابق للواقع (وان الدين) أي جزاء الاعمال (لواقع) لا شك فيه (والسماء ذات الحبك) أي ذات الطرق المتعددة والمدارات المختلفة لحركات السيارات ، وهي جمع حبيكة كطرق جمع طريقة ، (إنكم لفي قول مختلف) أي متخالف متناقض في أمر الله تعالى ، فتقولون ان الله خالق السماوات والارض ، وله قدرة لا تغالب ، ثم تعبدون الاصنام الجامدة الهامدة التي ليس فيها شيء من النفع والضر ، وتقولون انه خلق العالم ، ثم تشركون به ماليس فيه طاقة من القوة لا في خلق السماوات ولا في خلق الارض . أو ان كلامكم في شأن الرسول والكلام المنزل عليه كذلك ، فمرة تقولون ان الرسول كاهن ، ومرة مجنون ، وهما لا يجتمعان ، فان المجنون ليس له نظام في أعماله ، والكاهن مرتاض له معرفة كاملة ، وكذلك في شأن القرآن الكريم فمرة يقال : انه شعر ، ومرة انه أساطير الاولين الى غير ذلك من الاقوال المتعارضة . وقوله (يؤفك عنه من أفك) أي يصرف عن الايمان بما كلفوا الايمان به من يؤفك من ضعفاء العقول .

ولما كانت تلك الاقوال ناشئة عن الخرص والتخمين الوهمي ، وكانت غير معقولة ولا مقبولة قال : (قتل الخراصون) أي الخمانون أي المتكلمون بالظنون والاوهام الزائفة الزائغة (الذين هم في غمرة) أي في بحيرة عظيمة من الجهل تغمرهم وتسترهم (ساهون) غافلون عن الله وأداء ما أوجبه على العاقل من التفكر في الحقائق بانظار دقائق يسألون على وجه الاستهزاء والاستعجال : (أيان يوم الدين ؟) أي يوم القيامة التي ينال فيه كل إنسان جزاء ما اعتقده وعمله خيرا أو شرا (يوم هم على النار يفتنون) أي يقع يوم هم يحرقون على النار كاللحم المبسوط على النار للشيء (ذوقوا فتنتكم)

أي مقولا لهم ذوقوا عذابكم المعد لكم (هـذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا بطريق الاستهزاء .

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟(٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)(٢٣)

قوله تعالى (ان المتقين) لما ذكر الباري تعالى حال الكافرين في مآلهم ، شرع في حال المؤمنين المتقين فقال (ان المتقين في جنات وعيون) لا يعلم كنه بهجتها ونضارتها والتذاذ النفس بها (آخذين ما آتيهم ربهم) أي قابلين لكل ما أعطاهم الله بالارتياح والسرور (انهم كانوا قبل ذلك) أي في الدنيا (محسنين) لأعمالهم الصالحة (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) الهجوع النوم، وما زائدة ، أي كانوا قليلا من الليل يهجعون (وبالأسحار هم يستغفرون) أي أنهم مع قلة منامهم بالليل وحقهم أن يناموا بالاسحار يستمرون بعد صلاة الصبح على الاستغفار ، أي اعتبروا أنفسهم معطلين بالليل فيستغفرون بالاسحار لغفلة الليالي ، وذلك نصيبهم المعنوي من الحسنات . وأما نصيبهم المادي فهو ما بينه الباري بقوله (وفي أموالهم حق) أي يلزمون أنفسهم نصيبا (للسائل والمحروم) أي المتعفف عن السؤال من الذين يظن بهم الغني من التعفف .

(وفي الأرض آيات) أي دلائل من أنواع ما أودعه الله فيها من المعادن والنبات والحيوان (للموقنين) الذين سلكوا الطريق البرهاني الموصل الى الايمان بالله وبالرسل وسائر ما يجب الايمان به (وفي أنفسكم) أي وفي أنفسكم آيات للمستدلين بها وبأحوالها على وجود رب واحد قادر مختار (أفلا تبصرون ؟) تلك الادلة (وفي السماء رزقكم) أي تعيينه وتقديره أو أسباب رزقكم من المطر والثلج والبرد والمن وغيرها يتنزل ويستفاد منه (وما توعدون) أي من الجنة والنار (فورب السماء والارض انه لحق) أي ان ما توعدون لحق (مثل ما أنكم تنطقون) كما أنه لا شك منكم في نطقكم وتحريك ألسنتكم أو في منطوقكم أي ما تتلفظون به .

(هَلْ أَتيكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ ؟(٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا : سَلاماً ، قَالَ : سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ(٢٥) فَرَاغَ إلى أهلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ(٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ : أَلا تَأْكُلُونَ ؟(٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لا تَخَفْ وبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ(٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ ، فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : عَجُوزٌ عَقِيمٌ !(٢٩) قَالُوا : كَذلِكَ قَالَ رَبُّكِ ، إِنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ(٣٠) قَالَ : فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا المُرْسَلُونَ ؟(٣١) قَالُوا : إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ(٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ(٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ(٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المُؤْمِنِينَ(٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ !(٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ)(٣٧)

قوله تعالى (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ؟) فيه تفخيم لشأن جده ابراهيم ـ عليهما السلام ـ ، وتوجيه له الى وجوب الاقتداء به في تحمله الاذى من أجل تحقيق الهدف الاعلى وهو نشر توحيد رب العالمين ، كما فيه تسلية له من حيث أن البشر مخلوق في كبد وفي محنة ، ولاسيما العقلاء العلماء ، ومنهم الرسل والانبياء فانهم يجب عليهم الصبر والتحمل للاذى من أي جهة كان بحكاية ضيف ابراهيم فيقول : هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين أي عند الله عز وجل ، وعنده (اذ دخلوا عليه) أي حديث زمان دخولهم عليه ، ولما دخلوا عليه (قالوا : سلاما) أي نسلم عليك سلاما (قال : سلام) أي وعليكم سلام • وقوله (قوم منكرون) اي وهم قوم منكرون غير معروفين حيث لم ير قوما مثلهم في الهيئة والزي والنظافة والادب (فراغ الى أهله) أي فذهب ابراهيم على خفية من ضيفه الى أهله لتهيئة طعام لهم يأكلونه ، والروغ الذهاب بخفية (فجاء بعجل حنيذ) أي سمين ، وفي الكلام ايجاز ، أي راغ الى اهله وذبح عجلا وشواه (فقربه اليهم) فتوقفوا عن الاكل (فقال) مستفسرا : (ألا تأكلون ؟) من هذا اللحم الطري السمين المشوي ؟ فاعتذروا عن الاكل (فأوجس) سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ـ (منهم خيفة) أي أضمر في نفسه خوفا منهم ، لانه كان وما يزال للطعام والاطعام احترام وذمام ، والامتناع عنه موحش موجب لظن قصد السوء منهم ، وقال بعض المفسرين رواية عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : ان ابراهيم ـ عليه السلام ـ علم بعد اعتذارهم أنهم ملائكة مأمورون بالعذاب ، فخاف (قالوا : لا تخف) منا انا رسل الله أرسلنا لشغل معين •

(وبشروه بغلام عليم) مهيىء للعلم وكرامة النبوة والرسالة (وأقبلت امرأته) سارة لما سمعت ببشارتهم (في صرة) أي صيحة على عادة النساء اذا

أدركن شيئا عجيبا (فصكت وجهها) أي ضربت بيدها على وجهها (وقالت) : أنا (عجوز عقيم) أي عاقر فكيف ألد ؟ (قالوا : كذلك قال ربك) أي مثل ذلك القول الذي بشرناك به قال ربك ، وانما نحن معبرون نذكر ما أمر به ربك (إنه هو الحكيم العليم) .

وبعد أن هدأت أعصاب أهل البيت (قال) ابراهيم ـ عليه السلام ـ بعد علمه بأنهم ملائكة : (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير الـذي تريدون تنفيذه (أيها المرسلون) أيها الملائكة المأمورون ؟ (قالوا : انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يريدون قوم لوط ـ عليه السلام ـ (لنرسل عليهم) بعد قلب بلادهم (حجارة من طين) أي طين متحجر (مسومة) أي معلمة معينـة (عند ربك للمسرفين) أي للمجرمين المتجاوزين عن الحدود مطلقا ، أولهم بالذات على كون اللام للعهد (فأخرجنا من كان فيها) فيقول الباري فأخرجنا من كان فيها أي قرى قوم لوط (من المؤمنين) من الذين آمنوا بلوط (فما وجدنا فيها غير بيت من المسـلمين) والمراد بهذا البيت بيت لـوط ـ عليه السلام ـ وابنتيه (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) أي فقلبنا القرى كلها وأمطرنا عليها من تلك الحجارة ، وتركنا في ذلك المكان آية وعلامة على العذاب الوارد عليهم للذين يؤمنون بالله ويخافون العذاب الاليم الوارد منه تعالى .

(وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(٣٨) فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ : سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ !(٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ ، فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ(٤٠) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ(٤١) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ(٤٢) وَفِي ثَمُودَ إِذْ

قِيلَ لَهُمْ : تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ(٤٣) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ(٤٤) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ، وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ(٤٥) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ)(٤٦)

قوله تعالى (وفي موسى) خبر لمبتدأ محذوف ، أي وفي موسى آية (إذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) أي بمعجزات غالبة على ما يقابله مادة أو معنى (فتولى) فرعون (بركنه) أي أعرض بما عنده من قوة اعتبرها ركنا لكيانه (وقال) لقومه في رد ما أظهره موسى ـ عليه السلام ـ من المعجزات : إنه (ساحر) أي عاقل لكنه عالم بالسحر وقلب عصاه حية ، ويده مضيئة ، وغيرما أظهره بواسطة ذلك ، وليس لها بقاء تأتي وتذهب (أو مجنون) أي يظهر ما يظهر عنده من الجن والشياطين المستولين على عقله وشعوره . والحاصل أن ما عنده مطلقا سحر يأتي به شخصه وهو عاقل ، أو يأتي به قرناؤه الشياطين وهو لا اختيار له فيه (فأخذناه وجنوده) أي فأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ليلا وألقيت في روع فرعون جمع جنوده فجمعهم وعقب موسى ومن معه (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) وأغرقناهم (وهو) أي فرعون (مليم) أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والاستمرار فيهما . أو صيغة مليم من صيغ النسب كلابن وتامر ، أي هو ذو لوم يلام ، فافهم .

(وفي عاد) آية أخرى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) التي لا تأتي بخير ولا تلقح شيئا (ما تذر) أي ما تترك من شيء (أتت عليه الا جعلته كالرميم) أي الشيء البالي من العظم أو النبات .

(وفي ثمود) آية أخرى (إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) أي قيل لهم من طرف صالح ـ عليه السلام ـ اذ أوحى اليه بقرب العذاب تمتعوا في

داركم ثلاثة أيام ، والظاهر أن القول كان سابقا على ذلك ، فقال لهم صالح : ان الله بعثني اليكم بشيرا ونذيرا فآمنوا بالله ورسوله ، وتمتعوا في دياركم آمنين متمتعين حتى حين تأتيكم الآجال المقررة ، فطلبوا منه المعجزة ناقة كذا وكذا ، فمضت مدة على القوم مع صالح والناقة موجودة (فعتوا عن أمر ربهم) فعقروها وأتى أمر الله فأهلك القوم ودمر البلاد كما قال تعالى (فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام) من أماكنهم ، أو ما استطاعوا قياماً على دفع ورفع وحركة وسكون (وما كانوا منتصرين) بل صاروا مقهورين منكسرين .

(وقوم نوح من قبل) أي واذكر قوم نوح ، أو وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء الهالكين (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن اطاعة رب العالمين .

(وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَإِنّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالأَرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدُونَ (٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) كَذلِكَ ما أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ قالُوا : ساحِرٌ ، أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَواصَوْا بِهِ ؟ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ (٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ، فَما أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرى تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ (٥٥) وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ ، وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ (٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ

أَصْحابِهِمْ ، فَلا يَسْتَعْجِلُونِ(٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمِ الَّذِي يُوعَدُونَ)(٦٠)

قوله تعالى (والسماء بنيناها) شروع في تذكير الكافرين المشركين ببيان أن ما اختص به تعالى من خلق الكائنات العظيمة لا يقدر عليه غيره ، والكلام من باب الاشتغال ، أي وبنينا السماء بنيناها (بِأَيْدٍ) أي بقوة ، والأيد والآد ثلاثيان أجوفان بمعنى القوة لا جمع يد ، لانها لفيف مفروق ، والاصل يَدَيٌ وهذان معتلا العين (وإنا لموسعون) أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة (والارض فرشناها) أي وفرشنا الارض فرشناها أي مهدناها وبسطناها ، ولا تمنع كرويتها عن البسط ، كما لا تمنع عن وجود الجبال العاليات ، لان الكرة الكبيرة كل قطعة منها كسطح ، والجبال بالنسبة اليها كشعرات تنبت على رأس الانسان المعتدل أول يوم من حلقها (فنعم الماهدون) أي الفارشون نحن (ومن كل شيء) أي من كل نوع من الحيوان (خلقنا زوجين) أي مزاوجين أحدهما ذكر والآخر أنثى لحفظه (لعلكم تذكرون) فتعلموا أن الله قادر لا يعجزه شيء • (ففروا الى الله) وتوجهوا الى باب طاعته والعمل بشريعته (إني لكم منه نذير مبين) أي مفيد لبيان الحق وعذاب من خالفه •

(ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين • كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون • أتواصوا به ؟) أي أأوصى بعضهم بعضا بهذا القول (بل هم قوم طاغون) فيؤثر مجاورة بعضهم لبعض في تنمية هذا الطغيان (فَتَوَلَّ عنهم) وأعرض بعد أن صرفت قواك في ارشادهم وما أفاد (فما أنت بملوم) منا على الاعراض عنهم (وذكر) من تظن النفع في تذكيره (فان الذكرى تنفع المؤمنين) فان محصول المأمول عبادتهم لربهم (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) أي ما خلقتهم الا

لمحبة أن يعبدون ، فان الكامل المطلق غني مطلق عن جميع ما سواه ومن سواه ، فليس الخلق للافتقار الى العبادة ولا لإرادتها منهم لانه لو شاءها منهم لكانت . فمن المشهور : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولم يكن الخلق لتلك الغاية حتى يصير الخلق عبثا غير مثمر لها ، وانما خلقهما لمحبة العبادة ، فان صاحب الكبرياء المطلقة تناسبه العبودية والتذلل المطلق ؛ فمن أتى بما أحبه الله آتاه من فضله ما أحبه في دنياه وأخراه ، وليس الباري مريدا لآثار أعمال مادية تعود اليه ، فانه يقول (ما أريد منهم من رزق) لي (وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) .

ولما كانت العبادة موقوفة على المعرفة أوجب الله على عباده العلم والمعرفة ، ورغب فيها وأمر حبيبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعلم فقال : فاعلم أنه لا إله الا الله ، لان العلم أساس العمل وهما ثمرة شجرة الوجود ، وهذا مناسب للمشهور بين الناس من الحديث القدسي « كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف » فلام ليعبدون داخلة على المحبوب في المنتهى ، ولام ليعرفون على المحبوب في المبتدأ ، ولما كان المحبوب المعرفة والعلم للعبادة فلا تحزن بمن ظلم نفسه ولم يأت بما يناسب قدسه (فإن للذين ظلموا ذنوبا) أي نصيبا من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) أي أمثالهم من الامم السالفة المخالفة للدين (فلا يستعجلون) حلول ذلك (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) أعاذنا الله تعالى منه .

سورة الطور ، مكية ، وهي تسع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والطُّورِ(١) وكِتَابٍ مَسْطُورٍ(٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ(٣) والبَيْتِ المَعْمُورِ(٤) والسَّقْفِ المَرْفُوعِ(٥) والبَحْرِ المَسْجُورِ(٦) إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقعٌ(٧) ما لَه مِنْ دافعٍ(٨) يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً(٩) وتَسِيرُ الجِبَالُ سَيْراً(١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ(١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ(١٢) يَوْمَ يُدَعُّونَ إلى نَارِ جَهَنَّم دعّاً(١٣) هذهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِها تُكَذِّبُونَ(١٤) أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ ؟(١٥) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَواءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(١٦)

قوله تعالى (والطور) وهو في اللغة اسم لكل جبل • والمراد به هنا طور سينين الذي كلم الله تعالى موسى ــ عليه السلام ــ عنده • ويقال له طور سيناء (وكتاب مسطور) فسر بكتاب الاعمال ، وباللوح المحفوظ ،

وبالتوراة والانجيل ، وبالقرآن المنزل على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . والكل هنا محتمل لكن يؤيد ارادة القرآن الكريم قوله تعالى (في رق منشور) والرق جلد رقيق يكتب ، وقد كتب القرآن الكريم في الجلد في زمن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين جمع القرآن . وفي زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ في الجمع الثاني . (والبيت المعمور) يحتمل أن يكون المراد بيت المعمور الذي في السماء السابعة يجتمع فيه من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله ، أو بيت الكعبة الشريفة يطوف به الإنس والجن بحسب ما يعلمه العليم الخبير أو بيت المقدس . ويحتمل ان يراد به اي مسجد يذكر فيه الله تعالى أو أي بيت من بيوت المسلمين يعمر بذكر الله فإن الله يحب الذكر ومجالسه سواء كانت المساجد الثلاثة أو غيرها (والسقف المرفوع) أي السماء كما رواه جماعة وصححه الحاكم عن علي ـ كرم الله وجهه ـ (والبحر المسجور) أي الممتلىء أو المدفأ بالفوران ، فالبحر المسجور عبارة عن المحيط الفائر عند زلزلة الساعة . وهذه الاشياء مقسوم بها والمقسوم عليه قوله (ان عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع) أي ان عذاب الله الوارد في الآيات الكثيرة بالنسبة الى المستحقين للعذاب في الآخرة لواقع لا شك ولا شبهة فيه ، وان الدين أي جزاء الاعمال من الامور التي قضى الله تعالى به وسيتحقق و (ما له من دافع) يعارضه ويدفعه لانه جرت المشيئة وما شاء الله كان ويقع .

(يوم تمور السماء مورا) أي تضطرب اضطرابا أي ترتج وتشقق (وتسير الجبال سيرا) عن وجه الارض بعد انقلاعها عن أمكنتها فتصير هباء (فويل يومئذ للمكذبين) بالبعث والنشور وجزاء الاعمال (الذين هم في خوض) أي في اندفاع زائد في الهوى (يلعبون) ويطربون (يوم يدعون) أي يدفعون دفعا شديدا (الى نار جهنم دعا) أي دفعا ، ويقال لهم : (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) وتدعون أنها لا تأتي أبد الآبدين (أفسحر

هذا) الذي ترونه أيضا كالقرآن الذي كان يخبر به (أم أنتم لا تبصرون) أم أنتم عمْي عن المخبر كما كنتم في الدنيا (اصلوها) أي ادخلوها (فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم) هذان الأمران (انما تجزون ما كنتم تعملون) .

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ، وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ، وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا: إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ (٢٨) فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ)(٢٩)

قوله تعالى (إن المتقين) شروع في بيان حال المؤمنين بعد ذكر حال الكافرين فيقول : إن المتقين الذين احترزوا عن موجبات سخطه تعالى واكتسبوا أسباب مرضاته فهم (في جنات) عظيمة (ونعيم) عميم (فاكهين بما آتاهم) أي متنعمين ومتلذذين بما آتاهم (ربهم) من المشتهيات والمستلذات

(ووقيهم ربهم عذاب الجحيم) العذاب الذي كانوا يستحقونه على تقدير تبديل التقوى بالفسوق ، فان لكل انسان منزلين ، منزلا في الجنة ، ومنزلا في النار ، فاذا دخل الجنة قيل له : وقاك الله من منزلك في النار ، واذا دخل النار قيل له : لو اتقيت الله لوصلت الى ذلك المنزل المبارك الميمون في الجنة • فيقال لهم : (كلوا واشربوا هنيئا) أي كلوا أطعمة الجنة واشربوا مشروباتها من اللبن و العسل والماء الصافي الغير المتغير أكلا وشربا هنيئا (بما كنتم تعملون) في الدنيا • هذا من باب الأكل والشرب وأما من باب المسكن والمقام فأفاده بهذا الوصف الواقع من ضمير الجمع السابق أعني (متكئين على سرر مصفوفة) وأما الأليف فأفاده بقوله الكريم (وزوجناهم بحور عين) أي وقرناهم بحور عين ولذلك عدى بالباء ، والا فالتزويج متعد الى مفعولين بالذات •

ولما ذكر حال المتقين في أنفسهم ذكر أحوالهم بالنسبة الى أولادهم وقال : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان) قاصر عن درجة ايمان الآباء (ألحقنا بهم ذريتهم) في الدرجة اكراما لآبائهم • أخرج سعيد بن منصور ، وهناد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم والبيهقي في سننه عن ابن عباس قال : إن الله تعالى ليرفع ذرية المؤمن معه في درجته في الجنة وان كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه • ثم قرأ الآية • وفي روايه ابن مردويه والطبراني عنه أنه قال : إن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : (اذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده ، فيقال له : انهم لم يبلغوا درجتك وعملك ، فيقول يا ربي قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به) وقرأ ابن عباس الآية (وما ألتناهم) أي وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق (من عملهم) أي من ثواب عملهم (من شيىء) أي شيئا بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوباتهم وتنحط درجتهم ، وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض الفضل

والإحسان • وقوله تعالى (كل امرىء بما كسب رهين) قال الواحدي : هذا عود الى ذكر أهل النار فانهم مرتهنون في النار ، وأما المؤمن فلا يكون مرتهنا قال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين) وهو قول مجاهد وقال الزمخشري : كل امرىء بما كسب رهين عام ، فكل أحد مرهون عند الله بالكسب ، فان كسب خيرا فكّ رقبته والا أوبق بالرهن •

والذي أعتقده أن المقصود من جملة كل امرىء بما كسب رهين أن الإنسان كائنا من كان مربوط بعمله لا بعمل شخص آخر ، وهذا الإلحاق ليس من باب المكسوبات بل من باب الموهوبات ، فيكون جملة كل امرىء بما كسب رهين في معنى الغاية لما تقدم ، يعنى أنه وان كان الانسان مرهونا بكسبه لكنا تنظر الى الأبناء بغير النظر ، فان كانوا مؤمنين ألحقناهم برباط الآباء •

(وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) أي وزدناهم بما كان من مبادىء النعم وقتا فوقتا مما يشتهون (يتنازعون فيها كأسا) أي يتجاذبونها في الجنة هم وجلساؤهم تجاذب ملاعبة (لا لغو فيها) أي في شربها (ولا تأثيم) أي ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله (ويطوف عليهم غلمان) لهم أي مماليك مختصون بهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) أي مستور في كن مصون عن الأيدي يعني لم يتوسخ صفاؤه بمس أيدي الجفاء (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) بينهم يسأل بعضهم بعضا على وجه التحدث بالنعمة واظهار السرور والشكر عليه (انا كنا قبل) أي قبل الموت (في أهلنا مشفقين) أي خائفين من العاقبة لزوال العافية (فمنّ الله علينا) بالرحمة والإحسان (ووقانا عذاب السموم) أي عذاب النار الداخل في مسام الشعرات (إنا كنا من قبل ندعوه) نعبده ونسأله العافية في هذا اليوم (إنه هو البر الرحيم) أي المحسن الكثير الرحمة • وهذا الذي أوحيناه اليك حال الفريقين وبينهما

بعد" لا يناسب بُعدَ المشرقين (فذكر) المؤمنين برحمة الله وعذابه وبعقابه وثوابه ، ولا تهتم بنعرات السفهاء وأكاذيبهم (فما أنت بـ) سبب وصول (نعمة ربك) اليك والقاء أعباء الرسالة عليك (بكاهن) بائن عن الحق والحقيقة وآخذٍ مع الشياطين أسوأَ طريقةٍ (ولا) بشخص مختل العقل (مجنون) فانك معصوم بعون الله ومصون (وإن لك لأجرا غير ممنون) •

(أَمْ يَقُولُونَ شاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ؟(٣٠) قُلْ : تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ(٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا ؟ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طاغُونَ(٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ؟ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ(٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ(٣٤) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ ؟(٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لا يُوقِنُونَ(٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ ؟ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ؟(٣٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ؟ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطانٍ مُبِينٍ(٣٨) أَمْ لَهُ الْبَناتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ؟(٣٩) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً ؟ فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ(٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ(٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً ؟ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ(٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ ؟ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ !(٤٣) وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ ساقِطاً يَقُولُوا : سَحابٌ مَرْكُومٌ(٤٤) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ(٤٥) يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ(٤٦)

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ)(٤٩)

قوله تعالى (أم يقولون شاعر) أم منقطعة أي بل أيقولون هذا الرجل شاعر وليس برسول من الله ، ونتوقف وننتظر عروض نوائب الدهر عليه حتى يتوفى ، والريب القلق والعارض الذي يقلق الإنسان ، والمنون : قد يراد به الدهر ، وقد يراد به الموت . والمآل هو أنهم ينتظرون انقراض عهده وفوات رسالته ، ولم يعلموا أنه رسول الله المؤيد وكتابه كلام الله ، ولا مناسبة بينه وبين الشعر الذي مخلوط من أشكال من المشتهيات ، والمبالغات ، والاكاذيب المفتعلة ، وهذا الكتاب الذي يمنع الانسان عن كل ذلك ويوجهه الى الله الحي القيوم .

(قل تربصوا فإني معكم من المتربصين) أي انتظروا كما تريدون فإني من المنتظرين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أي أتأمرهم عقولهم الزائفة بهذا التناقض والتخالف من الكلام ؟ فمرة يقولون هو كاهن ومايقوله كهانة ، ومرة يقولون هو ساحر وكلامه سحر ، ومرة أخرى يقولون هو شاعر وكلامه شعر ، ولا ينظرون الى اختلاف أصناف الناس المختلفة الآداب من الكهنة والسحرة والشعراء (أم هم قوم طاغون ؟) متجاوزون في الحدود فيتكلمون بما يشتهون ، ولا ينظرون الى الحق ولا ينتبهون (أم يقولون تقوله ؟) أي هذا الكتاب كلام افتراه على الله تعالى (بل لا يؤمنون) بالحق فاختلت عقولهم واحتاروا (فليأتوا بحديث

مثله) أي مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فيما زعموا أنه كلام متقول فانه لو كان كذلك لكان في استطاعتهم أن يتقولوا أيضا كلاما كذلك .

(أم خلقوا) وتكونوا في الدنيا (من غير شيىء ؟) أي من غير خالق مؤثر (أم هم الخالقون ؟) لأنفسهم وكل ذينك باطل فان الأثر لا يكون بدون مؤثر ، والمؤثر لا يكون شخصا قادرا على الابداع والتكوين ، فاذا آل الأمر الى الاعتراف بأن لهم خالقا موصوفا بالكمال فكيف لا يطيعونه ولا ينقادون لدينه وشرعه ؟ (أم خلقوا السماوات والارض ؟) بما فيهما (بل لا يوقنون) أي لا يوقنون حقيقة الجواب ، لانهم اذا قالوا الله الذي خلق السماوات والارض وخلق ما فيهما وما عليهما من المعادن والنبات والحيوان وعلموا بحقيقة جوابهم ما كانوا ينحرفون عن الحق والصواب .

(أم عندهم خزائن ربك ؟) حتى تكون النبوة والرسالة عندهم يعطون من يشاءون ويمنعون عمن يشاءون (أم هم المصيطرون ؟) على الأمور حتى يأمروا بما يشاءون ويمنعوا ما يشاءون عن الناس ، كل ذلك لا توجد عندهم وانما هم أناس ضعفاء تحت قبضة القدرة ، فإذا شاء توفاهم في طرفة عين لكنه أمهلهم فصار لهم طغيان وتحكم على ماليس من شأنهم واستطاعتهم (أم لهم سلم) يصعدون عليه الى السماء (فيستمعون فيه ؟) كلام الملائكة أو غيرهم ممن يوثق بكلامه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) على أنه استمع شيئا يعتمد عليه (أم له البنات ولكم البنون ؟) وحاشا خلاق العالم واجب الوجود عن التناسب مع الممكن الموجود .

(أم تسئلهم أجرا) على تبليغ الدين اليهم (فهم من مغرم مثقلون) أي فهم مثقلون ذمة وأكتافا ولا يتحملون تلك الغرامة ولذلك تنفروا عنك وعن قبول دينك (أم عندهم الغيب) أي المقدر المكتوب في اللوح المحفوظ الذي

هو غيب وغائب عن الناس (فهم يكتبون) منه ويخبرون به الناس (أم يريدون كيدا ؟) بك وبشرعك حتى تموت ولا تروج شريعتك (فالذين كفروا هم المكيدون) يعني أنهم سفهاء خفاف العقول يتصورون أنهم الكائدون على الرسول ودينه ويعارضونهما ولا يعرفون أنهم المكيدون المغلوبون (أم لهم إله غير الله ؟ سبحان الله عما يشركون ! وإن يروا كسفا من السماء ساقطا) أي وان يروا قطعة من السحاب ساقطة لتعذيبهم (يقولوا سحاب مركوم) أي متراكم ملقى بعضه على بعض (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) أي حتى يلاقوا ذلك اليوم الذي يغمى عليهم من صيحة النفخ (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون) من جهة الغير اذ لا غير يريد بهم الخير .

(وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) العذاب من الجدب والقحط والغلاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن أمامهم أشياء لا يعرفونها (واصبر لحكم ربك) بإمهالهم فانه لا يجتمع مع الاهمال (فإنك بأعيننا) وتحت نظر عصمتنا وصيانتنا وعنايتنا ورعايتنا (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من كل مجلس ، وقل : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك . أو قل عندما تقوم الى الصلاة ودخلت فيها : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا اله غيرك . أو عندما تقوم من القيلولة صل صلاة الظهر (ومن الليل فسبحه) وفي بعض أوقات الليل سبح واحمد ربك ، أو صل الصلاة المكتوبة للوفاء بالواجب يعني صلاة المغرب وصلاة العشاء (وادبار النجوم) أي وسبح بحمد ربك عند ادبار النجوم وميلها الى الغروب والغياب . أو صل ركعتي الفجر عند ذلك . وفسره بعض بصلاة النوافل بالليل . والله نسأل أن يجعلنا في الدنيا من المسبحين ، وفي الآخرة من المستريحين .

سورة النجم ، مكية ، وهي أثنتان وستون آية ، نزلت بعد سورة الاخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١) ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وما غَوَى(٢)
وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى(٤) عَلَّمَهُ
شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى(٦) وَهُوَ بِالأُفُقِ
الأَعْلَى(٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى(٨) فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى(٩)
فَأَوْحَى إِلى عَبْدِهِ ما أَوْحَى(١٠) ما كَذَبَ الْفُؤَادُ ما رَأَى(١١)
أَفَتُمَارُونَهُ على ما يَرَى ؟(١٢) وَلَقَدْ رآه نَزْلَةً أُخْرَى(١٣)
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى(١٥) إِذْ يَغْشَى
السِّدْرَةَ ما يَغْشَى(١٦) ما زَاغَ الْبَصَرُ وما طَغَى(١٧) لَقَدْ رَأَى
مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)(١٨) .

قوله (والنجم اذا هوى) أقسم الباري سبحانه وتعالى بالنجم ، والمراد به جنس النجم المعروف ، وبهويه غروبه • أي اذا سقط الى الافق الغربي • وقال الحسن المراد النجوم اذا انتثرت في الفضاء في القيامة • وقال ابن عباس — رضي الله عنهما : المراد به النجوم اذا رجمت الشياطين • وقيل

المراد به : الثريا ، فإن النجم صار علما بالغلبة لها • وقيل : هو الشعرى المرادة بقوله تعالى (وأنه هو رب الشعرى) والكهان كانوا يتكلمون عن المغيبات عند طلوعها ، وقيل : الزهرة وكانت تعبد • وقيل المراد : المقدار النازل من القرآن ، والهوى نزوله • وعلى كل حال فالمقسم عليه قوله (ما ضل صاحبكم وما غوى) أي أنه ما تجاوز عن طريق الحق الذي هو الدعوة الى الله والميل الى الآخرة وما اعتقد باطلا قط ، فإن الغي هو الجهل بالواقع باعتقاد فاسد •

(وما ينطق) أي صاحبكم الذي هو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (عن الهوى) أي نطقا ناشئا عن هوى النفس بدون الايحاء من جانب القدس ، والمراد أنه ما يصدر نطقه فيما آتاكم به من جهته عزوجل كالقرآن عن الهوى (إن هو إلا وحي يوحى) أي ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله عز وجل يوحى اليه بوحي منه تعالى (علمه شديد القوى) أي الذات الذي شديدة قواه ، ودليل قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الاساس (ذو مرة) أي ذو حصافة ومتانة في العقل (فاستوى) أي فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقها الله عليه (وهو بالافق الاعلى) أي الجهة العلياء من السماء (ثم دنا فتدلى) أي قرب جبريل ـ عليه السلام ـ منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتعلق جبريل في الهواء (فكان) أي جبريل ـ عليه السلام ـ منه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (قاب قوسين أو أدنى) أي مقدار قوسين من قسي الاعراب أو أقل وأصله انه اذا تحالف رئيسان من العرب قعدا ووضعا قوسهما بينهما مربوطا رأس قوس هذا برأس قوس ذاك ، فاذا تم الحلف رمى كل منهما بسهم عن قوسه ، وكان ذلك شعار الناس في عقد الاحلاف • والآية كناية عن كمال القرب والاتصال بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجبريل ـ عليه السلام ـ •

وقوله (فأوحى) أي جبريل ـ عليه السلام (الى عبده) أي عبدالله ورسوله (ما أوحى) وابهام الموحى به للتفخيم • وقوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ما كذب فؤاد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رآه ببصره من صورة جبريل ـ عليه السلام ـ • والمقصود أن قلبه كان على وعي ورعاية ، وبصره على رؤية واقعية ودراية ، وتوافق على ذلك وكان المدرك والمبصر واحدا (أفتمارونه على ما يرى ؟) أي أتجادلونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما رآه وبقيت صورة المرئي عنده لانطباعها الثابت في حسه اللطيف • أو أتجادلونه على ما يرى من مثل ذلك ؟

(ولقد رآه) أي رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل (نزلة أخرى) أي مرة أخرى من النزول (عند سدرة المنتهى) أي عند شجرة النبق عن يمين العرش فوق السماء السابعة (عندها) أي عند السدرة (جنة المأوى) التي يأوي اليها المتقون يوم القيامة كما روي عن الحسن ، واستدل به على أن الجنة فوق السماء السابعة • وقال بعض كابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وقتادة : جنة المأوى تأوى اليها أرواح الشهداء، وليست بالتي وعد المتقون • وقيل : هي جنة تأوي اليها الملائكة ، والقول الاول أظهر • وكلمة المأوى تـُعَبـِّرُ عن أنها مأوى أهل الجنة ولو لطبقة خاصة ، فهم كما يظهر من قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقوله (اذ يغشى السدرة ما يغشى) متعلق برآه ، والمعنى اذ يغشى السدرة من الملائكة ما يغشى وراى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما رآه هناك من جبريل ومن عجائب مخلوقات الله تعالى ، ومع ذلك كله (ما زاغ البصر) أي ما مال بصر رسول الله عما رآه (وما طغى) أي وما تجاوزه بل اثبته اثباتا سليما مستيقنا ، وهذا تأكيد للامر الجاري من فيض ذات الباري جل جلاله ويفيد أن ذاته العالية الثابتة لم يعجبه ما رآه

لامتلائه بنور الحقيقة التي فوق المستوى • (لقد رأى) والله لقد رأى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من آيات ربه الكبرى) أي الآيات الكبريات التي لا يراها الا من خصه الله برحمته •

وهذا التفسير الى هنا كان مبنيا على أن الكلام في رؤية الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجبريل عليه السلام • والذي رآه المحققون المحقون المنصفون الناظرون الى سردِ العبارة ، وانتظام الضمائر ، وتقرير معنى الايحاء على الوجه المناسب ، هو ما قاله الحسن البصري ـ رضي الله تعالى عنه ـ وتبعه أناس كثيرون ، ونقله صاحبا روح البيان وروح المعاني من أن الكلام جار على ما جرى بين الله ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ • فعن الحسن : أن شديد القوى هو الله تعالى ، وجمع القوى للتعظيم ، وذو مرة بمعنى ذي الحكمة وما يليق أن يكون وصفا لله عز وجل • وجعل أبو حيان الضميرين في قوله تعالى فاستوى وهو بالافق الأعلى على ما روى عن الحسن له سبحانه وتعالى وقال : ان ذلك على معنى العظمة والقدرة والسلطان • ولعل الحسن يجعل الضمائر في قوله سبحانه ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى له عز وجل أيضا • وكذا الضمير المنصوب في قوله ولقد رآه نزلة أخرى ، فقد كان عليه الرحمة يحلف بالله تعالى لقد رأى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ، وفسر دنوه تعالى من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برفع مكانته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنده وتدليه بجذبه بكليته الى جانب القدس • وهذا المعنى هو الذى يطمئن اليه قلبي وأعتقد أن هذه الآيات تنطبق على حادثة المعراج الشريف • ورؤية ذات الباري في عالم الآخرة ثابتة على ما اعتقده أهل الحق من المتكلمين ، فتكون من الممكنات الخاصة والماهية الممكنة لا تنقلب الى الممتنع فيمكن أيضا أن يرى في الدنيا • وظاهر قوله تعالى ولقد رآه نزلة

اخرى عند سدرة المنتهى يدل عليها ، ولا ضرورة الى التأويل ، وأما كيفية رؤيته له تعالى فموكول الى علم الله الجليل . وهذا هو الذي يفيده سرد ظاهر الآيات الشريفة والله أعلم .

(أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ؟(١٩) وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ؟(٢١) تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى(٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى(٢٣) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى ؟(٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى(٢٥) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً ، إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ؟!(٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى(٢٧) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ، إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً(٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى(٣٠) ، وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى(٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ، إِلَّا اللَّمَمَ ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ، وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ

فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ، فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى)(٣٢)

قوله تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومنوة الثالثة الاخرى) أسماء أصنام للمشركين . فاللات ، كما قال قتادة ، لثقيف بالطائف . والعزى لغطفان ، وهي على المشهور سمرة بنخلة . روى ابن مردويه عن أبي الطفيل : لما فتح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكان بها العزى ، فأتاها خالد ، وكانت ثلاث سمرات ، فقطع السمرات ، وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم أتى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره . فقال : « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد ، فلما أبصرته السدنة مضوا وهم يقولون : يا عزى ياعزى ، فأتاها فاذا امرأة عريانة ، ناشرة شعرها ، تحثو التراب على رأسها ، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها ، ثم رجع الى رسول الله فأخبره ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « تلك العزى » . ومناة قيل : كانت صخرة لهذيل وخزاعة . وعن ابن عباس لثقيف . وعن قتادة للانصار بقديد . وقال أبو عبيدة كانت بالكعبة ، واستظهر أبو حيان أنها كانت ثلاثتها فيها . قال : لأن المخاطب في قوله (أفرايتم) قريش ، والاخرى صفة ذم كأنه قال سبحانه وتعالى ومناة الثالثة الذليلة . وذلك لان اللات على صورة آدمي ، والعزى صورة نبات ، ومناة صورة صخرة فالآدمي أشرف من النبات ، والنبات أشرف من الجماد ، فالجماد متأخر ، ومناة جماد فهي في أخريات المراتب .

(ألكم الذكر وله الانثى ؟) مع أنكم في مستوى الحيوانات من الادراك وتعبدون الشجر والحجر والنبات (تلك) القسمة التي أقررتموها (إذا) وأنتم في ذلك المستوى (قسمة ضيزى) جائرة غير عادلة ، حيث اعتبرتم له سبحانه ماتستنكفون عنه . وضيزى بكسر الضاد صفة مشبهة من ضاز

يضيز اذا جار وظلم • وأصله ضُيْزى بضم الضاد لان الوصف لم يستعمل الا بالضم ، فكسرنا الضاد حتى تسلم الياء ، والا كانت تقلب واوا لسكونها وضم ما قبلها فالتبست بالواوي • ويجوز أن تكون الكسرة أصلية على أنها مصدر كذكرى ، ولكن نحتاج الى تقدير المضاف يعني قسمة ذات ضيزى أي ذات جور • (ان هي) أي ما هي (إلا أسماء) وألفاظ تستعمل في مقابل جمادات ليس فيها معنى الشعور والعقل فضلا عن معنى الالوهية (سميتموها) صفة الاسماء وضميرها لها لا للاصنام • والمعنى جعلتموها أسماء ، فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم فمعناها جعلها اسما للمسمى ، واذا قيست الى المسمى فمعناها جعلها مسمى للاسم ، وانما اخترهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الاصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله سبحانه (ما تعبدون من دونه الا اسماء) وقوله (أنتم) تأكيد لضمير الجمع المرفوع (وآباؤكم) معطوف عليه بعد التأكيد (ما أنزل الله بها) أي بتلك الاسماء (من سلطان) أي برهان يستدلون به (إن يتبعون) أي أولئك المشركون الواضعون لتلك الاسماء (الا الظن) أي الا توهما بأن ما هم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) عطف على الظن أي وما يتبعون الا ما تهوى الانفس الأمارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي الدليل الحق على أن ما جاءوا به واتبعوه باطل عاطل •

(أم للانسان ما تمنى) أي أبل للانسان ما تمنى واشتهى من وجود آلهة مزيفة تقربهم الى الله الحق زلفى ويطمعون فيهم خير الدنيا والشفاعة في الآخرة ؟ وبديهي أن الجواب هو النفي الصرف (فلله الآخرة والأولى) اى ان لله الآخرة والأولى ولا نصيب للاصنام فيهما (وكم من مَلَكٍ في السماوات

لا تغنى شفاعتهم شيئا) من الإغناء (الا من بعد أن يأذن الله لمن يشــاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه الباري أهلا للشفاعة •

(ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى) فإنهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه (وما لهم به من علم) أي والحال أنه لا علم لهم أصلا بما يقولون (ان يتبعون) في تلك التسمية (إلا الظن) اي التوهم الباطل (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) من الإغناء فهم جمع متولون عن ذكرنا (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) ولذتها بأي وجه يمكن الوصول اليها (ذلك مبلغهم من العلم) أي أمر الحياة الدنيا مبلغهم ومنتهى ما وصل اليه علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) أي الصراط المستقيم (وهو أعلم بمن اهتدى) •

(ولله ما في السماوات وما في الارض ليجزي الذين أساؤا بما عملــوا) أي ليجزي الضالين المسيئين بجزاء ما عملوا وهو العقــاب وعذاب النــار (ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) أي بالمثوبة الحسنى وقولــه (الذيــن يجتنبون) بدل من الموصول في قوله ليجزي الذين أحسنوا بالحسنى ، أي ليجزي الذين أحسنوا (الذين يجتنبون كبائر الإثم) مما يشعر بقلة اكتراث صاحبــه بالــدين (والفواحــــش) وهو مــا عظــم قبحــه من الكبائــر لتعلقها بهتك الاعراض وقوله (إلا اللمم) أي الصغائر استثناء من الكبائر استثناء منقطعا (ان ربك واسع المغفرة) أي لهم (هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض) انشاء اجماليا (واذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم) على الأطوار المختلفة المذكورة (فلا تزكوا أنفسكم) ولا تثنوا على أنفسكم بالنظافــة والطهارة عن الأوساخ والآثام (هو أعلم بمن اتقى) المعاصي وتركها •

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ؟(٣٣) وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى(٣٤)
أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى(٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي
صُحُفِ مُوسَى ؟(٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى(٣٧) أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَى(٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى(٣٩) وَأَنَّ
سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى(٤٠) ثُمَّ يُجْزِيهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى(٤١) وَأَنَّ إِلَى
رَبِّكَ الْمُنْتَهَى(٤٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى(٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ
أَمَاتَ وَأَحْيَا(٤٤) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى(٤٥)
مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى(٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى(٤٧) وَأَنَّهُ
هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى(٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى(٤٩) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ
عَادًا الأُولَى(٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى(٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى(٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَى(٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى(٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ؟(٥٥)
هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى(٥٦) أَزِفَتِ الْآزِفَةُ(٥٧) لَيْسَ
لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ(٥٨) أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ؟(٥٩)
وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ(٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ؟!(٦١) فَاسْجُدُوا
لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾(٦٢)

قوله تعالى (أفرأيت الذي تولى) أي الرجل الذي تولى وأعرض عن قبول الاسلام (وأعطى قليلا وأكدى) أي وأعطى شيئا قليلا من المال ثم قطع العطاء . نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجلس اليه ووعظه . فقرب من الاسلام ، وطمع فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ . ثم انه عاتبه رجل من المشركين وقال له : أتترك

ملة آبائك ؟ ارجع الى دينك واثبت عليه ، وأنا أتحمل عنك كل شيء تخافه في الآخرة ، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال ! فوافقه الوليد على ذلك ، ورجع عما هم به من الإسلام وضل ضلالا بعيدا ، وأعطى بعض المال لذلك الرجل ثم أمسك عنه وشح (أعنده علم الغيب فهو يرى ؟) أن صاحبه يتحمل عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى ؟) أي وفى بما التزمه من أوامر الله تعالى ، أو بالغ في الوفاء بما عاهد عليه ربه سبحانه وتعالى .

قال ابن عباس وفى بسهام الاسلام كلها ولم يوف بها أحد غيره . وهي ثلاثون سهما ، منها عشرة في براءة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ...) الآيات . وعشرة في الأحزاب (ان المسلمين والمسلمات ...) الآيات . وست في (قد أفلح المؤمنون) . وأربع في (سأل سائل) والذين يصدقون بيوم الدين والاولى اعتبار العموم فيما وفى به ، ومن أهمها مقابلة نمرود ، وقبول القائه في النار ، والوفاء بما رأى في رؤياه ، وتركه اسماعيل وأمه في الحجاز عند بيت الله الحرام . ومن جملة ما في صحف موسى وابراهيم ـ عليهما السلام ـ (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أي ولا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أي ليس له بطريق الاستحقاق الا جزاء سعيه وكسبه . ما يعتبر كسبا له من الامور وهي : صدقة جارية ، وعلم علمه الناس وانتفعوا به ، وولد صالح يدعو له . وأما ما عدا ذلك فيصله الأجر بطريق الفضل . فلله سبحانه في هذا الموضوع بابان : باب الاستحقاق والعدل ، وباب الاحسان والفضل .

وقال بعض الاجلة من المحققين : انه ورد في الكتاب والسنة ، ما هو قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير وهو ينافي ظاهر الآية مع قوله تعالى : والله يضاعف لمن يشاء ، فتقييد بما لا يهبه العامل لذلك الانسان . وسأل

والي خراسان عبدالله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله تعالى والله يضاعف لمن يشاء فقال : ليس له بالعدل الا ما سعى ، وله بالفضل ما شاء الله تعالى ، فقبل عبدالله رأس الحسين •

وفي الأذكار للنووي ــ عليه الرحمة ــ : المشهور من مذهب الشافعي ــ رضي الله عنه ــ وجماعة أنها لا تصل (أي ثواب العبادات البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة بل غيرها كالصدقة والحج) وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء ومن أصحاب الشافعي الى أنها تصل • فالاختيار أن يقول القارىء بعد فراغه : أللهم أوصل ثواب ما قرأته الى فلان • والظاهر أنه اذا قال ذلك ونحوه كوهبت ثواب ما قرأته لفلان بقلبه كفى • وعن بعضهم اشتراط نية النيابة أول القراءة ، وفي القلب منه شيىء •

وللمسلم أن يقلد الائمة القائلين بوصول ثواب الاعمال البدنية وغيرها كالصدقة وسائرها ، فإن باب الفضل والرحمة واسع جدا • وذكر الشيخ أحمد ابن حجر الهيتمي ــ رحمه الله ــ في كتاب الإجارة من تحفته بجواز استئجار القارىء لقراءة القرآن للموتى • وفي فتح المعين لتلميذه التلنباري أن الشيخ السبكي قضى الصلوات الفائتة عن بعض أقاربه • وعموم فضله ورحمته ، وتواتر الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، والدعاء لهم يدعونا الى ما درج عليه سلفنا الصالح ، وليست أعمالنا لأنفسنا أقرب الى القبول منها لغيرنا • والله ولي المؤمنين •

ومن قلد القائلين بعدم وصول ثوابها لغيره لا يجوز له قطعا منع المقلد للقائلين بوصولها إليه ، فان المقلد لامام ليس له حق المنع لمقلد امام آخر فليتنبه لهذا والله اعلم •

تنبيه : قد علمت أن حملنا الحصر في قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى على حصر الاعمال التي توجب الجزاء على أصول العدل ، والا فباب

الفضل لا حصر فيه لامور منها : قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « الدال على خير كفاعله » ومنها قوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) ومنها أن الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير . ومنها أنه ثبتت شفاعة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاهل الموقف في الحساب ، ثم لاهل الجنة في دخولها ، ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار . ومنها ما ثبت من أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض . ومنها قوله تعالى : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور) ومنها ما ثبت أن الله يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته ، وهذا انتفاع بغير عملهم . ومنها أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بحسنات آبائهم ومنها قوله تعالى في قصة اليتيمين (وكان أبوهما صالحا) ومنها ما ثبت أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص السنة والاجماع . ومنها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة . ومنها أن الحج المنذور او الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير . ومنها أن المدين قد امتنع ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة ، وقضى دين آخر علي بن أبي طالب وانتفع بصلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو من عمل الغير . ولذلك قال الشيخ تقي الدين احمد ابن تيمية : من اعتقد أن الانسان لا ينتفع الا بعمله فقد خرج عن الإجماع . هذا ونسأل الله التوفيق على الاعتدال في في العقائد والاقوال والاعمال . وهو حسبي ونعم الوكيل .

(وأن سعيه سوف يرى) أي يكشف له يوم القيامة في صحيفته وميزانه ويوزن له (ثم يجزيه الجزاء الاوفى) الضمير المرفوع عائد الى الانسان ، والمنصوب عائد على السعي والجزاء الاوفى مصدر مبين للنوع (وأن الى ربك المنتهى) أي أن انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا الى

غيره استقلالا ولا اشتراكا ، والمراد بذلك رجوعهم اليه سبحانه يوم القيامة حين يحشرون (وأنه هو أضحك وأبكى) أي يخلق ما يضحك الانسان أو يبكيه لان الضحك من التعجب وهو ادراك أمور غريبة لا يعرف أسبابها ، والبكاء من الحزن ، ومنشأ كل ذلك بخلق الله تعالى . (وأنه هو أمات وأحيا) أي خلق الموت والحياة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى) من كل نوع من أنواع الحيوانات وكذلك من النبات ، وخلق الذكران والاناث (من نطفة اذا تمنى) أي تقطع من محله الاصلي وتدفق في الرحم . (وأن عليه النشأة الاخرى) أي الانشاء والاحياء الاخير بعد النشأة الاولى .

(وأنه هو أغنى وأقنى) أي يغني الانسان باعطاء ما يحتاج اليه لضرورة حياته ويعطيه ما يقتنيه ويدخره لمستقبله مما يبقى ويدوم (وأنه هو رب الشعرى) وهي كوكب جنوبي عبدتها حمير وخزاعة ، ومن العرب من كان يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم ولما كان اعتقادهم بذلك فاسدا رد عليهم سبحانه وتعالى بأنه مادة من المواد السماوية وكوكب من الكواكب خلقه الله تعالى ورباه وراعاه . (وأنه أهلك عادا الاولى) أي القدماء لانهم أولى الامم اهلاكا بعد قوم نوح . واما عاد الاخرى فهي قبيلة كانت بمكة مع العماليق ، ولم يكن على قوة الاولى (وثمود) أي وأهلك ثمود (فما أبقى) منهم أحدا . أو معناه أخذ كلا منهم بذنوبه (وقوم نوح) أي وأهلك قوم نوح (من قبل) إهلاك عاد وثمود (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من أضرابهم وكانوا يتفننون في تعذيب الناس (والمؤتفكة أهوى) وأسقط المؤتفكة بعد قلعها عن الارض ورفعها (فغشاها) أي فغطاها (ما غشى) ما غطى من المدمرات والمعذبات (فبأي آلاء) من آلاء (ربك) سواء كانت آلاء للكل كنعمة الإرشاد والتربية ، أو

آلاء لبعض وبلاء لبعض كإهلاك الامم الظالمة التي هي آلاء للفقراء (تتمارى ؟) تتشكك يعني ان هذه الامم الطاغية الباغية قد أهلكت فصار اهلاكهم عبرة وعظة لكثير من الناس ، وكانت آلاء للمظلومين لخلاصهم عن الظلم ، وكلها كانت واقعة وثابتة لا مجال للتشكك فيها ، وحق الكافرين في مكة أن لا يتشككوا فيها ويعتبروا بها ، فمادام لا يعتبرون فلا تهتم بهم فإنهم عما قريب يهلكون .

(هذا نذير من النذر الأولى) أي أن رسولنا نذير للكافرين من جنس المنذرين الأول القدامى وسنة الله فيمن عصاه سنته فيمن سبقهم من الامم ، ولا تجد لسنة الله تبديلا (أزفت الآزفة) أي اقتربت الساعة التي هي دوما أخذت تتقارب لأن كل آت هو على الاستمرار مع مزيد الاقتراب (ليس لها من دون الله كاشفة) لا كاشف عن حقيقة ما يقع فيها الا الله ، أو لا دافع للعذاب الواقع فيها الا الله (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن الكريم المعجز النفيس (تعجبون ؟) انكارا له (وتضحكون) استهزاء به وبمن معه لعدم شعوركم بما فيهما من النور وانشراح للصدور (ولا تبكون) على انفسكم من النار التي ستدخلونها أو لا تبكون على جهلكم وسوء حالكم (وأنتم سامدون) لاهون لا تتأثرون بما فيه من وجوه العبر والمواعظ . وما دام بقيتم على الغفلة منه الى الآن (فاسجدوا لله) الذي أنزله (واعبدوه) لعله يتوب عليكم بالهدايا للايمان . وهذه آية سجدة عند أكثر أهل العلم وقد سجد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ عندها . أخرج الشيخان وأبو داود والنسائي وابن مردوية عن ابن مسعود قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة (والنجم) فسجد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وسجد الناس كلهم إلا رجلا ... الحديث .

سورة القمر ، مكية وآياتها خمس وخمسون ،

نزلت بعد الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

(اِقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ، وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ ، يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٧) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ : هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ)(٨)

قوله تعالى (اقتربت الساعة) أي قربت جدا (وانشق القمر) أي انفصل بعضه عن بعض • وذلك على عهد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل الهجرة بنحو خمس سنين • فقد صح من رواية الشيخين وابن جرير عن أنس ان أهل مكة سألوه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يريهم آية

فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . والاحاديث الصحيحة في الانشقاق كثيرة ، واختلف في تواتره فقيل هو غير متواتر . وفي شرح المواقف الشريفي أنه متواتر ، وهو الذي اختاره العلامة ابن السبكي قال في شرحه لمختصر ابن الحاجب : الصحيح عندي أن انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن ، مروي في الصحيحين وغيرهما من طرق شتى بحيث لا يمترى في تواتره . إنتهى باختصار .

وقد جاءت أحاديثه في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم علي ـ كرم الله وجهه ـ ، وأنس ، وابن مسعود ، وحذيفة وجبير بن مطعم ، وابن عمر ، وغيرهم ...

(وان يروا آية) أي آية دالة على صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في دعوى رسالته من الله تعالى يعني معجزة من المعجزات (يعرضوا) عن التأمل فيها أو يعرضوا عن جعلها دليلا على صدقه فيها (ويقولوا سحر مستمر) أي مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان . وقيل : معنى مستمر أنه يشبه بعضه بعضا ، أي استمرت أفعاله على هذا الوجه من التخييلات (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أي وكذب المشركون آية انشقاق القمر الحادث على يد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما كذبوا سائر آياته واتبعوا في ذلك أهواءهم الفاسدة (وكل أمر مستقر) أي وكل أمر من الأمور منته الى غاية يستقر عليها ومن جملة تلك الامور أمر رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولابد يستقر ويثبت في الواقع على رغم انوف الكفار لانه شاء الله استقراره ، وما شاء الله كان (ولقد جاءهم) أي والله لقد جاءهم في القرآن (من الانباء) أي أنباء القرى الهالكة بغضب الله تعالى (ما فيه مزدجر) وانقلاع وارتداع عن المشي وراء الاهواء والنفس والشيطان (حكمة بالغة)

أي وما جاءهم في القرآن الكريم أخبار وأحوال صادقة محكمة غاية الاحكام لا خلل فيها • ولما جاءتهم تلك الحكم القرآنية وما استفادوا منها بل عارضوها شر المعارضة حق عليهم قول (فما تغن النذر) جمع نذير بمعنى منذر ، أي فما تغني بعد هذه الآيات التي جاءتهم سائر الامور المنذرة لهم ، لأنه طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ••

(فتول عنهم) أي وما دام لا تغني النذر فتول عنهم أي اترك قتالهم ، أو اترك الجدال معهم فان كان الاول فهو منسوخ بالامر بالقتال ، وان كان الثاني فالآية محكمة ثابتة • (يوم) ظرف لقوله الآتي يخرجون أي يوم (يدعو الداعي) وهو إسرافيل جميع المكلفين (الى شيىء نكر) مستكره على النفوس حالكونهم (خُشعاً أبصارهم) حال من فاعل (يخرجون من الأجداث) أي القبور ، أي يخرجون من القبور يوم البعث والنشور خاشعي الابصار وخافضيها من الخجل في الظهور (كأنهم جراد منتشر) في الكثرة والتموج والانتشار في الاقطار (مهطعين الى الداع) مسرعين في السير الى الداعي أو التوجه اليه والانتظار لامره (يقول الكافرون : هذا يوم عسر") أي صعب شديد • وذلك لما يشاهدونه من مخايل القهر والانتقام ••

(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، فَكَذَّبُوا عَبْدَنا وَقالُوا : مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ(٩) فَدَعا رَبَّهُ : أنّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ(١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوابَ السَّماءِ بماءٍ مُنْهَمِرٍ(١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً ، فَالْتَقَى الماءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ(١٢) وَحَمَلْناهُ عَلى ذاتِ أَلْواحٍ وَدُسُرٍ(١٣) تَجْري بِأَعْيُنِنا جَزاءً لِمَنْ كانَ كُفِرَ(١٤) وَلَقَدْ تَرَكْناها آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟(١٥) فَكَيْفَ

كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ، فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(١٧)

قوله تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح) شروع في تذكير أحوال بعض من المشركين فقال كذبت قبلهم قوم نوح (فكذبوا عبدنا) أي نوحا (وقالوا مجنون) أي لم يكتفوا بالتكذيب وأضافوا اليه رميه بالجنون واختلال العقل وقالوا : ازدجرته الجن وذهبت بلبّه واختبطته (فدعا ربه أني مغلوب فانتصر) أي فدعا ربه بأني مغلوب لقلة أعواني فانتقم لي منهم ، أو فانتصر لنفسك يا ربي فانهم كذبوا رسولك (ففتحنا أبواب السماء بماءٍ منهمر) أي منصب ، وقيل كثير (وفجرنا الارض عيونا) أي وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة (فالتقى الماء) أي ماء السماء بماء الأرض (على أمر قد قدر) أي قدرها الله تعالى (وحملناه) أي نوحا ومن معه (على ذات ألواح ودسر) أي فحملناه ومن معه على سفينة ذات ألواح خشبية ومسامير دقت فيها للربط (تجري بأعيننا) أي تجري تلك السفينة على سطح الماء المتموج برعايتنا وصيانتنا لها عن أن تنقلب بموجة مائية أو بريح شديدة ، وفعلنا ذلك (جزاء لمن كان كفر) أي وأهلكنا الكافرين جزاء لهم (ولقد تركناها آية) أي وقد أبقينا السفينة وأخشابها على الجودي لتكون آية وعلامة على ما جرى بأمرنا ، أو جعلنا تلك الحادثة نفسها آية تكون عبرة للمعتبرين (فهل من مدكر ؟) يتذكر ما جرى ليعتبر به (فكيف كان عذابي ونذر ؟) أي فانظروا كيف كان عذابي للمنذرين ، وكيف كان انذاري لهم سابقا ؟ أي أنذرتهم انذارا شديد اللهجة ولم يسمعوا ، ومن أنذر فقد أعذر ، أي سلب العذر عن المقابل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي لتلاوته وتذكر معناه والعبرة والاتعاظ (فهل من مدكر ؟) متذكر يستفيد منه •

(كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَنُذُرِ ؟(١٨) إنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصراً في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ(١٩) تَنْزِعُ النّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ(٢٠) فَكَيْفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ ؟(٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْر فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟(٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بالنُّذُرِ(٢٣) فَقالُوا : أَبَشَراً مِنّا واحِداً نَتَّبِعُهُ ؟ إنّا إذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ(٢٤) ءَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنا ؟ بَلْ هُوَ كَذّابٌ أَشِرٌ(٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذّابُ الأَشِرُ ا(٢٦) إنّا مُرْسِلُوا النّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ ، فارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ(٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أنَّ الماءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ(٢٨) فَنادَوْا صاحِبَهُمْ فَتَعاطى فَعَقَرَ(٢٩) فَكَيْفَ كانَ عذابي ونذرِ(٣٠) إنّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ(٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)(٣٢)

قوله تعالى : (كذبت عاد) عقب بحث قوم نوح بقوم عاد تذكيرا بقدرة الله تعالى على اهلاك قوم كما يشاء وله وسائل عديدة لتدمير أعدائه ، وما يعلم جنود ربك الا هو كي يتعظ المتعظون ، فيقول : كذبت عاد اي كذبت بعبدي هود ولم يتعظوا ببلاغه (فكيف كان عذابي ونذر) أي وانذاري، أو ماأنذروا به، (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) أي انا عذبناهم بأن أرسلنا عليهم ريحا شديدة الصوت ، شديدة النفوذ في الأسماع ، شديدة النضج للبدن (في يوم نحس) شؤم عليهم (مستمر) ليالي سبعا وأياما ثمانية ، أو استمر عليهم

الشؤم في البرزخ بعد الهلاك ، ويستمر الى أن يدخلوا جهنم وبئس المصير (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) أي كأنهم أعجاز نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض (فكيف كان عذابي ونذر ؟)

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) يتذكر ويتعظ ويتبصر .

(كذبت ثمود بالنذر) أي بالمنذرين والمنذر بالنسبة اليهم وان كان واحدا وهو سيدنا صالح ، لكن من كذب رسولا في تبليغ الدين فقد كذب رسلا كثيرين، لأن المنهج واحد وهو الدعوة الى الله رب العالمين (فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه ؟ إنا إذا) أي اذا اتبعنا ذلك (لفي ضلال) عن الحق (وسعر) أي نيران كثيرة ، وجمع السعير باعتبار دركاتها .

(ءألقي الذكر عليه من بيننا ؟) وفينا من هو أحق به منه مالا وجمالا وقوة (بل هو كذاب أشر) أي شديد البطر ، ورد عليهم الباري بقوله الكريم (سيعلمون غدا) يوم القيامة أو يوما يهلكون فيه ، ويخرج صالح بسلامة (من الكذاب الأشر) أمن يدعو الى التوحيد لله ؟ أو من يكفر ويشرك بالله ؟ وقوله تعالى (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم) أي ثم طلبوا من صالح معجزة ، فاقترحوا أن تخرج ناقة من صخرة في ديارهم عينوها ، ولما علمنا بأنهم متعنتون ولا يسترشدون أخرجنا لهم الناقة منها ، ولكن جعلناها فتنة وامتحانا لهم وامتهانا (فارتقبهم) أي وقلنا لرسولنا صالح : ارتقبهم أي انتظرهم لتر ما يأتون به (واصطبر) على ما اتوا به اذا كان من باب سوء الأدب (ونبئهم أن الماء) المعهود بينهم للشرب (قسمة بينهم) مقسوم بينهم حسب الحاجة (كل شرب) ونصيب منه (محتضر) ومهيأ لصاحبه المعين في نوبته .

(فنادوا صاحبهم) المعروف للاعمال السيئة قدار بن سالف لعقر ناقة صالح حتى لا تزاحم نوقهم في الشرب (فتعاطى) العقر وتجاسر على الحق

(فعقر) الناقة وقطع قوائمها (فكيف كان عذابي ونذر ؟ انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) هي صيحة جبريل ـ عليه السلام ـ صباح يوم الأحد (فكانوا) أي فصاروا (كهشيم المحتظر) أي كالعشب اليابس الذي يجمعه الناس في الحظيرة للمواشي والبهائم (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟) أي فهل هناك واحد ماجد يتلو القرآن ويتفكر في معناه ويستنبط أسراره ويعتبر به ؟

(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ(٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً ، إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ(٣٤) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ(٣٥) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا ، فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ(٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ ، فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ(٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ(٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)(٤٠)

قوله (كذبت قوم لوط بالنذر) على منهج أمثاله (إنا أرسلنا عليهم حاصبا) أي ملكا يحصبهم أي يرميهم بالحجارة ، أو ريحا حاصبة ترميهم بالحصباء عليهم (إلا آل لوط) أي اتباعه وأهله المؤمنين به (نجيناهم بسحر) أي في سحر (كذلك) أي فعلنا مثل ذلك ، وبمثله (نجزي من شكر) لان تدمير العدو تعمير الصديق (ولقد أنذرهم) أي لوط (بطشتنا) أي بأخذتنا الشديدة لهم بالعذاب (فتماروا بالنذر) أي فتشككوا بالمنذرين على ماقلنا، وبالانذارات المتتالية (ولقد راودوه عن ضيفه) أي صرفوه عن اتجاهه

المؤدب المحترم وأرادوا إقناعه على السكوت عما يريدون ، وطلبوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) أي أزلنا أثرها ومنعناها عن ابصار الضيف (فذوقوا عذابي ونذر) أي فعذبناهم وقلنا لهم : ذوقوا عذابي ونذر (ولقد صبحهم بكرة) أي أول النهار (عذاب مستقر) أي لزمهم حتى أهلكهم (فذوقوا) أي فقلنا ذوقوا (عذابي ونذر • ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ؟) يتذكــر •

(وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا ، فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ؟ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ؟ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ : نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ؟ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ : ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ؟ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ)(٥٥)

قوله : (ولقد جاء آل فرعون النذر • كذبوا بآياتنا كلها) فما نسبوها الينا ونسبوها الى السحر (فأخذناهم) أي آل فرعون (أخذ عزيز مقتدر) مسيطر لايعجزه معجز ولايمنعه مانع (أكفاركم خير من أولئكم ؟) يخاطب المشركين

المنكرين للرسول وللكتاب المنزل عليه فيقول لهم : أكفاركم خير من أولئكم الأقوام المعدودين المهلكين خيرية يحسبها حسابكم ؟ أي من جهة المال والجاه والعدد والعدد والقوة المعنوية وسائر وسائل الاستيلاء (أم لكم براءة) من عذاب الله مكتوب (في الزبر) النازلة من السماء إذا كنتم مصدقين بها ؟ (أم يقولون) على حسب الدعوى والزعم الفارغ نحن جماعة ذات شوكة ومهابة وعز وانتصار على غيرنا اذا قابلناه وحاربناه ، واذا كانت لكم دعوى كذلك فهي باطلة واذا كان لهم جمع كذلك قلنا لهم : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أي الأدبار وقد كان هذا من دلائل النبوة فقد نزل يوم لم يكن قتال فصار للرسول شوكة وخافوا على استيلائه فأرادوا قتله ، فهاجر الى المدينة المنورة ، وبعد سنين حدثت واقعة بدر الكبرى وانهزم المشركون وولوا أدبارهم (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) أي ليس ذلك الانهزام تمام عقوبتهم بل الساعة موعد عذابهم والساعة وعذابها أدهى أي اعظم داهية وبلاء وأمر عذابا وذوقا للعذاب .

(إن المجرمين في ضلال) من طريق الحق في الدنيا (وسعر) في الآخرة بحسب استحقاقهم (يوم يسحبون في النار على وجوههم) ويقال لهم من جانب الملك المأمور : (ذوقوا مس سقر) أي المرارة الروحية والجسدية الناشئة عن مس سقر ونارها الى الابد وقوله تعالى (انا كل شيىء خلقناه بقدر) روي بنصب كل على تقدير فعل مضمر يفسره الفعل الظاهر المشتغل عنه بالعمل في ضميره ، وتفيد هذه الآية بهذه القراءة المعنى الصحيح الموافق لاعتقاد جمهور المسلمين ، حيث قال تعالى انا خلقنا كل شيىء بقدر أي على حد مقرر مقدر معلوم لنا من الأزل الى الابد مقارن للحكمة الالهية في أفعاله ، ولا يخرج شيىء عن علمنا وقدرتنا الابداعية . فالقدر على هذا عبارة عن التقدير العلمي الأزلي وذلك لان نصب كل يكون بفعل مضمر يفسره الفعل

الظاهر ، واذا ذكر المضمر لا يبقى الظاهر لانه عوض عنه والعوض والمعوض لا يجتمعان ، فيكون الحاصل انا خلقنا كل شيىء بقدر ، فلا يخرج عين ولا عرض عن خلقه وابداعه تعالى .

(وما أمرنا الا واحدة) أي وما شأننا الا فعلة واحدة وهي ايجاد المراد بلا معالجة ومشقة ، أو ما أمرنا الا كلمة واحدة وهي قوله تعالى (كن) فالأمر على الاول بمعنى الشأن ، وعلى الثاني بمعنى الامر المقابل للنهي ، لكن يجب أن يعلم أنه ليس المراد بالامر التلفظ بصيغة (كن) بل المقصود توجيه الإرادة نحو المراد الموجب لوجوده فورا ، وهذا في البسائط المجردة عن المادة كالأرواح واضح ، وكذلك الحال في الماديات البسيطة على تقدير وجودها . وأما المركب من الأجزاء فالاجزاء كل منها شيىء ، والمجموع المركب منها شيىء آخر ، فأمره بالنسبة الى الاجزاء واحد وبالنسبة الى خلق المركب من المجموع واحد ، مع العلم أن الله تعالى قادر على خلق جميع المركبات بل مجموعها المؤلف من العلويات والسفليات في آن واحد .

(ولقد أهلكنا اشياعكم) أي أشباهكم وأمثالكم في الكفر والتمرد على الحق ولم يجدوا وليا ولا نصيرا (فهل من مدكر) يتذكر أن الله كما أهلك الامم القوية الجبارة الماضية ، قادر على أن يهلك الامم المتمردة الحاضرة ، فليحذروا عن مخالفة أمره تعالى (وكل شيىء فعلوه) أي أولئك الاشياع (في الزبر) أي مكتوب في دفتر الاعمال المحفوظ عند المأمور المختص (وكل صغير وكبير مستطر) ولا يتوهمن أحد أنه أهمل شيىء منهما مطلقا (إن المتقين)

أي من العقائد والاعمال السيئة (في جنات) عظيمة الشأن (ونهر) أي وفي انهار وافراد اسم الجنس لرعاية الفواصل • وقوله (في مقعد صدق) أي في مكان مرضي محترم ، أي في مقعد يقال في حقه صدق الله عبده وعده وهو المقام الرفيع العالي في الجنة والمجاورة المستفادة من قوله تعالى (عند مليك مقتدر) للترفيع واعلان الشأن والمقام • يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

سورة الرحمن ، مكية وآياتها ثمان وسبعون
نزلت بعد الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

(الرَّحمنُ (١) عَلَّمَ القُرآنَ (٢) خَلَقَ الإنسانَ (٣) عَلَّمَهُ البَيانَ (٤) الشَّمسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ (٥) وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدانِ (٦) وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ المِيزانَ (٧) أَلاَّ تَطْغَوْا فِي المِيزانِ (٨) وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بِالقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا المِيزانَ (٩) والأَرْضَ وَضَعَها لِلأَنامِ (١٠) فِيها فاكِهَةٌ والنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ (١١) والحَبُّ ذو العَصْفِ ، والرَّيْحانُ (١٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟)(١٣)

قوله تعالى (الرحمن) مبتدأ ، والجملة بعده خبره • ثم هذه السورة مختصة ببيان نعم الباري تعالى لعباده ، ولما نزلت النعم من سماء الرحمة صدرها بقوله الرحمن لتذكير الناس أن رحمة الباري تعالى هي ينبوع المكارم والخيرات • ولما كان القرآن الكريم أجل وأفضل نعمة أنعم الله بها على عباده قدم هذه النعمة الجليلة ، فقال : (الرحمن علم القرآن) ولما كان

الانسان أشرف خلق الله المتمتع بنعمه عقبه بقوله (خلق الإنسان) وبما أن الإنسان لا يستفيد بنفسه ولا يفيد غيره الا بالبيان المعرب عما في الضمير أتى بعده بقوله : (علمه البيان) ولما كانت معيشة الانسان والحيوان متوقفة على زمان الكسب والاستراحة ويحصلان عادة بالليل والنهار الحاصلين من الشمس والقمر .. عقب تلك النعم بذكر الشمس والقمر وكونهما ملابسين لحساب مقرر . ولما كان الاقتيات بالناميات التي لها ساق أولا ذكر النجم وهو النبات الذي لاساق له، والشجر وهو النبات الذي له ساق. ولما كان هذا العالم الحي محتاجا الى فيض أمطار الرحمة وسائر البركات النازلة أتى بعدها بذكر رفع السماء ووضع الميزان لدوران كواكبها ، أو بذكر الميزان الذي له دور هام في رعاية العدالة بين الأنام ، والمعاملات فإن الطغيان فيها يوجب النقصان في حياة الانسان ، والعدل فيها يوجب تكافؤ أفراده في الحقوق أتى بعدها بالنهي عن الطغيان فيه والجور في استعماله فيقول الباري سبحانه : الرحمن الذي هو المختص بإفاضة الرحمة على العالم علم رسوله وسائر عباده المؤمنين القرآن الذي هو مجمع السعادة في الدارين ومنبع الخيرات وخلق الانسان لتعلم واجب حياتهم في دنياهم وسعادتهم في عقباهم من ذلك القرآن ، وعلمه البيان الفصيح المعرب عما في الضمير حتى يفيد ، والشمس والقمر الكوكبان العمدتان لتكوين الليل متلبسان بحسبان وتقدير لطلوعهما وحركتهما وطولهما وقصرهما ، (والنجم) النابت في الارض بلا ساق (والشجر) الذي يقوم على ساق (يسجدان) ويخضعان لارادة الخالق المنان (والسماء رفعها) كسقف على الكرة الارضية التي منها خلقنا وفيها نعاد ومنها نخرج تارة أخرى للفوز بكامل السعادة ، ووضع الميزان لها ، أو وضع الميزان بين الناس في الارض للتعامل ، أي شرع العدل وأمر به بأن وفر على كل مستعد مستحقه ، ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم أمر العالم واستقام . قال ـ عليه الصلاة

والسلام ـ : « بالعدل قامت السماوات والارض » أي بقيتا على أبلغ نظام وأتقن أحكام • ومن هذا الحديث الشريف يستفاد أن الميزان في قوله تعالى (ووضع الميزان) ليس محصورا في ميزان الاشياء العديل للكيل ، بل يعم كل ميزان وعدالة حتى تؤمن بأن الله تعالى جعل لكل كوكب سماوي مدارا خاصا وحركة خاصة لا ينبغي أن ينفك عنها ، والا تدمرت السماوات واختلت، وكذلك في الارض وما فيها من الاثقال والمعادن وبيان ذلك يعود الى من له اختصاص بتلك العلوم • وقوله (ألا تطغوا في الميزان) أي لئلا تطغوا فيه ، فاللام الجارة مقدرة ، فان ناصبة ، ولا نافية • وجعلها الزمخشري مفسرة لما في وضع الميزان من معنى القول ، لأنه بالوحي واعلام الرسل ، وهذا تركيب وجيه حسن • ويأتي الحاصل ووضع الميزان وقال لا تطغوا في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) في كل الامور المتعلقة بالانسان من القول والفعل والاخذ والعطاء والمحبة والعداء وأداء الحقوق واستردادها (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه فان من حقه التسوية والاتيان بهذه الجملة تأكيد ومبالغة في التوصية برعاية العدل •

وقوله (والأرض وضعها للانام) أي ووضع الارض وخلقها للانام لبدء النشوء والاستمرار في كسب المعيشة مر الدهور والايام • وهذه الآية تدعو الإنسان الى العلم بطرق المعيشة واستفادة الخيرات بالمزارع والمعاملات التجارية واستخراج المعادن • وأشار الى بيان نبذة مما وضعه في الارض للانام وقال (فيها فاكهة) أي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (و) فيها (النخل ذات الأكمام) هي أوعية التمر أعني الطلع (والحب) أي وفيها الحب المخزون في السنابل وغيرها (ذو العصف) وهو ورق الزرع ، وقيده بعضهم باليابس (والريحان) أي وفيها الريحان • وهو كل مشموم طيب الريح من النبات (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) الخطاب للجن والإنس ، يعني

الله هو الخالق لهذه النعم المحسوسة لكم ولنيلكم بالسعادة والراحة فبأي نعمة من نعمه تعالى تكذبان بإنكار وجودها أو إنكار أن الله خلقها ؟

(خَلَقَ الإنسانَ مِنْ صَلْصالٍ كالفَخّارِ(١٤) وخَلَقَ الجانَّ مِنْ مارجٍ مِنْ نارٍ(١٥) فَبِأَيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ(١٦) ربُّ المَشْرِقَيْنِ ، ورَبُّ المَغْرِبَيْنِ(١٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟(١٨) مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ(١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ(٢٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ؟(٢١) يَخْرُجُ مِنْهما اللؤْلُؤ والمَرْجانُ(٢٢) فَبِأَيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٢٣) ولَهُ الجَوارِ المُنْشَئاتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلامِ(٢٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ ؟(٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ(٢٦) ويَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكْرامِ(٢٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟(٢٨) يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ والأَرْضِ ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ(٢٩) فَبِأَيِّ آلاءِ ربِّكُمَا تُكَذِّبانِ)(٣٠)

قوله تعالى (خلق الإنسان) أي آدم أبا البشر ـ عليه السلام ـ (من صلصال) أي من طين يابس له صَلْصَلَة كالجرس (كالفخار) أي الخزف وقد خلق الله آدم أبا البشر ـ عليه السلام ـ من تراب جعله طينا ، ثم حمأً مَسْنونا ثم صلصالا .

(وخلق الجان) وهو أبو الجن كآدم بالنسبة الى البشر (من مارج من نار) أي من لهب خالص لا دخان فيه كما هو رواية عن ابن عباس ـ رضي الله

عنهما ـ • وقيل : هو اللهب المختلط بسواد النار أي الدخان ، من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط •

والمعروف عند الجمهور أن الجن أجسام لطيفة نارية ويتناسلون لوجود الذكر والانثى من نوعه • وقد بعث اليهم الرسول سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وقد اجتمع بهم ست مرات • ومنهم من آمن ، ومنهم من كفر ويتشكلون بأشكال مختلفة ، وليس المراد بالجان إبليس ، بل ابليس فرد من أولاد الجان • وله ذرية كثيرة وزمرة الجن المتمرد يسمون بشياطين الجن ، كما أن الكفرة المارقين من الانسان يسمون بشياطين الإنس • وانما خلق الله النوعين لمحبة المعرفة والعبادة ، والنيل بالسعادة ، والعرض للنعيم المقيم • ومن أطاع الله ورسوله فقد هدي الى صراط مستقيم ، ومن عصى وتمرد وطغى فقد ارسل الى سبيل الجحيم ، ولا يلومن الا نفسه حيث طغى وبغى وخالف قدسه ، والعرض للنعمة من آلاء الله تعالى ولذا قال تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان •

(رب المشرقين) مشرقي الصيف والشتاء (ورب المغربين) أي مغربي الصيف والشتاء ، فمشرق الصيف عندما كانت الشمس في مدار السرطان ، ومشرق الشتاء عندما كانت على مدار الجدي وكذا المغربان • وفي القرآن الكريم (رب المشارق والمغارب) باعتبار كثرة المدارات اليومية للشمس في كل دورة كما هو معلوم عند أهله •

(مرج البحرين يلتقيان) أي أرسل البحرين كبحر النيل والبحر الابيض المتوسط وكبحر شط العرب والخليج ، وأجراهما حالكونهما (يلتقيان) ويتصلان كل بالآخر • والمعنى أرسل الماء المفرق المتبحر العذب ، والبحر الملح ، ولا يؤثر العذب في الملح بتعذيبه ولا الملح في العذب بتمليحه • كما

قال الله تعالى (بينهما برزخ) أي حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) أي لا يخلي يبغي أحدهما على الآخر بتكييفه بالكيفية الموجودة فيه ، مع أن الماء من طبعه التأثر بالمجاور والحاصل أن الله سبحانه وتعالى قادر على اعطاء كل شيء ومنع كل شيء كما يريد • (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ يخرج منهما اللؤلؤ) صغار الدر (والمرجان) كباره وفي كتب اللغة المرجان صغار اللآلي • وقد قيل : ان الدراري لا تخرج من البحر العذب ، وانما تخرج من البحر الملح • وأجيب بأن البحرين لما اتصلا كانا كبحر واحد فينسب الحاصل من أحدهما اليهما بالاطلاق لانهما يتراءيان كبحر واحدٍ (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) وفي تلك الدراري فوائد كثيرة • في روح المعاني : اللؤلؤ يمنع الخفقان ، والحر ، وضعف الكبد ، والكلى ، والحصى ، وحرقة البول ، والسدد ، واليرقان ، وأمراض القلب ، والسموم ، والوسواوس ، والجنون ، والتوحش ، والربو شربا ، والجذام والبرص والبهق والآثار مطلقا بالطلي ••• الى غير ذلك وأن المرجان يفرح ويزيل فساد الشهوة ولو تعليقا ، ونفث الدم والطحال شربا ، والدمعة والبياض والسلاق والجرب كحلا ••• إلي غير ذلك مما هو مذكور في كتبهم •

(وله الجوار) أي السفن الجارية على سطح البحر (المنشآت في البحر) أي المرفوعات فيه (كالاعلام) كالجبال (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) •

(كل من عليها فان) أي كل من هو على الارض سطحها البادي أو عمقها الفادي فانٍ اي آيل الى الفناء والزوال (ويبقى وجه ربك) باقيا حيا قيوما لا يفنى ولا يموت (ذو الجلال والإكرام) أي يجله الموحدون وينزهونه عن النقصان وينسبون له الصفات الكمالية اللائقة بذاته الكريم فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ (يسئله من في السماوات والارض) جميع ما يحتاجون اليه من كافة الجهات بلسان الحال والمقال من المؤمنين والحال

من الكافرين (كل يوم هو في شأن) أي كل وقت من الاوقات هو في شأن من شئونه الفعلية تنفيذا لما قرره في علمه الازلي ، يخلق ويفني ويعطي ويمنع ويعز ويذل وهو على كل شيء قدير (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟)

(سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّها الثَّقَلانِ (٣١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ (٣٢) يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا، لاتَنْفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطانٍ (٣٣) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُما شُواظٌ مِن نارٍ ونُحاسٌ فَلا تَنْتَصِرانِ (٣٥) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟ (٣٦) فإذا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كالدِّهانِ (٣٧) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟)(٣٨)

قوله تعالى : (سنفرغ لكم أيها الثقلان) الفراغ هنا ليس بالمعنى المتعارف من الفراغ من عمل سابق يمنعه عن الاشتغال بلاحق ، بل معناه أنه بعد نهاية العالم الاول تأتي نوبة العالم الثاني ونبدأ بجزاء أعمالكم التي عملتموها ليأخذ كل حقه ومستحقه ، والمراد بالثقلين الجن والإنس لثقلهما على الارض أو لوقارهما وهيبتهما ورزانتهما . (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) التي من جملتها التنبيه على ما أمامكم من العذاب حتى تتنبهوا وتتوجهوا الى الله .

ثم يهددهم من مغبة أعمالهم ويقول (يا معشر الجن والانس) تبتلون يوم القيامة بعذاب شديد فيقال لكم (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض) وتخلصوا من عذاب جهنم (فانفذوا) لكن (لا تنفذون الا بسلطان) أي بقوة شديدة تُعينكم على الخلاص وأنى تكون لكم ؟ (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو ، مع

القدرة على التعذيب وقوله (يُرْسل عليكما) استئناف في جواب من يسأل عن الداعي للفرار والخروج عن أقطار السماوات والأرض ، فيجيب بأن الداعي هو أنه (يرسل عليكما) في جهنم عند ارادة التعذيب (شواظ) أي لهيب خالص (من نار ونحاس) أي ويرسل عليكما نحاس أي الصفر المعروف، أي يصب على رءوسكما صفر مذاب" (فلا تنتصران) أي فلا يوجد عندكما قوة الانتصار والمنع . هذا ما قرره الكثير من المفسرين .

ولكن اذا نظرنا الى سرد الآيات الشريفة هنا ، وتعقيبها بقوله الكريم (فاذا انشقت السماء) ظهر للعقل بادىء بدءٍ أن قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس) نداء لهما في الدنيا ، وقوله (فإذا انشقت السماء) بيان وقوع القيامة وحلول العذاب فيه . وأراد الله تعالى تنبيههم وتحذيرهم عن المعصية حتى لا يقعوا في المحنة فيقول تعالى (يا معشر الجن والإنس) لا مخلص لكم منا بأي وجه فلا تتمردوا وآمنوا بالله ورسوله وأطيعوا ، وإلا فإن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والارض حتى تخلصوا مني فانفذوا واخرجوا . لكن لا تخرجون الا بسلطان وقوة غالبة على الموانع وأنى تحصل لكم قوة هكذا فاذا خرجتم بدون قوة هائلة كذلك وصعدتم السماء دارت حولكم ومنعتكم شواظ ، أي لهيب من نار لطيفة خالصة ، ونحاس أي نار مخلوطة به فأحرقتكم قبل الخروج منها . هذا في دنياكم ، وأما في الآخرة (فاذا انشقت السماء) أي انصدعت وذلك عند حلول الساعة (فكانت وردة) أي كالوردة في الحمرة (كالدهان) أي كالأديم الاحمر ، وجواب إذا محذوف أي حل بكم عذاب ومحنة وبلاء لا ينحصر في البيان ، وانما يكشف بالعيان (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) وبأية نصيحة وبيان وتهديد وتخويف لوصولكم الى الراحة تكذبان .

(فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ ولا جانٌّ(٣٩) فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٤٠) يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيماهُمْ ، فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِي وَالأَقْدامِ(٤١) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٤٢) هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِها المُجْرِمُونَ(٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَها وبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ(٤٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ)(٤٥)

قوله : (فيومئذ) أي يوم اذ تنشق السماء (لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) لانهم يعرفون بسيماهم ، وهذا في موقف ، وما دل على السؤال ففي موقف آخر (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) والنواصي جمع ناصية وهي مقدم الرأس ، والأقدام جمع قدم ، وهي قدم الرجل المعروفة ، والباء للآلة مثلها في أخذت بخطام الدابة ، والجار والمجرور نائب الفاعل ، وكيفية هذا الاخذ على ما روي عن الضحاك أن يجمع الملك بين ناصية أحدهم وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ، ثم يكسر ظهره ويلقيه في النار ، وقيل تأخذ الملائكة ــ عليهم السلام ــ بعضهم سحبا بالناصية ، وبعضهم سحبا بالقدم ، وقيل تسحبهم الملائكة تارة بأخذ النواصي ، وتارة بأخذ الاقدام ،

(فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) وينكرون في الدنيا وجود الآخرة ووجود جهنم فيها ، والآن صارت عيانا لهم (يطوفون بينها) أي يتردد المعذبون بين نارها (وبين حميم آنٍ) أي ماء حار متناه إناه وطبخه ، بالغ في الحرارة أقصاها ، يعني يعذب المجرمون تارة بالإحراق بنار جهنم ، وتارة بالاجبار على شرب الحميم أي الماء الحار جدا ، والعياذ بالله (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) أي كان قبل هذا العذاب أنواع من الآلاء فكفروا بها وعذبوا ،

(وَلِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٤٧) ذَواتا أَفْنانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٤٩) فِيهِما عَيْنانِ تَجْرِيانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٥١) فِيهِما مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ زَوْجانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٥٣) مُتَّكِئِينَ على فُرُشٍ بَطائِنُها مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ، وجَنى الجَنَّتَيْنِ دانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٥٥) فِيهِنَّ قاصِراتُ الطَّرْفِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٥٧) كَأَنَّهُنَّ الياقُوتُ وَالمَرْجانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٥٩) هَلْ جَزَاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحْسانُ ؟(٦٠) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تكذِّبانِ (٦١) ومِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٦٣) مُدْهامَّتانِ (٦٤) فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان؟(٦٥) فِيهِما عَيْنانِ نَضَّاخَتانِ(٦٦) فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذبان ؟(٦٧) فِيهِما فاكِهَةٌ ونَخْلٌ وَرُمَّانٌ(٦٨) فَبِأَيِّ آلاءِ ربكما تُكَذِّبانِ ؟(٦٩) فِيهِنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ(٧٠) فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٧١) حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ ولاَ جَانٌّ(٧٤) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ حِسانٍ (٧٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ؟(٧٧) تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ)(٧٨)

قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه) المقام فيه اما مصدر ميمي بمعنى القيام ويراد به قيامه على العالم ، أو اسم مكان بمعنى محل القيام والاضافة للتشريف ، فمعناه ولمن خاف عظمة ربه ورقابته على الاعمال بمعنى أنه لا يغفل عنه ، أو لمن خاف هيبة مقامه ومكانه عند وقوفه للمحاسبة أمام ربه (جنتان) إحداهما محله ومحل زائريه ، والاخرى محل حوره ومتعلقاته . أو جنتان احداهما في داخل قصره والاخرى في خارجه . وقيل منزلان يتحول بينهما هنا وهناك في مقابل من يطوف بين الجحيم وبين الحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) بالجنة الاولى وما فيها أو بالثانية (ذواتا افنان) ذواتا لغة في تثنية ذات ، كما أن ذاتا لغة فيها ، وأفنان جمع فن بمعنى النوع أي صاحبتان لانواع من الثمار ، أو جمع فنن بمعنى ما لان من الاغصان ، أي صاحبتان للاغصان الدقيقة الناعمة التي يحسن منظرة الجنتين (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) (فيهما من كل فاكهة زوجان) أي صنفان معروف عنده ، وغريب لم يعرفه في الدنيا ، أو رطب أو يابس (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ متكئين على فرش بطائنها من استبرق) أي الديباج ويقرب أن تكون ظهائرها من ديباج ناعم حتى لا يتألم الماشي عليها (وجنى الجنتين دانٍ) أي والثمر الذي يؤخذ من أشجارهما قريب من اليد لا حاجة في أخذه الى تعب (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فيهن قاصرات الطرف) أي في منازل الجنتين حور قصرت عيونهن على النظر إلا إلى أصحابهن (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) أي لم يفتضهن قبل أزواجهن انسي ولا جني (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ كأنهن الياقوت والمرجان) في صفاء الخدود وباقي الجسد ولمعانها . ويمكن أن يكون وجه الشبه حمرة لون المحل الذي تليق به الحمرة . والظاهر أن وجه الشبه هو الرغبة والميل فيهن (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ هل جزاء الإحسان

إلا الإحسان ؟) أي ما جزاء احسان الاعتقاد والاعمال الا احسان المنزل والمأوى واحسان اللقاء مع المولى (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) .

(ومن دونهما جنتان) أي ومن دون تينك الجنتين السابقتين جنتان أخريان . وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي موسى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله تعالى : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله سبحانه (ومن دونهما جنتان) قال « : جنتان من ذهب للمقربين ، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين » وقال الحسن الاوليان للسابقين ، والاخريان للتابعين (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله (مدهامتان) صفتان لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما تقدم من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ ، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هما (مدهامتان) من الدهمة وهي السواد أي غلب عليهما السواد لكثرة النبات والاشجار والاوراق (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فيهما عينان نضاختان) أي فوارتان بالماء (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الأول عطف الخاص على العام بناء على عد البسر والتمر من الفواكه (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ فيهن خيرات حسان) أي في بيوت تينك الجنتين ، أو في كل من تينك الجنتين السابقتين واللاحقتين حور ذوات جمال وخيرات مختارات في النساء وحسان في الوجوه والعيون والملامح ، ونعومة الايدي ولطافة الكلام ولينه (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ حور مقصورات في الخيام) أي مخدرات حالتهن القصر على بيوتهن وملازمتهن لها (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) وذلك لمزيد الرغبة على من لم ترغب في الغير ولم يرغب الغير فيها .

(فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) .

(متكئين على رفرف خضر) أي متكئين على وسائد خضر والوسائد هي المخدات أوعلى نمارق بناء على أن الرفرف مايطرح على الفرش (وعبقري حسان) أي وعلى وسائد عجيبة غريبة نفيسة نسبت لجودتها الى بلدة عبقرة المنسوبة الى الجن كانت العرب في الجاهلية تزعم أن للجن بلدة اسمها عبقرة والاشياء النفيسة تصنع فيها ، فاذا رأت شيئا عجيبا نسبته الى عبقرة ، ويقال : هو عبقري ، أو هي عبقرية (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام) أي تعاظم وتقدس اسم ربك الذي هو ذو الجلال أي ذو النزاهة عن النقص ، وذو الإكرام فالتبارك متوجه الى اسمه تعالى ، وما دام الاسم متباركا كان الذات متباركا بالاولى ، أو أن الاسم مقحم والمقصود تبارك ربك . والله هو المتبارك .

سورة الواقعة ، مكية وآياتها ست وتسعون نزلت بعد طه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢)
خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ
الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا
ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠)
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ
الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ
مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨)
لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا
يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ
عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ(٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً ولا تَأْثِيماً(٢٥) إلاَّ قِيلاً سَلاماً سَلاماً)(٢٦)

قوله تعالى : (اذا وقعت الواقعة) أي اذا حدثت وتحققت القيامة التي هي الواقعة العجيبة المدهشة التي تندهش بها الألباب (ليس لوقعتها كاذبة) اما مصدر كالعاقبة والعافية ، أي ليس لها كذب ومخالفة للواقع ، أو وصف أي ليس لها نفس كاذبة تخبر بعدم وقوعها • والحقيقة أن هذا الخبر معناه الاهتمام بالوقوع وهيبة الوقوع بحيث لا يتطرق إليه أدنى شبهة • والقضية المفيدة لهذا المعنى تسمى الضرورية بشرط المحمول يعني كل شيء كان في حد ذاته ممكنا يستوي وجوده وعدمه فهو بشرط الوجود ينقلب وجوده ضروريا• والمقصود أن القيامة التي في حد ذاتها ممكنة الوجود صارت ضرورية واجبة، لان الله تعالى قدر وقرر وصول الجزاء الى العاملين والثواب الى المطيعين ، والعقاب الى الغافلين •

وقوله (خافضة رافعة) خبران لمبتدأ محذوف أي وهي خافضة للمترفعين ورافعة للمتواضعين خافضة للكافرين رافعة للمؤمنين • أي خافضة لدركات الاسفلين ورافعة لدرجات الأعلين • وقوله (اذا رجت الأرض رجا) بيان لزمان وقوع هذه الطامة العامة الكبرى أي اذا زلزلت الارض وحركت تحريكا شديدا بحيث تتزلزل أطواد الجبال وتنسحق كالرمال (وبست الجبال بسا) أي وفتتت أجزاؤها الصلبة تفتيتا ، من بس السويق اذا لته ، أو تفرقت الجبال تفريقا أي انفصل بعض أجزائها عن بعض من بس الغنم اذا فرقها (فكانت هباء منبثا) أي فصارت الجبال غبارا منتشرا في الجو (وكنتم أزواجا ثلثة) أي وصرتم أصنافا ثلاثة كافرين مبعدين عن الرحمة • ومؤمنين فاضلين مؤيدين ، ومؤمنين مفضولين موحدين •

وأما اعراب (اذا رجت) فقال ابن جني وأبو الفضل الرازي ان قوله اذا رجت في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو اذا وقعت ، وليست واحدة منهما شرطية ، بل هي بمعنى وقت أي وقت وقوع الواقعة وقت رج الارض • وادعى ابن مالك أن اذا تكون مبتدأ واستدل بهذه الآية على ذلك• وقال ابو حيان : هو بدل من اذا وقعت وجواب الشرط عندي ملفوظ بـه وهو قوله فأصحاب الميمنة ، والمعنى اذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنـة ما أسعدهم وما أعظم ما يجازون به • أي أن سعادتهم تظهر في ذلك الوقت ولك أن تقول ان الخبر المحذوف هو : فالناس أصناف ثلاثة : السابقون ، وأصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ثم يفصل أحوال كل صنف منهـا • وقوله (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، واصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة) تفصيل للأصناف الثلاثة • وقوله (فأصحاب الميمنة) مبتـدأ أول وقوله ما أصحاب الميمنة كلمة ما مبتدأ ثان وهي للاستفهام ، وما بعدهـا خبرها ، والجملة خبر للمبتدأ الاول اكتفى عن الرابط بتكرار المبتدأ الاول • وهذا التكرار للاهتمام والاعتبار ، أي فأصحاب الميمنة صنف مهم معتبـر عند الله اعتبارا لائقا بدرجاتهـم • وكذلك اعراب قوله تعالـى (وأصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة) • أي وأصحاب المشأمة صنف لا اعتبار لهم عند الله • والميمنة : ناحية اليمين بمعنى أخذ الكتاب باليد اليمنى ، أو معناها اليمن والبركة • والمشأمة ناحية الشمال بمعنى أخذ الكتاب باليد الشمالية أو معناها الشؤم مقابل اليمن •

وقوله تعالى (والسابقون السابقون) أولئك المقربون هذا الصنف هو الصنف الثالث في العبارة ، ولكنه هو الصنف الاول في الاعتبار ، وذكرهم أخيرا حتى يتصل ببيان أحوالهم العالية ، وأثمانهم الغاليـة ، وأوصـافهم الحميدة ، واختصاصاتهم الفريدة • وأما المراد منهم فقال بعض : هم الذين

سبقوا الى الايمان والطاعة لله ولرسوله من غير تردد واضطراب • وقيل : هم الذين سبقوا في حيازة الكمالات من العلوم اليقينية ومراتب التقوى الواقعة بعد الايمان • وقيل : هم الانبياء والرسل ــ عليهم السلام ــ لانهم مقدمو أهل الأديان • وقيل : هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار •

والظاهر من الادلة أن هذه الاصناف اذ اعتبرت من جميع العباد المكلفين فهم الانبياء والرسل الكرام ــ عليهم الصلاة والسلام ــ ، وان كان من أمم الانبياء ففي كل أمة واسعة توجد الاصناف الثلاثة ، ولكن أكثر الامم عددا أمة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ والسابقون منهم عبارة عن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب فعن أبي أمامة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا » رواه الترمذي بسند حسن ، ويشمل السابقون بهذا المعنى السابقين من المهاجرين والانصار وغيرهم ــ رضي الله عنهم أجمعين • وقوله (في جنات النعيم) متعلق بالمقربون ، أو بمضمر هو حال من نائب فاعله أي كائنين في جنات النعيم الممتازة بين الجنات بلطائف الاحسان •

وقوله (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) إن كان على اعتبار السابقين من أمم جميع الانبياء والمرسلين فالمعنى ان السابقين هم ثلة من الاولين من كل أمة وقليل من آخريها • يعني أن كل أمة فيها السابقون المقربون ، لكن الأوائل منها أكثر وفي أواخرها اقل ، فمثلا في امة الرسول محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ يكون السابقون في القرون الاولى من قرونها ، كقرون الصحابة والتابعين وتابعي التابعين أكثر وأزيد من السابقين الموجودين في أخريات أمته ، فان كل مسلم عاقل يؤمن بأن الصحابة والتابعين لهم مباشرة

كانوا أنور من باقي الامة الموجودة بعدهم ، والموجود من السابقين بعدهم آحاد من العلماء العاملين والاولياء والصالحين •

وان اعتبرت الأصناف الثلاثة من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يوافقه ظاهر الخطاب في قوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلثة) فالسابقون أكثرهم في القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية ، وأقلهم في من جاء بعدهم • وقوله (على سرر موضونة) حال من المقربين ، يعني حالكونهم على سرر محكمة منسوجة بخيوط ذهبية مشبكة بالدرر واليواقيت (متكئين عليها متقابلين) ينظر بعضهم الى بعض • وهذا عند الزيارات أو أن التقابل بين الذكور من أهل جنات النعيم وأزواجهم من الحور العين وغيرهن ، والجمع المذكر للتغليب ، أي يقابل الرجال النساء من الحور والنساء الرجال لاستكمال العشرة النفسية واللذة الروحية من النظر الى جمال الصاحب والصاحبة (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أي يبقون على شكل الولدان وأولئك الولدان هم أولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ فانه اشتهر أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال « أولاد الكفار خدم أهل الجنة » وهذا هو الموافق للادلة الدينية فان أولاد المسلمين لا يفارقون آباءهم وأمهاتهم في الجنة اذ لا يطيب العيش بدون لقاء الاولاد والبنات • وأما أولاد الكفار فآباؤهم في النار لسوء الاعتقاد والاعمال والاولاد الصغار ما وصلوا درجة التكليف حتى يعذبوا فيجعلون خدما لأهل الجنة (بأكواب) بأواني لاعرى لها ولا خراطيم (وأباريق) جمع ابريق ، وهو اناء له خرطوم (وكأس من معين) أي من خمرٍ جارية من العيون ، أي لم تعصر كخمر الدنيا (لا يصدعون عنها) أي حالكونهم لا يحصل صداع لرءوسهم بسبب شربها (ولا ينزفون) أي ولا تذهب عقولهم ، جمع المذكر الغائب من باب الإفعال من أنزف الشارب اذا ذهب عقله •

(وفاكهة مما يتخيرون) أي يأخذون خيره وافضله (ولحم طير مما يشتهون) مما تميل نفوسهم اليه وترغب فيه . وقوله (وحور عين) عطف على ولدان أي وتطوف عليهم حور عين . وعين جمع عيناء ، وأصله عين على وزن قفل فكسرنا فاء الفعل حتى لا تقلب الياء واوا ، وتلتبس اليائي بالواوي، وهن (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي كأمثال اللؤلؤ المستور في صفائها ولمعانها (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له لفعل محذوف أي يعطون ذلك جزاء بما كانوا يعملونه من الاعمال الصالحة في الدنيا . (لا يسمعون فيها لغوا) أي كلاما لا يعتد به من العقلاء (ولا تأثيما) أي كلاما فيه النسبة الى الاثم ، أو التأثيم التجريح ، يعني لا يسمعون كلاما فيه جرح وألم لقلوبهم ، لان الجنة دار الصفاء لا دار الجفاء وقوله (الا قيلا سلاما سلاما) مستثنى مما قبله على قاعدة تأكيد المدح بما يشبه الذم ، أي ان كان سلاما سلاما كلاما فيه التأثيم وأنى ذلك ! هذه النبذة نموذج من أحوال السابقين .

(وأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ؟(٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ(٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ(٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ(٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ(٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ(٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ(٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ(٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً(٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا(٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا(٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ(٣٨) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ(٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)(٤٠)

ثم شرع في بيان أحوال الصنف الثاني أي أصحاب اليمين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أي لهم شأن رزين (في سدر مخضود) أي هم في سدر مخضود لا شوك فيه ، أو مثنى مفتول بعض أغصانه الدقيقة

ببعض (وطلح منضود) وشجر موز متراكم الثمار فتلصق بعضه ببعض (وظل ممدود) منبسط لا انقباض فيه ولا يزول (وماء مسكوب) أي جار من غير أخاديد تجري بقدرته تعالى على ما يرام بدون الشق في الارض (وفاكهة كثيرة) أنواعا وأصنافا وأشخاصا (لا مقطوعة) في وقت من الاوقات (ولا ممنوعة) عمن يريد التفكه بها (وفرش مرفوعة) اما جمع فراش بمعنى البسط ، أي ساكنين في فرش متراكمة بعضها على بعض فترتفع وتعلو ، واذا قعد عليها شخص يغور فيها لنعومتها ، أو كنى بالفرش عن الحور كما يستعمل الفراش عند العرب للمرأة التي تحت تصرف صاحبها بالوجه المشروع وهذا أنسب بما بعده من قوله (انا أنشأناهن إنشاء) لعود الضمير الى الفرش ، واما على الاول فلابد من اعادتها الى ما يستفاد من المقام أي الحور ذوات الفرش المبسوطة ، أي انا خلقناهن خلقا إبداعيا بلا أصل يتفرع عنه (فجعلناهن أبكارا) تفسير لما سبق أي أبدعناهن باكرات غير مطموثات (عربا) جمع عروب كصبور وهي المتحببة الى زوجها جدا (أترابا) متساويات في السن ، وسره أن لا تفتخر احداهن على الاخرى بشيء من المميزات (لأصحاب اليمين) متعلق بأنشأناهن ، أي خلقناهن لهم .

(وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٣) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ؟ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ : إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ

مِنْ زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ)(٥٦)

وقوله (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أي في حالة يرثى لهم فيها لأنهم (في سموم) أي في الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم وتنضج الجلد وتحرقه (وحميم) أي وفي ماء حار يقطع الامعاء عند الشرب (وظل من يحموم) أي من دخان أسود • وعن ابن عباس أنه سرادق النار المحيطة بأهلها (لابارد) يستريح به القاعد تحته، (ولاكريم) نافع كسائر الظلال الاعتيادية• (انهم كانوا قبل ذلك) الحلول في العذاب عندما كانوا في الدنيا (مترفين) أي متبعين هوى أنفسهم غير مهتمين بأوامر قدسهم (وكانوا يصرون) ويستمرون (على الحنث العظيم) أي على الذنب العظيم الذي لا يساويه ذنب (وكانوا يقولون : أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ؟) من القبور ونحشر ونحاسب ونساق الى دار الجزاء (أو آباؤنا الأولون ؟) همزة الاستفهام داخلة على واو العطف أي أنبعث نحن وآباؤنا الأولون الأقدمون الذين مرت عليهم الأحقاب والقرون ؟

(قل) انتقال من حكاية الاحوال التي ستقع في الآخرة وتعليلها بأقوالهم السابقة في الدنيا ، الى استحضار الصورة الحالية للكافرين المماثلة لاولئك الكفار المنكرين للبعث فيقول تعالى قل يارسولي لهم (ان الاولين والآخرين) من الامم سابقها ولاحقها منكم ومن غيركم (لمجموعون) بعد البعث (الى ميقات يوم معلوم) والميقات ما وقت به الشيء أي حدّه ، وضمن المجموع معنى السوق ولذا عدي بإلى أي كلهم مجموعون للسوق الى ميقات وهو يوم معلوم للاجتماع وبعد ذلك الميقات لايبقى السوق لحلول وقت الحساب مع

المجموعين • ويحتمل أن تكون كلمة الى بمعنى في أي لمجموعون في ميقات يوم معلوم (ثم انكم أيها الضالون) طريق السعادة (المكذبون) بمن يستحق الطاعة والعبادة (لآكلون من شجر من زقوم) أي بعد نهاية الحساب ودخولكم جهنم معذبون في النار وآكلون من شجر من زقوم ، من الاولى لابتداء الغاية ، والثانية لبيان الشجر أي مبتدئون للاكل من شجر هو زقوم ، وذلك لشدة الجوع • (فمالئون منها البطون) أي بطونكم (فشاربون عليه) لشدة العطش (من الحميم) أي الماء الحار جدا (فشاربون شرب الهيم) جمع هيماء ، وكسرت فاء الفعل حذرا من قلب الياء واوا والالتباس لليائي بالواوي (هذا نزلهم يوم الدين) أي هذا المذكور نزلهم يوم الدين أي طعامهم المعد لهم لاستهلاكه يوم الدين ، أي يوم جزاء الاعمال وهو يوم القيامة •

(نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُمْ ما تُمْنُونَ ؟(٥٨) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخالِقُونَ ؟(٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَوْتَ ، وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثالَكُمْ ، وَنُنْشِئَكُمْ فِيما لا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولى ، فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ ؟(٦٢) أَفَرَأَيْتُمْ ما تَحْرُثُونَ ؟(٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ؟(٦٤) لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الماءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ ؟ أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ ؟(٦٩) لَوْ نَشاءُ جَعَلْناهُ أُجاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ النّارَ الَّتِي تُورُونَ ؟(٧١)

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِؤُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ (٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)(٧٤)

قوله تعالى (نحن خلقناكم) تحويل الكلام من الغيبة الى الخطاب على الالتفات أي نحن خلقناكم من نطفة وطورناها أطواراً مختلفة فيها أعمال دقيقة تتحير فيها عقول المتفكرين حتى وصلتم الى هذه الحالة المناسبة لتصديق الباري ورسله في بيان حقيقة سُبُلِه ، وكان الواجب أن تصدقوا بوجوده ووحدته وعلمه وقدرته (فلولا تصدقون) بذات الواجب الوجود المنعوت بصفات الكمال (أفرأيتم ما تمنون) أي ما تقذفونه من النطفة في الأرحام (أأنتم تخلقونه) وتجعلون له العظم والعصب واللحم والجلد وسائر ما يحتاج اليه من لوازم البشر (أم نحن الخالقون ؟) نحن قدرنا بينكم الموتَ أي لاشك ولا شبهة في أنا نحن الخالقون فخلقناكم لتعلق الارادة به ، وكما خلقناكم (نحن قدرنا بينكم) أي حددنا بينكم زمان (الموت) بأجل معلوم عندنا لا يقبل التغير والتبدل آنا (وما نحن بمسبوقين) أي مغلوبين وعاجزين وغير قادرين (على أن نبدل أمثالكم) أي أوصافكم جمع مثل بفتحتين بمعنى الوصف وذلك بإعادتكم وإحيائكم بالبعث من القبور مع تبدل الاوصاف فانكم كنتم شاكين في البعث بعد الموت ، وشاكين في قدرة الله تعالى على ذلك، وشاكين في انشاء عالم آخر للحساب والميزان وجزاء الايمان والكفر والطاعة والعصيان ، وفي ذلك اليوم يحصل لكم العلم بكل ما أنكرتموه (وننشئكم فيما لا تعلمون) أي ونعيدكم في وضع وحالٍ وصفاتٍ ما كنتم تعلمون بها سابقا قطعا .

ويجوز أن تكون الامثال جمع مثل على وزن حبر بمعنى الشبيه والمثيل، يعني وما نحن بمسبوقين وعاجزين عن أن نبدل بكم أمثالكم أي نذهب بكم ونأتي بقوم آخر من البشر أمثالكم في الذات والصورة ، ومخالفين في الصفات والسيرة فنأتي بدل الكافرين بمسلمين وبدل المتكبرين المترفعين بالمتواضعين ، وبدل الظالمين بالعادلين ، وبدل الفاسقين بالصالحين المتقين على وزن قوله تعالى (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) في الصفات عينها ، وننشئكم في ما لا تعلمون من الاحوال اذ كنتم أعزة فتكونوا أذلة وكنتم سادة أمراء فتكونوا عبدة مأمورين ، وكنتم بطرين مترفين مترفهين فتكونوا معتدلين مكتفين متوسطين وهذا هو الذي رأيناه ونراه في طبقات الامة البطرة حيث تبدلت بالامة المفتقرة . (ولقد علمتم النشأة الاولى) أي ولقد علم أهل العقل والانصاف منكم الخلق الاول لآدم من تراب ، ولنسله من نطفة متطورة (فلولا تذكرون ؟) أي تتفكرون أن من قدر على النشأة الاولى قادر على النشأة الاخرى بل أسهل وأحرى لوجود بعض المواد الاساسية في النشأة الاخرى دون الاولى . وهذه الآية حجة على اثبات أنه قادر على أن يبعث الموتى . وتقريرها : الله قادر على النشأة الاولى ، وكل قادر على النشأة الاولى فهو قادر على النشأة الاخرى .

ثم ذكر الباري سبحانه وتعالى أصنافا من المخلوقات وسأل عمن أبداها ليتبين الجواب ويتعين به الصواب، وهو أن الله هو القادر المجيد والفعال لما يريد فقال (أفرأيتم ما تحرثون ؟) أي ما تبذرون حبه وتنشرونه في تربة الارض الفاشية (أأنتم تزرعونه ؟) أي تنبتونه وتجعلونه نباتا خارجا من التراب مخرجا لأشطاء الى أن يستوي فينتج الحب وينعقد ويستفاد منه (أم نحن الزارعون) المنبتون له ؟ (لو نشاء) إضاعته (لجعلناه حطاما) أي هشيما متكسرا متفتتا لشدة يبسه (فظلتم تفكهون) تتعجبون من سوء حاله . وقال

بعض تتندمون على ما أنفقتم فيه قائلين (انا لمغرمون) أي معذبون مهلكون من الغرام بمعنى الهلاك (بل نحن محرومون) من الرزق ومـــن محصولات الزراعة (أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن ؟) أي مـــن السحاب (أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء) تغيير طعمه بحيث لا يكون قابـــلا للشرب (جعلناه أجاجا)ملحا مرا لا يمكن شربه لإحراقه الفم واللهاة والحلقوم (فلولا تشكرون) على نعمة ابقائه على طعمه المعتدل المرئي (أفرأيتم النـــار التي تورون) أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التي منها الزناد وهي المرخ والعفار (أم نحن المنشئون ؟) لها بقدرتنا (نحـــن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) أي نحن جعلنا النار التي تورونها تذكرة لنار جهنم ومتاعا يتمتع بها للمقوين أي للذين ينزلون القواء وهـــي المحل القفـــر الخالي من الناس . وفي الحقيقة صارت النار وسيلة من وسائل المحركـــات الموصلة للانسان الى المقاصد ، حيث تتحرك السيارات في الارض ، والطيارات في الجو ،والبواخر في البحر ... ومنها يحصل التمتع بالمآكل التي تحتاج الى الطبخ والقلي والشي ، وفيها فوائد أخرى ، ولما علمت أن هذه المنافع البديعة العجيبة ناتجة من خلقه وقدرته تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) نزه وبعد اسم ربك عن أن تذكر معه شيئا آخر بل انسب الآثار كلها اليه ، وتوكل عليه ، وكل خير أو شر عائد اليه ، فسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

(فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ؟ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ

الحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ)(٩٦)

قوله تعالى : (فلا أقسم بمواقع النجوم) قالوا : إن حرف النفي زائدة ، والمقصود أقسم بمواقع النجوم بدليل (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقال بعض : انها ليست زائدة . والمعنى فلا أقسم بمواقع النجوم على أن الكتاب المنزل عليك كتاب كريم لان المقسم به واضح جدا وظاهر غاية الظهور فلا حاجة الى تأكيده بالقسم . والمراد بالمواقع مواقع أقساط الآيات المنزلة من اللوح المحفوظ ، لان الله سبحانه كما خلق سطورها في اللوح كذلك ميز كل نجم نجم منه وعين للنزول في وقته الخاص . ومواقعها اما محلها الذي نقش فيه القسط من الآيات أو الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والجمع الذي نزلت الآيات لاستفادتهم منها ، أو مواقع النجوم السماوية ، أي مغاربها عند الافول، فان في أفولها رهبة وهيبة ووحشة في قلوب الناس ، واما مواقعها في العالم حين انتشرت ، واما مواقعها عند رجم الشياطين في السماء ، واما بروجها ومنازلها المعينة في السماء على ما ذكره علماء الهيئة ، وأهميتها بالنسبة الى دلالتها على آثار (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وان القسم بمواقع النجوم قسم عظيم

لوجود أسرار كثيرة في المقسم به تدل على عظمة خالقها (انه لقرآن كريم) أي ما أنزل عليك لقرآن كريم (في كتاب مكنون) أي مستور عن العيون لا ترى بالعين المجردة ، والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لا يمسه الا المطهرون) أي لا يمس ذلك الكتاب أو محله الا المطهرون من الارجاس والاقذار وهم الملائكة في أطراف اللوح ، والمتطهرون المتنظفون من الحدثين في الارض (تنزيل) أي متنزل أو ذو تنزيل (من رب العالمين) أي أن رب العالمين نزله الى حبيبه محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، وهو هدية أهديت اليه والمهدي يحفظ هديته عن المعارضات الى أن يصل الى المهدى اليه .

(أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ؟) أي أفبهذا الكتاب الجليل الذي أنزل لإفادة الخير أنتم مدهنون أي متهاونون (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) به بدل أن تصدقوا به وتستفيدوا منه (فلولا اذا بلغت) أي النفس (الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون) الى الشخص المحتضر (ونحن اقرب اليه منكم) علما وقدرة وعلاقة (ولكن لا تبصرون . فلولا) تأكيد لولا الاولى (ان كنتم غير مدينين) أي غير مغلوبين وغير مقهورين (ترجعونها) أي ترجعون النفس الى مقرها الاول (ان كنتم صادقين) في اعتقادكم واسنادكم نحو هذه الامور الى غير الله تعالى . والحاصل أن المحضض عليه بلولا الاولى هو ترجعونها ، ولولا الثانية تأكيد للاولى ، وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط . والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم أفعال الله وتكذيبكم بآياته ان كنتم صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم .

وقوله (فأما ان كان من المقربين) شروع في بيان أحوال المتوفى أي فان كان المتوفى من المقربين عند الله السابقين في الحسنات (فروح وريحان) أي فله راحة وشميم ريحان لدماغه في البرزخ (وجنت نعيم) في الآخرة (واما

ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين) أي فيقال له سلام من الله لك وأنت من أصحاب اليمين (وأما ان كان من المكذبين) بالله ورسوله (الضالين) عن الصراط المستقيم (فنزل من حميم) أي فله في الاخرة طعام مهيأ كنزل الضيف وذلك من حميم أي الماء الحار (وتصلية جحيم) أي ادخاله في الجحيم (ان هذا) المذكور بأصنافه (لهو حق اليقين) أي لا شك ولا شبهة فيه •

واليقين هو بالمعنى العام من التصور والتصديق اسم للعلم المجرد عن الالتباس والشبهة ، وبالمعنى الخاص بالتصديق هو التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع • فغير المطابق للواقع جهل مركب ، وغير الثابت اعتقاد عند الاصوليين ويسمى تقليدا عند المنطقيين • وأما غير الجازم فهو ظن ، وقد يضاف اليه العين فيقال : عين اليقين ، أو العلم فيقال علم اليقين ، أو الحق فيقال حق اليقين ، بمعنى اليقين الواقعي لا في الزعم • ومنهم من فرق بينها فيقول عين اليقين عبارة عن يقين حصل من استعمال الحواس كالبصر والسمع والشم والذوق واللمس ، وعلم اليقين ما استفيد منه بدون استعمال الحواس • وهذان الصنفان ينفكان عن الانسان بعدم استعمال الحواس وعدم الاستدلال في النظريات والنسيان في البديهيات • وأما حق اليقين فهو علم يقيني ضروري الوجود لا ينفك عن صاحبه كالعلم بوجود نفسه فتأمل (فسبح باسم ربك العظيم) يعني فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لا يليق بعظمة شأنه • أخرج الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه ، وغيرهم عن عقبة ابن عامر الجهني قال : لما نزلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (فسبح باسم ربك العظيم) قال اجعلوها في ركوعكم • ولما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال اجعلوها في سجودكم •

سورة الحديد ، مدنية وآياتها تسع وعشرون
نزلت بعد الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ، وَالظَّاهِرُ وَالْباطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ ، يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ ، وَما يَخْرُجُ مِنْها ، وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ، وَما يَعْرُجُ فِيها ، وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ ، وَاللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ)(٦)

قوله تعالى (سبح لله ما في السماوات والارض) التسبيح تنزيه الله سبحانه وتعالى عن أضداد الصفات الثبوتية والسلبية المسندة الى الله من :

الوجود ، والقدم ، والوحدة ، والبقاء ، ومخالفة الحوادث ، والاستغناء عما سواه ، والحياة ، والعلم ، والإرادة ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . وقال الجمهور : المراد بالتسبيح معنى عام مجازي شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح العقلاء من الملائكة والثقلين ، أو لسان الحال كتسبيح الحيوانات والنباتات ، فانها تدل بإمكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمالات المنزه عن النقائص .

وذهب بعض الى أن التسبيح على حقيقته المعروفة في الجميع ، لانها فيها مبدأ لذلك التسبيح وان لم يكن الناس يفقهونه ، ويدل على ذلك تسبيح الحصى في كفه ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

(وهو العزيز) الغالب الذي لا يغلب (الحكيم) الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة . (له ملك السموات والارض) أي سلطة التصرف فيهما كيف شاء لأنه الخالق لهما ، والخالق متصرف في مخلوقه (وهو على كل شيء) من الاشياء قدير بالغ القدرة لا يمنعه شيء (هو الاول) أي السابق على كل موجود (والآخر) الباقي بعد كل موجود بالنظر الى ذاتها وان كان بعضها بالنظر الى تعلق ارادة الباري بوجوده باقيا أيضا كالجنة والنار ، ومن فيهما (والظاهر) بآثاره ووجوده (والباطن) بكنهه وحقيقته (وهو بكل شيء عليم) .

(هو الذي خلق السماوات والارض في ستة أيام) أي في مقدار يساوي مقدار ستة أيام ، سواء كانت كأيامنا ، أو على ما قاله سبحانه (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) (ثم استوى على العرش) بالمعنى الذي أراده الحي القيوم (يعلم ما يلج في الارض) كالبذور (وما يخرج منها) كالزروع (وما ينزل من السماء) كالامطار (وما يعرج فيها) كالملائكة بالليل والنهار

(وهو معكم أينما كنتم) معية علمية واقتدارية (والله بما تعملون بصير) يبصر حركاتنا وسكناتنا (له ملك السماوات والارض ، والى الله ترجع الامور) فقط ولا علاقة لها بغيره استقلالا أو اشتراكا (يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل ، وهو عليم بذات الصدور) أي بما فيها من الامور .

(آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ ، وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ، إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ؟(٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ ، وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٩) وما لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ؟ لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا ، وكلاً وَعَدَ اللهُ الحُسْنى ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَنْ ذا الذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ؟(١١) يَوْمَ تَرَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ : بُشْرَيكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِيها ، ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ)(١٢)

قوله تعالى (آمنوا بالله ورسوله) أي اسعوا واجتهدوا وانظروا في الآيات النفسية والآفاقية وفي المعجزات حتى يظهر لكم الحق فآمنوا بالله

الاول والاخر والظاهر والباطن ، وبرسوله لأن الإيمان به يوجب بلوغ الحق وقبوله ونفوذ أحكام الدين (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين) أي من المال الذي جعلكم الله خلفاء عنه في التصرف (فيه) أو خلفاء عن المورثين ، أو الجيل السابق وتركه لكم ، فان الدنيا دولة ولكل جيل صولة (فالذين آمنوا منكم) بالله ورسوله (وأنفقوا) حسبما أمروا به (لهم أجر كبير) لا يعلمه الا الله ثم استفهم استفهاما تعجبيا وقال : (ومالكم لا تؤمنون بالله والرسول) الصادق الامين المؤيد بالآيات البينات والمعجزات الواضحات (يدعوكم) جميعا (لتؤمنوا بربكم) الواحد الاحد الفرد الصمد (وقد أخذ ميثاقكم ؟) أي وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل بنصب الادلة النفسية والآفاقية وتسكينكم من النظر ، أو أخذ ميثاقكم حين أخرجكم من ظهر آدم وأشهدكم على أنفسكم بالاعتراف بأن الله ربكم . أو أخذ الميثاق من أبيكم آدم حين أهبطه الى الارض وقال : (قلنا : اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدًى ، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم) أو أخذ الميثاق من النبيين جميعا بتوصيتكم بالسير في طريق الحق كما قال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ...) الآية . ولا شك أن كل رسول وصى بما أمر به . فقد روي عن الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ بايعنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى أن نقول في الله تعالى ولا نخاف لومة لائم . وقوله (ان كنتم مؤمنين) شرط جوابه محذوف دل عليه ما قبله والمعنى ان كنتم مؤمنين لموجب ولدليل دل عليه ولداع يدعوكم اليه فالرسول الصادق وتبليغه للحقائق أكبر موجب وأكبر داع لكل إنسانٍ فاهم راعٍ واعٍ .

(هو الذي ينزل على عبده آيات بينات) واضحات (ليخرجكم من الظلمات الى النور) أي ليخرجكم من ظلمات الجهل والكفر والعصيان وسوء أخلاق الانسان الى نور العلم والايمان والاطاعة والاخلاق الحسان (وان الله بكم لرءوف رحيم) ولذلك أرسل اليكم الرسول الكريم (وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله) أي وأي نفع يحصل لكم في عدم انفاقكم في سبيل الله أي في سبيل استحصال مرضاته في الدنيا والآخرة وكل ما تركتموه لا يصل اليكم منه شيء الا ما قررتم أن يصرف بحيث تنتفعون به (ولله ميراث السماوات والارض ؟)والكائنات كلها عائدة اليه وتبقى له ومنافعها مربوطة بصرفكم وانفاقكم لها في ما يوجب مرضاته تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) أي فتح مكة (وقاتل) في سبيل اعلاء كلمة الحق (أولئك أعظم درجة من الذين انفقوا من بعد) أي بعد الفتح (وقاتلوا) لأن الجهاد في ضيق العباد أنفع منه في وقت السعد والراحة (وكلا) من الجمعين (وعد الله الحسنى) أي المثوبة الحسنى ، وهي الجنة ولقاء ذاته تعالى (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم بما تستحقونه وان تك حسنة يضاعفها . والآية نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فانه أول من آمن وأنفق في سبيل الله ، وخاصم الكفار ، وضرب حتى أشرف على الهلاك .

(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا) والقرض الحسن أن يكون خالصا لله بدون طلب مقابل مادي أو معنوي (فيضاعف له) أي فيؤتيه مقابله بالمضاعفة كما يشاء (وله أجر كريم) أي وذلك الاجر المضاعف أجر كريم محترم مرضي عند الله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) اما ظرف لقوله وله أجر كريم أو لـ (يسعى نورهم) أي حصل لهم أجر كريم عند الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات حالكونهم (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم). روى الحاكم وصححه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال يؤتون نورهم

على قدر أعمالهم يمرون على الصراط ، منهم من نوره مثل الجبل ، ومنهم من نوره مثل النخلة ، وأدناهم نورا من نوره على إبهامه ، يُطْفَأ مرة ويتقد أخرى . وظاهره أن هذا النور يكون عند المرور على الصراط ، وقال بعضهم : يكون قبل ذلك ويستمر معهم اذا مروا على الصراط وفي الاخبار ما يقتضيه . والمراد أنه يكون لهم النور في جهتين : جهة الامام ، وجهة اليمين . على ميزان إيتاء كتب الاعمال منهما وبسبب ايمانهم يقال لهم (بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، ذلك) هو (الفوز العظيم) لان السعادة والفوز هو الفوز الخالد المؤبد ، فان الخير المؤقت المحدد كاللاشيء عند من له شيء من الإدراك .

(يَوْمَ يَقولُ المنافِقونَ والمنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا : انْظُرونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ، قِيلَ : ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فالْتَمِسُوا نُوراً ، فضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ ، باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ(١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قالُوا : بَلى ولكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أنفُسَكُمْ وتَرَبَّصْتُمْ وارتَبْتُمْ وغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جاءَ أمْرُ الله ، وغَرَّكُمْ بِالله الغَرُورُ(١٤) فالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، مأويكُمُ النَّارُ ، هي مَوْلِيكُمْ وبِئْسَ المَصِيرُ(١٥) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِين آمَنُوا أنْ تَخْشَعَ قُلوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الحَقِّ ، ولا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلوبُهُمْ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ

فَاسِقُونَ ؟(١٦) إعْلَموا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)(١٧)

قوله تعالى (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من (يوم ترى) وأصل الاقتباس أخذ القبس أي الجذوة يعني يقول المنافقون والمنافقات على سبيل الترجي والابتهال عندما وقعوا في ظلمات لا يرون فيها ما أمامهم للمؤمنين الذين نورهم يسعى في جانبهم انظروا الينا لعلنا نستفيد النور من مواجهتكم ونقدر أن نعبر على الصراط فأتاهم الجواب من المؤمنين و (قيل) لهم : (ارجعوا وراءكم) أي من حيث جئتم من الظلمة أو الى المكان الذي قسم فيه النور (فالتمسوا نورا) هناك (فضرب بينهم) أي بين الفئتين من أهل النفاق وأهل الايمان بسور له باب أي بحاجز عالٍ له باب (باطنه) الذي يلي مكان المؤمنين (فيه الرحمة) والرضوان اذ هناك الجنة وفيها ما ذكر (وظاهره) الذي يلي مكان أهل النفاق والكفر (من قبله العذاب) أي من جهته العذاب . وقوله (ينادونهم) استئناف مبني على السؤال ، كأنه قيل : فماذا يفعلون بعد ضرب السور ؟ فقال ينادونهم ، أي ينادي أهلُ النفاق أهل الايمان (ألم نكن معكم ؟) في الدنيا (قالوا : بلى) فقد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم) فخنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر والدمار (وارتبتم) وشككتم في أمور الدين (وغرتكم الاماني) أي الاهواء الفارغة الباطلة ومن جملتها الطمع في هلاكنا (حتى جاء أمر الله) أي الموت (وغركم بالله الغرور) وهو الشيطان . (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) بأن تبذل لحفظ النفوس عن العذاب والعقاب (ولا من الذين كفروا) ظاهرا وباطنا (مأواكم النار هي مولاكم) وناصركم (وبئس المصير) النار ، وبئس النصير النار .

ولما استعرض هذا الموضوع وهو ما أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبي فاختة يجمع الله تعالى الخلائق يوم القيامة ، ويرسل الله سبحانه على الناس ظلمة فيستغيثون ربهم فيؤتي الله تعالى كل مؤمن منهم نورا ويؤتى المنافقين نورا ، فينطلقون جميعا متوجهين الى الجنة معهم نورهم ، فبينما هم كذلك اذ أطفأ الله تعالى نور المنافقين ، فيترددون في الظلمة ويسبقهم المؤمنون بنورهم بين أيديهم فيقولون انظرونا نقتبس من نوركم الى آخر ما حكاه الباري تعالى . والاخبار في ايتاء المنافق نورا ثم اطفائه كثيرة ، وليس في الآية ما يأباه .

أقول : ولما استعرض الباري أحوال المنافقين والكافرين المجاهرين بالكفر ومصيرهم يوم القيامة .. التفت الى وعظ المؤمنين وارشادهم مع توبيخ ما وقال : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) عز وجل (وما نزل من الحق) أي القرآن الكريم الصادق الثابت الموجه للعباد الى الرشاد (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أي قبل نزول القرآن (فطال عليهم الامد) أي الأجل بطول أعمارهم (فقست قلوبهم ؟) صلبت كالحجارة أو أشد (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حدود دينهم .

(اعلموا أن الله يحي الارض بعد موتها) ويبعث الانام بعد مماتها (قد بينا لكم الآيات) الوعدية والوعيدية (لعلكم تعقلون) وتفهمون مناط الاحكام وتعلمون أن من خرج عن سبيل الله تعالى استهواه الشيطان ، وأن من استقام فهو في ظل الرحمن .

(إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ، وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ، وَلَهْوٌ ، وَزِينَةٌ ، وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ، وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ، ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ، وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا الى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(٢١)

قوله تعالى (إن المصدقين والمصدقات) كلمة أل فيهما موصولة أي ان الذين تصدقوا ، واللاتي تصدقن ، فيناسب عطف (أقرضوا) أي ان الذين تصدقوا والذين (أقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) أي يضاعف الثواب لجميعهم (ولهم أجر كريم) أي عظيم لا يقدر قدره (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) أي أولئك عند ربهم عز وجل وفي حكمه سبحانه بمنزلة الصديقين والشهداء ، أو المراد بالصديقين المبالغون في الصدق لأنهم آمنوا بالله وصدقوا جميع رسله الكرام ، وبالشهداء القائمون بالشهادة على الامم يوم القيامة ، أو تبقى الآية الكريمة على ظاهرها ، ولكن

يحمل قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله) على من لهم كمال في الايمان بالله ورسله ، ولا يتحقق ذلك الا بترك المحرمات وفعل الطاعات والابتعاد عن الشهوات ، لان رتبة الصديقين والشهداء لا ينالها كل من دخل في الايمان بدون طاعات وسيرة مباركة تصدق ايمانه وتشهد على كرامته عند ربه ، واذا كانوا كذلك يستحق أن يقال فيهم أولئك هم الصديقون والشهداء (لهم أجرهم ونورهم) يوم القيامة ويمرون على الصراط بسلامة وكرامة ، ومع ذلك لابد أن يقال انهم وان كانوا صديقين وشهداء ولهم أجرهم ونورهم ، لكن درجاتهم دون درجاتهم بدليل قوله تعالى (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) وأمثالها من الآيات المميزة بين الناس في مجال الايمان والاعمال .

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أي الملازمون للسعير ونارها لان الكفر والايمان متقابلان في الذات ، فلا شك أنهما متقابلان في الآثار .

ولما استعرض الباري أحوال المؤمنين الصادقين والمنافقين والكافرين جهارا التفت الى المؤمنين وأرشدهم الى الزهد عن الدنيا وقال : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي لعب لا ثمرة له ، ولهو يشغل الانسان عما يعنيه (وزينة) أي وتزين بأشياء لا يحصل منها شرف ذاتي كاللباس والجاه والمال والبيوت الرفيعة (وتفاخر بينكم) بالأنساب (وتكاثر) بالعدد والعُدد (في الاموال والاولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته) لحسنه ونضارته (ثم يهيج) أي يتحرك الى أقصى ما يصل اليه من الزيادة في الاقطار والنضارة في الاوراق والأوراد (فتراه) بعد مدة (مصفرا) بعد النضارة والخضارة (ثم يكون حطاما) أي هشيما متكسرا (وفي الآخرة عذاب شديد) لمن كفر بالله ورسوله ، ولم يهتم بالعمل الصالح ووصوله (ومغفرة من الله ورضوان) لمن

آمن بالله حق الايمان وعمل صالحا خالصا لله (وما الحياة الدنيا) لمن لم يراعها (الا متاع الغرور) •

(سابقوا) أيها المؤمنون (الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي كعرضها جميعا لو اتصل أحدهما بالآخر (أعدت) وهيئت (للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم) الذي لا يعلم مقداره غيره ، أو فضله لا يتناهى حتى ينظر اليه بنظر الجهالة والجحود •

(ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ(٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى ما فَاتَكُمْ ، وَلَا تَفْرَحُوا بما آتيكُمْ ، والله لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ(٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(٢٤)

وقوله تعالى (ما أصاب من مصيبة) ترجيه العباد المؤمنين الى الاستقامة مع الاقدار ، والصبر مع الأكدار لا بمعنى أن يبقى الانسان مكتوف الأيدي لا يعمل ولا يدافع ، بل بمعنى أن الحوادث كثيرة وفيرة لا يمكن مدافعتها ولا معالجتها ، بل بعد الجهد في الاسباب قبل الورود ، وفي الدفع قبل النزول، وفي الرفع بعد الحصول اذا بقي شيء منها وجب على الانسان أن يتلقاها برحب الصدر ، ويقابلها بقوة الصبر ، فان الصابر مأجور فقال تعالى : (ما أصاب من مصيبة) حادثة تؤلم الإنسان (في الارض) كجدب وعاهة في الزرع والثمار ، وحشرات ظاهرة في الارض ، أو هائجة على الاوطان (ولا في أنفسكم) من المرض والعاهة وقلة المال وضيق البال وموت الاولاد والاقارب وهجر

الاوطان ... وغير ذلك (الا في كتاب) مسطور (من قبل أن نبرأها) أي نخلق تلك المصيبة .

والمراد بالكتاب اما علمه تعالى الأزلي ، أو اللوح المحفوظ ، أو كتاب الاقدار والاعمال المرتبط بكل إنسان على حياله يعني انه قدر أن المصاب لم يباشر أسباب الوقاية ، ولم يستحصل موجبات الدفع أو الرفع من الاسباب المادية الاعتيادية أو الاسباب المعنوية من الصدقات والدعوات وغيرها ، فلذلك نزلت واستقرت . وهذا النوع من الاقدار مبرمة ، لانه اذا وقعت الواقعة فليس لوقعتها كاذبة . وتبين أن الامر قد تقرر وصدر الامر بحدوثه ، وأما ما وفق الله الانسان لسده قبل وروده كأخذ الحذر والحيطة ، والوقاية منها ، والتحصن في القلاع وجمع الاقوات في المخازن والمحلات الخاصة، والتداوي.. وهذه كلها من الماديات . أو بالإحسان والصدقات والدعوات وما شاكلها من الصلح ، والمفاوضات ، وصرف المال ، والحال ... فهذه من الأمور التي تعلق العلم بعدم نزولها . ويقال لها في العرف المعلقات ومباشرة أسبابها واجبة على العين أو الكفاية . وبما أنا لا نعلم الغيب ولا ندري ماذا نكسب غدا وجب علينا السعي حسب علمنا بأسباب الوقاية كما قال تعالى (خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا) فإن لكل شيء سببا أو أسبابا . والله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل . وهذا هو الظاهر من نصوص القرآن العظيم وسنة الرسول الكريم ، والغفلة والبطالة عن مباشرة الاسباب المادية أو المعنوية خلاف الشريعة السماوية وخلاف المقررات والمجربات البديهية ، فمن يقول بأن الدعاء لا ينفع والصدقة لا تفيد فهو كمن يقول ان التداوي لا يفيد ، وان الاكل لا يشبع ، وان الماء لا يروي ... وهذا جهالة صرفة . وما ورد في بعض السنن من ان النذور لا تدفع شيئا ولا تؤخر أجلا فمعناه أن

هذه الاشياء أسباب والاسباب ليست مؤثرة ، بل التأثير لذات الحق سبحانه وتعالى فهذه طريقة المسلمين فامشوا عليها واستقيموا •

(إن ذلك على الله يسير) أي ان ثبوت كل مصيبة في كتاب يسير على الله تعالى لا صعوبة فيه • وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) لكيلا تأسوا وتتأسفوا على ما فاتكم من الاموال والانفس (ولا تفرحوا بما آتاكم) لان الامور المقدرة المقررة يجب وقوعها وحدوثها وحصولها ، وعدم الأسى على ما فات ، وعدم الفرح بما هو آت وان كان من المصاعب الاعتيادية لكن الانسان العالم العاقل يقدر على أن يخفف قوة الأسف وشدته بالنظر في الدلائل النقلية المفيدة للأجر والدلائل العقلية الموجبة للصبر ، والنصوص الداعية لوجوب الشكر على النعم كي تبقى حتى يلقى • وقوله تعالى (إن الله لا يحب كل مختال فخور) تذييل يفيد أن الفرح المذموم هو الموجب للبطر والاختيال وذلك لا يناسب المؤمن بكل حال •

وقوله (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال يعني أن المختال الفخور هو الذي يبخل وغالبا من عادات البخلاء أنهم يأمرون الناس بالبخل ؛ فهو سبحانه وتعالى لا يحب أولئك الناس الفاسدين الجامدين الذين لا يحصل منهم خير لغيرهم (ومن يتول) عن ارشادات الحق سبحانه وتعالى (فان الله هو الغني) عنه وعن غيره و (الحميد) المحمود في كل فعاله لا يهمه منهم شيىء أبدا •

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

وإبْرَاهِيمَ ، وجَعَلْنَا في ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ، فمِنْهُمْ مُهْتَدٍ ، وكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا ، وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ، ورَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، ما كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ ، فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ(٢٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ ، يُؤْتِكُم كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٢٨) لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَأَنَّ الفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، واللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ)(٢٩)

قوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) بيان وبلاغ الى عقلاء الثقلين مفاده أنا أرسلنا رسلنا الى العباد للتنوير والارشاد (وأنزلنا معهم الكتاب) الهادي الى الصواب (وأرسلنا معهم الميزان) أي منهاج العدل في الاعتقاديات والعمليات في الاصول والفروع حتى يعيشوا سعداء بالاعتدال في الاعتقاد والاعمال ، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم من أنفسهم وأموالهم وأحوالهم ، فمن توسط واعتدل في الادارة والاحكام عاش بأمانة وسلامة واكرام ، أو الميزان هو ميزان المعاملات المربوطة بالوزن والكيل حتى تتم للناس السعادة (وليقوم الناس بالقسط) أي بالعدل في الحقوق للانفس والاغيار على قاعدة

لاضرر ولاضرار (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي وخلقناه كقوله تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) أو معناه هيأناه لكم وانعمنا به عليكم كما يهيىء النزل للضيف قبل وروده ، أو أنزلنا من السماء بالوحي استخراج الحديد من المعادن ، والتصرف فيه بصنع الآلات الحربيـة والاستعمالية في البيوت ، فاستخرجوه ، ثم تطورت الصناعة الى أن وصل الى الدرجة الراقية في هذا العصر ، فتستعمل بحسب تطور الدنيا وتبدل الحاجات ، فان ميـزان القسط وحده بدون قوة رادعة للخائبين لا ينفع ، والحاجة ماسة ضرورة الى سيوف بعد حروف ، ولجمع الحديد بين منافع الدنيا ومنافع الآخرة ، أما في الدنيا فباستعماله فيما لابد منه للعيش ، وأما في الآخرة فللجهاد به ودفع أهل الطغيان والطيش قال تعالى (فيه بأس شديد ومنافع للناس) من استعماله في الامور الحيوية والامور الحربية ليندفع به أهل الاهواء المغرورون (وليعلم الله من ينصره ورسله) أي ومن ينصر رسله باستعمال السيف والسنان والمدافع القوية النيران . وقوله (بالغيب) للدلالة على أن من لم يكن له ايمـان بالله بينه وبين الله لا يشهر السيف على الاعداء ، ولا يقتحم أمواج القتال والبلاء (ان الله قوي) قادر على نصـر من ينصر دينه (عزيز) لا يغالب على عزتـه وقوته على العالمين .

(ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) أما في ذرية نوح فالمراد الانبياء والرسل من الامم المنتشرة في أقطار العالـم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، فانه لم تخل أية أمة من رسول وأحكام قال تعالى : (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقال : (وكذلك أرسلنا رسلنا تترى) أي وترى واحدا بعد واحد ، وأما في ذرية ابراهيم فالانبياء والرسل الموجودون من إسحاق وأولاده المعروفين ببني اسرائيل وكشعيب مـن نسل مدين ابـن ابراهيم ومـن اسماعيل وأولاده كسـيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ

(فمنهم مهتد) بالكتاب وسلك طريق الصواب (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حكم الكتاب (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي أرسلنا بعدهم رسولا بعد رسول ، وأصل التقفية جعل الشيىء خلف القفا ، وضمير آثارهم لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم من قومهما (وقفينا بعيسى ابن مريم) أي جعلناه بعد أولئك الرسل (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) هما اذا افترقا اجتمعا على معنى واحد ، واذا اجتمعا افترقا على معنيين ، فالرأفة ما فيه درء الشر ، والرحمة ما فيه جلب الخير . وقوله (ورهبانية ابتدعوها) من باب الاشتغال، أي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها من أنفسهم لتحصيل الثواب بالانقطاع من لذائذ الدنيا (ما كتبناها عليهم) أي ما فرضناها عليهم ، اذ قلما يوجد انسان له طاقة على اجتناب المشتهيات النفسية وقوله (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أي ما فرضناها عليهم رأسا ، ولكن ابتدعوها وألزموها أنفسهم (فما رعوها حق رعايتها) أي ما حافظوا عليها حق المحافظة فان من التزم مندوبا وجبت عليه رعايته والدوام عليه وأن لا يأتي بما فيه المخالفة والمنافاة مع التزامه ، وأن لا يحتال لتخليص نفسه منه ، وأن لا يريد من ورائه شهرة أو سمعة ، أو جلب الناس وكسب الجاه والمال به منهم ، فإن ذلك هروب من الله لا رهبانية منه (فآتينا الذين آمنوا منهم) إيمانا سالما من المناقضات والمعارضات (أجرهم) على نياتهم وطاعاتهم (وكثير منهم فاسقون)مارقون فجعلوها وسيلة الى مفاسد لاتعد ولا تحصى ، ومنها اخزاء الرهابنة الصادقين.

وفي هذه الآية الشريفة القول الفصل في الاعمال المستزادة على ما كان أولا في عهد الرسول فان كان ذلك على منهج الدين من طلب مرضاة الله تعالى ومنع النفس الامارة بالسوء عن الشهوات ومراعاة الشخص حقه فلا بأس به ولا انكار عليه لان نص قوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) يدل على أنهم

لو كانوا يراعونها كانوا مكتسبين للاجر ، ولذا قال تعالى : (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) وان كان على غير ذلك فهو فسوق وخروج عن نظام الدين .

وتفصيل الكلام في الموضوع ما ذكره الامام محي الدين النووي في شرح صحيح مسلم ، قال العلماء : البدعة خمسة أقسام : واجبة، ومندوبة، ومحرمة، ومكروهة ، ومباحة . فمن الواجبة تعلم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك . ومن المندوبة تصنيف كتب العلم ، وبناء المدارس ، والربط ، وغير ذلك . ومن المباحة التبسط في ألوان الاطعمة وغير ذلك . والحرام والمكروه ظاهران . فعلم أن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (كل بدعة ضلالة) من العام المخصوص .

وقال صاحب جامع الاصول : الابتداع من المخلوقين ان كان في خلاف ما أمر الله تعالى به ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو في حيز الذم والانكار ، وان كان واقعا تحت عموم ما ندب الله تعالى به ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو في حيز المدح ، وان لم يكن مثله موجودا كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف ، ويعضد ذلك قول عمر ـ رضي الله عنه ـ في صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اثبتوا واستمروا على تقواه عز وجل فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) محمد ـ صلى الله عليه وسلم (يؤتكم كفلين) أي نصيبين (من رحمته ، ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة وهو النور المذكور في قوله تعالى : يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ويغفر لكم) ما سلف منكم (والله غفور رحيم) .

أخرج الطبراني عن ابن عباس وابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قالا ان أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم فشهدوا

معه أحداً ، فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة قالوا : يا رسول الله انا أهلُ ميسرةٍ فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله تعالى فيهم (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) الى قوله (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) فجعل لهم أجرين فلما نزلت هذه الآية قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم . فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله) يؤتكم كفلين من رحمته ... الآية أي راداً عليهم قولهم ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم . وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بالجملة الطلبية السابقة المتضمنة لمعنى الشرط ، اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته الآية .. (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) وكلمة (لا) مزيدة اى ليعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيىء من فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وهذه الجملة تذييل مقررة لمضمون ما قبله والله أعلم .

الجزء الثامن والعشرون

سورة المجادلة ، مدنية وآياتها اثنتان وعشرون

نزلت بعد المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها ،
وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ ، وَاللهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُمَا ، إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسائِهِمْ ماهُنَّ أُمَّهاتِهِمْ ،
إِنْ أُمَّهاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً
مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً ، وإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ
يُظاهِرُونَ مِنْ نِسائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قالُوا فَتَحْرِيرُ
رقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا ، ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ، والله بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيام شَهْرَيْنِ
مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَماسَّا ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ،
فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِينا ، ذلِك لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ،
وتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ، وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ)(٤)

قوله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله ، والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير) يعني قد سمع الله قول المرأة التي تجادلك وتراجعك الكلام في شأن زوجها ، وفيما صدر عنه من عبارة الظهار ، تريد أن ترجع الى زوجها •

وكان الظهار في الجاهلية ، وصدرا من الاسلام ، طلاقا الى أن نزلت الآية ببيان حكمه وحل المرأة بإعطاء الكفارة • والظهار لغة : مصدر ظاهر وهو مفاعلة من الظهر ، ويراد به معان مختلفة راجعة الى الظهر معنى ولفظا باختلاف الاغراض • فيقال : ظاهر زيد عمرا أي قابل ظهره بظهره حقيقة • وظاهره اذا نصره باعتبار أنه يقال قوى ظهره اذا نصره • وظاهر بين ثوبين اذا لبس أحدهما فوق الآخر باعتبار جعل ما يلي به كل منهما الآخر ظهرا للثوب ، وظاهر من امرأته اذا قال لها أنت علي كظهر أمي • وأما معناه شرعا فعلى اجتهاد المجتهدين فقد عرفه الحنفية بأنه : تشبيه المنكوحة أو عضو منها يعبر به عن الكل كالرأس أو جزء شائع منها كالثلث ، بقريب محرم عليه على التأبيد أو بعضو منه يحرم النظر عليه •

وعند الشافعية : تشبيه الزوج زوجته بمحرم نسبا ، أو رضاعا ، أو مصاهرة من الاناث التي لم تطرأ حرمتها عليه • ولا فرق بين أن تكون الصيغة مقارنة للتشبيه أولا ، الا أن الصيغ التي تحتمل الكرامة والحرمة تحتاج الى نية الظهار • وتفصيل الصيغ المستعملة ، وبيان أحكامها ، يحتاج الى مراجعة الكتب المعتمدة عند أئمة المذاهب ، غير أنه اتفق الفقهاء على أن الرجل اذا قال لزوجته أنت علي" كظهر أمي أنه ظهار • واختلفوا اذا ذكر عضوا غير الظهر ، أو ذكر ظهر من تحرم عليه ممن يحرم نكاحهن على التأبيد غير الأم • فقال مالك : هو ظهار ، وقال جماعة من العلماء : لا يكون ظهارا الا بلفظ الظهر والأم • وقال : أبو حنيفة يكون بكل عضو يحرم النظر اليه • وسبب اختلافهم

معارضة المعنى للظاهر ، وذلك أن معنى التحريم تستوي فيه الأم وغيرها من المحرمات ، والظهر وغيرها من الاعضاء ، وأما الظاهر من الشرع فانه يقتضي أن لا يسمى ظهارا الا ما ذكر فيه لفظ الظهر والأم • وأما اذا قال هي عليّ كأمي ولم يذكر الظهر ، فقال أبو حنيفة والشافعي ينوي في ذلك لانه قد يريد بذلك الاجلال لها وعظم منزلتها عنده وقال الامام مالك ـ رضي الله عنه ـ هو ظهار •

وقد أخذ الباري يبين حكم الظهار فقال (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) كأوس بن الصامت الذي ظاهر خولة بنت مالك بن ثعلبة (ما هن أمهاتهم) ليست تلك النسوة المظاهر منهن أمهات لاولئك الرجال (ان أمهاتهم الا اللائي ولدنهم ، وانهم ليقولون منكرا من القول) بعيدا عن الادب اذا شبهوا زوجاتهم بأمهاتهم بأن قال المظاهر لزوجته أنت علي كظهر أمي (و) يقولون (زورا) من الكلام أي جملة كاذبة خاطئة ان قال المظاهر أنت أمي • وذلك الكلام فاسد في النقل ومخالف للعقل ويأثم به القائل (وان الله لعفو) مبالغ في العفو (غفور) مبالغ في المغفرة للذنوب •

(والذين يظاهرون من نسائهم) فان قال القائل أنت علي كظهر أمي (ثم يعودون لما قالوا) أي يتندمون عنه بالعزم على أن يبقوها ويطأوها أو بإمساكها مدة تسع اجراء صيغة الطلاق كما هو عند الامام الشافعي (فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) أي فالواجب عليه تحرير رقبة سليمة من العيوب المخلة بالعمل من قبل أن يتلاقيا ويطأ الزوج زوجته لان وطئها قبل اعطاء الكفارة حرام (ذلكم يوعظون) به أي ذلكم الحكم بوجوب الكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة (والله بما تعملون خبير) أي يعاقبكم اذا خالفتم حكمه (فمن لم يجد) الرقبة أو وجدها ولم يجد ما يشتريه به

(فصيام شهرين متتابعين) أي فالواجب عليه ذلك (من قبل أن يتماسا) فإن أفطر بغير عذر لزمه الاستئناف ، أو بعذر ففيه خلاف .

(فمن لم يستطع) أي الصوم لهرم أو مرض أو شبق مفرط فإطعام ستين مسكينا ستين مدا عند الامام الشافعي ، وعند أبي حنيفة كل مسكين نصف صاع أو قيمته من النقد . (ذلك) الحكم (لتؤمنوا بالله ورسوله) أي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه في الجاهلية ، وحدود الله لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يقبلونها (عذاب أليم) .

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً ، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ؟ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ، ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(٧)

قوله تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله) أي يعادونهما فان كلا من المتعاديين في طرف وحد غير طرف الآخر وحده (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أي أهلكوا كما أهلك الذين من قبلهم ويرجعون الى الله (وقد أنزلنا آيات بينات) أي أنهم حادوا الله ورسوله مع أنا أنزلنا آيات

فيها تشريع الاحكام العملية الدينية ، والمبايعات والمعاملات والاحوال الشخصية ، والجنايات والقضاء وغيرها ••• مما لابد منه للانسان ، وقررنا لهم الاجتهاد والاستنباط لاحكام لم يكن عليها نصوص ، ومع ذلك عارضوا تلك الاحكام ، وقرروا أحكاما أخرى بدون الحاجة الماسة اليها (وللكافرين) المحادين لله ورسوله (عذاب مُهين ، يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا) من القبائح (أحصاه الله) أي أحصى ما عملوه (و) هم (نسوه) لعدم اهتمامهم بالمخالفات (والله على كل شيىء شهيد) مطلع لا يغيب عنه شيىء •

(ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الارض) غيبها وشهادتها (ما يكون من نجوى) أي التناجي أي الكلام الجاري بين الناس سرا بحيث يختص بفهمه أهله من (ثلثة الا هو) أي الباري تعالى (رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك) كأن يكون بين اثنين (ولا أكثر) كأن يكون بين ستة فصاعدا (الا هو معهم) يعلم ما يجري بينهم (أينما كانوا) من الاماكن ولو كانوا في سراديب (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)فان كان أمرا بصدقة أو اصلاح بين الناس فجزاؤهم المثوبة الحسنى، أوكان تدبيرا لتدمير قوم أو بلد أو قرية أو عائلة أو اهلاك شخص فالجزاء هو العقاب كما يستحقه أهل الكتاب (ان الله بكل شيىء عليم) لان نسبته الى كل شيىء يساوي نسبته الى غيره •

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ ، وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ، وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ ، وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ : لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ؟ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ، فَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذا

تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوا بِالإِثْمِ وَالعُدْوانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ، وتَنَاجَوْا بِالبِرِّ والتَّقوى ، واتَّقُوا اللهَ الذي إليهِ تُحشَرُونَ(٩) إنَّما النَّجْوى مِنَ الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، ولَيْسَ بِضارِّهِمْ شَيْئاً إلا بِإِذْنِ اللهِ ، وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ)(١٠)

قوله تعالى (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : نزلت في اليهود والمنافقين ، كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون اليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم يوهمونهم عن أقاربهم أنهم أصابهم شر ، فلا يزالون كذلك حتى تقوم أقاربهم ، فلما كثر ذلك شكا المؤمنون الى الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فنهاهم أن يتناجوا دون المؤمنين ، فعادوا لمثل فعلهم . وقوله (ويتناجون) معطوف على ما قبله وداخل في حكمه ، أي ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون (بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاءوك حيوك) أي قدموا لك التحية (بما لم يحيك به الله) روى البخاري ومسلم أن ناسا من اليهود دخلوا على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : وعليكم . قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ وقلت : وعليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « يا عائشة ان الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش » فقلت ألا تسمعهم يقولون السام ؟ فقال ــ صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم ؟ » فأنزل الله تعالى واذا جاؤك ... الآية (ويقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول) أي هلا يعذبنا الله بسبب ذلك لو كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبيا ، أي لو كان نبيا لعذبنا الله بسبب ما نقول من التحية ! فيقول الله تعالى : (حسبهم

جهنم يصلونها فبئس المصير ٭ يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول) كما يفعله المنافقون (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بما يتضمن خير المؤمنين (واتقوا الله الذي اليه تحشرون ٭ انما النجوى) أي المعهودة الملعونة التي تكون لإضرار المؤمنين وفي نقد أعمالهم ومعصية الرسول (من الشيطان) أي من القائه واثارته في قلوبكم (ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئا الا بإذن الله) أي بإرادته اضرارهم (وعلى الله) لا على غيره (فليتوكل المؤمنون) ٭

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ ، وَاِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(١١)يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا نَاجَيْتُمْ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجويكُمْ صَدَقَةً ، ذلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَم تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجويكُمْ صَدَقَاتٍ ؟ فَإِذْ لمْ تَفْعَلُوا وتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَه ، واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ)(١٣)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) هذه الآية الكريمة مع ما قبلها من الآداب الاجتماعية فواجب الإنسان العاقل الاجتماعي أن يتحبب الى المجتمع ولا يفعل شيئا يوجب الاثارة والعداء حتى يكون له وزن ويسمع الناس نصائحه وارشاداته ، والنجوى المثير

للعداء وخوف الناس من الشرور والمفاسد العامة فنهى الله عنه أولاً ، وأمر بالفسح وإعانة الناس في المجالس ثانيا حتى يأخذوا مكانا على مكانتهم وبذلك يزداد الود والتحابب بين الناس فأمر به في هذه الآية وقال (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) أي فليفسح بعضكم لبعض فيها • فإذا فسحتم لهم فيها (يفسح الله لكم) أي في رحمته أو في الجنة أو في منازلكم أو في الأمكنة التي يردون عليها في المسافرات والعزائم أو في صدوركم أو في قبوركم ، فإن حاجة الانسان الى الفسح أكثر من أن يحصى ، والله قادر على كل فسح في كل مكان ومقام • أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حبان كان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوم الجمعة في الصفة ، وفي المكان ضيق ، وكان ــ عليه الصلاة والسلام ــ يكرم أهل بدر من المهاجرين والانصار ، فجاء ناس من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس ، وقد سبقوا الى المجالس ، فقاموا حيال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقالوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا ، فشق ذلك على رسول الله ، فقال لبعض من حوله : قم يا فلان ويافلان ، فأقام نفرا مقدار من قدم فشق ذلك عليهم • وعرفت كراهيته في وجوههم ، وقال المنافقون : ما عدل بإقامة من أخذ مقامه وأحب قربه لمن تأخر عن الحضور ! فأنزل الله تعالى هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا •••) الآية وكان تلك الكراهية ممن لم يفسح تنافسا في القرب من رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ورغبته فيه ، ولا تكاد نفس تؤثر غيرها بذلك (واذا قيل انشزوا) أي انهضوا للتوسعة على المقبلين (فانشزوا) ولا تتثبطوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) مجزوم في جواب الامر (والذين أوتوا العلم) من المؤمنين (درجات) وعطفهم

على الذين آمنوا من عطف الخاص على العام للاهتمام (والله بما تعملون خبير) وعد للمتمثلين ووعيد لغيرهم .

(يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) أي اذا عزمتم على المناجاة معه (فقدموا بين يدي نجويكم صدقة) أي فتصدقوا قبلها على الفقراء (ذلك خير لكم وأطهر) ذلك التقديم خير لكم لأجل نيل الثواب ، وأزكى لانفسكم لما فيه من تعويدها على الصدقات وعدم الاهتمام بخزن الاموال (فإن لم تجدوا فان الله غفور رحيم) حيث رخص لمن لم يجد ما يقدمه أن لا يقدم (ءأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات ؟) أي أخفتم الفقر لأجل تقديمها (فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) أي لم تفعلوا ما أمرتم به وقد سامح الله عنكم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) في سائر الاوامر (والله خبير بما تعملون) .

(أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِين تولَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ ما هُمْ مِنْكُمْ ولا مِنْهُمْ ، وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ؟(١٤) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ(١٥) اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ(١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ ولا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ(١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ، ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ على شَيْءٍ ، الا إِنَّهُمْ هُمُ الكاذِبُونَ(١٨) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ فَأَنْسيهُمْ ذِكْرَ اللهِ ، أُولئِكَ حِزْبُ الشَّيْطانِ ، أَلا

إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢١) لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ ، أَوْ إِخْوَانَهُمْ ، أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَرَضُوا عَنْهُ ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ، أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)(٢٢)

قوله تعالى (ألم تر الى الذين تولوا قوما) تعجيب من حال المنافقين الموالين لليهود ، فيقول سبحانه وتعالى ألم تر أيها الرائي الى المنافقين الذين تولوا قوما من اليهود (غضب الله عليهم) ولعنهم وأعد لهم جهنم (ما هم منكم) أي ليسوا منكم لانهم منافقون وأنتم مسلمون صادقون (ولا منهم) لانهم ليسوا من اليهود لا حسبا ولا نسبا • وفي الحديث : « مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين غنمين ، لا تدري أيهما تتبع » (ويحلفون على الكذب) أي ويحلفون على حكم غير مطابق للواقع يعني يحلفون أنهم مسلمون وليسوا كذلك (وهم يعلمون) أنهم كاذبون • روي أنه ــ صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال : « يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار ، وينظر بعين شيطان » فدخل عبدالله بن نبتل المنافق ، وكان أزرق • فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ له : « علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ » فحلف بالله ما فعل • ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت (أعد الله لهم عذابا شديدا ، انهم ساء ما كانوا يعملون) فتمرنوا على سوء العمل وتدربوا عليه (اتخذوا أيمانهم جُنّة) وقاية

دون دمائهم وأموالهم (فصدوا عن سبيل الله) فمنعوا الناس في خلال أمنهم عن سلوك سبيل الله (فلهم عذاب مهين) أي فلهم في الآخرة على رءوس الاشهاد عذاب مهين محقر لهم عقابا على استخفافهم بدين الله ورسالة رسوله (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) أبد الآبدين (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) أي لله تعالى قائلين : والله ما كنا مشركين (كما يحلفون لكم) في الدنيا أنهم مؤمنون صادقون (ويحسبون أنهم) بتلك الايمان الكاذبة (على شيء) من المنافع أو رفع العقاب والعذاب كما كانوا يدفعون بها في الدنيا بعض المضار المتوجهة اليهم (ألا انهم هم الكاذبون) وأي كذب أشد وأقوى وأكثر كسرا للأدب من الكذب أمام علام الغيوب ؟ .

(استحوذ) أي غلب (عليهم الشيطان) بالوساوس الفاسدة المفسدة حتى اتبعوه فيما ألقاه اليهم من الكفر والعناد (فأنسيهم ذكر الله) تعالى (أولئك حزب الشيطان) أي جنوده (ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) أي المتصفون بالخسران في الدنيا والآخرة . ثم استأنف مشيرا لتعليل خسرانهم وقال (ان الذين يحادون الله ورسوله) ويخالفون أوامر الله ورسوله (أولئك في الأذلين) وعلل ذلك بما يؤخذ من قوله الكريم (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) بالكتاب والحراب ، بالارشاد لاهل الرشاد ، وباعداد العدة على أهل العناد (ان الله قوي عزيز) .

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) أي لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله (ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو اخوانهم أو عشيرتهم) وكل من تجده من المؤمنين يعاندونهم (أولئك) الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله (كتب في قلوبهم الايمان) أي أثبته الله بحيث لا يقبل الزوال (وأيدهم بروح منه) أي قواهم يعني قوى سلطان

وجودهم أعني القلب (بروح منه) أي بنور أفادهم الحياة الابدية والسعادة السرمدية (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار ، خالدين فيها) أبد الآبدين (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أي ابتهجوا بما أوتوه من لطائف المنن الروحية وعوارف المعارف الفتوحية ، فغلبت على قلوبهم حالة نفسية قدسية ، فأحبوا الله تعالى ورضوا عنه (أولئك) الناس الموصوفون بما سبق (حزب الله) أي زمرته وجماعته وثلته وكفى ذلك الحزب شرفا اضافته الى الله تعالى (ألا ان حزب الله هم المفلحون) لأنهم هم المؤمنون الصادقون الثابتون الصالحون ٠

سورة الحشر ، مدنية ، وآياتها اربع وعشرون
نزلت بعد البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وما في الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا ، وظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ ، فأتيهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وقَذَفَ فِي قُلوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيدي المُؤْمِنِينَ ، فاعْتَبِرُوا يا أولِي الأَبْصارِ (٢) ولَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الجَلاءَ لَعذَّبَهُمْ فِي الدُّنيا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابُ النّارِ (٣) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقابِ)(٤)

قوله تعالى (سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) هذه السورة تسمى سورة الحشر لجمع بني النضير واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام .

روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا عليه ولا له . فلما ظهر يوم بدر قالوا : انه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة . فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا . وخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة ، وحالفوا أبا سفيان ، فأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخا كعب بن أشرف من الرضاعة فقتله غيلة ، ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء ، فجلا أكثرهم الى الشام ، ولحقت طائفة بخيبر والحيرة . فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح لله) الى قوله (والله على كل شيىء قدير) .

والتسبيح : هو التنزيه والتقديس لله سبحانه وتعالى عما لا يليق بذاته وصيغة الماضي لتحقق وقوعه في الماضي وما يستقبل ما دام معلوما له تعالى فهو كالماضي المنقضي المتحقق . وكلمة ما تستعمل للعاقل وغيره سيما اذا اختلط العقلاء بغيرهم ، وصاروا في قلة من العدد بالنسبة الى غير العاقل . وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي الغالب الذي لا يغلب والفاعل الذي تقارن أفعاله الحكمة ، وفيه صنعة بديع براعة الاستهلال لان السورة في بيان عزة الله ورسوله والمؤمنين ، ويفيد عزته وغلبته .

قوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) أي يهود بني النضير (من ديارهم لاول الحشر) أي في أول حشرهم واخراجهم من جزيرة العرب الى الشام اذ لم يصادفوا هذا النوع من الاخراج من الجزيرة ، أو في أول حشرهم للقتال مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء ، وآخر حشرهم اجلاء عمر ـ رضي الله عنه ـ اياهم من خيبر الى الشام (ما ظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم وكثرة أموالهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أي ظنوا أن حصونهم المستحكمة وتحصنهم بها تمنعهم من بأس الله تعالى ونكايته بهم

(فأتيهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي فأتيهم أمره وبأسه وقدره من حيث لم يظنوا أنه يأتيهم كذلك وذلك بقتل رئيسهم كعب بن الاشرف والقاء الخور والجبن والفشل في أوساطهم (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف الشديد (يخربون بيوتهم بأيديهم) أي بمباشرة أيديهم ومعالجتها واخراج الاخشاب منها لسد أفواه الدرابين حتى لا يدخل منها المسلمون عليهم (وأيدي المؤمنين) ان كان فيهم بعض المؤمنين من الذين كانت لهم مصلحة في المزارع والبساتين وغيرها جاز اعتبار الباء الملحوظة هنا مثل الباء في المعطوف عليه بأن باشرت أيدي المؤمنين إخراج الاخشاب وتخريب البيوت ، والا فالباء في المعطوف سببية بمعنى أن حصارهم واستعدادهم لقتال اليهود تسببا في تخريبهم بيوتهم (فاعتبروا يا أولي الابصار) وانظروا أن علة حلول العذاب بهم استكبارهم وعنادهم مع الحق فكلما استكبر قوم وعصوا أمر الله تعالى أتاهم بأسه من حيث لا يحتسبون ، فان ذلك من القياس الجلي ولا ينكره الا الغبي، ولا تظنوا أن نكاية الله وعذابه تنحصر في سبب واحد بل لها أسباب وعلل لا تكاد تحصى ، وما يعلم جنود ربك الا هو .

(ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) من الجزيرة الى الشام وغيرها (لعذبهم في الدنيا) بالقتل كقتلى بدر أو بالامراض والعاهات أو بوقوع الشقاق بينهم فإنه من أعظم الآفات (ولهم في الآخرة عذاب النار) علاوة على ما في الدنيا (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العذاب النازل بهم بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله وأحدثوا الشقاق والمخالفة مع الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا من القبائح كنشر الفوضى في ربوع الجزيرة ومخالفة أعداء الرسول والمؤامرة عليه لقتله وتحريش الناس وتحريضهم عليه وغير ذلك . (ومن يشاق الله) وفيه مشاقة رسوله (فان الله شديد العقاب) .

(ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ، وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)(١٠)

قوله تعالى (ما قطعتم من لينةٍ) اشعار بنصر الله تعالى للمؤمنين ، وأن هذه الامور الجارية من أسباب العز والكرامة كله من الله تعالى فيقول

(ما قطعتم من لينة) أي من كريمة من النخلة (أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) أي بخلقه تعالى وأن الحوادث مخلوقة له مطلقا ، وبرضاء الله ومحبته فإنه أراد اتمام نوره ونشر الاسلام ليحقق ما أراده وأحبه (وليخزي الفاسقين) المارقين عن الاسلام (وما أفاء الله على رسوله منهم) أي وما أرجعه الله وأوصله الى المسلمين من أموالهم (فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) فما أسرعتم عليهم فردا من الخيل ، ولا فردا مما يركب من الإبل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أي ولكن جرت سنته الإلهية البهية بأن يسلط رسله الكرام على من يشاء من عباده فيهيىء أسباب النصر المبين لهم ولمن تبعهم من المسلمين (والله على كل شيىء قدير) فيفعل بالعباد ما أراد من العز والذل ، والملك والفقر ، والصحة والمرض ، وغيرها • وحاصل معنى هذه الآية الكريمة أن ما أفاء الله على رسوله من بني النضير بعد الجلاء والخروج من الديار كان مختصا بالرسول ولم يكن لأحد حق فيه ، ولذلك قسمه بين المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة منهم لفقرهم ، والثلاثة : أبو دجانة سماك ، وسهل بن حنيف ، والحرث بن الصمة • وأخذ من ذلك ما احتاج اليه لصرفه على عائلته وممونه •

وقوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله ، وللرسول ، ولذي القربى ، واليتامى ، والمساكين ، وابن السبيل) بيان لما أفاء الله على رسوله من قرى الكفار بعد بيان حكم ما أفاء الله عليه من بني النضير ، وبمقتضى ظاهر هذه الآية الشريفة فإن الفيىء يقسم ستة أقسام : سهم منه لله ويصرف في الكعبة الشريفة • وسهم للرسول ، يصرفه في نفسه وعائلته • والاسداس الاربعة الباقية لمن ذكر فيها • والجمهور على أن ذكر الله تعالى للتبرك ، وأن سهم الله ورسوله واحد ، والاخماس الاربعة الباقية للاصناف الاربعة المذكورة • والفرق بين الفيىء والغنيمة أن الاول ما يحصل للمسلمين بدون القتال كما

تركه الكفار وجلوا عنه وأمثاله وذلك يخمس كما ذكرنا ، الا ما اختص به ـ صلى الله عليه وسلم ـ من بني النضير . وأما الغنيمة فهي مال حصل لهم بالحرب معهم ، وهي تقسم بين المقاتلين الا خمسا منه فهو يخمس ويقسم كالاقسام الخمسة من الفيء فقد روي بأسانيد معتبرة مقبولة .

وقوله تعالى (كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم) تعليل للتقسيم المذكور أي قسمت بين الاصناف الخمسة كي لا يكون مالا متداولا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به (وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا) أي وما أعطاكم من الفيء فخذوه لانه حقكم الذي أحله الله لكم ، وما نهاكم عن أخذه فلا تأخذوه (واتقوا الله) في مخالفته ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ان الله شديد العقاب) لمن خالفه وعذبه . أعاذنا الله وعافانا من المخالفة ، ووفقنا على الموافقة والمؤالفة بمنه وكرمه آمين .

وقوله تعالى : (للفقراء المهاجرين) بدل من قوله السابق لذي القربى وما عطف عليه . ومعناه أن استحقاق ذوي القربى للفيء مشروط بفقرهم ، فلا يجوز صرفه لاغنيائهم ، واليه ذهب الامام أبو حنيفة ـ رضي الله عنه ـ ، ومن أعطى أغنياءهم كالشافعي ـ رضي الله عنه ـ خصص الابدال بما بعد ذي القربى أي اليتامى وما بعده ، أو الفيء بفيء بني النضير ، فانه لم يعط الاغنياء منه مطلقا . وقوله (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم الى الخروج فخرجوا منها . وكان هؤلاء مائة رجل (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أي يطلبون منه رزقا في الدنيا ومرضاة في الآخرة (وينصرون الله ورسوله) أي ناوين لنصرة الله ورسوله (أولئك هم الصادقون) وقوله (والذين تبوأوا الدار والايمان) معطوف على المهاجرين ، والمراد بهم الانصار والتبوء النزول في المكان والآية من قبيل : وزججن الحواجب والعيونا . أي تبوأوا الدار وألفوا الايمان (من قبلهم)

أي من قبل المهاجرين ، والمراد من قبل هجرتهم الى المدينة المنورة ، حالكونهم (يحبون من هاجر اليهم) من مكة وغيرها لمواساتهم ومساعدتهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أي حاجة واقتضاء لما أعطي المهاجرون من الفيىء يعني يستحبون أن يكون المال لهم لكونهم فقراء مهاجرين في سبيل اعلاء كلمة الحق والدين (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) أي ويختارون غيرهم ويقدمونهم على أنفسهم في نيل المال من الفيىء وغيره ، ولو كان أي ولو وجد بهم خصاصة وحاجة وفقر حال .

روي أنهم وصلوا في هذا الباب الى درجة لا ينالها غيرهم ، حتى أن من كان عنده امرأتان يحب أن ينزل عن إحداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين ، ولكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ منعهم ، وأمر من كان عنده ثروة أو بستان أن يشغل بعضا منهم فيها ، في سبيل كسب معيشته بتعب نفسه . أخرج البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة قال : اتى رجل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال : يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل الى نسائه فلم يجد عندهن شيئا ، فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « ألا رجلٌ يضيف هذا الرجل الليلة ، رحمه الله ؟ » فقام رجل من الانصار ، وفي رواية فقال ابو طلحة انا يا رسول الله ، فذهب الى اهله ، فقال لامرأته : أكرمي ضيف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قالت : والله ما عندي إلا قوت الصِّبْيَة . قال : اذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فاطفئي السراج ، ونطوي الليلة لضيف رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففعلت . ثم غدا الضيف على رسول الله فقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « لقد عجب الله الليلة من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى فيهما « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ... » الآية (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي ومن يحفظ بتوفيق الله تعالى

وبكسب نفسه وملاحظته أن حق الانسان هو الإحسان لا الإساءة الى من عداه وما عداه فأولئك الناس المحفوظون هم المفلحون الناجحون في حياتهم وبعد مماتهم . والفرق بين الشح والبخل : أن الثاني هو منع النفس عن افادة الغير الخير مالا أو غيره ، والاول هو ذلك أيضا لكن مع حرص وحزازة ولؤم .

وقوله تعالى : (والذين جاءوا من بعدهم) عطف على المهاجرين ، والمراد بهم الذين هاجروا الى المدينة بعد أن تمكن المسلمون المهاجرون الاولون وحصل للاسلام قوة ومنعة ، أي فهم ايضا مستحقون لاخذ الفييء . وقيل : المراد المؤمنون بعد الفريقين أي المهاجرين والانصار أينما كانوا الى يوم القيامة . وعلى هذا المعنى جمهور الناس ، فالآية مستوعبة لجميع المؤمنين الى يوم الدين وقوله (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) أي سبق ايمانهم بالله ورسوله على ايماننا بهما ، أو سبقونا في اللحوق بدار الآخرة مع الايمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي حقدا وحزازة (للذين آمنوا) على الاطلاق (ربنا انك رءوف رحيم) بنا وبهم . فالآية الكريمة تنادي الى وجوب رعاية حرمة المؤمنين ومحبتهم بالقدر المستطاع الا من أمر الله تعالى أو رسوله بخلاف ذلك ، وذلك لان جزاء أعمالهم عائد الى خالق عالم بكل شيء وأمرهم اليه تعالى .

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ؟ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ، وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً ، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ(١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ(١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ

رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ(١٣) لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلاَّ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ، بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً ، وقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ(١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ، ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ : إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ، إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ(١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)(١٧)

قوله تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا) حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة ، فيقول : ألم تر الى الذين نافقوا ؟ والآية نزلت في رهط من بني عوف منهم عبدالله بن أبي بن سلول ، ووديعة بن مالك ، وسويد ، وداعس ، بعثوا الى بني النضير بما تضمنته الجمل المحكية بقوله تعالى (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) وهم يهود بني النضير والمنافقون ، وان لم يكونوا من بني جلدتهم لكنهم كانوا اخوانهم في الكفر والشقاء والعداء للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : (لئن أخرجتم) موطئة للقسم وقوله (لنخرجن معكم) جواب القسم أي والله لئن أخرجكم محمد من دياركم جبرا لنخرجن من ديارنا معكم وننتقل في صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) أي ولا نطيع في شأنكم وإيذائكم أحدا أبدا أي اذا طلبوا منا ايذاءكم لا نطيعهم في ذلك ولا نؤذيكم ، وان آذوكم لا نقبل ايذاءهم لكم وندافع عنكم (وان قوتلتم لننصركم) أي لنعاونكم على أعدائكم ، وذلك شأن الحلفاء الصادقين بعضهم مع بعض (والله يشهد انهم

لكاذبون) في مواعيدهم لإخوانهم اليهود ، كما هم كاذبون معنا نحن المسلمين . والمنافق شأنه النفاق أينما كان من الآفاق ، لان النفاق رذيلة نفسية لا تكاد تنفك عن صاحبها الا بمعونة من الله تعالى ، ويبين جهات كذبهم معهم فيقول : (لئن أخرجوا) أي بنو النضير من جانب الرسول (لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا) من جانبه (لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم) على سبيل الفرض (ليولن الادبار) وليرجعن الى منازلهم (ثم لا ينصرون) أي لا اليهود المستنصرون بالمنافقين ولا المنافقون الذين أرادوا نصر اليهود الفاسدين .

(لأنتم) أيها الرسول ومن معه (أشد رهبة) ومخافة (في صدورهم من الله) تعالى يعني أنهم لا دين لهم ولا علاقة لهم بالله ، كما أنهم ينافقونكم ويخافون منكم أكثر مما يخافونه (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) شيئا من الدين والاخلاص منه (لا يقاتلونكم) أي اليهود أو اليهود والمنافقون (جميعا) أي لو فرضنا اجتماعهم على المكيدة والحرب (إلا في قرى محصنة) بالقلاع والابواب والخنادق (أو من وراء جدر) يتسترون بها دون أن يخرجوا ويبارزوكم (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان أن عدم مقاتلتهم معكم الا في الاماكن السابقة ليس لضعفهم في أنفسهم وذواتهم ، لانهم أقوياء شجعان اذا حارب بعضهم بعضا فلهم صولة وجولة ، ولكنهم يصيرون ضعفاء في مقابلتكم ومقاتلتكم بسبب أن الله يجعل الرعب في قلوبهم ويسلبهم البأس والمنوية . وقوله تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) جواب ما يقال اذا كان بأسهم بينهم شديدا فما بالهم لا يقاتلون المسلمين ؟ فقال : (تحسبهم جميعا) أي مجتمعين متكاتفين (وقلوبهم شتى) أي متفرقة، أي لايرتبط بعضهم ببعض، وكل قوم ولو كان كل فرد منهم بطلا لكن لما لم تتوحد كلمتهم لا تتفق عزيمتهم ولا يقدرون على مقابلة الافزاع والاقدار (ذلك) أي وتشتت قلوبهم (ب)

سبب (أنهم قوم لا يعقلون) روح الألفة والاتحـاد حتـى يستحصـلوها ويستفيدوا منها •

(كمثل الذين من قبلهم) أي مثلهم (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أي يهود بني قينقاع الذين غزاهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم السـبت على رأس عشرين شهرا من الهجرة في شوال قبل غزوة بني النضير حيث كانت في ربيع سنة أربع وأجلاهم أي بني قينقاع أخرجهـم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أذرعات بالشام (ذاقوا وبال أمرهم) أي ذاقوا سوء عاقبة مكيدتهم وسوء نيتهم مع الرسول وأمته باخراجهم الى الشام ، ذلك في الدنيا (ولهم) في الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره • (كمثل الشيطان) هذا أيضا خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم كمثل الشيطان ولكن الضمير هنا راجع الى المنافقين المذكورين المصادقين لبني النضير • والضمير السابق راجع الى يهود بنـي النضير أي مثل يهود بني النضير كمثل يهود بني قينقاع في ما جرى عليهم • ومثل المنافقين المحرضين ليهود بني النضير كمثل الشيطان (اذ قال للانسان : اكفر، فلما كفر قال: إني بريء منك، إني أخاف الله رب العالمين• فكان عاقبتهما) أي عاقبة الشيطان المغوى والانسان الغاوي بإغوائه (أنهما في النار خالدين فيها) وأولئك المنافقون الذين أغووا بني النضير أولا وتبرأوا منهم بعد جلائهم الى الشام أنهما أي الطرفين أي المنافقون ويهود بني النضير في عار الدنيا ونار الآخرة (وذلك) العار والنار (جزاؤ الظالمين) في الدنيا وفي الآخرة • وذلك المذكور في هذه السورة المباركة كان أحوال المسلمين حين كانـوا في فجـر نهضتهم ، ونماء دينهم وشريعتهم ، ووحدة كلمتهم وعزيمتهم فكانوا يترقون يوما فيوما على مصاعد الشرف والكرامة ، ويخاف منهم المخالفون في الاطراف والاكناف بسبب سلامتهم عن علة الخلاف والاختلاف ، وهـي سنة الله في العالمين • ونسـأل الله تعالى أن ينظر الينـا بنظر اللطف والرعاية ، ويلهمنـا

الاعتصام بكتابه ، والسلوك على سبيل الخير الذي مهده لأحبابه ، ويعيننا على الاستعداد للعلم والعمل الموحد والاعتصام ، وأن يجمع شمل أمة الاسلام وذلك على الله يسير .

(يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسيهُمْ أَنْفُسَهُمْ، أُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ (١٩) لا يَسْتَوي أَصْحابُ النَّارِ وأَصْحابُ الْجَنَّةِ ، أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هذَا الْقُرآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِله إِلاَّ هُوَ عالِمُ الْغَيْبِ والشَّهادةِ هُوَ الرَّحمنِ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الخالِقُ الْبارِيءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسماءُ الْحُسْنى ، يُسَبِّحُ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ)(٢٤)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) نصيحة عامة وتوصيات هامة للمؤمنين والمؤمنات وان أتت بصورة خطاب الجمع المذكر فيقول : اتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون قولا أو فعلا أكلا وشربا أو لبسا أو غيرها . والتقوى في القول بالتلفظ باللفظ الواجب أو المندوب أو المباح ، بأن تترك القول الحرام والمكروه ، وفي الفعل بالاتيان بالفعل الواجب أو المندوب أو المباح ،

وتترك الحرام والمكروه ، وتميز تلك الاقوال والافعال لاهل العلم بمراجعة الفقه ، ولغير العالم بمراجعة الفقيه واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) من الخيرات الناشئة من القول والفعل الواجبين أو المندوبين (واتقوا الله) كرره للتأكيد (إن الله خبير بما تعملون • ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي نسوا وجوده المعلوم لهم بالفطرة فغفلوا عنه حتى نسوا العلم به واحتاجوا الى التعليم ، أو نسوا حقوقه من الامتثال للاوامر والاجتناب عن المنهيات (فأنساهم) الله تعالى بسبب ذلك النسيان (أنفسهم) مع كونها أقرب شيء بالنسبة اليهم ، فكان جزاء وفاقا • يعني أنه شغلهم بأخطار خطيرة ومشاكل كثيرة ، حتى صاروا بحيث لو سألتهم عن أنسابهم وأسمائهم ما أجابوا جوابا شافيا (أولئك) الناس الناسون لله (هم الفاسقون) المارقون عن الدين والاعتبار ، وصاروا من أصحاب النار •

(لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون) بالسعادة • ثم التفت الباري بلطافة الى توبيخ الغافلين الناسين لحقوق الله تعالى وقال : (لو أنزلنا هذا القرآن) الجامع للمواعظ الرادعة ، والنصائح اللامعة ، والبراهين الساطعة ، والأنوار اللامعة ، (على جبل) جامد وأودعنا فيه قوة السمع وطاقة الامتثال (لرأيته خاشعا) متذللا (متصدعا) متفرقا (من خشية الله) وهيبة كلامه وقوة توبيخه وملامه (وتلك الامثال نضربها للناس) نذكرها لهم ونذكرهم بها (لعلهم يتفكرون) في عظمة الله وقدرته وقدره وهيبة أمره •

(هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم• هو الله الذي لا اله الا هو الملك) المتصرف في الكائنات (القدوس) المنزه عن نقص الصفات (السلام) السالم من العيوب والآفات (المؤمن) المصدق لنفسه ورسله (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شيء (العزيز) ذو العزة

والجبروت (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد ، ولجبر كسر من أراد بـه الخير من العباد (المتكبر) البليغ العظمة والكبرياء صاحب العـزة ، رفيـع الدرجات الى ما لا يتناهى من الدرجات العلـى (سـبحان الله) الموصوف بمبادىء هذه الاسماء الحسنى (عما يشركون) أي يشـرك به المشـركون الاغبياء .

(هو الله الخالق) لكل شيىء على مقتضى حكمته ورعاية سننه (البارىء) الموجود المميز لمخلوقاته بعضها عن بعض في الوجوه الامتيازية (المصور) لها بالصورة الجنسية والنوعية والصنفية والشخصية المحققة لكمـال الهويـة (له الاسماء الحسنى) المشيرة الى وجوه آثاره في العالم الأسنى (يسبح له ما في السماوات والارض) مع نفس السماوات والارض بلسان الحال في الكل ولسان القال لمن أراد منه المقال (وهو العزيز) الغالب على كل شيىء في كل الاحوال (الحكيم) الموصوف في جميع الاقوال والافعال . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

سورة الممتحنة ، مدنية ، وآياتها ثلاث عشرة

نزلت بعد الاحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلياءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ، وَقَدْ كَفَرُوا بِما جاءَكُمْ
مِنَ الْحَقِّ ، يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ ، وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ
رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهاداً فِي سَبِيلِي وابْتِغاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالمَوَدَّةِ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِما
أَخْفَيْتُمْ وما أَعْلَنْتُمْ ، وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَواءَ السَّبِيلِ(١) اِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْداءً ،
وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ اَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ ، وَوَدُّوا
لَوْ تَكْفُرُونَ(٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ، وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ(٣) قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاؤُ مِنْكُمْ وَمِمَّا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ ، وَبَدا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً ، حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ ، إِلاَّ قَوْلَ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ، وَما أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ ، رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا ، وإِلَيْكَ أَنَبْنا ، وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ(٤) ربَّنا لا تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ، واغْفِرْ لَنا رَبَّنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٥) لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ(٦) عَسى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ، وَاللهُ قَدِيرٌ ، وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٧)

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا •••) الآية نزلت في حاطب بن عمرو أبي بلتعة وهو مولى عبدالله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبدالعزى • أخرج الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي وابن حبان ، وجماعة عن علي ــ كرم الله وجهه ــ قال : بعثني رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنا والزبير والمقداد فقال : « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فان بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها ، فأتوني به » فخرجنا حتى أتينا الروضة ، فاذا نحن بالظعينة • فقلنا أخرجي الكتاب • قالت : ما معي من كتاب ، قلنا : لتخرجن الكتاب أو لَتُلْقِيَنَّ الثياب ! فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فاذا فيه من حاطب ابن أبي بلتعة الى اناس من المشركين بمكة ، يخبرهم ببعض أمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : «ما هذا يا حاطب ؟» قال : لاتعجل عليَّ يا رسول الله ، إني كنتُ امرأ ملْصَقاً في قريش ، ولم أكن من أنفسها ، وكان

من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم بمكة . فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أصطنع اليهم يدا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا عن ديني . فقال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : دعني يا رسول الله أضرب عنقه . فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « انه شهد بدرا ، وما يدريك ! لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعلموا ما شئتم فقد غفرت لكم ! » فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) أي لا تعاملوهم كأولياء ولا تتعاونوا معهم وقوله (تلقون اليهم بالمودة) تفسير للموالاة ، والباء زائدة على المفعول كما في قوله تعالى (ولا تلقوا بإيديكم الى التهلكة) أي ولا تلقوا أيديكم أي ذواتكم اليها أو للتعدية وفي (تلقون) معنى تفضون وأفضى يتعدى بالباء ، أي تفضون اليهم المودة (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) أي والحال أنهم قد كفروا بما جاءكم من الحق (يخرجون الرسول واياكم) أي ويخرجونكم من وطنكم المحبوب مكة المكرمة ـ حفظها الله ـ وقوله (أن تؤمنوا بالله ربكم) مقدر بنزع الخافض ، أي يخرجونكم من مكة ويخرجونكم عنها لان تؤمنوا ، أو على أن تؤمنوا بالله ربكم رب العالمين ، فلا تتخذوهم أولياء (إن كنتم خرجتم) عن أوطانكم (جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي ، تسرون اليهم بالمودة ، وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعله منكم) أي ومن يفعل عمل اسرار المودة معهم ، أو من يفعله أي ذلك الاسرار منكم (فقد ضل سواء السبيل) الموصل للحق .

(ان يثقفوكم) أي يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أشداء توجب ابتلاءكم بالمصائب والمعايب (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) أي بما يسوءكم من القتل والاسر ونهب الاموال وما عندكم (وودوا لو تكفرون) أي تردون كفارا (لن تنفعكم أرحامكم) أي اقاربكم (ولا أولادكم يوم

القيامة) بدفع عذاب أو جلب ثواب (يفصل) الله تعالى (بينكم) بالحق (والله بما تعملون بصير) •

(قدكانت لكم أسوة حسنة) أي اقتداء حسن (في ابراهيم) الخليل ـ عليه السلام ـ (والذين معه ، إذ قالوا) أي ابراهيم ومن معه (لقومهم : انا برآؤ منكم) جمع بريء كشهيد وشهداء أي لا علاقة بيننا وبينكم من المودة والاخاء (ومما تعبدون من دون الله) من الكواكب والاصنام (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما انتم عليه من الاشراك (إلا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) استثناء من قوله أسوة حسنة أي لكم به اقتداء الا في الاستغفار لابيه فان ذلك الاستغفار كان من عدم ظهور حكم الله في أبي ابراهيم ـ عليه السلام ـ ، فكان مسموحا له ، ولكن ليس لكم ذلك بالنسبة الى أصولكم الكافرين وقوله (وما أملك لك من الله من شيء) من تتمة كلام سيدنا ابراهيم ـ عليه السلام ومن معه وكذلك ما سيأتي من قولهم (ربنا عليك توكلنا ، واليك أنبنا) أي رجعنا (واليك المصير • ربنا لا تجعلنا فتنة) أي موضوع افتتان وعذاب ومحنة (للذين كفروا) فلا تسلطهم علينا بذنوبنا (واغفر لنا ، ربنا انك أنت العزيز) الغالب (الحكيم) الجاعل للحكمة في كل شأن من شؤنك •

ثم كرر ما سبق وقال : (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ومن يتول) أي ومن يخالف ذلك (فان الله هو الغني) عنه (الحميد) في أفعاله • (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) كما وقع ذلك بعد مدة فقد تزوج ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت وسيلة لارتباط عشيرتها به ـ صلى الله

عليه وسلم ، فدخلت في الاسلام زمرة محترمة من أقوامها (والله قدير) على تغيير الاحوال والمآل والمصير ان ذلك على الله يسير (والله غفور رحيم) •

(لا يَنْهيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ في الدِّينِ ، وَلَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ، أَنْ تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ (٨) إِنَّما يَنْهيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُمْ في الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ، وَظاهَرُوا عَلى إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ)(٩)

قوله تعالى (لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) حد فاصل وخطاب فاضل مفيد مميز لاقوام الكفار ، وان كان الكفر كله ملة واحدة ، وليس بعد الحق الا الضلال ، ولكن هناك فروق كثيرة بين الاصناف ؛ فالكفار في ديار الاسلام اذا التزموا البقاء بالجزية فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، والمستأمن اذا أمناه دخل في أماننا وكفالتنا ولا يجوز التعرض له بسوء • والمعاهدون في مدة المعاهدة داخلون في أمان العهد حتى تنتهي المدة أو ينقضوا العهد ، والمجاورون لنا في بلد كأمة مجتمعة في دولة لا يجوز التعرض لنفوسهم وأموالهم وأحوالهم وأعراضهم الا من أعلن العداء معنا وأراد ايذاءنا واخراجنا من أرضنا ، أو ظاهر على اخراجنا فانهم ملحقون بالمقاتلين وهم المحاربون ، فمن حاربنا حاربناه وأهدرنا دمه وماله كما أهدر دماءنا وأموالنا • والمسلم مشتق من السلامة يجب ان يكون قلبه سليما ، والمؤمن مشتق من الامن يجب أن يكون أمينا على ما كان في رعايته • ومع ذلك كله يجب أن يكون المؤمن عالما بالامور عاقلا متفكرا فطنا يفهم الاشياء من خلال التجارب والتواريخ حتى لا يقع في شبكة الصيادين الفاسدين •

فيقول الباري سبحانه : (لا ينهيكم الله) تعالى عن مودة الكفار (الذين لم يقاتلوكم في الدين) لاجل نصرة دينهم الكفر والاشراك من أجل امحاء ديننا دين الحق والانصاف (ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم) بدل اشتمال من الموصول أي لا ينهيكم عن البر بهؤلاء (وتقسطوا اليهم) أي لا ينهيكم عن أن تقضوا اليهم بالقسط وانعدل في الامور (ان الله يحب المقسطين) العادلين المعتدلين .

أخرج البخاري وغيره عن أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ قالت : أتتني أمي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فسألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أأَصِلُها ؟ فأنزل الله تعالى لا ينهيكم الله ... الآية فقال ـ صلى الله عيله وسلم ـ : « نعم صلي أمكِ » وفي رواية أحمد عن عبدالله ابن الزبير قال : قدمت قُتيلةُ بنت عبدالعزى على ابنتها اسماء بنت ابي بكر ـ رضي الله عنهما ـ بهدايا : صاب ، وأقط ، وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها أو تدخلها في بيتها حتى أرسلت الى عائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ أن تسأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا ، فسألته فأنزل الله تعالى لا ينهيكم الله عن الذين ... الآية فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . وقتيلة هذه كانت امرأة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فطلقها في الجاهلية وهي أم أسماء حقيقة ـ رضي الله عنها ـ .

وفي مورد نزول الآية روايات أخرى، منها أنها نزلت فيخزاعة وبني الحرث وكنانة ومزينة وقبائل من العرب كانوا صالحوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أن لا يقاتلوه ولايعينوا عليه . ومنها أنها نزلت في قوم من بني هاشم . ومنها أنها نزلت في النساء والصبيان من الكفرة . ومنها أنها نزلت في قوم بمكة آمنوا ولم يهاجروا ، فكان المهاجرون والانصار يتحرجون من

البر بهم لتركهم فريضة الهجرة . ومنها أنها نزلت في كفرة اتصفوا بما في مضمون الصلة . وعلى ذلك قال الكيا : فيها دليل على جواز التصدق على أهل الذمة دون أهل الحرب ، وعلى وجوب النفقة للاب الذمي دون الحربي .

(إنما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم) كمشركي مكة سعوا في اخراج المؤمنين ، وبعضهم أعانوا المخرجين (أنْ تَولَّوهم) أي أن تتولوهم أي أن تحبوهم ، وهو بدل من الموصول بدل اشتمال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم المحبة والولاية في غير موضعها .

(يا أيُّها الَّذِين آمَنُوا إذا جاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ، أَللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ ، لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ، ولا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ، وآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا ، ولا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أنْ تَنْكِحُوهُنَّ ، إذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، ولا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ ، واسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ ، ولِيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ، ذلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ، واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وإنْ فاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أزْواجِكُمْ إلى الكُفَّارِ فَعاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزْواجُهُمْ مِثْلَ ما انْفَقُوا ، واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)(١١)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا جائكم المؤمنات) بيان لبعض أحكام النساء المهاجرات وغيرهن ، فيقول سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات بحسب ظاهر الحال (مهاجرات) من بين الكفار

(فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب عليكم صدقهن في الايمان (ألله أعلم بإيمانهن) في الواقع ونفس الامر ، ولستم مكلفين بكشف القلب الذي لا مجال لكم فيه . أخرج الطبراني في الكبير ، وجماعة عن ابن عباس أنه قال في كيفية امتحانهن كانت المرأة اذا جاءت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلفها عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : بالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض ، وبالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله . (فإن علمتموهن مؤمنات) في نفس الامر (فلا ترجعوهن الى الكفار) أي الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى (لا هن حِل لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا) أي وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور ، قيل وجوبا ، وقيل ندبا .

روي أنه جاءت امرأة تسمى سبيعة بنت الحرث الاسلمية مؤمنة ، وكانت تحت صيفي بن الراهب وهو مشرك من أهل مكة ، فطلبوا ردها فأنزل الله تعالى الآية . وذلك لان صلح الحديبية جرى على أن من جاء منكم رددناه ، فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه (أي بعد واقعة صلح الحديبية بمدة) لزمه رد مهورهن . وروي أنها كانت تحت مسافر المخزومي ، وأنه أعطى ما أنفق وتزوجها عمر ـ رضي الله عنه ـ . وفي رواية أنها نزلت في أُميمة بنت بشر امرأة من بني عمرو بن عوف كانت تحت أبي حسان بن الدحداحة ، هاجرت مؤمنة الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وطلبوا ردها فنزلت الآية ، فلم يردها ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتزوجها سهيل بن صيف ، فولدت له عبدالله بن سهيل . وأيا ما كانت فالآية على ما قيل نزلت بيانا لان الشرط في كتاب المصالحة انما كان في الرجال دون النساء . وتراخي المخصص عن العام جائز . والآية وان تأخرت عن زمان المصالحة لكنها لم تتأخر عن وقت العمل ، لان نزولها كان عند الحاجة الى التخصيص .

وعن الضحاك أنه كان بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا ، فإن دخلت في دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذي أنفق عليها مثل ما أنفق وللنبي – صلى الله عليه وسلم – من الشرط مثل ذلك . وعليه فالآية موافقة لما وقع عليه العهد .

(ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن) أي وقت اعطائكم اياهن مهورهن . والمراد بإيتائها التزام اعطائها على ما تقرر لا إعطاؤها فعلا .

وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد نكاح أو سبب من أسباب ارتباط الزوجة بزوجها . أي لا يكن بينكم وبين زوجاتكم المشركات اللاتي بقين على اشراكهن وسكن" بين المشركين عصمة" ولا علاقة زوجية . قال ابن عباس – رضي الله عنهما – من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتبرنها من نسائه ، لان اختلاف الدار قطع عصمتها منه وعن النخعي – رحمه الله – : هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر . وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن . وليس معنى الآية أن لا تمسكوا ولا تعتدوا بعصم الكافرات اذا جئن الى المسلمين لأنهن اذا أسلمن وهاجرن الى المؤمنين فقد أعلن الله تعالى عن انقطاع العلاقة بينهن وبين أزواجهن المشركين بقوله الكريم (فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) وان بقين على الكفر وجب ارجاعهن الى أزواجهن ان لم يسلمن ، وكان مجيئهن في وقت المعاهدة بين الطرفين .

وقوله تعالى (واسئلوا ما أنفقتم ، وليسئلوا ما أنفقوا) أي اطلبوا مهر نسائكم اللاحقات بالكفار إذا تزوجهن مشرك من المشركين وليطلب الكفار

منا مهور زوجاتهم المهاجرات اللاحقات بالمسلمين (ذلكم) المذكور (حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم) يشرع ما فيه الحكمة والخير •

(وان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار) ولم يرد المشركون مهرها الينا (فعاقبتم) أي فجاءت عقبتكم أي نوبتكم من أداء المهر لزوجة من زوجاتهم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم) الى الكفار المشركين ولم يؤدوا مهورهن لهم (مثل ما أنفقوا) في مهورهن وخذوه من مهر المهاجرة الملحقة بنا التي أسلمت وهاجرت الينا • يعني أن أي مسلم تزوج هذه المسلمة المهاجرة ووجب عليه اعطاء مثل مهرها الى زوجها الكافر ، وجب عليه أن يعطي ذلك المبلغ لاخيه المسلم الذي ذهبت زوجته الى الكفار وما ردوا عليه ما أنفقه عليها في المهر • وقيل : المعنى ان فاتكم شيء من أزواجكم الى الكفار وامتنعوا عن ارسال ما أنفق عليها الى زوجها المسلم عندنا فعاقبتم، أي فأصبتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة، فأعطوا من هذه الغنيمة لهذا المسلم الذي ذهبت زوجته الى الكفار مثل ما أنفق في مهرها ومصارفها • وحاصله أن بيت المال هو الذي يغرم لهذا المسلم المسكين الذي فاتته زوجة ولم يأخذ شيئا من الكفار • (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) •

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً ، وَلا يَسْرِقْنَ ، ولا يَزْنِينَ ، وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ ، وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ، فَبايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كما يَئِسَ الكُفّارُ مِنْ أَصْحابِ القُبُورِ)(١٣)

قوله تعالى : (يا أيها النبي) شروع في الامر بمبايعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ للنساء على شروط مقررة • فيقول : (يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أي مبايعات لك (على أن لا يشركن بالله شيئا) من الاشياء : لا الشمس ولا القمر ، ولا الحجر والشجر ، أو شيئا من الاشراك قليلا أو كثيرا (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات ، ومن هذا النوع اسقاط الحمل بعد أن تنفخ فيه الروح (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) في شرح البخاري للكرماني ما معناه : لا تأتوا ببهتان من قبل أنفسكم ، واليد والرجل كناية عن الذات لان معظم الافعال بهما ، ولذا يقال للمعاقب بجناية قولية هذا ما كسبت يداك • وقال الفراء : كانت المرأة في الجاهلية تلتقط المولود ، فتقول لزوجها : هذا ولدي منك ، فذلك البهتان المفترى بين أيديهن وأرجلهن • وذلك ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها (ولا يعصينك في معروف) أي فيما تأمرهن من معروف وتنهاهن عنه من منكر ، والتقييد بالمعروف مع أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يأمر الا به للتنبيه على أنه لا يجوز اطاعة المخلوق في معصية الخالق وخص بعضهم هذا المعروف بترك النياحة ، لما أخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه عن أم سلمة الانصارية قالت امرأة من هذه النسوة : ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه ؟ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لا تنحن ••• » الحديث (فبايعهن) بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء (واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم) أي مبالغ جل شأنه في المغفرة والرحمة فيغفر عز وجل لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه •

وهذه الآية نزلت يوم الفتح فبايع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الرجال على الصفا وعمر ـ رضي الله عنه يبايع النساء تحتها عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ • وجاء أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بايع النساء

بنفسه الكريمة . أخرج الامام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وصححه عن أميمة بنت رقية قالت : اتيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لنبايعه فأخذ علينا ما في القرآن ، أن لا نشرك بالله شيئا حتى بلغ ولا يعصينك في معروف فقال فيما استطعن وأطقن قلنا : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا يا رسول الله ألا تصافحنا ؟ قال : « اني لا أصافح النساء انما قولي لمائة امرأة كقولي لمرأة واحدة » وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) روي أن قوما من فقراء المؤمنين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنزلت . وقيل : هم اليهود والنصارى ، وفي رواية عن ابن عباس أنهم كفار قريش . وقال غير واحد : هم عامة الكفرة . وقوله : (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أي الذين ماتوا وتبين أنهم لا يرجعون الى الدنيا ، وانتهى أمرهم وتحقق حرمانهم وانقطع أمانهم . والعياذ بالله .

سورة الصف ، مدنية ، وآياتها اربع عشرة
نزلت بعد التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبَّحَ لله ِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ؟(٢) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ)(٤)

قوله تعالى (سبح لله ما في السماوات وما في الارض ...) الآية هذه السورة مدنية ويدل على ذلك ما أخرجه الحاكم وغيره عن عبدالله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الاعمال أحب الى الله تعالى لفعلناه . فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح لله ما في السماوات وما في الارض وهو العزيز الحكيم . يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟) قال عبدالله : فقرأها علينا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى ختمها . وروى هذا الحديث مسلسلا يقرأها

علينا ، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين أخرجه الامام أحمد والترمذي وخلق كثير حتى قال الحافظ ابن حجر : انه أصح مسلسل يروى في الدنيا ان وقع في المسلسلات مثله في مزيد علوه يعني أنه لا يوجد مثله في علوه اسنادا ، وان وجد مثله في علو الاسناد فلا يوجد أصح منه سندا .

وروي في سبب النزول عن أبي زيد أنه قول المنافقين نحن منكم ومعكم ، ثم يظهر من أعمالهم خلاف ذلك ، فان كان سبب الورود الاول فالنداء نداء المؤمنين . والكلام ماشٍ على حسب الواقع ، وان كان السبب الثاني فالنداء بوصف الايمان للتهكم ويؤيده سياق الآية وقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) وكبر من باب بئس فيه ضمير مبهم تفسره النكرة بعده ، وان تقولوا هو المخصوص بالذم ، والمقت أشد البغض وقال ابن عطية : المقت البغض من أجل ذنب أو دناءة أو ريبة أو دناءة يصنعها الممقوت. وقوله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) بيان لما هو مرضي عنده والمرصوص على ما قاله الفراء : هو المعقود بالرصاص، ويراد به المحكم .

(وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ : يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَني وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ ؟ فَلَمّا زاغُوا أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ ، وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الفاسِقينَ(٥) وَإِذْ قالَ عيسَى ابنُ مَرْيَمَ : يا بَني إِسْرائيلَ إِنّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيةِ ومُبَشِّراً بِرَسُولٍ يأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمّا جائَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قالُوا : هذا سِحْرٌ مُبِينٌ !(٦) ومَنْ أَظْلَمُ مِمنْ افْتَرى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعى إلى الإِسْلامِ ؟ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمينَ(٧)

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)(٩)

قوله تعالى (واذ قال موسى لقومه) أي اذكر يا سيد المخاطبين زمان قول موسى بن عمران ــ عليه السلام ــ أخيك في الدين وأصول الاحكام ، وذلك القول جرى مع أمته الاسرائيليين : (يا قوم لم تؤذونني) أي لم تؤذونني بمخالفتكم وعصيانكم لي في الامر بالجهاد والمقاتلة والمصابرة عليها حتى تستقروا في مقامكم وتتفرغوا لكسب سعادة الدارين (وقد تعلمون أني رسول الله اليكم ؟) علما قطعيا ناشئا من ادراك المعجزات الباهرة القاهرة لفرعون وأتباعه فلم ينفعهم نصحه وارشاده (فلما زاغوا) أي صرفوا قلوبهم عن الايمان بموسى ــ عليه السلام ــ (أزاغ الله قلوبهم) أي صرف الله قلوبهم عن نيل الهدى ووصل المحبوب والفوز بالمطلوب (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الاطاعة ففي نقل ماجرى بين موسى ــ عليه السلام ــ وقومه حث لأمته على الجهاد والتكاتف عليه حتى لا يبتلوا بمثل ما ابتلى الله به قوم موسى ــ عليه السلام ــ .

(وإذ قال) معطوف على مثله ، أي واذكر اذ قال (عيسى ابن مريم : يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدي من التورية ، ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) جمع ــ عليه السلام ــ بين المتعاطفين لكسب الامة سعادة الدارين ، يعني أتى بالحال الاول لتوجيه الاسرائيليين للايمان به ، فان من ادعى الرسالة من الله وصدق بكتب الرسل السابقين مالت اليه القلوب وآمن به الناس ، وأتى بالحال الثانية حتى يستميل

أمته قاطبة الى الايمان برسول آخر الزمان ، ومن جمع بين الايمان بالسابقين واللاحقين فقد فاز برتبة الاتقياء الصادقين . وكما أن في بشارته ــ عليه السلام ــ بالرسول الآتي بعده المسمى أحمد تصديقا برسالته ومجيئه بعده كذلك في تصديقه بالتوراة تصديقا برسالته ــ صلى الله عليه وسلم ــ من حيث أن البشارة بسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ واقعة في التوراة كما جاء في الفصل العشرين من السفر الخامس منها ماترجمته من العبرية (أقبل الله على سعينا ، وتجلى من ساعير (مولد عيسى عليه السلام) ، وظهر من جبال فاران ــ سلسلة جبال مكة المكرمة) وقوله في الفصل الحادي عشر من هذا السفر : (يا موسى اني سأقيم لبني اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك ، أجعل كلامي في فيه ، ويقول لهم ما آمره فيه ، والذي لا يقبل قول ذلك النبي الذي يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه) الى غير ذلك . ويتضمن كلامه ان دينه التصديق بكتب الله تعالى وأنبيائه ــ عليهم السلام ــ جميعا من تقدم ومن تأخر . وجملة (يأتي من بعدي) في موضع الصفة لرسول وكذا جملة (اسمه أحمد) وهذا الاسم الجليل ، والحاشر ، والماحي ، والعاقب ، كلها أسماء لقبية ، أي القاب لسيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد صح من رواية مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله : « انى لي اسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا العاقب » والعاقب هو الذي ليس بعده نبي . فلفظ الاسم في قوله تعالى (اسمه أحمد) اسم بالمعنى اللغوي ، ويصدق بالكنية والعلم واللقب . وأحمد منقول من اسم التفضيل بمعنى أكثر حمداً لله .

ولما نطق القرآن الكريم بهذه البشارة العظيمة فإنكار النصارى لذلك لا قيمة له ، وقولهم : لو صح لذكر في الانجيل ان أرادوا بالإنجيل الإنجيل

السماوي النازل على سيدنا عيسى عليه السلام، فهو مفقود في الارض فلا تصح دعواهم ذلك • وان أرادوا به الأناجيل الاربعة التي ألفوها بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ الى السماء فلا قيمة لها في مقابل نص القرآن الكريم لانها مؤلفات متأخرة فيها بعض أحوال سيدنا عيسى وما جرى عليه • على أنه يجوز أن المؤلفين ذكروها ، ولكن المتأخرين أسقطوها حبا لدينهم وتعصبا على استمراريته ، وأين ذلك من الواقع ونفس الامر ؟

وتلك الأناجيل أولها إنجيل (متي) أحدُ الحواريين الإثنى عشر ، جمعه باللغة السريانية بأرض فلسطين بعد رفع عيسى ـ عليه السلام ـ بثمان سنين ، وعدة اصحاحاته ثمانية وستون اصحاحا •

وثانيها إنجيل مرقص وهو من السبعين جمعه باللغة الفرنجية بمدينة (رومية) بعد الرفع باثنتي عشرة سنة ، وعدة اصحاحاته ثمانية واربعون اصحاحا • والثالث انجيل (لوقا) وهو من السبعين أيضا جمعه بالاسكندرية باللغة اليونانية ، وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانون • والرابع انجيل يوحنا وهو حبيب المسيح ـ عليه السلام ـ ، جمعه بمدينة أفسس من بلاد رومية بعد الرفع بثلاثين سنة ومن أحب اتباع الحق وسلوك سبيل الانصاف فليراجع التوراة ويطالع مزامير داود ـ عليه السلام ـ وكتب شعيا وحيقوق وأرمياء وغيرهم من أنبياء بني اسرائيل ـ عليهم السلام ـ •

(فلما جاءهم بالبينات) أي جاء عيسى ـ عليه السلام ـ الى بني اسرائيل بالمعجزات الظاهرات (قالوا هذا سحر مبين) أي سحر واضح •

(ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي يضع الكذب موضع الصدق فيجعل السحر موضع المعجزة ، والباطل موضع الحق ، ويدعى على معجزات الرسل أنها سحر (وهو يدعى الى الاسلام ؟) والحال أن ذلك

الظلام لم يؤت الا بما فيه الخير وسعادة الدارين وهو دين الاسلام ، ولا شك أن الجواب هو أنه لا أظلم من ذلك ، فهو ظالم (والله لا يهدي القوم الظالمين) فلا يهديهم أبدا • وهذا المفترى بعضهم قد سبق ممن عاند عيسى وموسى ومن قبلهما ، ومنهم من لحق وقابل سيدنا محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ من المشركين والمنافقين الذين قال الله تعالى في حقهم (يريدون ليطفئوا نور الله) وهو القرآن أو دين الاسلام المأخوذ منه بأفواههم (والله متم نوره) أي مديم ذلك النور منيرا للعالم (ولو كره الكافرون) ذلك النور ودوامه •

(هو الذي أرسل رسوله) محمداً الهاشمي القرشي العدناني من نسل اسماعيل بن ابراهيم ــ عليه السلام ــ ارسالا مقرونا (بالهدى) أي بالقرآن، أو بالمعجزات (ودين الحق) وهو أحكام الشريعة الشريفة الاسلامية السمحة (ليظهره على الدين كله) بإكمال الامور العملية واتمام الاخلاق الحسنة الاسلامية (ولو كره المشركون) ذلك لدعوته الى التوحيد •

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا : نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ : مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ : نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ ، فَآمَنَتْ

طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ ، وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ ، فَأَيَّدْنا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ)(١٤)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) بعد أن ذكر الله سبحانه في صدر السورة استحبابه للمقاتلين في سبيل الله المخلصين لله ، وعقبه بذكر عبده موسى ـ عليه السلام ـ ومخالفة قومه له في أمره ، وذكر عيسى ـ عليه السلام ـ ، وبشارته ببعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .. عاد الى الامر بالجهاد واعتبره تجارة منجية فقال (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم) أي أرشدكم وأطلعكم (على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟) فكأنهم قالوا نعم . فقال (تؤمنون بالله ورسوله) ايمانا صافيا عن الأوهام (وتجاهدون في سبيل الله) أي في سبيل إعلاء كلمته (بأموالكم وانفسكم) أي بإنفاق أموالكم على المجاهدين وبذل أرواحكم في سبيل نشر الحق (ذلكم) المذكور من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) نتائج ايمانكم وجهادكم بأموالكم وأنفسكم حيث يكون استبدال المحدود في مقابل المنافع اللا محدودة فإذا وفيتم بما أمرناكم (يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة في جنات عدن ، ذلك) المذكور هو (الفوز العظيم . وأخرى) أي ويؤتكم مثوبة أخرى وفائدة أخرى (تحبونها) وهي (نصر من الله) يوهب لكم (وفتح قريب) لبلد مكة المكرمة (وبشر المؤمنين) أي فأبشر يا حبيبي وبشر من هو من أهل الايمان والاخلاص .

(يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) أي أنصار دين الله أي أنصار الرسول في نشر دين الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين : من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله) والمشبه به مستفاد مما بعد الكاف

في كما قال أي كالحواريين الذين كانوا أنصار الله عندما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى ـ عليه السلام ـ (وكفرت طائفة) أخرى به (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) • واشتقاق الحواري من الحور وهو البياض ، وسموا بذلك لانهم كانوا قصارين ، وقيل : للبسهم البياض ، وقيل لنقاء ظاهرهم وباطنهم • وفي الحديث الشريف « لكل نبي حواري وحواري الزبير » وفسر بالخاصة من الأصحاب • وقال الازهري : الذي أخلص ونقي من كل عيب • وعن قتادة : إطلاق الحواري على غير الزبير ـ رضي الله عنه ـ ايضا • فقد قال : ان الحواريين للرسول كلهم من قريش : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعثمان بن مظعون ، وعبدالرحمن ابن عوف ، وسعد ابن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيدالله ، والزبير بن العوام ـ رضي الله عنهم ـ • وحواريو عيسى ـ عليه السلام ـ كانوا اثني عشر رجلا • وقد تفرقوا بعد رفعه ـ عليه السلام ـ في الاطراف ، والمشهور أن بعضا منهم جاؤا الى ناحية (ميدان) التابعة لقضاء (خانقين) والناحية مشهورة بـ (هورين) المخففة لحواريين ، وبعضهم سكنوا في (كركوك) وواحد منهم يسمى بمتي سكن في محل يسمى الآن (بطوزخورماتو) التابعة لمحافظة صلاح‌الدين والمحل كان به (ملح) والاسم مركب من ثلاث كلمات هي (طوز حوارى متى) أي الملح المنسوب للحواري المسمى باسم متي • والله تعالى اعلم •

سورة الجمعة ، مدنية ، وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٤)

قوله تعالى (يسبح لله) أتى بصيغة المضارع المفيدة للتجدد والاستمرار حتى لا يتوهم أن التسبيح الجاري منهم شيىء محدود منقطع ، وانما هو تسبيح وتنزيه دائم مستمر متجدد الى فناء العالم لأنه اذا كان تسبيحا بلسان الحال فلسان حال الممكنات الحادثة المحتاجة الى الفاعل في ترجيح الوجود الى العدم والمخرج منه من العدم اليه والمرتبطة بارادة الفاعل مدة

يبقى فيها ناطق بأن الله هو الخالق المنزه عن النقصان ، وان كان بلسان ذكر مفهوم لاهله ومكتوم منا كما قال تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فالنص دال على أن التسبيح وظيفة ما في السماوات وما في الارض وأداء الوظيفة ثابت مستمر مادام لا يكون دليل على الانقطاع وبأي اللسانين يكون (يسبح لله) وينزهه عن صفات لا تليق بكبرياء ذاته (ما في السماوات وما في الارض) تسبيحا متجددا استمراريا مناسبا لله (الملك) المسيطر على الكائنات (القدوس) المنزه عن نقص الممكنات (العزيز) الغالب على ما أراده (الحكيم) الموصوف بالحكمة في أفعاله .

وبين عزته وحكمته بأنه بعث أميا لتعليم عالم الإنسان والجن مربيا ومرشدا للثقلين فقال (هو الذي بعث في الأميين) أي في الامة الأمية التي لا تقرأ ولا تكتب الباقية على حال ولادتها من أمها (رسولا منهم) أي كائنا من جملتهم يعرفون أنه منهم ولم يقرأ ولم يكتب شيئا (يتلو عليهم آياته) البليغة المعجزة لبلغاء الثقلين عن أن يأتوا بمثل ما نزل عليه فيرشدهم ويوجههم الى الاعتراف بخالق الكائنات الارض والسماوات وبوحدته في تأثيره في الموجودات (ويعلمهم الكتاب) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويهدي للتي هي أقوم (والحكمة) أي سننه وسيرته ، أو كل ما فيه علم ومعرفة وأحكام وإتقان من أمور الدنيا والآخرة (وان كانوا) أي أولئك القوم الأميون (من قبل) أي قبل بعث ذلك الرسول (لفي ضلال مبين) واضح من ظلمات الإشراك والوثنية وخبث الجاهلية .

(وآخرين منهم) أي ويعلم قوما أو أفرادا آخرين منهم (لما يلحقوا بهم) بعدُ وسيلحقون ، وهم الذين جاؤا بعد الصحابة من التابعين والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين (وهو العزيز الحكيم ذلك) المذكور من بعث رسول أمي يكون في أرقى درجات معرفة الله تعالى واستفادة أمة سعيدة

من رسالته ونور علمه وإرشاده (فضل الله) وفيض رحمته الواسعة (يؤتيه من يشاء) من عباده تفضلا واحسانا (والله ذو الفضل العظيم) الذي لا يقدر قدره .

(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورِيةَ ثُمَّ لَمْ يَحمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ ، وَاللهُ لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ(٥) قُلْ : يا أَيُّها الَّذِينَ هادوا إن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِياءُ للهِ مِنْ دونِ النَّاسِ فتمنَّوُا المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ(٦) ولا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، واللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ(٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ، ثُمَّ تُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغَيْبِ والشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)(٨)

قوله تعالى (مثل الذين حملوا التورية) كأنه جواب لسؤال مقدر تقديره : مادام الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم مبعوثا في الاميين على تلك الدرجة من الفضل وقوة التربية والتزكية للانسان والجن ، وهذه الصفة صفة جليلة مذكورة في التوراة فما بال العلماء بها لم يذكروا للناس نعوته ، ولم يبينوا أن ذلك الشخص المنعوت هو هذا المبعوث حتى يؤمن به الناس ؟ فأجاب بأن (مثل الذين حملوا التورية) وجعلت صفة علمية لهم وكلفوا بحملها (ثم لم يحملوها) أي عاندوا الحق وكتموه ولم يؤدوا ما كلفوا به (كمثل الحمار يحمل أسفاراً) أي كتباً ضخمة كبارا ، ولا يفهم شيئا منها ، ولم يستفيدوا منها شيئا . وهذا التشبيه بليغ جدا ، فانه تشبيه تمثيلي أخذ من جانب المشبه هيئة مأخوذة من عدة أمور من العلماء وتعبهم في تحصيل العلم ، وعدم استفادة منفعة منها من جهة اهماله ، وعدم العمل به ، وكذلك من

جانب المشبه به ، حيث أخذت هيئة منتزعة من الحمار وتهيئته لحمل الكتب وتحميله عدة كتب ضخمة مستوعبة لمسائل مهمة بدون أن يستفيد منها شيئا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أي بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا بآيات الله (والله لا يهدي القوم الظالمين) الى طريق استفادة الحق لتراكم غبار الغرور والعناد والاستكبار على قلوبهم .

(قل : يا أيها الذين هادوا) أي تهودوا أي صاروا يهوديا (ان زعمتم أنكم أولياء لله) أي أحباؤه وأخصاؤه (من دون الناس) ولكم مقام غير مقام الآخرين (فتمنوا الموت) حتى تلقوا ربكم الذي تحبونه ويحبكم (إن كنتم صادقين) في دعوى الولاية لله (ولا يتمنونه) أي الموت (أبدا بما قدمت أيديهم) من المكاسب السيئة (والله عليم بالظالمين) العالمين بالفساد المرتكبين له عنادا واستكبارا (قل) ياحبيبي : (ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم) بلا شبهة ان عاجلا أو آجلا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجزيكم عليه .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلوةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلوةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ : مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ، وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)(١١)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا) قال العلامة ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج : فرضت يعني صلاة

الجمعة بمكة ، ولم يقم بها لفقد العدد ، أو لأن شعارها الإظهار ، وكان ـ صلى الله عليه وسلم بها مستخفيا ، وأول من أقامها بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة . إنتهى . وما تقدم من كون أسعد أول من جمع بالمدينة يخالفه ما أخرجه الطبراني عن أبي مسعود الانصاري قال : أول من قدم من المهاجرين المدينة مصعب بن عمير وهو أول من جمع بها يوم الجمعة ، جمع بهم قبل أن يقدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم اثنا عشر رجلا . وقال الحافظ ابن حجر (العسقلاني) يجمع بين الحديثين بأن أسعد كان أميرا ومصعبا كان اماما وهو كما ترى . وأما ما كان من صلاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ اياها فقد روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما قدم المدينة مهاجرا نزل (قبا) على بني عمرو بن عوف ، وأقام بها يوم الأثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ، ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فأدركته صلاة الجمعة في سالم بن عوف في بطن واد لهم ، فخطب وصلى الجمعة ، وهو أول جمعة صلاها ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وقوله تعالى (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) أي فعل النداء لها أي الأذان والمراد به ، على ما حكاه في الكشاف ، الأذان عند قعود الامام على المنبر ، وقد كان لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤذن واحد ، فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ أقام الصلاة ، ثم كان أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ على ذلك ، حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء ، فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثاني فإذا نزل أقام الصلاة فلم يعب ذلك عليه . وفي حديث الجماعة الا مسلما فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء . وفي رواية

للبخاري ومسلم زاد النداء الثاني ، والكل بمعنى ، وتسمية ما يفعل من الأذان أولا وثانيا باعتبار أنه لم يكن على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانما كان بعد ، وتسميته ثالثا لان الاقامة تسمى أذانا كما في الحديث « بين كل أذانين صلاة » . وقوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) دليل على فرضية الجمعة حيث رتب فيها الامر بالسعي لذكر الله تعالى على النداء للصلاة ، فإن أريد به الصلاة أو هي والخطبة فظاهر ، وكذلك ان أريد به الخطبة لان افتراض السعي الى الشرط وهو المقصود لغيره فرع افتراض ذلك الغير ، ألا ترى أن من لم تجب عليه الصلاة لم يجب عليه السعي الى الجمعة بالاجماع ، وكذا ثبتت فرضيتها بالسنة والاجماع ، وقد صرح بعض العلماء بأنها آكد فرضية من الظهر . وهي فرض عين على من وجبت عليه لا تسقط الا بعذر مشروع . ففي حديث رواه أبو داود وقال النووي على شرط الشيخين « الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة الا أربعة : عبد مملوك ، أو امرأة ، أو صبي ، أو مريض » وأجمعوا على اشتراط العدد فيها ، لكن اختلفوا في مقداره على أقوال :

أحدها : انه اثنان ، أحدهما الامام وهو قول النخعي والحسن بن صالح وداود .

الثاني : ثلاثة أحدهم الامام وحكى عن الاوزاعي وأبي ثور وعن أبي يوسف ومحمد ، وحكاه الرافعي وغيره عن قول الشافعي القديم .

الثالث : أربعة أحدهم الامام وبه قال أبو حنيفة والثوري والليث وحكاه ابن المنذر عن الأوزاعي وأبي ثور واختاره وحكاه في شرح المهذب عن محمد ، وحكاه صاحب التلخيص قولا للشافعي في القديم .

الرابع : سبعة حكي عن عكرمة .

الخامس : تسعة حكي عن ربيعة •

السادس : اثنا عشر في رواية عن ربيعة ، وحكاه الماوردي عن محمد والزهري والاوزاعي •

السابع : ثلاثة عشر أحدهم الامام حكي عن اسحاق بن راهويه •

الثامن : عشرون رواه ابن حبيب عن مالك •

التاسع : ثلاثون في رواية عن مالك •

العاشر : أربعون أحدهم الامام وبه قال عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ، والامام الشافعي في الجديد ، وهو المشهور عن الامام أحمد وأحد القولين المرويين عن عمر بن عبدالعزيز •

الحادي عشر : خمسون في الرواية الاخرى عنه •

الثاني عشر : ثمانون حكاه المازري •

الثالث عشر : جمع كثير بغير قيد وهو مذهب مالك ، فقد اشتهر أنه قال : يشترط عدد معين ، بل يشترط جماعة تسكن بهم قرية ويقع بينهم البيع ، ولا تنعقد بالثلاثة ، والاربعة ونحوهم ، قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولعل هذا المذهب أرجح المذاهب ، وأما اقامتها في المحل قرية أو قصبة أو مدينة بعد تحقق شروط الوجوب ، فإن فقهاء الامة رأوا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين من بعده والتابعين لهم بإحسان يتحرون في الجمعة أمورا لا يتحرونها في سائر الصلوات الخمس من ذلك أنها لا تصلى الا جماعة • ومن ذلك أنه اذا كان في البلد مساجد متعددة لا تصلى الا في مسجد واحد بها يجمع المؤدين لها في هذا البلد • وقد كانت المساجد في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمدينته المنورة تقام فيها الجماعات بالظهر والعصر وغيرهما • وفي الصحيحين أن معاذا كان يصلي

العشاء خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم يذهب الى مسجد قومه ، وكانوا أهل عمل لا يسهل عليهم صلاة العشاء خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيصلي بهم حتى اذا كان يوم الجمعة لم يقيموها الا في مسجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يرخص ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع فرط حبه للتيسير على أمته في أن يقيموها في مساجد متعددة ، أو يصلي بمن يتيسر له الحضور أول الوقت ، ويأذن في أن تقام بعده جمعة وجمعة وثالثة وهكذا لباقي الذين لايستطيعون أن يحضروا ، وكان ذلك أيسر عليهم لو كان. وعلى سنته السنية درج خلفاؤه الكرام ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وكثرت الامصار في المملكة المحمدية في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لم يرخص في ذلك أيضا بل نقل عنه الثقات أنه بعث الى عماله في الامصار بالكتب يأمرهم فيها أن يقيموا الجماعات في المساجد المتعددة في المصر ، وألا يجمعوا بالناس الا في المسجد الواحد الجامع .

وهكذا كان الامر مدة خلافة الخلفاء الراشدين ، وطيلة عصر بني أمية، وصدرا طويلا من زمن الخلفاء العباسيين حتى اذا كان زمان الرشيد ، أو زمان الواثق على ما صححه جمع من محققي الشافعية تعددت الجمع . بل ذكر الخطيب في تأريخ بغداد أن أول جمعة أحدثت في الاسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في أيام المعتضد ، وذلك سنة مائتين وثمانين ، وذلك بعد وفات الامام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بست وسبعين سنة كما بسطه الحافظ ابن حجر في كتابه التلخيص الخبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .

رأى فقهاء الامة هذا من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلفائه الكرام الى آخر ما ذكرنا وما لم نذكره من ملاحظات فطن لها أكابر الفقهاء ، فاتفقت كلمة جمهورهم على وجوب أن تكون الجمعة واحدة في البلد ،

فاذا تعددت كان ذلك خروجا من الناس على السنة السنية وسيرة السلف المرضية • ورأى الشافعي ــ رضي الله عنه ــ أن التعدد في البلد الواحد لا يجوز بحال دعت اليه الحاجة أم لا • وقد اختلف أئمة مذهبه من بعده : هل مذهبه جواز التعدد لحاجة بقدرها ، قال بذلك الكثير منهم كالروياني وغيره ؟ أم مذهبه منع التعدد مطلقا ؟ والمحققون من علماء المذهب على هذا •

وأما باقي الأئمة ماعدا الامام الاعظم ــ رضي الله عنهم ــ فإنهم منعوا التعدد لها الا اذا دعت اليه ضرورة • واما الامام الاعظم ــ رضي الله عنه ــ فيروى عنه قولان : قول على منهج أولئك الائمة وهو منع التعدد لها الا اذا دعت اليه الضرورة كأن لا يكون في البلد جامع يسع الحاضرين لها •

القول الثاني : جواز تعددها ولو لم تكن لضرورة داعية اليه • وتكلم أئمة مذهبه على القولين ، فمنهم من رجح هذا القول ، ومنهم من رجح القول الاول لموافقته لما درج عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وخلفاؤه الراشدون وجمهور المسلمين في البلاد • وان شئت راجع كتاب رد المحتار على الدر المختار للعالم العلامة محمد أمين ابن العابدين ــ رحمه الله ــ • وعلى ذلك قرر ذلك العالم وكذا العالم العلامة الجليل ابن الهمام في شرح الهداية اعادة صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة بنية فريضة آخر الوقت خروجا من مخالفة قوله الراجح ، وقول سائر الائمة المجتهدين ولموافقة السنة السنية العملية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولخلفائه الراشدين ولقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « دع ما يريبك الى ما لايريبك » ولقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه » •

وخلاصة المقام : أن من صلى صلاة الجمعة في البلد الذي تعددت فيه فوق الحاجة وجب عليه أن يقلد الامام أباحنيفة ــ رضي الله عنه ــ في تجويزه

ذلك ، والا فصلاته باطلة . واذا قلده وصلاها سنت له إعادة صلاة الظهر بعد الجمعة بنية فريضة آخر الوقت خروجا من الريبة والاشتباه في عبادته . ومن خالف ذلك بلا حجة شرعية فأمره إلى الله . وانما فصلنا الكلام في ذلك حتى يعرف الناس أن هذه الإعادة أمر مشروع ، وليس على مذهب الإمام الشافعي فقط ، وانما هو على سائر المذاهب المدونة الاسلامية . هذا والله أعلم بالنيات .

وقوله تعالى : (وذروا البيع) أمر بترك المعاملات والاشتغال بأمور الدنيا اذا أذن المؤذن . ولما كان الاذان في عهده ــ صلى الله عليه وسلم ــ عبارة عن أذان يؤذنون به عند جلوسه على المنبر كان الامر بتركها في ذلك الوقت . ولما كان ظاهر الامر الوجوب حرم العلماء كل معاملة تجري اذ ذاك لكن اذا جرت فهل تصح المعاملة ويأثم الشخص أم تبطل ؟ والجمهور على صحتها مع الإثم (ذلكم) المذكور من السعي الى ذكر الله وترك البيع والمعاملات (خير لكم) لاشتماله على خيري الدنيا والآخرة (ان كنتم تعلمون) الخير والشر في الواقع (فاذا قضيت الصلوة) أي أديت صلاة الجمعة وفرغ منها (فانتشروا في الارض) للوفاء بمصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أي ما تقوم به المصالح (واذكروا الله كثيرا) في كل زمان ومكان أمكنكم الذكر فيه (لعلكم تفلحون) أي كي تفوزوا بالسعادة أبد الآبدين .

وقوله تعالى (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما) أي تفرقوا نحو الأمرين ، وخلوك قائما على المنبر . أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبدالله قال: بينما النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخطب يوم الجمعة قائما اذ قدمت عيرٌ المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ، حتى لم يبق منهم الا اثنا عشر رجلا ، أنا فيهم وأبو بكر وعمر فأنزل الله تعالى (واذا رأوا تجارة ...) الآية وفي رواية عن ابن عباس أنه بقي في

المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نســوة . فقال رســول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لو خرجوا كلهم لاضطرم المسجد عليهم نــارا » . وكانــوا معذورين من شدة الحاجة الى الاقوات المستوردة ، وان كان حقهم البقــاء الى اللقاء . (قل) يا حبيبي ناصحا لهم (ما عند الله) من الرزق في الدنيــا ومن الثواب في الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة) فان الخارج من الجامع اما خرج للتفرج على القافلة الراجعة وأحمالها واستقبالها ، واما لشراء بعض الحاجيات ، وعلى كل حال فما عند الله خير من ذلك (والله خير الرازقين) .

سورة المنافقون ، مدنية ، وهي إحدى عشرة آية
نزلت بعد الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا : نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ،
وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ، وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنافِقِينَ
لَكاذِبُونَ (١) اِتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
اللهِ ، إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ
كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ (٣) وإِذا رَأَيْتَهُمْ
تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِم كَأَنَّهُمْ
خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ
العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ، قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ !(٤) وَإِذا
قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ
وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥) سَواءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ،
إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الفاسِقِينَ ﴾(٦)

قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون) أي حضروا مجلسك ، والمراد بهم عبدالله ابن ابي بن سلول وأتباعه .

والشهادة إخبار بحق للغير على آخر عن يقين . والمقصود بها انشاء الثبوت لا الإخبار به ، والتأكيد بان واللام لافادة لازم الخبر على وجه القوة . وهو علمهم برسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الله تعالى . وقوله (والله يعلم إنك لرسوله) وتقديمه على الجملة الأخيرة لتثبيت المشهود به وتصديقه وتحقيقه حتى لا يتوهم متوهم معنى فاسدا منها . وقوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) أي لكاذبون في دعوى ضمنية مستفادة من بيانهم وهي أن ألسنتنا وقلوبنا متوافقة في الشهادة ، اذ لا موافقة بينهما في الواقع فألسنتهم تقر أن محمدا رسول الله وقلوبهم تنكر ذلك ، أو في تسمية ذلك الاخبار بالشهادة لانها اسم لبيان حق للغير على آخر بصورة يقترن بعلم الشاهد بذلك مع أن الشهود هنا لا يقترن بيانهم بعلمهم ولا علم لهم بذلك بل ينكرونه ، وليس الحكم بكذبهم لعدم مطابقة اخبارهم لاعتقادهم لان معنى الصدق والكذب مطابقة الخبر للواقع ونفس الامر وعدم مطابقته له ، فقول القائل : العالم حادث صادق ، وان لم يوافق اعتقاده .

(اتخذوا أيمانهم) أي شهاداتهم كهذه الشهادة وغيرها مما يروجون لها أمورهم أو أحلافهم في هذه الصورة وغيرها (جُنّة) أي وقاية لهم عن قتل الأنفس وأخذ الأموال وهتك الاعراض فحافظوا عليها بهذه الشهادات والأحلاف (وصدوا) الناس الضعفاء الجهلاء (عن) سلوك (سبيل الله) (انهم ساء ما كانوا يعملون ، ذلك) المذكور من الحكم عليهم بسوء أعمالهم (بأنهم آمنوا) أي نطقوا بكلمة الشهادة ظاهرا وان كانوا يبطنون الكفر (ثم كفروا) أي ظهر كفرهم الباطن بعباراتهم الفاسدة كطعنهم في ظفر الرسول بمطلوبه وصدقه في ما ذكره في وعوده وغير ذلك (فطبع على قلوبهم)

حتى يموتوا على الكفر (فهم لا يفقهون) الإرشادات والنصائح لا لغبائهم الذاتي بل لعنادهم مع الحق .

(واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) للصباحة وتناسب الاعضـاء (وإن يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وبلاغتهم (كأنهم خشب مسـندة) على ما يعتمد عليه يجوز أن يكون مدحا لهم بالرزانة والسكون والوقار وذمـا لهم بأنهم كأخشاب جامدة لا رطوبة فيها ولا روح ولا فكـر ولا بصيرة (يحسبون كل صيحة عليهم) أي يحسبون كل صـيحة يسمعونها واقعـة عليهم فتضرهم وتبيدهم أي أنهم جبناء وضعفاء (هم العدو) أي أولئـك الناس اللؤم الشؤم البرءاء من الفقه والفهم ومحاسن الصفات محصورون في العداوة ، والعدو اذا كان عاقلا كريم النفس أمكن الخلاص منه بشـفاعة أو ضراعة أو معاهدة . وأما العدو اللئيم الغبي الذميم فلا مخلص منه الا بموته أو باللجوء الى أقوى منه في صيته وصوته (قاتلهم الله أنى يؤفكون !) أي كيف يُصْرَفونَ عن الحق الى الباطل . (واذا قيل لهم تعالوا) الى الحق أو الى الرسول (يستغفر لكم رسول الله لَوَّوا رءوسَهم) علـى عـادة الرؤساء الأغبياء والأثرياء الجهلاء (ورأيتهم يصدون) أي يعرضـون عـن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن ذلك روى أنه لما صـدق اللهُ تعالى زيداً بن أرقم فيما أخبر به عن ابن أبي مقت الناس ابن أبي ولامه المؤمنون من قومه وقال بعضهم له : اِمْضِ الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعترف بذنبك يستغفر لك فلوى رأسه انكارا لهذا الرأي ، وقال لهم : لقد أشرتم عليّ بالايمان فآمنتُ ، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم الا أن تأمروني بالسجود لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(سواء عليهم أستغفرت لهم أمْ لم تستغفرْ لهم لن يغفر الله لهمْ ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي سواء على أولئك المنافقين استغفارك وعـدم

استغفارك لهم ، فان الله سبحانه لم ولن يغفر لهم ، وذلك لان الله لا يهدي القوم الفاسقين المفسدين .

(هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا ، وللهِ خَزائِنُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولونَ : لَئِنْ رَجَعْنا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ، وَللهِ العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلمُؤْمِنِينَ ، وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ (٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فأولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ (٩) وأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ : رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إلى أجَلٍ قَرِيبٍ ، فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذا جاءَ أَجَلُها واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ)(١١)

قوله تعالى (هم الذين يقولون) استئناف مبين لبعض ما يدل على فسقهم ولؤمهم ونفاقهم وشقاقهم يقول تعالى هم الذين يقولون أي يقول رئيسهم عبدالله بن أبي لمن معه : (لا تنفقوا على من عند رسول الله) من الفقراء (حتى ينفضوا) ويتفرقوا من حوله ويظنوا أنهم إذا تركوا الانفاق عليهم تفرقوا ولا يشعرون أن الله بيده مقاليد السموات والارض (ولله خزائن السموات والارض) يرزق منها من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك وهم لا يكتفون بعدم الانفاق عليهم بل (يقولون : لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز) ويعني ابن أبي به نفسه ومن معه (منها) أي من المدينة

(الاذل) ويعني به محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن تبعه من المؤمنين . ويقول تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فنحن اذا سلمنا قوله من اخراج الأعز للاذل لزم أن يخرج الله ورسوله والمؤمنون عبدالله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين ومن معه منهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من هو الأعز ومن هو الاذل ، والا ما كانوا يقولون ذلك القول .

ولما كان هذا الغرور من ابن أبي ومن معه نشأ من كثرة أموالهم وأتباعهم ومن كثرة أولادهم ، ولذلك غفلوا عن ذكر الله وإطاعة رسوله .. قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم) أي لا تغفلكم (عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك) أي يلتهي بما عنده منهما (فأولئك هم الخاسرون) في الدنيا بإضاعة ماعندهم وفي الآخرة بما يرد عليهم من العذاب (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي بوادره (فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب) يعني لماذا لا تؤخر أجلي مدة وجيزة (فاصدق) أي فأتصدق بمالي على من لا مال عنده (وأكن من الصالحين) للعبادة فأعبد الله تعالى حتى يأتيني الاجل ؟ قرىء وأكون بالنصب ووجهه ظاهر . وبالجزم ، كما هو عندنا ، بالعطف على محل فأصدق لانه في معنى ان أخرتني أصدق على ما رآه أبو علي الفارسي . وذهب سيبويه الى أنه على توهم شرط مقدر يدل عليه التمني . (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها) أي مع أنه لا يفيده طلب الامهال عند آخر الأحوال (والله خبير بما تعملون) فمجازيكم عليه قليلا أو كثيرا .

سورة التغابن مدنية ، وآياتها ثماني عشرة ، نزلت بعد التحريم

بسم الله الرحمن الرحيم

(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ؟ فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ)(٦)

قوله تعالى (يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه سبحانه وتعالى جميع المخلوقات تنزيها مستمرا لائقا بجناب قدسه (له الملك

وله الحمد) لا لغيره ، فإن الكائنات مختصة به تعالى ايجادا وابداعا : وأي حمدٍ من أي حامدٍ ولأي محمود يكون على نعم أو لا ، يعود اليه (وهو على كل شيء قدير) لان نسبة ذاته الى جميع مقدوراته سواء والإمكان يستوعب جميع الكائنات (هو الذي خلقكم) وأبدعكم من اللاشيء (فمنكم كافر) ينكر وجود الخالق المصور أو وحدته في الخلق والابداع (ومنكم مؤمن) بربه تعالى (والله بما تعملون بصير) وبمبادىء أعمالكم خبير (خَلَقَ السموات والارض بالحق) أي بالحكمة البالغة المتضمنة لمصالح الدنيا والآخرة (وصوركم فاحسن صوركم ، واليه المصير) في النشأة الاخيرة (يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون ، والله عليم بذات الصدور) أي بالخيالات الموجودة فيها .

(ألم يأتكم) يا أهلَ مكة (نبأ الذين كفروا من قبل ؟ فذاقوا وَبالَ أمرهم) أي ضرر كفرهم (ولهم في الآخرة عذاب أليم) ذلك العذاب الذي يرد عليهم (بأنه) أي بسبب أنه (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الظاهرة (فقالوا : أبشر يهدوننا) أي فقال كل أمة من تلك الامم في مقابل أولئك الرسل أبشر مثلنا يقدر أن يهدينا ؟ فكفروا بالرسل لان أوساخ المماثلة أخرجتهم من اتباع الحق الى المجادلة ، ولم يعلموا أن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، وتولوا عن التفكر في الادلة القاطعة على ثبوت رسالاتهم وتركوا سبيل البرهان ، واستغنى الله عن ايمانهم وطاعتهم والله غني عن العالمين حميد للحامدين .

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَنْ يُبْعَثُوا ، قُلْ : بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ، وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ(٧) فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ، وَاللهُ

بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ(٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغابُنِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ ، وَيَعْمَلْ صالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّآتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ، ذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ(٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآياتِنا أُولٰئِكَ أَصْحابُ النَّارِ خالِدِينَ فِيها وَبِئْسَ المَصِيرُ(١٠) ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(١١) وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ(١٢) أَللهُ لا إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ وَعَلَى فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ)(١٣)

قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم وأكثر ما يستعمل للادعاء الباطل ولذا اشتهر أن زعم مطية الكذب يعني أن كلمة زعم فرس لا يركبها الا الباطل ، فاذا سمعت زعم فالغالب أن الكلام الواقع بعده باطل نحو (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) أي لن يحيوا بعد موتهم في الدنيا مع أن الاحياء أمر محقق مقرر لينال كل جزاء أعماله ان خيرا فخير وان شرا فشر (قل) يا رسولي في رد مزعومهم (بلى) أي كلامكم باطل عاطل (وربي) أقسم (لتبعثن) عند مجيىء الساعة (ثم لتنبئن بما عملتم) أي لتحاسبن ولتجزون على أعمالكم لا على جهل وعدم اطلاع بل تنبئن بكل عمل خير أو شر عملتموه حتى تعترفوا به واذا أنكرتم ما عملتم شهدت عليكم جوارحكم أيديكم وأرجلكم بما عملتم (وذلك) البعث والانباء بالاعمال (على الله يسير) سهل لا صعوبة فيه . واذا كان الامر كذلك (فآمنوا بالله) الحي القيوم القادر على كل شيىء (ورسوله) النبي الزكي الامجد سيدنا محمد

ـ صلى الله عليه وسلم ـ (والنور الذي أنزلناه) اليه وهو القرآن الكريم (والله بما تعملون خبير) .

وقوله (يوم يجمعكم) ظرف لقوله (لتنبئن) أي لتنبئن بما عملتم (يوم يجمعكم) جميعا (ليوم الجمع) أي لأجل الحساب والميزان الثابتين في يوم الجمع (ذلك يوم التغابن) أي وذلك يوم غبن فيه بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس . فقد روي في الصحيح : « ما من عبد يدخل الجنة الا أريَ مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا . وما من عبد يدخل النار الا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة » وهو مستعار من تغابن القوم في التجارة . (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ، ويدخله جناتٍ تجري مِنْ تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه لاشتماله على النجاة من أعظم المهلكات والظفر بأعلى الطلبات .

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي الآيات المنزلة من الله أو المعجزات التي خلقها الله تعالى لتأييد رسوله (أولئك أصحاب النار خالدين فيها ، وبئس المصير) النار ، فيا أيها المؤمنون اذا آمنتم بالله فتوكلوا عليه وانيبوا اليه ، ولا تتزلزلوا فيما أصابكم على الجهاد في الدين . (ما أصاب من مصيبة الا بإذن الله) وارادته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) الى الصبر عند المصائب والآلام (والله بكل شيء عليم . وأطيعوا الله) في آياته (وأطيعوا الرسول) في تبليغاته وبياناته (فإن توليتم) أي استدبرتم وعصيتم (فإنما على رسولنا البلاغ المبين . الله لا إله إلا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لا على غيره .

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ، وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(١٨)

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) كلمة من فيه للتبعيض ، أي ان بعضهم كذلك ، فمن الازواج أزواج يعادين بعولتهن ويصرفن أموالهم في ما يشتهين بدون إذن منهم ، ويخننهم في المحارم ، ويجلبن المخاصمات الى بيوتهم ، علاوة على اطالة لسانهن وعبوسة وجوههن وبذاءة كلامهن ... وكذا من الاولاد من يهدم شرف بيت أبيه بالعمل على ما يشتهيه . ومن الازواج الصالحات الحافظات لحدود الله المؤدبات المطيعات للازواج ، كما أن من الاولاد من يخدم أباه ، ويعمل على مبتغاه ، ويطلب رضاه ، ويطيع مولاه . (فاحذروهم) أي ذلك البعض البغيض وذلك كثير وعدده وفير (وإن تعفوا) عن المتعاطفين فيما يقبل العفو (وتصفحوا) فيما لا يوجب الصفح فيه هونا في الدين (وتغفروا) أي وتستروا عيوبهم وذنوبهم الهينة (فإن الله غفور رحيم) .

(إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي بلاء ومحنة . أما الاموال فالفتنة في كسبها من الشبهات أو المحرمات ، وفي عدم صرف الواجبات ، وفي ظهور عداء أصحاب الخيانات ، وخيرها في الكسب من الحلال وصرفها في رضا الملك المتعال ، وسد أفواه الناس بها حسب الإمكان في كل حال . وأما الاولاد فالفتنة في إهمال التربية والتعليم واطلاق سراحهم ليعيشوا مع كل

ذميم لئيم وتخويلهم الاموال لصرفها في ما يسوق الى الجحيم . وخيرهم في حسن التربية بقدر الامكان ورعاية مجاورتهم للصالحين بحسب الزمان ، والاعتدال في الانفاق عليهم وتزويجهم حتى لا يبتلوا بالعصيان (والله عنده أجر عظيم) لمن يصون نفسه من موبقات الاموال والاولاد في سبيل الله وفي الحديث : « يؤتى الرجل يوم القيامة فيقال : أكل عياله حسناته » وأخرج الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه عن بريرة قال : كان النبي ـ صلى الله عليه وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المنبر فحملهما ، واحدا من ذا الشق ، وواحدا من ذا الشق ، ثم صعد المنبر فقال : « صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة ، اني لما نظرت الى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعت كلامي ونزلت إليهما » .

(فاتقوا الله ما استطعتم) أي أبذلوا الجهد بقدر طاقتكم في تقواه (واسمعوا) كلام الله وكلام رسوله (وأطيعوا) أوامره عز وجل ونواهيه بقدر الامكان (وانفقوا) في الدنيا (خيرا لانفسكم) في الآخرة (ومن يوق شح نفسه) أي يحفظ من حرص نفسه على جمع الاموال من الحرام والحلال وبخله من صرف حلاله في سبيل رضا الملك المتعال (فأولئك هم المفلحون) الفائزون . (إن تقرضوا الله قرضا حسنا) أي ان تصرفوا أموالكم في سبيل مرضاته تعالى بإخلاص غير مشوب بالعيوب (يضاعفه لكم) من واحد الى عشر حسنات ، ومن عشر إلى سبعمائة ضعف من الدرجات (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله شكور) يعطي الجزيل في مقابل القليل (حليم) لا يستعجل بعقوبة المذنب (عالم الغيب والشهادة) لا يخفى عليه شيء (العزيز) الغالب (الحكيم) في كافة المطالب .

سورة الطلاق ، مدنية ، وآياتها اثنتا عشرة ، نزلت بعد سورة الانسان

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ، وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ، وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ، لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ، وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ ، وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ، لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا(١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ ، وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ، ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا(٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ، إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا)(٣)

قوله تعالى : (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) خص النداء بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعم الخطاب لانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إمام أمته فنداؤه كندائهم والمعنى : اذا أردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن ، أي في وقت ابتدائهن بعدتهن مباشرة بعد نهاية انشاء الطلاق • يعني فطلقوهن في الطهر لان زمن الطهر يحسب من العدة ولو بقي بعد التطليق دقيقة • وهذا عند من فسر القرء بالطهر ، فالامر بتطليقهن في الطهر انما هو حتى لا تتضرر المرأة بتأخير عدتها ، لأن العدة عنده بالاطهار ، وزيد فيه شرط آخر وهو أن لا يجامعها في ذلك الطهر قبل التطليق خوفا من الحمل • ومن اعتبر الأقراء بالحيضات وافق أيضا في كون التطليق في وقت الطهر لكن قدر محذوفا ، أي فطلقوهن مستقبلات لعدتهن بأن يكون الطلاق في الطهر حتى انقضى الطهر ابتدأت بالحيض المحسوب لها من العدة • وظاهر أن الامر للوجوب فيحرم تطليقها في الحيض ، لكن الطلاق يقع والدليل على الحرمة ووقوع الطلاق ما صح من أن عبدالله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ طلق زوجته آمنة وهي حائض فذكر ذلك أبوه عمر ـ رضي الله عنهما ـ للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ليراجعها ثم ليمسكها ، حتى تطهر ثم تحيض ، ثم تطهر ، فان بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها ، فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء » فانه لو لم يكن الطلاق واقعا ما كان يحتاج الى الرجعة ، ولو كان حلالا لم يأمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بتلك العمليات التي تورث حرجا على الزوج، وكان يأمر بمفارقتها •

(وأحصوا العدة) أي واضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء فان كان القرء حيضا انتهت العدة بخلاصها من الحيضة الثالثة ، وان كان طهرا فبدخولها في الطهر الثالث ولا تنتظر أن تدخل في الحيض ، بل يجوز أن

تتزوج في ذلك الطهر لأن الطهر قد يستمر الى موتها (واتقوا الله ربكم) في تطويل العدة عليها ، فان كانت في الطهر فلابأس بتطليقها لمباشرتها للعدة فورا أو في الحيض وجب الصبر الى أن تطعن في الطهر .

والمقصود من الآية الكريمة أن يكون طلاق المرأة بعيدا عن الاضرار بها ، ولذا قرر أن يكون في الطهر . وروي عن النخعي أن أصحاب رسول الله يستحبون أن لا يطلق الزوج زوجته الا واحدة . ثم لا يطلق غير ذلك حتى تنقضي عدتها ، وكان أحسن عندهم أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار . قال مالك ــ رضي الله عنه ــ : لا أعرف طلاق السنة الا واحدة ، وكان يكره الثلاث مجموعة أو مفرقة . وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد ، فأما مفروقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض : « ما هكذا أمرك الله . انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا ، وتطلقها لكل قرء تطليقة » وروي أنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال لعمر : « مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ، ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء » وعند الشافعي لابأس بإرسال الثلاث . وقال : لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح . فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت . وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت ، والشافعي يراعي الوقت .

وأما إرسال الطلاق الثلاث بألفاظ متعددة كأن يقول أنت طالق أنت طالق أنت طالق ، أو بلفظ واحد كأن يقول أنت طالق ثلاثا ، فالذي ذهب اليه جمهور الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، ومنهم الأئمة الاربعة .. وقوع الثلاث ، بل ذكر الامام ابن الهمام وقوع الاجماع السكوتي من الصحابة على الوقوع ، ونقل عن أكثر مجتهديهم كعلي ــ كرم الله وجهه ــ ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وأبي هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبدالله بن

عمرو بن العاص الإفتاء الصريح بذلك • وذكر أيضا أن إمضاء عمر الطلاق الثلاث عليهم مع عدم مخالفة الصحابة له مع علمهم بالسنة النبوية دليل على أن ذلك الإمضاء كان حقا مشروعا ، وإلا فكيف يخالف عمر ما سنه الرسول وقرره ، أو كيف يسكت أولئك الأجلـة من الأصحاب على مخالفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تشريعاته •

وقال بعض الأئمة : لو حكم قاض بأن الطلاق الثلاث بفم واحد يعتبر طلاقا واحدا لم ينفذ حكمه لانه لا يسوغ الاجتهاد فيه لاجمـاع الأئمـة المعتبرين عليه • وما روي من غضبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على من طلق زوجته ثلاثا فعلى تقدير ثبوتـه كان غضبه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على استعماله فيها وعدم ابقاء المجال للرجعة ، أو استئنافا لنكاح بعقد جديـد لا لعدم وقوع الثلاث ، فقد أخرج عبدالرزاق عن عبادة بن الصامت أن أباه طلق امرأة له ألف تطليقة ، فانطلق عبادة فسأله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بانت بثلاث في معصية الله وبقي تسعمائة وسبعة وتسعون عدوانا وظلما ، ان شاء الله تعالى عذبه وان شاء غفر له • وأخـرج أبو داود في سننه عن مجاهد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل ، وقال : انه طلق زوجته ثلاثا ، فقال له : عصيت ربك وبانت امرأتك منك • ومنهم من قال : ان المعصية قد نسخت لانه روي عن جمع من الصحابة التطليق ثلاثـا مع وجود المعصية فيه منهم عبدالرحمن بن عوف طلق زوجته (تماضر) ثلاثا في موضعه ، والحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ طلق زوجته (شهبانو) ثلاثا لما هنأته بالخلافة بعد وفاة علي ـ رضي الله عنه ـ • أو أن المعصية كانت في التطليق في الحيض أو أن المطلق قال (ثلاثا للسنة) •

(ولا تخرجوهن من بيوتهن) أي من مساكنهن عند التطليق الى أن تنقضي عدتهن (ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي تزني فتخـرج

لإقامة الحد عليها ، أو المعنى الا أن يأتين بفاحشة واضحة وهي خروجهن من مساكنهن بدون موافقة الزوج لانهما لو اتفقا على الانتقال جاز ، لان الحق لا يتجاوزهما ، وفي جمع النهيين دلالة واضحة على استحقاق السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق • نعم اذا لم يكن ذلك المحل متميزا بمرافق خاصة وحصل من بقائها فيه الاجتماع بزوجها وجب : اما انتقال الزوج الى محل آخر ، أو انتقالها الى سكنى أخرى مناسبة لها • (وتلك حدود الله) أي وتلك الاحكام حدوده تعالى المذكورة (ومن يتعدّ حدود الله) أي يتجاوزها ويخالفها منهما (فقد ظلم نفسه) بتعريضه لعقاب الآخرة (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) وهو الرجوع الى اطاعة الباري والتوبة عما جرى من المخالفة ؛ أو هو وجود الرغبة فيهما لاستئناف العقد بينهما ، أو رجعته لها ان كان الطلاق رجعيا •

(واذا بلغن أجلهن) أي قاربن الوصول الى انتهاء مدة العدة (فأمسكوهن) فراجعوهن أو استأنفوا عقد نكاحهن (بمعروف) متلبسا بما يعرف في الدين بأن تكون المعاشرة لطيفة شريفة بلا نزاع وجدال (أو فارقوهن بمعروف) بالوفاء بتسليم حقوقها المشروعة (وأشهدوا ذوي عدل منكم) على الرجعة أو استئناف العقد أو الفراق بينهما • والامر للوجوب اذا كان الإمساك بعقد جديد ، وللندب اذا كان بالرجعة او كان الفراق بالطلاق •

(وأقيموا الشهادة) أي أدوها عند الحاجة (لله) خالصا له تعالى (ذلكم) الحكم المذكور (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، ومن يتق الله) ولا يخالف أوامره ونواهيه ويطع شرع الله في السلب والإيجاب (يجعل له مخرجا) من الصعوبات الواقعة أمامه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أن يأتيه الرزق من ذلك المحل لان الصدق بالغيب يلزمه الرزق بالغيب (ومن يتوكل على الله) أي يعتمد عليه حق الاعتماد وأن النافع

والضار هو الله ، وأطاعه في مباشرة الاسباب التي هيأها له (فهو حسبه) أي فالله كافيه في ترتب المسببات على الاسباب ، فالتوكل هو الاعتماد على خلقه وتأثيره وأن لا يرى التأثير للاسباب ويؤمن بأن المسببات مع الاسباب لا بها . وليس معنى التوكل اختيار البطالة والمشي على الجهالة ، فان ذلك مخالف لسنة الله في العالمين . نعم قد يكون أفراد من البشر يمتنعون عن معالجة كل أمر ويحصل لهم كل ما أرادوه لكنهم شواذ مأمورون بمباشرة تلك الاحوال لحكمة في الخلق . وإلا فسيد الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو سيد المتوكلين مع أنه باشر الاسباب كما هو الحق والواجب وحول الامر الى الله العلي العظيم .

(ان الله بالغ أمره) أي واصل الى مراده ، ولا يفوته مراد من المرادات لان تخلف المراد عن الارادة ممتنع (قد جعل الله لكل شيىء قدرا) أي تقديرا خاصا ، أو مقدارا محدودا ، او أجلا ومدة من الزمن لا يتأتى تغييره .

(وَاللائي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ، وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ ، وَأُولاتُ الأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً(٤) ذلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً(٥) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ، ولا تُضارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ، وَإِنْ كُنَّ أُولاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ، فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ، وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ،

وإنْ تَعاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخرى(٦) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ ، وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ ممَّا آتاهُ اللهُ ، لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ ما آتيها سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً)(٧)

قوله تعالى (واللائي يئسن من المحيض) روي أنه لما نزل (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلثة قروء) قيل : فما عدة اللاتي لم يحضن ؟ فنزلت يعني والنساء اللاتي يئسن من خروج دم الحيض لكبر سنهن (إن ارتبتم) أي جهلتم عدتهن (فعدتهن ثلثة أشهر) وقد قدر بعض الأئمة سن اليأس بستين سنة ، وبعضهم بخمس وخمسين • وقوله (واللائي لم يحضن) مبتدأ خبره محذوف ، أي واللائي لم يحضن من أول زمان استعداد الحيض إلى وقت وجوب العدة عليها فعدتهن ثلاثة اشهر أيضا • وكذلك صغيرة تزوجت وبوشرت ثم طلقت قبل أن تحيض • (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أي ولو نحو مضغة قالت القوابل إنها مادة آدمي وهذه الآية تعم المتوفى عنها ، فإنه إذا وضعت الحمل بعد وفاة زوجها فقد انقضت عدتها • فقد أخرج مالك والشافعي عن ابن عمر أنه سئل عن المرأة التي توفى عنها زوجها وهي حامل فقال : إذا وضعت حملها فقد حلت ، فأخبره رجل من الأنصار أن عمر بن الخطاب قال : لو ولدت وزوجها على سريره لم يدفن لحلّت (ومن يتق اللـه) في رعاية أحكامه تعالى ومراعاة حقوق الزوجة (يجعل له من أمره يسرا • ذلك) المذكور (أمر اللـه أنزله إليكم) لتفهموا أحكام الدين (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) بالمضاعفة •

(أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الحث على التقوى ، كأنه قيل : كيف نتقي في شأن النساء ؟ فقال :

(أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم) أي من وسعكم ومالكم الموجود (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) فتلجئوهن إلى الخروج لشغل المكان عندكم، أو بالاسكان مع من لا يردن السكنى معه (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) والآية مخصوصة بالمطلقات لأن المتوفى عنها لا نفقة لها ولو كانت حاملا ، (فإن أرضعن لكم) بعد الوضع (فآتوهن أجورهن) على الإرضاع (وائتمروا بينكم بمعروف) أي تشاوروا في مقدار الأجور وسائر الأمور (وإن تَعاسَرْتم) أي تضايقتم أي ضيّق بعضكم على بعض وماتَوافَقتم على الأُجْرَة (فسترضع له أخرى) أي مرضعة أخرى ، أي فستوجد له مرضعة أخرى (لينفق ذو سعة) مالية (من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتيه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتيها ، سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) أي سَيَجعل الله بعد عُسر وفقرٍ يُسراً وغنىً وَسَعَةً في الحال والمال .

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّها وَرُسُلِهِ فَحاسَبْناها حِساباً شَدِيداً ، وَعَذَّبْناها عَذاباً نُكْراً(٨) فَذاقَتْ وَبالَ أَمْرِها ، وَكانَ عاقِبَةُ أَمْرِها خُسْراً(٩) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً ، فَاتَّقُوا اللهَ يا أُولِي الأَلْبابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً(١٠) رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ ، وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ، قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقاً(١١) اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ،

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً)[١٢] .

قوله تعالى (وكأيّن مِن قَرْيَةٍ) أي كثير من أهل قرية (عَتَتْ) تكبّرت وعَصَتْ (عن أمْر ربها ورُسُلِهِ) ولم تُطِعْهُما (فَحاسَبْناها حِساباً شَديدا) في الدنيا بتغيير الأحوال وتقتير الأموال وتقليل الجاه والمنال وقد كانت بالإهلاك والتدمير (وعذبناها في الآخرة عذابا نكرا) أي منكرا عظيما . اوكل الفقرات السابقة تفسير لمحاسبة الدنيا بقرينة قوله تعالى (فذاقت وبال أمرها) عقوبة عصيانها (وكان عاقبة أمرها خسرا) عظيما لا خسرَ أزيد منه في الآخرة ، وبيّنه بقوله (أعدّ الله لهم عذابا شديدا ، فاتقوا الله يا أولي الألباب) العقول السليمة من الخلل ، أعني (الذين آمنوا) بالله ورسوله حق الإيمان (قد أنزل الله إليكم ذكرا) أي صاحب ذكر (رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات) لكم ما يصلح به أمركم في الدارين (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) ظلمات الجهل وغباوة النفس وشقائها وشهواتها وسوء الاعتقاد والأعمال (إلى النور) نور العلم والذكاء للنفس وطاعتها وحسن الاعتقاد والأعمال . (ومن يؤمِن بالله ويعمل صالحا) إلى أَن ينتهيَ أمدُه ويأتي أجلُه (يدخله جَنَاتٍ تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها أبَدا ، قَدْ أحسن الله له رزقا . الله الذي خلق سبع سموات) من الأثير الصّافي القوي الذي لا ينفذ بدون سلطان ، وهي واسعة بما لا يعلم حده إلا الله ، والقربى منها مزيّنة بزينة الكواكب السيارة والثابتة والمكشوفة بالعيون أو الأرصاد ، أو لا يصل إليها إدراك العباد وفوقها الجنة التي عرضها السموات والأرض وفوقها الكرسي الذي وسع السموات والأرض .

وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أي وخلق من الأرض مثلهن أي مثل السماوات في كونها أجساما على حد وميزان ، أو في أنها طبقات بعضها

فوق بعض طبقة التراب الصرفة المجاورة للمركز ، والطبقة الطينية ، والطبقة المعدنية التي تكون فيها المعادن ، والطبقة الممتزجة بغيرها المنكشفة التي هي مسكن الإنسان ونحوه من الحيوان ، وطبقة الأدخنة ، والطبقة الزمهريرية ، وطبقة النسيم الرقيق ... وهذه كلها من الأرض . أو المراد أنها أقاليم سبعة بحسب القرب والبعد من خط الاستواء ، أو أنها سبع منها الأرض التي نحن نسكن فيها ، ومنها كرات" ست أخرى على نحو هذه الصّفات الأرضية من الامتزاج بالماء ووجود الجبال والهواء ومعيشة الحيوان إلى غير ذلك مما لم يكشف لحد الآن . والأمر محول إلى علم اللــه سبحانه وتعالى ويمكن أن ينكشف بالعلم في المستقبل بعض أشياء لم يعلمها الإنسان إلى يومنا هذا . فإن هذه الكرة الأرضية وسائر الطبقات الفلكية ، والكــواكب السيارة ، والثوابت الموجودة الآن لا يعلم مدى تكونها بخلق الله وقدرته الإبداعية ، هل هي مليون من السنين ؟ أو مليار أو مليارات ؟ وتبــين بمعالجة ما أدرك منها ووصل الإنسان إليه أنها مواد ضعيفة قابلة للتفريق والتمزيق والتحويل، والأمر الضعيف الممكن المسخر لا شبهة في أنه واقع تحت قدرة الخالق القادر العليم ، ويجري قضاؤه فيها كما قال (يتنزل الأمر) أي قضاؤه وقــدره وشئونه الفعلية (بينهن) أي بين الأرض والسماوات حسب علمه وإرادته ولا يغرنكــم ما تسمعون من الكلام على طول زمان تكــوّن السموات والأرض ، فإنها متى تكونت ونعلم مدتها أولا فهي مخلوقة لصانع قادر بيده مقاليد السموات والأرض (الله خالق كل شيىء وهو على كل شيىء قدير) وجميع الموجودات المادية المكشوفة والملفوفة عالم الشهادة والغيب كلهــا بالنسبة إلى الله وقدرته كشيىء حقير لا قيمة له ولا وزن . وخلق الله الحي القيوم كل ذلك (لتعلموا أن الله على كل شيىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيىء علما) فلا يخفى عليه شيىء في الأرض ولا في السماء .

سورة التحريم ، مدنية ، وآياتها اثنتا عشرة ، نزلت بعد الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللهُ لَكَ ؟ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ
أَزواجِكَ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ
أَيْمَانِكُمْ واللهُ مَوْلِيكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ (٢) وَإِذْ
أَسَرَّ النَّبِيُّ إلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً ، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ،
وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ،
فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ : مَنْ أَنْبَأَكَ هذا ؟ قالَ : نَبَّأَنِيَ
الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ،
وإِنْ تَظَاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلِيهُ وجِبْرِيلُ وصالِحُ
المُؤْمِنِينَ وَالمَلٰئِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ
طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِماتٍ
مُؤْمِنَاتٍ ، قانِتَاتٍ ، تائِباتٍ عابِداتٍ سائِحاتٍ ثَيِّبَاتٍ
وَأَبْكاراً) (٥) .

قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرّم ما أحلّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك ؟) روى البخاري ، وابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ويشرب عندها عسلا فتواصيتُ أنا وحفصةُ أن أيّتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل إني أجد منكَ ريح مغافير ، أكلتَ مغافير ، فدخل على إحديهما فقالت له ذلك • فقال : لا بل شربتُ عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود • وفي رواية وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) من شرب العسل (تبتغي) بذلك التحريم (مرضات أزواجك) يعني حفصة وعائشة (والله غفور") لما نالك من أذى خلاف الأولى على تحريم ما أحله الله تعالى لك و (رحيم) حيث قرر لك الحنث في اليمين وسترها بالكفارة •

وتحريم ما أحلّه الله ليس معناه أن يعتقد بالشيىء الحلال محرما لأنّ تحوّل الحلال إلى الحرام ممتنع ، ولا يمكن صدوره من العالم بالأحكام ، فضلا عن صاحب شريعة الإسلام • وإنما معناه الانكفاف عن الاستفادة منه بأن لا يأكل المأكول ، ولا يشرب المشروب ، ولا يلبس الكسوة الفلانية وهذا أمر عام وارد بين الناس ، ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم • وكلامه صلى الله عليه وسلم إن كان مع الحلف أي والله لا اشربه فهو ظاهر ، وإن كان بصيغة التحريم كأن يقول : حرمت على نفسي شربَ ذلك المشروب وقصد به تحريم شربه فيمين عليها كفارة •

(قد فرض الله لكم) أي شرع لكم (تحلة أيمانكم) أي تحليلها ورفع إثمها بإعطاء الكفارة • واختلف العلماء في حكم قول الرجل لزوجته : أنتِ علي حرام ، أو الحلال علي حرام ولم يستثن زوجته فقال جمع لا يلزمه شيىء • وقال جماعة : هو يمين يكفّرها • والشافعي إن نوى طلاقا أو ظهارا حصل

أو نواهما تخير ، وثبت ما اختاره • وقيل طلاق ، وقيل ظهار ، أو تحريم عنها لم تحرم ، وعليه كفارة يمين • وأبو حنيفة يرى تحريم الحلال يمينا في كل شيء والتفصيل في كتب الفقه : (والله موليكم) سيدكم ومتولي أموركم (وهو العليم الحكيم) •

(وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) أي حفصة (حديثا) هو قوله صلى الله عليه وسلم « كنتُ أشرب عسلا عند زينب بنت جحش ، فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (فلما نبأت به) أي فلما أخبرت حفصة عائشة بالكلام الذي قاله لها صلى الله عليه وسلم (وأظهرهُ اللهُ عليه) أي جعل الله رسوله ظاهرا ومطلعاً على ذلك الحديث ، وأن حفصة أخبرت عائشة بذلك السرّ (عرّف بعضه) أي اظهر الرسول صلى الله عليه وسلم بعضه لحفصة ، وذلك البعض : كنتُ أشربُ عسلا عند زينب (وأعرض عن بعض) أي وترك إظهار الجزء الأخير من الكلام ، وهو حلفت فلم يخبرها به (قالت) حفصة : (من أنبأك هذا ؟ قال : نبأني العليم الخبير) أي ان الله هو الذي أخبرني بأنك حكيت كلامي لعائشة ، ثم خاطبها الباري تعالى بقوله (إن تتوبا) يا عائشة ويا حفصة (إلى الله) تعالى (فقد صغت قلوبكما) أي فحق لكما التوبة إذ قد مالت قلوبكما عن الواجب وهو حب ما أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم وكراهة ما كرهه إلى مخالفة ذلك (وإن تظاهرا عليه) أي وإن تتظاهرا عليه وتتعاونا على استحباب ما تريدانه واستكراه ما يريده صلى الله عليه وسلم فالوبال عائد إليكما ولا يتضرر هو ولا تغلبانه (فإن الله هو موليه) وناصره (وجبريل) هو مع ما عطف عليه مبتدأ وقوله ظهير خبر أي وجبريل (وصالح المؤمنين) كأصحابه (والملئكة بعد ذلك) النصر من الله (ظهير) لمحمد صلى الله عليه وسلم • ومن كان الله نصيره ، وأهل الحق ظهيره وجب إطاعته في ما أحبّه • ثم الأولى بكما أن تكونا

باقيتين عنده لاستفادة السعادة لكما ، وإلا فلا يعود عليه ضرر • (عسى ربه إن طلّقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، مسلمات) مطيعات منقادات له بكل معنى (مؤمنات) مخلصات قانتات مواظبات على الطاعة (عابدات) لله في السراء والضراء (سائحات) صائمات (ثيبات) راجعات عن الزوج بعد التمتع والفراق (وأبكارا) •

(يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ، لا يَعْصُونَ اللهَ ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ(٦) يا أيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٧) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إلى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ، نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يقولون : رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٨) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ، وَمَأْوَيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ)(٩) •

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصي وفعل الطاعات (وأهليكم) أي أزواجكم وأولادكم (نارا وقودها الناس والحجارة) تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب • ووقاية الأهل لحملهم على ما مرّ بالنصح والتأديب • روي أن عمر رضي الله عنه قال : يا رسول الله نقي أنفسنا فكيف

لنا بأهلينا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « تنهوهن عما نهاكم الله عنه ، وتأمروهن بما أمركم الله به ، فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار » واستدل بهذه الآية على أنه يجب على الرجل تعلم ما يجب من الفرائض وتعليمه لهؤلاء . وفي الحديث : « رحم الله رجلا قال يا اهلاه صلاتكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم ، جيرانكم ... لعل الله يجمعكم في الجنة » (عليها ملئكة غلاظ) في الاقوال (شداد) في الأفعال (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) .

(يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) المعهود المعلوم اليوم لكل إنسان (إنما تجزون ما كنتم تعملون . يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أي توبة بالغة في النصح فهو من أمثلة المبالغة كضروب وصف التوبة دون التائب للمبالغة في قوتها . وهي أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها . قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التّوبة النّصوح ؟ قال : « أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ، ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع » ومن شرائطها رد حقوق الناس إلى اصحابها بقدر الإمكان . والندم على فعل ما فعله من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات ، وعزمه على أن لا يعود إليها . فإن تبتم توبة على ما قرر (عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزي الله النّبيّ والّذين آمنوا معه ، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا ، واغفر لنا إنك على كل شيىء قدير) .

(يا أيّها النبي جاهد الكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم) فجاهد الكفار بالحرب والنار ، والمنافقين بإقامة الحجة البالغة ، واغلظ عليهم بإقامة الحدود في حقهم بدون أيّ مسامحة (ومأويهم جهنم وبئس المصير) أي جهنم .

(ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ، كانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبادِنَا صَالِحَيْنِ ، فخانَتَاهُمَا فلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً ، وقِيلَ : ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ(١٠) وضَرَبَ اللهُ مثلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ، إذْ قالَتْ : ربِّ ابنِ لي عِنْدَكَ بَيْتاً في الجَنَّةِ ونَجِّنِي مِنْ فِرْعونَ وعَمَلِهِ ، ونَجِّنِي من القَوْمِ الظَّالِمِينَ(١١) ومَرْيَم ابنتَ عِمرانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكلماتِ رَبِّها وكُتُبِهِ ، وَكانَتْ مِنَ الْقانِتِينَ)(١٢) .

قوله تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) إما ضرب بمعنى ذكر ، ومثلا بمعنى قصة لها شأن و (امرأت نوح) بدل من قوله مثلا أي قصة امرأة نوح . أي ذكر الله للكافرين المغترين بقرابتهم مع النبي أو مع المؤمنين قصة لها شأن هي قصة المرأتين اللتين كانت لهما علاقة برسولين من الرسل مع أنه ما استفادتا من قرابتهما . أو أن ضرب بمعنى جعل ، يتعدى إلى مفعولين وأمرات نوح مفعوله الأول وكذا ما عطف عليه . ومثلا مفعوله الثاني ، وأخر الأول ليتصل ببيان قصتهما العجيبة أي جعل الله قصة امرأة نوح وامرأةلوط مثلا وشبيها لقصة أولئك الكافرين المغرورين حتى يمتنعوا عن الغرور ويتوجهوا إلى الله تعالى ورسوله فيبين الباري تعالى حالهما للاتعاظ والاعتبار ويقول (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) وهما نوح ولوط عليهما السلام (فخانتاهما) وخيانة امرأة نوح هي أنه كانت تقول بالنسبة إلى نوح عليه السلام إنه مجنون . وخيانة امرأة لوط هي أنها كانت تدل أهل القرية المفسدين على الضيف الوارد على

سيدنا لوط ، فإن الله سبحانه وتعالى كما عصم الأنبياء عليهم السلام من الذنوب لمخالفتهما لمقام الرسالة كذلك عصم أهلهم من الفجور والفسوق لإخلالهما باحترام البيت النبوي • وكل ما يقال أو يروى من ذلك الباب دسّ ووضع وافتراء على مقام النبوة والرسالة ، فإياكم وإياها ، فإن الناس ناسون لحقوق الله تعالى وأنبيائه ورسله ويتكلمون كما يريدون • (فلم يغنيا) أي ذانك العبدان الصالحان (عنهما) أي عن الامرأتين (شيئا) من الإغناء أو شيئا من العذاب ، أي لم تتخلصا من عذاب الآخرة بعلاقتهما مع ذينك الصالحين (وقيل) لهما من جانب الله تعالى : (ادخلا النارَ مَعَ الداخلين) •

ولما علمت إعراب الآية هذه فقس عليه إعراب هذه الآية الآتية أعني قوله تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) واسمها آسيا بنت مزاحم (إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) والعندية يراد بها قرب العبودية منزلة من الرب المعبود (ونجني من فرعون) أي نفسه الكافرة الخبيثة بتأثيرها في نفسي أو بغضبها عليّ وإيذائي (وعمله) أي ومن شؤم عمله من إيذاء الناس ، والإشراك بربّ العالمين (ونجني من القوم الظّالمين) وهم الأقباط المتعاونون مع فرعون الظالم ، أي من شؤم عملهم أو كيدهم ووشايتهم علي • (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون ، أي وضرب الله مثلا للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران (التي أحْصَنت فرجها) أي صانته وحفظته من كل ما يخالف الدين (فنفخنا) على فم عبدنا الأمين جبريل من المقربين (فيه) اي في فرجها مرادا به الجيب ففيه استخدام ، لأن المحصنة الفرج المعهود ، والمنفوخ فيه الفرج بمعنى جيب قميصها ، لأنه لما تمثل لها بشرا سويّا استحيت واستعاذت بالله • ولما بين أنه مرسل من ربه إليها للتبشير هدأت وسكن قلبها ، فنفخ في جيب قميصها المتصل بصدرها ، ووصل أثر

النفخ إلى جسمها ، لأن ذلك النفخ كان نفخا ملكيا قدسيا كما قال (من روحنا) أي من الملك الروحاني البريء من المادة الترابية المخلوقة بأمرنا كن فيكون . فالإضافة للتشريف والتلطيف (وصدّقت بكلمات ربّها) الواصلة إليها بواسطة جبريل من قوله إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا . وقوله كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة وكان أمرا مقضيا . حيث حصل لها علم ضروري وهبي بأن المتمثل لها ملك مقدس مأمور من الله رب العالمين وليس إنسانا ولا جناً ولا من الشياطين (وكتبه) أي وصدقت بكتبه السماوية كلها بواسطة السماع من ابنها عيسى عليه السلام (وكانت) قبل هذه الحادثة وبعدها (من القانتين) العابدين لرب العالمين . والقانت : المطيع الملازم للطاعة . جعلنا الله منهم برحمته إنه أرحم الراحمين .

الجزء التاسع والعشرون

سورة الملك ، مكية ، وآياتها ثلاثون ، نزلت بعد سورة الطور

بسم الله الرحمن الرحيم

(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ(٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَموات طِبَاقاً ، ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ ترى مِنْ فُطُورٍ(٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ(٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ)(٥) .

قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك) أي البركة والكبرياء للخالق الذي بيده (الملك) أي السلطة والتصرف المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وهذه الجملة من أعلى الجمل المفيدة للعظمة ، لأن كل خير ينشأ عن كل فاعل فإنما ينشأ من السلطة ، ويكون على ميزانها (وهو على كل شيء قدير

الذي خلق الموت والحيوة) فسر الحيوة بأنها صفة توحيد الحس والحركة الإرادية ، فهي وجودية ومن الكيفيات النفسانية ، وأما الموت فمنهم من يقول إنها أيضا صفة وجودية تضاد الحياة كالسواد للبياض • ومنهم من يقول : إنه أمر عدمي يفسر بعدم الحياة عمن يكون من شأنه الحياة فعلى الأول يتعلق الخلق بهما لأن أثر الخلق والإيجاد هو الوجود ، وأما على الثاني فقالوا : إن الخلق بالنسبة إلى الموت بمعنى التقدير والتمييز ، أو نسبته إليه بمعنى نسبته إلى محل انتزاعه ، أي جعل الشخص بحيث ينتزع منه الموت • فقوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أي ليعاملكم معاملة المختبر في عالم العيان أيكم أحسن من الآخرين عملا وإطاعة لربكم رب العالمين (وهو العزيز) الغالب على أمره (الغفور) الساتر لذنوب من يؤمن بقدره •

(الذي خَلَقَ سَبعَ سموات طباقا) أي متطابقة بعضها فوق بعض • والسماوات وإن كانت أجساما أثيرية لكنها قابلة للتمايز وامتياز بعضها عن بعضها ، فالسماء الدنيا منها قابلة لوجود الكواكب الثابتة والسيارة فيها ، والسماء الثانية على غير تلك الصفة ، وبين كل سماء مع مجاورها علاقة خاصة وارتباط • ولا تبغي إحداهما على الأخرى • وقوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة لسبع سماوات وليس المراد بنفي التفاوت نفي الفوارق لأنها موجودة ، بل المعنى أنه ليس فيها عيب ونقص من جهة أن الحكمة اقتضتها ، أوليس فيها تجاوز الحد لأيّ واحد ، كما أن الإنسان السوي مخلوق بقصر اليدين وطول الرجلين وعظم الهامة وسواد الشامة وكل ذلك مقبول (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي فإن كنت في شبهة في السالبة السابقة فارجع البصر واستعمل الفكر حتى يتضح الحال (ثم ارجع البصر كرتين) ليس المراد مرتين فحسب بل المراد تكرار استعمال البصر بقدر الميل قليلا أو كثيرا ، فإذا

رجعته كذلك (ينقلب إليك البصر خاسئا) ذليلا عليلا (وهو حسير) أي كليل من طول المعاودة .

(ولقد زينا السماء الدنيا) أي القربى منكم أي التي هي أكثر دنوا وقرباً منكم (بمصابيح) أي بكواكب تنور العالم تنوير المصابيح للمجالس (وجعلناها رجوما للشياطين) أي وجعلنا تلك المصابيح بواسطة ما يحدث من دورانها وإشعاعها وحدوث النيازك منها ومن أمور اخرى رجوما أي رجما ودفعا وطرداً للشياطين الصاعدين في الجوّ لاستماع بعض الأصوات والكلمات وأخذ أمور علمية منها مربوطة بأوضاع السماوات والأرض . يعني إن الشياطين المنتشرين في الأرض الصاعدين في الجو لاستراق السمع قرنا رجمها ودفعها بالنيازك والشهب الناشئة من تلك الكواكب . وليس معناها أن تلك المصابيح تنقض ذواتها وترجم الشياطين ، ولا أنها لم تكن قبل الإسلام وإنما حدثت بعد مجيىء الإسلام حتى يقال إن المصابيح والنيازك وجدت في العهود السابقة أيضا ، ولا أنها ليس لها فائدة إلا رجم الشياطين فيجوز أن يكون لها فوائد أخرى ايضا . (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي وهيأنا لتلك الشياطين عذاب النار المسعرة الملتهبة المشتعلة في الآخرة .

(وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(٦) اذا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لها شَهِيقاً وهي تَفُورُ(٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا : أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ(٨) قالوا : بلى قَدْ جاءنا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنا وَقُلْنا : ما نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ، إِنْ أَنْتُمْ إِلاّ في ضَلالٍ كَبِيرٍ(٩) وَقالُوا : لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا في أَصْحابِ السَّعِيرِ(١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِيرِ(١١)

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ؟)(١٤)

قوله تعالى (وللذين كفروا بربهم) يعني كما اعتدنا عذاب السعير للشياطين قرّر لكل مكلف من الذين كفروا بربهم وتمردوا عن أمره (عذاب جهنم وبئس المصير) جهنم (إذا ألقوا فيها) أي إذا طرحوا فيها (سمعوا لها) أي لجهنم (شهيقا) أي صوتا منكرا كشهيق الحمير (وهي تفور) أي ينفصل بعضها عن بعض (تكاد تميز من الغيظ) أي تكاد تتميز بعضها عن بعض من شدة فيها تشبه حالة الحي الغضبان (كلما ألقي فيها فوج) أي جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها : ألم يأتكم نذير ؟) يتلو عليكم آيات الله فتخافوا (قالوا) في جوابهم : (بلى قد جاءنا نذير) وتلا علينا آيات الله (فكذبنا) ه من سوء حظنا (وقلنا : ما نزل الله من شيىء) فضلا عن الآيات التشريعية (إن أنتم) أي ما أنتم أيها الرسل المنذرون (إلا في ضلال كبير وقالوا) بعد ذلك الاعتراف الخطير متندمين على ما فرّطوا (لو كنا نسمع) آيات الله أو (نعقل) ونتفكر في أنفسنا وفي الآفاق آمنا بالله وآياته و (ماكنا في) عداد (أصحاب السعير . فاعترفوا بذنبهم فسحقا) وبعدا (لأصحاب السعير) وفي تفسير البيضاوي هنا : والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل . وفي بعض نسخه : والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل فعلى الأولى جواب لما يقال إن اصحاب السعير هم الشياطين الذين في أعمق الدركات ، فكيف لف الكل وجعلهم من أصحاب السعير ؟ فأجاب بأن تغليب أصحاب السعير على غيرهم للايجاز وهو ظاهر ، ولإفادة المبالغة في عذاب سائر الكافرين فكأنهم ايضا أصحاب السعير ، ولتعليل سحقهم وبعدهم عن رحمة الله بأنهم من أصحاب السعير وممن يستحقون عذابها ، ولذلك سحقهم

وأبعدهم . وأما على النسخة الثانية فيريد أن أصل الكلام فسحقهم الله سحقا . وإنما غير الأسلوب وغير التركيب الفعلي بذكر المصدر النائب عنه للإيجاز وهو ظاهر ، وللمبالغة في تعذيبهم حيث ذكر السحق مبهما أولاً بدون بيان من يستحقه ، ثم قال لأصحاب السعير ولإفادة علة سحقهم وبعدهم عن رحمة الله وهو أنهم من أصحاب السعير وملازميها والكل مناسب لا غبار عليه .

(إن الذين يخشون ربهم بالغيب) أي حالكون الباري تعالى غائبا عنهم ، أو يخشونه بينهم وبين الله بالقلب (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (وأجر كبير) لا يستقصى حدّه (وأسرّوا قولكم أو اجهروا به) خطاب عام للمكلفين وتهديد للذين يضمرون السوء للرسول صلى الله عليه وسلم ولأصحابه أو لأهل الدين الصادقين ، ويؤيده أنها نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى إليه صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم لبعض : أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمّد فقيل لهم أسرّوا بذلك أو اجهروا فإن الله تعالى يعلمه (إنه عليم بذات الصدور) أي كلّ ما يجول في صدوركم ، وتقديم السر على الجهر للمبالغة والتأكيد في الأمر إشارة إلى أن السر لا يمتاز عن الجهر ، بل هما متساويان عندنا (ألا يعلم من خلق) الأعيان والأعراض ولا يحدث شيء في الكائنات إلا بإرادته المقرونة بعلمه وقدرته (وهو اللطيف الخبير ؟) المناسب بلطافته لدرك كل خفي والعالم لخبرته لكل شيء .

(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ، وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ؟

فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ؟ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ ؟ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ؟)(٢٢) .

قوله تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) أي منقادا للاستثمار والاستغلال بسبب ما فيها من المعادن والنبات والأشجار القابلة للاستفادة ، والأراضي المناسبة للحرث والغرس وغير ذلك (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) أي انتفعوا بما يستفاد منها بالأكل أو غيره (وإليه النشور) أي المرجع بعد البعث . (أأمنتم من في السماء) أي في السماء أمره ونفاذ قدرته وتأثيره في خلقه وقوله تعالى (أن يخسف بكم الأرض) بدل اشتمال من من ، وجوز أن يكون على حذف الجار ، أي من أن يخسف بكم الأرض . ومحله حينئذ هو النصب أو الجر والباء للملابسة ، والأرض مفعول به ليخسف ، والخسف قد يتعدى ، يقال خسفه الله تعالى وخسف هو . قال تعالى فخسفنا به وبداره الأرض . أي أأمنتم من أن تذهب الأرض إلى سفل متلبسة بكم (فإذا هي) أي الأرض (تمور) أي ترتج وتهتز اهتزازا شديدا ، وأصل المور التردد في المجيء والذهاب (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أي حجارة كقوم ثمود (فستعلمون كيف نذير ؟) .

(ولقد كذب الذين من قبلهم ، فكيف كان نكير ؟) أي الإنكار عليهم بإنزال العذاب (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) أي باسطات أجنحتهن (ويقبضن ؟) أي قد يضممن أجنحتهن (ما يمسكهن) في الجو (إلا الرحمن) بقوته ورحمته (إنه بكل شيء بصير) ويقدر على كل شيء (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور . أم من هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجوا في عتو ونفور) أي بل ألحوا وتمادوا في عناد واستكبار ونفور عن الحق لغرورهم وقوله تعالى (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ؟) يعني أن المؤمن الصادق الذي آمن بالله ورسله كمن يمشي خبيرا بصيرا على صراط مستقيم ، وغيرهم كمن يمشي بطريق الإكبار على وجهه (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم ؟) ولاشك أن الماشي على الصراط المستقيم يصل إلى منزله بنية قوية ودين قويم .

(قُلْ : هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ (٢٣) قل : هُوَ الَّذي ذَرَأَكُمْ فِي الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرونَ (٢٤) ويقولُون : مَتى هذا الوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (٢٥) قُلْ : إِنَّما العِلْمُ عِنْدَ اللهِ وإِنَّما أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٦) فلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وقِيلَ : هذا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللهُ وَمَنْ مَعِي أَو رحِمَنا فَمَنْ يُجِيرُ الكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ؟(٢٨) قُلْ : هُوَ الرَّحْمن آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنا ، فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ في ضَلالٍ مُبِينٍ (٢٩) قُلْ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ ماؤكم غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بماء معين ؟)(٣٠)

قوله تعالى : (قُلْ هو الذي أنشأكم وجَعَلَ لَكم السمعَ والأبصارَ والأفئِدة) يعني : إن الله سبحانه وتعالى هو الذي كان ويكون وسيكون مبدأ لكل نعمة واصلة وفائضة من رحمته سواء كانت إيجادا وإنشاء لذواتكم أو لحواسكم ومشاعركم من السمع والأبصار والأفئدة أو إبداعا لفضائلكم النفسية المادية والمعنوية القدسية أفلا تشكرون ذلك الخالق الواجب الوجود المنبع لكل خير وجود (قليلا ما تشكرون) لأنه قال وقليل من عبادي الشكور (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) أي خلقكم ونشركم فيها (وإليه تحشرون) لجزاء أعمالكم (ويقولون) أي أولئك الكافرون (متى هذا الوعد) أي اليوم الموعود لجزاء الأعمال (إن كنتم صادقين) أيها الرسول ومن معه (قل) يا حبيبي جوابا : (إنما العلم عند الله) عز وجل وهو من العلوم المستأثرة (وإنما أنا نذير مبين) لكم أنذركم بأنه سيوافيكم بلا شك (فلما رأوه) يعني ثم أتاهم اليوم (فلما رأوه زلفة) أي ذا زلفة وقرب (سيئت) وتعبست وتغيرت وتكدرت (وجوه الذين كفروا . وقيل : هذا الذي كنتم به تدعون) أي تطلبونه في الدنيا وتنكرونه .

ولما كان كفار مكة يدعون على الرسول ومن معه بالهلاك والدمار نزل (قل : أرأيتم إن اهلكني الله ومن معي أو رحمنا) ونجانا ونصرنا عليكم (فمن يجير الكافرين) ويحفظهم (من عذاب أليم) موعود لهم ؟ أي فمن يجيركم ، لكن أراد تسجيل الكفر عليهم بالتعميم حتى يثبت لهم العذاب الأليم في نار الجحيم . (قل : هو الرحمن) أي المنجي لنا هو الرحمن (آمنا به وعليه توكلنا) لا على غيره (فستعلمون من هو في ضلال مبين) أأنتم وقد كفرتم بربكم ؟ أم نحن وقد آمنا برب العالمين ؟ (قُلْ : أرأيتم إن أصْبَحَ ماؤكم غوراً) أي غائراً أي ذاهبا في الأرض لا تناله وسائل الاستخراج ، أو أمحاهْ وما أمكن استحصاله (فمن يأتيكم بماء معين ؟) جارٍ بحيث يستفاد منه والجواب السالم المتين : الله ربنا ورب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

(ن ، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ(١) ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ(٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ(٣) وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ(٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ(٥) بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ(٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(٧) فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ(٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ(٩) وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ(١٠) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ(١١) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ(١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذلِكَ زَنِيمٍ(١٣) أَنْ كانَ ذا مالٍ وَبَنِينَ(١٤) إِذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا قالَ : أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ(١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ)(١٦) .

قوله تعالى (ن) الله أعلم بمراده منه (والقلم وما يسطرون) أقسم الباري سبحانه وتعالى بقلم اللوح الذي جاء في الأخبار أنه أول شيء

خلقه الله تعالى ، أو قلم الكرام الكاتبين ، أو قلم كتابة الكتب المنزلة من الله تعالى إلى المرسلين ، أو قلم الكتاب لكل ما فيه خير في الدنيا وصلاح في الدين ، ولاسيما أقلام العلماء الأعلام الذين ألفوا وهذبوا ونشروا العلم والحكمة في ربوع العالم • وعلى كل حال فالقلم جهاز شريف من أجهزة التثقيف والتعليم وعليه مدار سعادة البشر وصيانته عن الخطر ويليق بأن يقسم به رب العالمين (وما يَسْطُرون) بالقلم والمُقسم عليه (ما أنتَ بنعمةِ ربك بمجنون) •

وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) اركان الكلام فيه ما أنت بمجنون والباء لتأكيد النفي والباء في بنعمة إما للملابسة أي ما أنت بمجنون مع ملابستك لنعمة ربك الذي فضّلك واختارك وأرسلك رحمةً للعالمين ، أو للسببية أي بما أنه أنعم عليك بما شاء فاختارك من الخلق للنبوة والرسالة والقدر والجلالة والكرامة والشهامة ، وزينك بزينة المزايا الكريمة والصفات العظيمة (وإن لك) على أتعاب التبليغ ونشر القرآن البليغ وجهادك في سبيل تنوير العباد (لأجرا غير ممنون) غير منقطع ولا ممنوع (وإنك لعلى خلق عظيم) لا يعلم بنتائجها القيمة إلا الله العليم ، فجميع المعجزات التي أوتيتها من الإمدادات الخارجية في كفّة والقرآن في كفّة ، وخلقك القرآن •

(فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ؟) أي أن الكلام والاستدلال إذا لم يُفدْ ولم يقنع أولئك الجاهلين الطّاعنين في خلقك بالجنون (فستبصر) أنت بالعيون (ويُبْصرون) بها (بأيّكم) الفتنةُ والجنون إن كان المفتون مصدرا على وزن المفعول كمَعوْن وإن كان اسم مفعول فالباء في أيّ زائدة أي فستبصر ويُبْصرون أيّكم المفتون هل أنت والحال ، تعلو على قِمم المَعالي وقلبِ العالم من الظلمات إلى النّور ومن الفوضى الى الدستور ومن الجهل إلى العلم ؟ أو هُمْ وَهُم في هم الشّهواتِ النفسيّة

والدنايا لا يعلمون من حَياتهم إلاّ إشباع النّفس من الشّـهوات وقضاء الحياة في الغفلة والغمرات !؟ ثم إنك تنظر بالعينين ، وتعمل باليدين عين إلى الحال وأخرى للمستقبل ويد للكتاب ، ويد للسّيف والمحراب ، ولك قلب منور يتفكر في عالم الشهادة والغيب ويرى يوم حسـاب الأعمال ، ومدى مسئولية المكلّف في الأفعال وهم عُمْيٌ عن ذلك فهل أنتَ مجنـون أوْ عدوك الغبي مجنون ؟

وقوله تعالى : (إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيلـه وهو أعلـم بالمهتدين) جملة مستأنفة مبينة لأحوال الفريقين • يعني هو سبحانه وتعالى أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدي إلى السعادة ومن اهتدى إليه ، وليس أحد غيره يعلم هذا الأمر بالحقيقة مثله • فلما هداك ذلك الرب الأعلم إلى السبيل السليم الأسلم (فلا تطع المكذبين) بالله ورسوله والمنحرفين عن سبيلـه (ودّوا) وتمنوا (لو تدهن) وتلين معهم (فيدهنون) أي فيلينون لكي تنبه وتوجه إلى الحق القيوم ولا تسمع كلامهم ، إلا إذا عرفت في الحق مرامهم فإذا علمت أنهم مالوا إلى الحق فتوجه إليهم واستمع لما لديهم (ولا تطع كل حلاّف) كثير الحلف في الحق والباطل (مهين) حقير في الرأي والتدبير (همّاز) طعان في الناس (مشاء بنميم) كثير المشي والمرور بينهم بإلقاء الأخبار المشوشة للعقول والمثيرة للناس بعضهم على بعض (مناع للخير) أي مناع للناس عن الخير الواصل إلى الغير قولا أو فعلا ، جاهاً أو مالا ، علاوة على امتناعه في ذاته عن ذلك (معتد) متجاوز على الناس بالظلم والعـدوان (أثيم) كثير الإثم (عتّل) هو الشديد الفاتك أو الشديد الخصومة بالباطل أو الفاحش اللئيم أو هو الذي يعتل الناس أي يجرهم إلى الحبس والأذى •

وقوله (بعد ذلك زنيمٌ) أي وبعد ذلك المذكور من المثالب والعيوب زنيم أي دَعِيٌّ ملحَق بقَوم ليس منهم ، ومن لم يولد على فراش أبيه ولم يأخذ

التربية من أمه وأبيه وأعمامه وذويه ليس غالبا كما تبتغيه . وقوله (أن كان ذا مال وبنين) بتقدير اللام تعليل للنهي أي لا تطعه لكونه ذا مال وثروة وبنين وقوة فإن قوة الله فوق كل قوة ، لأن ذلك الرجل من أكفر الكافرين (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي هي عبارات متوارثة من الناس الأقدمين يتناولها الناس ويتداولونها جيلا بعد جيل فلا تهتموا بها . وهذا الكلام كلام خارج عن أصول أولي العقول والأفهام لأن آيات القرآن لم يكن يحفظ شيىء منها قبل بعث الرسول ، ولم يكـن متداولا بين الناس ، وعندما نزلت نزلت غضة طرية ذات مهابة وقوة قدسية وبلاغة لها آثار نفسية ، بحيث عجـز عن مقابلتها الادباء والخطباء أصحاب البلاغات الشخصية ، وأما إذا نظرت إلى المعاني فأي كلام جديد أو قديم إذا وجدته داعيا إلى رعاية الحق والشعور بالمسئولية ورعاية الحقوق الاجتماعية وجب أن يحترم ويقدس ، فإن حكمة الحكماء وعلوم العلماء الأولين لها مكانتها في الصدور ومغزى آيات القرآن الكريم كان كذلك ، فالطعن فيه بالعبارات الفاسدة عمل فاسد ولا ينبغي أن يصغى إلى كل جاهل جاحد ، وإنما العبرة بالعقل والعلم والاستدلال ، وما عدا أهل العقل والعلم فهم في ضلال والعياذ بالله .

ثم نزلت من هذه الآيات التي كان يطعن فيها الجاهل آية كانت مخبرة عن الغيب ، ثم وقع مضمونه في المستقبل بلا ريب . وهو قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) أي سنحقره في الآخرة ونذله بحيث يُهان ويخزى بأن نكويه في جهنم على خرطومه أي أنفه . وفي التعبير تحقير بليغ له ، لأن الخرطوم لا يستعمل إلا للفيل وهو حيوان كبير الجثة مختص بخواص يعرفها أهلها . ومعناه أن هذا الإنسان العظيم في الهيكل والقامة التي تشبه الفيل لا يعتنى به ، وهو مهان ، وفي الوقت عينه كان في الآية إخبار بالغيب لأنه أصيب يوم بدر بضرب على خرطومه وبقي أثره إلى أن مات . وهـذا الرجل كان اسمه

وليد بن المنيرة ، يقال أنه تبناه وألحقه بنفسه ، ولكن الذي يظهر حسب التأريخ أنه ولد على فراش أبيه •

روي أنه لما نزلت الآية قال لأمه : إن محمدا وصفني بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها ، فإن لم تصدقيني الخبر ضربت عنقك • فقالت له : إن أباك عنين فخفت على المال ، فمكنت الراعي من نفسي فأنت منه ، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية •

(إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ(١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ(١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ(٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ(٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ(٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ(٢٣) : أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ(٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ(٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا : إِنَّا لَضَالُّونَ(٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ(٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ : لَوْلَا تُسَبِّحُونَ !؟(٢٨) قَالُوا : سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ(٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ(٣٠) قَالُوا : يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ(٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ(٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ ، وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)(٣٣)

قوله تعالى (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) يريد سبحانه وتعالى أنا للناس بالمرصاد علمنا بنوايا المشركين وعدائهم للدين فابتليناهم بالقحط

والجدب ، كما بلونا أصحاب الجنة الذين غيروا نواياهم مع الله فابتليناهم بآفة أفسدت ثمار بستانهم ، وبعد ذلك تندموا واستغفروا . وقوله تعالى (إذ أقسموا ليصرمنّها مصبحين) أي حلفوا أنهم يقطعون ثمار جنتهم إذا دخلوا في الصباح (ولا يستثنون) أي لا يقولون إن شاء الله ، كأنهم لا يهتمون بتقدير الباري (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) يعني فأحاط بجنتهم ونزلت عليها نازلة من الله سبحانه وتعالى بالليل وأصحاب الجنة نائمون غافلون عن كل شيء (فأصبحت كالصريم) أي فأصبحت الجنة بهذه النازلة كالبستان الذي قطع ثماره ولم يبق فيه شيء (فتنادوا مصبحين : أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين) أي فنادى بعضهم بعضا عندما دخلوا في الصباح أي اذهبوا إلى بستانكم إن كنتم صارمين قاطعين ثماره (فانطلقوا) فقاموا واستعدوا واجتمعوا وانطلقوا إلى البستان (وهم يتخافتون) أي يتشاورون بينهم سرا (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) حتى لا يطلبوا منا الحقوق المعتادة المشروعة (وغدوا على حرد) أي وغدوا مستمرين على حرد المساكين ومنعهم حالكونهم (قادرين) عليه . أو غدوا قادرين على حرد ، أي ذهبوا صباحا حالكونهم قادرين على منع المساكين .

(فلما رأوها) أي الجنة (قالوا : إنا لضالون) طريق البستان ، أي فلما دخلوا على محل البستان مارأوا شيئا ، فقالوا : إنا تائهون وضيعنا طريقها وهذا المحل ليس محل بستاننا . ولما نظروا إلى أطراف الجنة ومنارها وشعارها وجدوها كما كانت ، وعلموا أن الجنة عين الجنة فقالوا : (بل نحن محرومون) من ثمارها يعني ضيعها الله تعالى ولم يبق منها شيء يلتقط لنا .

(قال أوسطهم) أي أشرف أصحاب الجنة وأحسنهم عقلا ورأيا (ألم أقل لكم : لولا تسبحون ؟) أي لولا تذكرون الله وتتوبون عن هذه النية الفاسدة ، نية منع المساكين ! (قالوا : سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) بقصد منع

المساكين عن تسلم الحقوق المشروعة (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أي يلوم بعضهم بعضا (قالوا : يا ويلنا إنا كنا طاغين) أي متجاوزين حدود الله تعالى في منع الفقراء عن الحق المشروع لهم . ولذلك رمى الله تعالى بستاننا بمنع أشجارها وثمارها (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) نترجى أن يعطينا ربنا بدلا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون . (كذلك العذاب) أي العذاب كذلك أي عذاب أهل الجنة كعذاب أهل مكة ، أو عذاب أهل مكة كعذاب أصحاب الجنة وهما متقاربان (ولعذاب الآخرة) وهو العذاب النازل المؤبد على الكفار أكبر من العذاب الدنيوي (لو كانوا يعلمون) ذلك لانزجروا .

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ؟(٣٥) مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ؟(٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ؟(٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ(٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ ؟ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ(٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ؟(٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ(٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ(٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ(٤٣) فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ(٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ)(٤٥) .

قوله تعالى (إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم) يعني إن للمتقين عن الكفر (عند ربهم) في جوار رحمته في الآخرة (جنات النعيم) أي جنات فيها نعيم خالص عن شوب الكدورات النفسية ، والأمراض البدنية ، والخوف عن الزوال وهـذا فضل منا بمقتضى حكمتنا وعدلنا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟) أي نعذبهم مثلهم حاشا (ما لكم كيف تحكمون ؟) أتى بهذه الفقرة إشعاراً بأن تلك التسوية مخالفة لحكمة الباري في شئونه (أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟) أي تدرسون فيه أي تقرأون (إن لكم فيه لما تخيرون) أي للذي تختارونه وتشتهونه (أم لكم أيمان علينا بالغة) أي بالغة أقصى درجات التوكيد مستمرة (إلى يوم القيامة) لا تنتقض في أي وقت (إن لكم لما تحكمون) جواب القسم • (سلهم أيهم بذلك) أي يا حبيبي سل الكفار الموجودين أيهم بذلك (زعيم) أي أيهم كفيل على ذلك ؟ (أم لهم شركاء ؟) يشاركونهم في هذه العقيدة وفي هذا القول (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) في دعواهم ، إذ لا أقل من التقليد •

(يوم يكشف عن ساق) متعلق بقوله تعالى فليأتوا ، أي يوم يكشف الستر عن ساق الجد ويجبرون بكل قوة (ويدعون إلى السجود) أمام عظمة الله يوم القيامة (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه (خاشعة أبصارهم ترهقهم) أي تغشاهم ذلّة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) في الدنيا مع أنهم لا يسجدون استكبارا وعنادا ! فكيف يطلق سراحهم ليسجدوا أمام الباري يوم اللقاء (فذرني) يا حبيبي (ومن يكذب بهذا الحديث) وحوّل أمره إليّ (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أنه استدراج بل يزعمون أن ذلك تقدير وترفيع شأن وجاه ومقام (وأملي لهم) أي وأمهلهم ليزدادوا إثما (إن كيدي متين) قوي لا يدفع بشيىء وتسمية ذلك كيدا للمشاكلة •

(أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ(٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ)(٤٧)

(أم تسئلهم أجرا ؟) على الإرشاد وتبليغ الأحكام (فهم من مغرم) أي غرامة مالية (مثقلون . أم عندهم الغيب ؟ فهم يكتبون) ويستغنون بذلك عن علمك وإرشادك .

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ(٤٨) لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالعَرَاءِ وهو مَذْمُومٌ(٤٩) فاجْتَبَيهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ(٥٠) وإنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ ويَقُولُونَ : إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ(٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلعَالَمِينَ)(٥٢) .

قوله تعالى (فاصبر لحكم ربك) نزل عندما أراد صلى الله عليه وسلم أن يدعو على ثقيف لما آذوه حين عرض نفسه على القبائل بمكة . فيقول الباري تعالى فاصبر لحكم ربك بالإمهال لهم مدة من الزمان بلا عذاب (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام (إذ نادى وهو مكظوم) أي مملوء غيظا على قومه وحقداً على تأخر العذاب عنهم (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه (لنبذ) عن بطن الحوت (بالعراء) أي الصّحراء الخالية عن الشراب (وهو مذموم) حال وقيد لعامله أي نبذ بالعراء والحال أنه مذموم لكن الفضل والرحمة منه ساعدته وهو قد نبذ بالعراء بدون أن يكون مذموما فاجتباه ربّه واختاره وجعله إنساناً معتدلا فجعله من الصّالحين .

(وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) كلمة إن مخففة من المثقلـة أي وإنه قارب أن يزلقك الكفار عند سماع القـرآن الكريم منك من قوة الحسد والبغض فيهلكوك (ويقولون) من حيرتهم في أمرك وعدم فهم الحقائق (إنه) أي إن محمدا (لمجنون) مختل العقل (وما هو إلا ذكر للعالمين) أي وليس هذا القرآن الكريم الذي تقرأه إلا ذكرا للعالمين ليكون منورا للقلوب وموجها لأهل العقل والإنصاف إلى العقائد السليمة والأحكام الحكيمة فكيف يكون الآتي بهذا الذكر الحكيم مجنونا مـع أن الحكمة معدنها العقل السليم والطبع المستقيم وذلك معلوم عند كل عليم •

سورة الحاقة ، مكية ، وآياتها اثنتان وخمسون ، نزلت بعد سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

(الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)
كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا
بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦)
سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً ، فَتَرَى
الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى
لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ
بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١)
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)(١٢) .

قوله تعالى (الحاقة) أي الساعة أو الحالة أو الحادثة التي حقت في علم الله وتحق في مستقبل الزمان (ما الحاقة) هذه الجملة مبتدأ وخبر وقعت خبرا للمبتدأ الأول ، واستغنى عن الرابطة بتكرار المبتدأ نفسه (وما أدريك)

أي وما أعلمك وأخبرك (ما الحاقة) أي أنها حادثة لا يعلم حقيقتها وما يقع فيها إلا الله سبحانه . وقوله (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) وإن كان شروعا في بيان تكذيب الأمم المتمردة بالحاقة الا أنها وقعت في جواب سؤال الباري ، فإنه لما قال وما أدريك ما الحاقة أجاب عن ذلك السؤال بهذه أي إن الحاقة حادثة مهولة مهيبة مدهشة كذبت ثمود وعاد وسائر الأمم الطاغية بها، فالقارعة مثل الحاقة لقب للساعة ، ووجودها في ذلك المحل إظهار في مقام الإضمار (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بالحادثة المتجاوزة عن الحد وهي الصّيحة المفزعة المهلكة ، وهي صيحة جبريل عليه السلام بأمر صدر بها من الله (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت أو شديدة البرد (عاتية) شديدة العصف أو العتو والظلم (سخرها) الله تعالى (عليهم سبع ليال وثمانية أيام) بدأ من صباح الأربعاء إلى مساء الأربعاء بعد . وقوله (حسوما) أي متتابعات (فترى القوم فيها) إن كنت حاضرا إذ ذاك (صرعى) أي هلكى أي واقعين (كأنهم أعجاز نخل خاوية) أي أصول نخل خاوية خالية الأجواف من المادة الخشبية أي أحرقت الريح والعياذ بالله بواطن الناس فوقعوا على الأرض أمواتا (فهل ترى لهم) أي لقوم عاد (من باقية) أي من بقية على الأرض تحكي لك ما جرى عليهم .

(وجاء فرعون ومن قبله) كقوم عاد وثمود (والمؤتفكات) أي قرى قوم لوط المسميات بالمؤتفكات لانقلابها بحادثة التدمير (بالخاطئة) أي بالخطأ على أنه مصدر أو بالأفعال الخاطئة ذات الخطأ والفساد (فعصوا رسول ربهم) أي فعصت كل أمة رسولها (فأخذهم أخذة رابية) أي زائدة عالية في الشدة . ثم ذكر بعض أحوال الأمم السابقة ، فقال : (إنا لما طغى الماء) وتجاوز حده المعتاد (حملناكم في الجارية) أي في السفينة الماشية على وجه الماء أو على سطحه (لنجعلها لكم تذكرة) أي مذكرة لكم في التفكر ، وعبرة لكم في

التأثر ، وطريقة لكم في تدبر عظمة الله كيف ألهم نوحا صنع السفينة ووفقه على إكمالها وإعدادها لليوم المعين . وكيف دمر أعداءه بما قطع نسلهم عن أصلهم واستأصلهم وليعلموا أن جنود الله لا تحصى وبلاياه لا تستقصى ، وأنه بالمرصاد للعباد (وتعيها أذن واعية) أي وتحفظ تلك الحادثة المدهشة العالمية أذن واعية حافظة للنصائح وراعيــة لها بعناية تامة . والقوم الذين كذبوا بالحاقة دمرناهم قوما بعد قوم إلى أن يأتي ذلك اليوم .

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ(١٣) وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً(١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ(١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ(١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا ، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ(١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ(١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه(١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَه(٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ(٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ(٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه(٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه(٢٦) يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ(٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَه(٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَه(٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ(٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ(٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ(٣٢) إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ(٣٣) وَلا يَحُضُّ

على طَعَامِ المِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ اليَوْمَ هٰهنا حَمِيمٌ (٣٥)
ولا طَعَامٌ إلا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يأكُلُهُ إلا الخاطِئُونَ)(٣٧)

قوله (فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وذلك عبارة عن النفخة الأولى المغيرة لصورة العالم التي تكون من اسباب موت الحيوانات وانقلاع الجبال (وحملت الأرض) أي زلزلت الأرض بحيث ترى كأنها منقلعة مرتفعة هي وما عليها من الجبال (فدكتا دكة واحدة) أي فضربت المجموعتان أثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تمزقتا (فيومئذ وقعت الواقعة) أي حصلت الحاقة ووقعت الواقعة (وانشقت السماء) تفطرت وتميز بعضها عن بعض (فهي يومئذ واهية) أي ضعيفة أيام القدرة (والملك على أرجائها) أي اطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) أي فوق رؤوسهم (يومئذ ثمانية) منهم وترتيب الحمل ، وأسماء الحملة ، وسر زيادة الحَمَلَة من الأربعة إلى الثمانية عند الله تعالى ، آمنا به وخولنا علمه إليه (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أي في ذلك الوقت تعرضون للحساب وتحاسبون ، ولا تخفى منكم نفس خافية ، لا يمكن ان تتستر أو تعرضون للحساب ، لا تخفى خافية من أسراركم أبدا . فينقسم الناس قسمين لتناول دفاتر الأعمال .

(فأما من أوتي كتابه بيمينه) فيقال لهم (هاؤم اقرأوا كتابيه) ها اسم فعل الأمر بمعنى خذ ، وفيها ثماني لغات ، منها أن تلحق الألف كاف الخطاب الحرفية كما في ذلك وتصرفها: نحو هاكَ، هاكما، هاكم، هاكِ، هاكن. ومنها أن تلحقها بدل الكاف ميم وتصرفها : نحو هاء ، هاؤما ، هاؤم ، هاء ، هاؤنّ .
(إني ظننتُ أنّي ملاقٍ حسابيه) أي علمت أني أحاسب وألاقي يوم حسابي حسبما أخذته من ديني واعتقده وكنت مؤمنا بيوم القيامة وما يجري فيه (فهو في عيشة راضية) أي مرضية (في جنة عالية) مرتفعة المكان (قطوفها) أي مايجتنى

من ثمارها (دانية) قريبة يتناول الرجل منها وهو قائم • وقال بعض يدركها القائم والقاعد والمضطجع ، ويقال لهم من جانب خازن الجنة : (كلوا وشربوا) اكلا أو شربا (هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي بسبب ما قدمتم لكم من الأعمال الحسنة في الأيام السابقة (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول) عند الاطلاع على أحواله وسوء أعماله : (يا ليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه) لاستيائه من اطلاعه (يا ليتها كانت القاضية !) أي كانت الموتة الأولى هي القاطعة لأمري ونهاية عسري (ما أغنى عنى ماليه) أي ما ثبت واستقرلي من أموال الدنيا • فما موصولة ، ولي جارّ ومجرور ، والهاء للوقف (هلك عني سلطانيه) أي ضاع مني حجتي وبرهاني على أماني • فيقال من جانب مأمور جهنم (خذوه فغلوه) أي شدوه بالأغلال (ثم الجحيم صَلّوهُ) على باب الاشتغال (ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) أي فأدخلوه (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين) أي ولا يحث على بذل الطعام للجياع المحتاجين (فليس له اليوم ههنا حميم) أي قريب يهتم به ويفيده (ولا طعام إلاّ من غسلين) على وزن فعلين من الغسل ، قالوا : إنه ماء ودم يخرج من الجراحات (لا يأكله إلا الخاطئون) أي أصحاب الخطايا الكثيرة من خطىء الرجل إذا تعمّد الذنب •

(فلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ(٣٨) ومالا تُبْصِرُونَ !(٣٩) إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(٤٠) وما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قليلاً مَّا تُؤْمِنُونَ(٤١) ولاَ بِقَوْلِ كاهِنٍ قَليلاً ما تَذَكَّرونَ(٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ(٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيل(٤٤) لأَخَذْنَا مِنْهُ باليَمِينِ(٤٥) ثمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الْوَتِينَ(٤٦) فما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ(٤٧) وَإِنَّهُ

لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩)
وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ)(٥٢) .

قوله تعالى (فلا اقسم) نزل على ما قاله مقاتل في رد قول ثلاثة رجال : الوليد بن المغيرة ، وقال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر . وأبي جهل وقال : إنه شاعر . وعتبة وقال : إنه كاهن . فرد الله تعالى عليهم جميعا ، وقال : (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) أي ما تبصرون من آثار قدرة الله ومالا تبصرون من أسرار قدرته . وقيل الخلق والخالق ، وقيل الأجسام والأرواح ، وقيل الإنس والجن والملئكة . وقيل : النعم الظاهرة والباطنة . وقيل : الدنيا والآخرة ، أو ما تبصرون من المشاهدات ومالا تبصرون من المغيبات وهذا شامل للكل .

(إنه) أي القرآن (لقول رسول) من الله إلى كافة الإنس والجن للارشاد إلى سعادة الدارين (كريم) صاحب كرامة عند الله فحلاّه بالصفات الحسنة والغرائز المستحسنة ، أي قول يجري على لسانه تلقاه من الملك الأمين المأمور بإنزاله ، وقد أخذه من اللوح بأمر من ربه ، فنزل به على الرسول المبعوث رحمة للعالمين (وما هو بقول شاعر) أي ليس الكلام المنزل شعرا ، ولا الشخص المنزل عليه شاعراً . أما أن المنزل ليس شعرا فلأنه يجب أن يكون خاضعا للتوزينات والتقفيات والشروط المقررة أدبا وليس القرآن كذلك . وأما المنزل عليه فلأنه هو رجل لم يتعاط الأشعار ، ولم تكن له فيه يد ولا اصطناع ، ولم يكن له اختلاط بأهله ، ومسلكه مسلك الإرشاد والاعتدال وعدم التحيز إلى جانب من الجوانب ، وليس له علاقة اجتماعية بالناس من هذا الباب ، لكنكم (قليلا ما تؤمنون) أي في قليل من الاحوال

والاوقات تؤمنون وتصدقون بالله وكلامه وسلبه وايجابه والكلام معكم انما هو وظيفة أهل الارشاد (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) لأن الكهانة موقوفة على أمور تبعد عن هذا الرسول الكريم بمقدار بعد الثرى عن الثريا ، ثم الكهنة يبتغون من وراء الكهانة خروجهم من الفقر والمهانة والاستيلاء على أموال الناس • وأين ذلك ممن لا قيمة عنده للشمس والقمر اذا جعلا في كمّ قميصه في مقابل دعوته إلى ربه وتقديسه ؟! بل هو (تنزيل من رب العالمين) إلى رسوله الصادق الأمين ، ولاشك أنه ليس سحرا ، فإن السحر عمل باطل مبني على مقدمات مخالفة للحق باطلة ، والسحر من المكسوبات الإنسانية المحرمة ، وهذا بعيد من هذا السيد السعيد بكل معنىً • (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل) أي ولو افترى علينا بعض الافتراءات لأنّ الأقاويل جمع الأقوال المفتراة (لأخذنا منه) أي لأمسكناه وقوله (باليمين) بيان بعد الإبهام كما في قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك ؟) فإن قوله ألم نشرح يفيد شرح شيىء ما وقوله صدرك بيان لذلك المبهم • وعن الحسن أن المعنى لقطعنا يمينه ، ثم لقطعنا وتينه عبرة ونكالا ، والباء زائدة • وعن ابن عباس بمعنى القوة • والمعنى أخذه بعنف وشدة • والوتين نياط القلب الذي إذا انقطع مات صاحبه • وعن محمد أنه الحبل الذي في الظهر وهو النخاع (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي فما من أحد منكم حاجزين عنه أي ما أمكن لأحد منكم أن يمنع انتقامنا عنه • (وإنه) أي القرآن (لتذكرة للمتقين) أي وانه مذكر المتقين بوجوب طاعة الله والاستمرار على الدين (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وإنه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدة ثواب العاملين به (وإنه لحق اليقين) أي وإنه لليقين

الذي لا يقين فوقه . ومعنى كونه يقينا أن إسناده إلى الله وكونه كلام الله حق بلا شبهة .

وذكر بعض المحققين أن أعلى مراتب العلم حق اليقين ، ودونه عين اليقين ، ودونه علم اليقين . فالأول كعلم العاقل بالموت عند ذوقه ، والثاني كعلمه به عند معاينة ملائكة الموت ، والثالث كعلمه به في سائر أوقاته أي قبل موته (فسبّح باسم ربك العظيم) أي فسبح الله تعالى بذكر اسمه العظيم .

سورة المعارج ، مكية ، وآياتها اربع واربعون ، نزلت بعد سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ(١) لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ(٢) مِنَ اللهِ ذِي الْمَعارِجِ(٣) تَعْرُجُ الْمَلٰئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ(٤) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً(٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً(٦) ونَراهُ قَرِيباً(٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ(٨) وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعِهْنِ(٩) وَلا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حميماً(١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ ، يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ(١١) وَصاحِبَتِهِ ، وَأَخِيهِ(١٢) وفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ(١٣) ومَنْ في الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ(١٤) كَلا إِنَّها لَظى(١٥) نَزّاعَةً لِلشَّوى(١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلّى(١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعى(١٨) إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً(١٩) إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً(٢٠) وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً(٢١) إِلاّ الْمُصَلِّينَ(٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ

دائمونَ(٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ(٢٤) لِلسَّائِلِ والمَحْرُومِ(٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ(٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ(٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ(٢٨) والَّذِينَ هُمْ لِفُروجِهِمْ حَافِظُونَ(٢٩) إِلاَّ على أَزْوَاجِهِمْ أوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٣٠) فَمَنِ ابْتَغى وَرَاءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ العَادُونَ(٣١) والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وعَهْدِهِمْ رَاعُونَ(٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهاداتِهِمْ قَائِمُونَ(٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ(٣٤) أُولئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ)(٣٥) .

قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) أي دعا داع به ، فالسؤال بمعنى الدعاء . والسائل هو النضر بن الحرث كما روى النسائي وجماعة وصححه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال إنكارا واستهزاء : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . أي دعا وطلب داع كافر محقر مهين استهزاء وإنكارا بعذاب واقع (للكافرين ليس له دافع من الله) أي والعذاب لاشك في وقوعه وقوله (ذي المعارج) أي ذي الدرجات صفة لله تعالى (تعرج الملئكة والروح) أي جبريل لأخذ الأوامر والنواهي (إليه) أي إلى عرشه (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) أي من سنواتكم الظاهرة المعدودة . واليوم بمعنى الوقت ، والمراد به مقدار ما يقوم الناس فيه لرب العالمين إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار من اليوم الآخر الذي لا نهاية له . ويشير إلى هذا ما أخرجه الإمام أحمد ، وابن حبان ، وابو يعلى ، وابن جرير ، والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : سئل رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هـذا اليوم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » .

(فاصبر) يا رسولي على هذا النوع من الدعاء والطلب والاستخفاف بمواعيد الباري تعالى (صبرا جميلا) لا شكوى فيه إلى أحد غير الله تعالى (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أي إن الكفار يرون ذلك اليوم بعيدا ونحن نراه قريبا (يوم تكون السماء كالمهل) كخلط الزيت أي تتلين الى شمع مذاب (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المنفوش (ولا يسئل حميم حميما) أي قريب قريبا (يبصرونهم) أي يبصر الأحماء الأحماء فلا يخفون عليهم ، وما يمنعهم عن التساؤل إلا انشغالهم بأمر أنفسهم ، فإن لكل امرىء منهم يومئذ شأنا يغنيه (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ) أي يوم إذ ابتلي بالعذاب (ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤيه) أي وبعشيرته التي تؤويه إذا التجأ إليها (ومن في الأرض جميعا) أي ويفتدي عن نفسه بمن في الأرض جميعا (ثم ينجيه . كلا إنها لظى) أي النار الموعودة لأهلها لظى أي جهنم (نزّاعة للشوى) أي محرقة للأطراف من بدن الإنسان كاليد والرجل (تدعو مَن أدبَر وتولى) أي تدعو الزبانية إلى نار جهنم من أدبر عن الحق وتولى عن الطاعة (وجمع فأوعى) أي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ، ولم يؤد حقه .

ثم استأنف لبيان طبيعة الإنسان وأحواله وغرائزه الطبيعية فقال : (إن الإنسان خلق هلوعا) والهلع سرعة الجزع ولكن المعنى المراد هنا ما يستفاد مما بعده وهو قوله تعالى (إذا مسّه الشـر جزوعا) أي مبالغاً في الجزع (وإذا مسّه الخير منوعا) أي مبالغا في المنع . وتلك الغـريزة تقوى بترك العبادة من الصـلاة وغيرها فإن المشتغل بعبادته وذكره ينمو فيـه التوكل والاعتماد على الله ، فلا يغلب فيه الهلع والمنع لاسيما الصلاة التي هي معراج

المؤمن ولذلك قدمها وقال تعالى (إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) أي مواظبون على أدائها لا يخلون بها وبشئونها (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) أي المكفوف عن السؤال • (والذين يصدقون بيوم الدين • والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أي خائفون (إن عذاب ربهم غير مأمون • والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) من الجواري (فإنهم غير ملومين • فمن ابتغى وراء ذلك) أي لم يكتف بالتمتع من زوجته وجاريته (فأولئك هم العادون) أي المتجاوزون حدود الله (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشيىء من الأمانات وحقوقها •

والأمانات أنواع كثيرة ، ويدل على كثرتها ما رواه الكلبي كل أحد مؤتمن على ما افترض عليه من العقائد والأقوال والأحوال والأفعال ، ومن الحقوق في الأموال وحقوق الأهل والعيال وسائر الأقارب والجار وسائر المسلمين • وقال السدي : إن حقوق الشرائع كلها أمانات قبلها المؤمن وضمن اداءها بقبول الايمان • وقيل كل ما أعطاه الله تعالى للعبد من الأعضاء وغيرها أمانة عنده ، فمن استعمل ذلك في غير ما أعطاه لأجله وأذن الله فيه فقد خان الأمانة، والخيانةفيها، وكذا الغدربالعهد من الكبائر على مانص عليه غيرواحدٍ •

(والذين هم بشهاداتهم قائمون) أي مقيمون لها بالعدل (والذين هم على صلاتهم يحافظون ، أولئك في جنات مكرمون) عند الله وملائكته وعباده الصالحين •

(فمالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ؟(٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ؟(٣٨) كَلاَّ إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩)

فلا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ(٤٠) على أنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وما نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ(٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا ويَلْعَبُوا حتى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ(٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ(٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذلك اليَوْمُ الَّذِي كانوا يُوعَدُونَ)(٤٤) .

قوله تعالى (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أي مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) جمع عزة أي متفرقين أي جماعات متفرقة . روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند الكعبة ويقرأ القرآن، فكان المشركون يجتمعون حوله حِلَقاً حِلَقاً وفرقا يستمعون ويستهزءون بتلاوته صلى الله عليه وسلم ، ويقولون : إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فلندخلها قبلهم (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم ؟) أي بلا إيمان وأمان وعقل سليم (كلاّ) ردع لهم عما اقترحوه (إنا خلقناهم مما يَعلَمونَ) أي من أجل ما يعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل لا للبطر والاستهزاء بالبشر (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أي نهلكهم جميعا ثم نأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وما نحن بمسبوقين) أي بمغلوبين وعاجزين عن تنفيذ إرادتنا إذا شئنا (فذرهم) أي دعهم (يخوضوا) في باطلهم الذي لا باطل فوقه (ويلعبوا) كما يَهْوَن عليهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعَدون) وهو يوم البعث (يوم يخرجون من الأجداث) أي من القبور (سراعاً) أي مسْرعين (كأنّهم إلى نُصُبٍ يُوفضون) أي كأنهم يسرعون إلى أحجار مرتبة منصوبة لهم للعبادة (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي تغشاهم ذلة شديدة (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) .

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ(١) قالَ : يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ
نَذِيرٌ مُبِينٌ(٢) أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ(٣) يَغْفِرْ
لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ
اللهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(٤) قالَ : رَبِّ إِنِّي
دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهاراً(٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعاءِي إِلاَّ
فِرَاراً(٦) وإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصابِعَهُمْ
في آذانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا
اسْتِكْباراً)(٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهاراً(٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً(٩) فَقُلْتُ : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً(١٠) يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً(١١)
وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ

أَنْهاراً(١٢) مالَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقاراً ؟(١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً)(١٤) .

قوله تعالى (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه) قيل : هم سكان جزيرة العرب لا كل الناس لأن الرسالة العامة خاصة من خواص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والمشهور أنه كان يسكن أرض الكوفة (أن أنذر قومك) أي انذرهم من عذاب الله ، واردعهم عن الإشراك ، وادعهم إلى توحيد الله رب العالمين (من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم) عاجل وهو ما حل بهم من الطوفان (قال : يا قوم إني لكم نذير مبين : أن اعبدوا الله) أي اعبدوا الله على أن يكون أن للتفسير ، أو على عبادة الله أي اذا عبدتموه ووحدتموه فأنتم الطلقاء ، وإذا أنكرتموه أو عبدتموه وأشركتم به غيره فأنتم في شقاء (واتقوه) أي واتقوا مخالفته في الأوامر والنواهي (وأطيعون) فيما أبلغكم منه فإن الرسل هداة سبيل الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فإذا وافقتم على ذلك (يغفر لكم من ذنوبكم) أي بعض ذنوبكم وهو ما يتعلق بحقوق الله وحده ، وأما حقوق العباد في المعاملات والأحوال الجنائية والشخصية فعائدة إلى أصحابها إن عفوا عفوا ، وإن لم يعفوا وجب أداؤها لهم . (ويؤخركم إلى أجل مسمّى) هو الأمد الأقصى الذي قدّره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراءَ ماقدّره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان كما يقتضيه التعليق بالإيمان والطاعة .

وهذه الآية تحسم مادة الشبهة لمن قال ليس هناك أسبابٌ تكون أسباباً لزيادة العمر أو نقصها ، فإن تلك الشبهة اشتباه ناشىءٌ من إهمال الأسباب والشرائط . والحاصل إن الله تعالى عين أسبابا لأمور تتحققُ المسببات على تقدير وجودها ، وتنتفي عند انتفائها مع أن الأجل المعلوم عنده

واحد لأنه تعالى عالم بأن الشخص الفلاني يأتي بالأسباب أو يهملها وذلك مفهوم معلوم •

(إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) فإن مجيىء الأجل موقوف على تحقق الأسباب ومن أهمها تعلق إرادته تعالى بحصول المسبب عندها ، فإذا قرر أن موت فلان موقوف على إهمال التداوي والصدقات والدعوات وقد أهملت فالأجل محتّم (لو كنتم تعلمون) لسارعتم إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه •

(قال) نوح : (رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) في الآية الكريمة إيجاز الحذف أي فامتثل نوح أمرَ ربّه ، ودَعا قومَه ، وأنذَرَهم واجتهد في دعوته لهم ، فلم يفد فقال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهارا (فلم يزدهم دعائي إلا فرارا) أي ابتعادا مما دعوتهم إليه ، سواء بالذهاب إلى محل بعيد عنّي حتى لا يسمعوا كلامي ، أو بسدّ الآذان عن الاستماع ، أو بغيرهما كما قال (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم) أي بالغوا واجتهدوا في التغطي بها حتى لا ينفذ الصوت إلى أسماعهم (فأصروا) أي على الكفر والمعاصي والتمرد (واستكبروا) من إطاعتي (استكبارا) بالغا عَن العادة (ثم إني دعوتهم) زيادة على ما كان (جهارا) وأتيت بما يقنع المنصف لو كانوا يقتنعون (ثم إني أعلنت) في الأمّة كلها لا لجمع محدود أي قلت ما قلت ، ثم قلت ألا فليبلغ الشاهد الغائب (وأسررت لهم) لبعضِ مَن أظن فيه الإجابة والقبول (إسرارا) لطيفا بصورة شريفة ، وفهمتهم فوائد إجابة أمر الباري تعالى ومفاسد رفضه (فقلت) لهم (استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا) أي كثير الدرّ والخير بإنبات النبات ، وتنمية الأشجار ، وفوران العيون ، وزيادة مياه الوديان (ويمددكم بأموال) من الأنعام والمزارع والبساتين والمتاجر

(وبنين) لأن الإنسان المتمكن يتزوج حسب طاقته النفسية والاقتصادية فيولد له الأولاد إلى ما شاء الله (ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) وتستغلونها في وجوه المنافع .

ثم لما أحسست فيهم الإباء والتمنع قلت لهم : (ما لكم لا ترجون لله) الذي هو مبدأ الخيرات (وقارا ؟) اى وزنا وعظمة وهيبة واحتراما (وقد خلقكم أطوارا) جمع طور بمعنى الحال ، وقد وقعت حالا من الضمير المنصوب مؤولة بالمشتق أي وقد خلقكم متنقلين من حال إلى حال من : المادّة العنصرية إلى كونها نطفة ، ومنها إلى كونها علقة ، ومنها إلى كونها مضغة ... وهكذا وحملها على الأحوال ذهب إليه جمع كما في روح المعاني . وقيل المراد بها : الأحوال المختلفة بعد الولادة إلى الموت من : الصبا ، والشباب ، والكهولة ، والشيخوخة ، والقوة ، والضعف ... وقيل : من الألوان والهيآت والأخلاق والملل المختلفة . وقيل من الصحة والسقم أو الغنى والفقر وسائر العوارض . والحاصل استنكار لانكار عاقل يرى هذه التطورات على شخصه من الباري تعالى وجودَ ذلك الصانع الحكيم القدير أو وحدته في الخلق والتأثير .

(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمواتٍ طِبَاقاً ؟(١٥) وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نوُراً وجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً(١٦) وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً(١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا ويُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً(١٨) وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً(١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْها سُبُلاً فِجاجاً(٢٠) قالَ نُوحٌ : رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي واتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَساراً(٢١) ومَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً(٢٢) وقالُوا : لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، ولا

تَذَرُنَّ وَدًّا ، ولا سُواعاً ، ولا يَغُوثَ ، ويَعُوقَ ونَسْراً(٢٣) وقد أَضَلُّوا كَثِيراً ، ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلاَّ ضَلالاً(٢٤) مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً ، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَاراً(٢٥) وقالَ نُوحٌ : ربِّ لا تَذَرْ على الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً(٢٦) إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ولا يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً(٢٧) رَبِّ اغفِرْلِي ، ولِوَالِدَيَّ ، ولِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ، ولِلْمُؤْمِنِينَ والمؤْمِنَاتِ ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلا تَبَاراً)(٢٨) .

قوله تعالى : (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) توجيه للعباد إلى النظر في آثار قدرة الله تعالى وإبداعه لها الموجب للإيمان به وبوحدته ، فيقول ألم تروا يا من يمكن منكم الرؤية والنظر كيف خلق الله سبع سماوات متطابقة بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) منورا لمقدار من العالم عندما قابله والوقت بالنسبة إليه ليل (وجعل الشمس سراجا) يزيل ظلمة الليل ويبصر كل بصير في ضوئها (والله أنبتكم من الأرض نباتا) أي أنشأكم من الأرض إنشاء ففيه تشبيه الإنشاء بالإنبات، والوجه متوفر والعالم متبصر (ثم يعيدكم فيها ويخرجكم) منها عند البعث (إخراجا . والله جعل لكم الأرض بساطا) تتحركون عليها لكسب المعاش وتستريحون فيها لاستعادة القوة ، وهكذا على الاستمرار إلى وقت الاستقرار ، ولكن الله تعالى خص قسم كسب العيش بالذكر وقال (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) رعاية لما يهم الناس في حياتهم ، أي لتسلكوا طرقا واسعة منها . وليس المراد لسبل الفجاج أن تكون مادة أرض الطريق واسعة ، وإنما أراد توسعة طرق المعيشة على الأرض لنيل الخير بالسكون أو بالسير .

وهذه الآيات البينات جمل جميلة وقعت في البين ثم عاد إلى نقل ما قاله عبده نوح مع ربّه يعني (قال نوح : رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) أي عصوني ورموني بسهام سامة لأنه لم يعجبهم ترك الأصنام والتوجه إلى الله العلاّم واتبعوا رؤساءهم اللئام عبدة الأحجار لأنهم أصحاب أولاد كثيرة وأموال وفيرة ، وكان الاعتماد إذ ذاك عليهما ومرجع الشرف إليهما مع أنهما لم يزيدا لأصحابها في الدنيا إلا جهلا وغباوة واغترارا وفي الآخرة إلا خزيا وعارا ونارا • (ومكروا مكرا كبارا) أي مكر قوم نوح أو رؤساؤهم المغترو ن بالأموال والأولاد لمنع الناس عن عبادة الله الواحد الأحد مكرا كبيرا للغاية ، حيث احتالوا على الضعفاء والأوساط وعظّموا أصنامهم أمامهم (وقالوا : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودّا ، ولا سُواعا ، ولا يغوث ، ويعوق ، ونسراً) أي نهوهم عن ترك آلهتهم ولاسيما الكبار منها المُسَمَّيْنَ بالأسامي الخمسة (وقد أضلّوا كثيرا) أي قد أضل الرؤساء في القوم كثيرا من الضعفاء في العقل أو في المال أو في الجاه أو في الكل فإن الإنسان ينقاد لمن يعينه في روحه أو رزقه أو فسقه • وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قوله رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح عليه السلام فازداد القوم في الضلال ، وباشروا المعاصي بكل إقبال ، وجاءوا بخطايا متتالية على عادة أهل الضلال • وعلى ذلك يقول سبحانه وتعالى (مما خطيئاتهم أغرقوا) أي من أجل خطاياهم المتتابعة المتلاحقة أمرنا السماءَ بإضافة المياه والأرضَ بإخراجها حتى صار الطوفان فأغرقوا في أمواج طوفان الغضب (فأدخلوا) بعد الإغراق والإهلاك (نارا)

برزخية تجلب العجب (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) يمنعونهم ماء ولا نارا • وكل هذه البلايا أتتهم من عصيانهم عن أمر ربهم وإيذائهم لقلب نوح عليه السلام واستجابة لدعائه عليهم حيث قال تعالى (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) وهو من يسكن الدار (إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا) يكفر بربه (كفارا) بأنعمه (رب اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي هلاكا •

سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون
نزلت بعد الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ : أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ، فَقَالُوا : إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً(١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً(٢) وَأَنَّهُ تَعالى جَدُّ رَبِّنَا ما اتَّخَذَ صاحِبَةً وَلا وَلَداً(٣) وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللهِ شَطَطاً(٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً(٥) وَأَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً(٦) وأَنَّهُمْ ظَنُّوا ، كما ظَنَنْتُمْ ، أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً(٧) وأَنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً(٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ ، فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً)(٩) •

قوله تعالى (قل أوحي إليّ أن استمع نفر من الجن) النفر ما بين الثلاثة إلى العشرة •

والجن أجسام لطيفة عاقلة خفية عن عيوننا عادة تغلب عليهم النارية أو الهوائية ، وقادرة على التشكّل بأشكال مختلفة شريفة أو شريرة كثيفة . وتدل على وجودهم آيات عديدة مثل قوله تعالى : (والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم) وقوله : (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس) وقوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) وقوله : (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) وقوله : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا) ... وكذلك يدل على انهم مكلفون ، وأن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم بُعِثَ اليهم آيات وأحاديث عديدة منها قوله تعالى : (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجنّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قُضي ولّوا إلى قومهم منذرين ، قالوا : يا قومَنا إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدِي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم . يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويُجِرْكُمْ مِن عذاب أليم) وقوله تعالى (وما خلقتُ الجنّ والإنس إلا ليعبدون) وقوله تعالى : (يا مَعْشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السّموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقوله تعالى : (قل أوحي إلي أنه استمعَ نَفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ...) الآية . وقوله تعالى : (وأنه لَمّا قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) .

وأما رؤيته صلى الله عليه وسلم لهم فقد دلت عليها أحاديث شريفة قال في آكام المرجان ما محصله : في الصحيحين عن حديث ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، وإنما انطلق صلى الله عليه وسلم بطائفة من الصحابة لسوق عكاظ ، وقد حيل بين الجن والسماء بالشهب ،

فقالوا : ما ذاك إلا لشيىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمرَّ مَن ذَهَبَ لتهامَةَ منهم به صلى الله عليه وسلم وهو يصلي الفجر فلما استمعوا له قالوا : هذا الذي حالَ بيننا وبين السماء ورجعوا إلى قومهم (وقالوا يا قومنا) الخ فأنزل الله عليه (قل أوحي إليَّ أنه استمع نفر من الجن) ثم قال : ونفي ابن عباس رضي الله عنهما (أي لرؤيته صلى الله عليهوسلم للجنّ) إنما هو في هذه القصة واستماعهم تلاوته في الفجر في هذه القصة لا مطلقا . ويدل عليه قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) فإنها تدلّ على أنه كلمهم ودعاهم وجعلهم رسلا لمن عداهم كما قاله البيهقي . وروى أبو داود عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أتاني داعي الجــن ، فذهبتُ معه ، وقرأتُ عليهم القرآن » قال : وانطلق بنا وأرانا آثارَهم وآثار نيرانهم . وقد دلت الأحاديث على أن وِفادَةَ الجنّ كانت ست مرات . وفي شرح البيهقي من طرقٍ شتّى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم صلّى العشاء ثم انصرف فاخــذ بيدي حتى أَتَيْنا مكان كذا فأجْلَسني وَخَطّ عَلَيَّ خطّاً ، ثم قال : « لا تَبرح » فبينما أنا جالس إذ أتاني رجال منهم كأنهم الزّطّ . فذكر حديثا طويلا . وأنه صلى الله عليه وسلم ما جاءه إلى السحر قال : وجعلت أسمَع الأصواتَ ثم جاء فقلتُ أين كنت يا رسول الله ؟ فقال : « أُرْسِلتُ إلى الجن » فقلتُ : ما هذه الأصوات التي سمعت ؟ قال : « أصواتهم حين وَدّعوني وسَلّموا عليّ » .

فيقول الباري سبحانه (قل) يا رسولي (أوحي إلي انه استمع نفر من الجن) القرآن الكريم (فقالوا) عند رجوعهم إلى قومهم (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به) أي بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) حسبما قام عندنا من دلائل التوحيد (وأنّه تعالى جَدُّ رَبّنا) أي تزايد عظمته تعالى والجد هو الحظ والنصيب ، وهنا بمعنى العظمة والقدسية أي

وأن الشأن والقصد تبارك وتعظم مقام ربنا وقدسيته (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) لأن الصاحبة للألفة الشخصية ومنع الوحشة والتناسل لحفظ النوع والتعاون في الأمور المهتم بها والله تعالى متعالٍ عن كل ذلك (وأنه كان يقول سفيهنا) أي السفيه الوحيد فينا وهو إبليس أي يقول الشخص السفيه الخفيف العقل من أفراد نوع الجن (على الله شططا) أي يقول على الله تعالى قولا ذا بعد عن الحق (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) لأن كل عاقل له إدراك بنفسه وبأنه أثر من آثار قدسه عارف بأن الله أعلى من كل وهم يحوم حوله ، وعلى ذلك الأساس ظننا أن لا يتكلم الإنس أو الجن بشيء خلاف الواقع وينسبوه إلى الله تعالى كذبا .

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) واستمرت عادة العرب أنه إذا أمسى في واد قفر خال من الأصحاب وخاف على نفسه نادى بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادي أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك من الجن يريد الجن وكبيرهم ، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الجن والانس . كما قال تعالى (فزادوهم رهقا) أي فزاد الإنس المستغيث في الوادي بعمله ذلك رهقا وطغيانا للجن واعتبروا أنفسهم من ملوك العالم . ويروى بدل هذه الاستعاذة ما أخرجه أبو نصر السجزي في الإبانة من طريق مجاهد عن ابن عباس وقال : غريب جدا إنه صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أصاب أحد منكم وحشة ، أو نزل بأرض مَجَنَّة فليقل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها بَرّ ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن فتن النهار ومن طوارق الليل ، إلا طارقا يطرق بخير » .

(وأنهم) أي الإنس (ظنوا كما ظننتم) أيها الجن (أن لن يبعث اللهُ أَحَدا ، وأنّا لَمَسنا السَّماءَ) أي طلبنا بلوغها لاستماع كلام أهلها ، أو

طلبنا غيرها (فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا • وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) أي لسماع كلام السماء خالية عن الموانع (فمن يستمع الآن يَجدْ لَهُ شهابا رَصَدا) قال في شرح التسهيل : الآن معناه هنا القرب مجازا فيصح مع الماضي والمستقبل • وفي البحر : أنه ظرف زمان للحال ، ويستمع مستقبل فاتسع في الظرف ، واستعمل للاستقبال كما قال : (سأسعى الآنَ إذ بلغت أناها) فالمعنى فمن يقع منه استماع في الزمان الآتي يجد له شهابا راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم ، فرصدا صفة شهابا ، فإن كان مفردا فالأمر ظاهر ، وإن كان اسم جمع المراصد كحرس فوصف المفرد به لأنّ الشهاب لشدة منعه وإحراقِهِ جُعل كأنّه شُهُب • وفي الآية ردّ على من زعم أن الرجم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو إحدى آياته عليه الصلاة والسلام حيث قيل فيها مُلِئَتْ ، وهو ظاهر في أن الحادث هو الملأ والكَثْرة ، وكذا قوله سبحانه (نقعد منها مقاعد) على ما في الكشاف ، فكأنه قيل : كنا نجد فيها بعض المقاعد خاليةً عن الحرس والشهب والآن مُلِئت المقاعدُ كلها فَمَن يستمع الآية • ويدل على ذلك ما رواه علي بن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال : « ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول يموت عظيم ، أو يولد عظيم • وروي عن معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية ؟ قال : نعم • قال : أرأيت قوله تعالى (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) فقال غلّظت وشدد أمرُها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكأنه أخذ ذلك من الآية أيضا • وقال بعضهم : إن الرمي لم يكن أوّلا ثم حدث للمنع عن بعض السماوات ، ثم كثر ومنع به الشياطين عن جميعها يوم تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوز أن تكون الشهب من قبلُ لحوادث كونية لا لمنع

الشياطين أصلا . والحادث بعد البعثة رمي الشياطين بها على معنى أنهم إذا عرجوا للاستماع رمُوا بها ، فلا يلزم أيضا أن يكـون كل ما يحدث من الشهب اليوم للرمي ، بل يجوز أن يكون لأمور أخرى بأسباب يعلمها الله تعالى . ويجاب بهذا عن حدوث الشهب في شهر رمضان مع ما جاء من أنه تصفد مردة الشياطين فيه . ولمن يقول إن الشهب لا تكون إلا للرمي جواب آخر مذكور في موضعه ، وهو أن صفد الشياطـين فيه إنما هو للإضـرار بالصائمين والصائمات ، وإلا فلهم أشغال أخرى وأنهم منظرون إلى يـوم الوقت المعلوم والله سبحانه وتعالى أعلم بأسرار عالم الغيب والشهادة وهو العلام للغيوب .

(وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ؟(١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ، وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ، كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً(١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً(١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ ، فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً(١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً(١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً(١٥) وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً(١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ، وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً(١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً)(١٨)

قوله تعالى : (وأنا لا ندري) أي وأنا لا ندري من ملأ المقاعـد من الحراس ، ومنع الجن من استحقاق السمع ، وتشديد الأمر على الحـراس

(أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ؟) وخيرا . وحاصل الأمر أن هذا التغير الواقع في السماء لاشك أنه لأمر خطير عظيم (وأنا منا الصالحون) الموصوفون بصلاح الحال في شئون أنفسهم ومعاملاتهم مع غيرهم (ومنا دون ذلك) أي قوم دون ذلك المذكور (كنا طرائق قددا) أي كنا ذوي طرائق ومسالك وآراء ومذاهب متعددة مختلفة (وأنا ظننا أن لن نُعجزَ اللهَ في الأرض) يعني أينما كنا فتحت قبضة قدرته (ولن نعجزه هربا) أي هاربين ، فأينما كنا على أبوابه كحارسين لثَرى أعتابِه (وأنا لمّا سمعنا الهُدى) أي القرآن الذي هو وسيلة اهتداء الناس في العالم (آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أي خسارا في حقوقه المادية والمعنوية (ولا رهقا) أي غشيان ذلّة عليه (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون على حقوق العباد (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي قصدوا خيرا عظيما وقد صادفوه . (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بالناس والحجارة .

وقوله : (وأن لو استقاموا) معطوف قطعا على قوله انه استمع (على الطريقة) أي على طريقة الحق وإطاعة الله ورسوله (لأسقيناهم ماء غدقا) أي ماء كثيرا ، أي ما خليناهم يظمأون ، والمراد به إما الماء للمزارع والبساتين ، وإما كناية عن فتح أبواب الرزق من سائر الوجوه . وإنما كنا نسقيهم ذلك الماء الغدق (لنفتنهم فيه) أي لنجعلهم في فتنة وابتلاء ومحنة ، ورحم الله من قال : إن المنحة قلب المحنة (ومن يعرض عن ذكر ربه) أي عن عبادة ربه ، أو موعظة ربه ، أو عن القرآن المنزل منه وهو فيه ذكر لله تعالى (يسلكه عذابا صَعَداً) أي يُدخِله في عذاب صاعدٍ شديد .

وقوله : (وأن المساجد لله) معطوف على أنه استمع أي قل أوحي إلى أن المساجد لله أي مختصة بالله تعالى وشرع بناؤها لله أي لأداء طاعاته من

الواجبات والمندوبات (فلا تدعوا مع) دعوة (الله أحـدا) أبدا ولاسـيما في المساجد المبنية لله المختصة به تعالى •

وقيل : المعنى أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ، ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما في الحديث « من نشد الضالة في المسجد فـلا ردها الله عليه فإن المساجد لم تبن لهذا » • وفي الحديث : « كان إذا دخل المسجد قدم رجلـه اليمنى وقال : إن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا ، أللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق وأنت خير مزور ، فأسألك برحمتك أن تفك رقبتي من النار » وإذا خرج من المسجد قدّم رجله اليسرى وقال : « اللهـم صُبَّ عَلَيَّ الخَيرَ صَبّاً ، ولا تنزع عني صالِحَ ما أعطيتني أبدا ، ولا تجعل معيشتي كدا ، واجعل لي في الأرض جدّاً » أي غِنىً •

(وأنَّه لمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعوه كادُوا يَكُـونُونَ عليْـهِ لِبَداً(١٩) قُلْ : إنَّما أَدْعوا رَبِّي ، ولا أُشْرِكُ بِهِ أَحداً(٢٠) قُلْ : إنِّي لا أمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً(٢١) قُلْ : إنّي لَنْ يُجيرَني مِنَ الله أَحَدٌ ، وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً(٢٢) إلاَّ بلاغاً مِنَ الله وَرِسالاتِهِ ، وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَإنَّ لَهُ نـارَ جَهَنَّـمَ خالِدِينَ فِيها أَبـداً(٢٣) حَتَّى إذا رَأَوا ما يوعَـدُونَ فَسَيَعْلَمونَ مَنْ أَضْعَفُ ناصِـراً وَأقَلُّ عَدداً(٢٤) قُلْ : إنْ أدْري أقَريبٌ ما تُوعَدُونَ ، أم يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أمداً ؟(٢٥) عالِمُ الغَيْبِ ، فلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أحَداً(٢٦) إلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ ، فَإنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْـهِ ومِنْ خَلْفِـهِ رَصَداً(٢٧) لِيَعْلَمَ أنْ قَدْ أبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِـمْ ، وأحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وأحْصى كُلَّ شيءٍ عَدَداً)(٢٨) •

قوله تعالى (وانه لما قام عبدالله يدعوه) معطوف على انه استمع أي قل أوحي إلي أنه لما قام عبدالله أي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يدعوه ، أي يدعو ربه ويناجيه ويتضرع إليه وذلك عند قيامه صلى الله عليه وسلم لصلاة الفجر ببطن نخلة (كادوا يكونون عليه لبدا) كاد جمع الجن المستمعين إليه هناك (يكونون عليه لبدا) جمع لبدة بكسر اللام ، أي كساء متلبدة من لفائف بعضها فوق بعض ، وكان ذلك تعجبا من عبادته ، وقراءته واقتداء أصحابه به في القيام والركوع والسجود .

(قل إنما أدعو ربّي ولا أشرك به أحدا) في العبادة ، ولا اعبد غيره كما أني أعتقد أنه الخالق للعالم من الأعيان والأعراض ولا خالق غيره (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشـدا) أي ولا نفعا فإن الضار والنافع هو الله العظيم (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجـد من دونه ملتحداً) أي منحرفا أنحرف إليه وقوله (إلا بلاغا) من الله استثناء من مفعول لا أملك أي لا أملك لكم شيئا إلا بلاغا (من الله ورسالاته) أي التي أرسلني عز وجل بها فإذا اعتبرنا البـلاغ بمعنى التبليغ ، والرسـالات جمع رسـالة كان المسـتثنى شيئين متغايرين الأول فعل الرسول وهو تبليغ ما عنده إلى الناس ، والثاني الرسالات وهي جُمَل متعددة من الآيات النازلة التي سلّمها للأصحاب كي يكتبوها ، فالمعنى لا أملك لكم شيئا من النفع إلا تبليغ أوامر الله ونواهيه وإلا هذه القطع من السور المنزلة التي تصل إليكم (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى) هذه وما بعدها جملة معترضة واقعة في البـين وحتى ابتدائيـة يعني فـ (إذا رأوا ما يوعـدون) من العـذاب (فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عَدَداً) وحتّى تفيد معنى الغاية ، أي يستمر الكفار على الاستهزاء بكم وأنكم أضعف ناصرا وأقل عددا حتى أن يروا عواقب الأمور في الآخرة ويفتهموا من الوضع إذ ذاك من أضعف وأقل .

(قل إن أدري أقريب ما توعدون) أي من العذاب (أم يجعل له ربي أمَدا ؟) وزمانا بعيدا . وقوله (عالم الغيب) خبر لمبتدأ محذوف أي هو عالم الغيب المستور من غيره (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا) أي فإن ذلك الرسول المرتضى يخصه ببعض الأشياء منها : أنه يطلعه على المغيبات المتعلقة برسالته ، إما لكونه من مباديها بأن يكون معجزة ، وإما لكونه من أركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال ونحو ذلك . ومنها أنه يسلك أي يدخل من بين يديه ومن خلفه حراسا مترصّدين يحفظونه من اختطاف الشياطين له ، ومن تعرضهم له ومسهم له بسوء (ليعلم) الباري جل شأنه أي يتعلق علمه تعلقا جديدا (بأن قد أبلغوا رسالات ربهم) محفوظين من التهم (وأحاط بما لديهم) أي لدى الرسل الكرام أو عند الرصد من المعلومات (وأحصى كل شيىء) أي وضبط كل شيىء (عددا) .

فائدة : استدل بعض الناس بقوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) على أن هذا العلم منحصر في الرسول ولا يتجاوز إلى الأولياء والصالحين ، فكل ما ادعوه من المعارف الغيبية لا أصل لها ، وبأنه ينافي ظاهر الآية علم المنجمين والحسّابين والكهنة ببعض المغيبات المستقبلية ، فإنه قد وجد في العالم كثير من الناس الذين أخبروا بأمور مستقبلية ، وقد تحققت حسب أخبارهم بلا اشتباه فيه !

والجواب : هو أن هذا الاعتراض ناشيء من اشتباه السلب الجزئي بالسلب الكلي . فإن الآية الكريمة سالبة جزئية ومفادها : أن الله تعالى لا يظهر على هذا الغيب الخاص ، وهو علم الساعة ، إلا من ارتضاه واختاره لعلمه من رسول . والدليل الحاسم عليه قوله : قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا . ولو فرضناه أنه سلب كلي فالمراد بهذا

الإظهار هو غلبته على الغيبيات بأن يكون للانسان دور واسع في علمها ، وهذا الاظهار والغلبة لا يكون إلا لمن ارتضاه من الرسل لا لكل رسول ولا لكل نبي فضلا عن الأولياء والصالحين . وقد يجاب بأن علم الغيب المختص بمن ارتضاه هو علم يقيني ، وهو الذي لا اشتباه فيه لا مثل علم الأولياء والصالحين ، فإنها وإن كانت واقعية وتحقق معلومها في الواقع لكنها علوم إلهامية ظنية حيث لم تصل إليهم بواسطة الوحي ، وإنما هو كشف ناتج من الإلهام . وأما علوم المنجمين والحساب فصورتها صورة العلم وحقيقتها ظنون واهية قد يتحقق في الواقع وقد لا يتحقق ولا عبرة بأمثال تلك الظنون، على أنها علوم مكتسبة مبنية على مقدمات وشرائط ، ومثلها مثل العلم بما في أرحام الأمهات من الجنين بواسطة الأجهزة الكشافة . وذلك خارج عن موضوعها وهو العلم الغيبي المأخوذ بدون تلك الأجهزة والأسباب . هذا ما عندنا في الموضوع والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

سورة المزمل ، وهي مكية الا الآيات

١٠ / و ١١ و / ٢٠ فهي مدنية ، وآياتها عشرون نزلت بعد سورة القلم

بسم الله الرحمن الرحيم

(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ(١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا(٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا(٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ، وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا(٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا(٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا(٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا(٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا(٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا)(٩)

قوله تعالى : (يا أيها المزمل) عن سعد بن هشام قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : ألست تقرأ هذه السورة يا أيها المزمل ؟ قلت : بلى . قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهرا ، ثم أنزل التخفيف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعا من بعد فرضه . أخرجه مسلم

وأبو داود والنسائي • وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن أبي عبدالرحمن السلمي قال لما نزلت : يا أيها المزمل قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت فاقرأوا ما تيسر من القرآن ، فاستراح الناس •

قوله تعالى (يا أيها المزمل) المزمل بتشديد الزاء والميم لأن أصله المتزمل فقلبت التاء زاء وأدغمت الزاي في الزاء • والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واختلفت في معنى المزمل فقيل : المتلفف بثيابه • وقيل : المزمل بالنبوة ، والمدثر بالرسالة • وقيل : المزمل بالقرآن وقيل : معناه يا أيها الذي زمل هذا الأمر أي حمله • أخرج مسلم عن طريق سعد بن هشام عن عائشة قالت : إن الله قد افترض قيام الليل في أول هذه السورة يعني يا أيها المزمل فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فرضيته • وقد روى محمد بن نصر في قيام الليل عن طريق سماك الحنفي عن ابن عباس شاهداً لحديث عائشة في أن بين الإيجاب والنسخ سنة • وكذا أخرجه عن أبي عبدالرحمن السلمي والحسن وعكرمة وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم ومقتضى ذلك ان النسخ وقع بمكة لأن الإيجاب متقدم على فرض الخمس ليلة الإسراء • وكانت قبل الهجرة بأكثر من سنة على الصحيح • وحكى الشافعي عن بعض أهل العلم أن آخر السورة نسخ افتراض قيام الليل إلا ما تيسر منه لقوله (فاقرءوا ما تيسر منه) ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس ، هذا •

وما دام تقرر أن بين إيجاب صلاة الليل ونسخه سنة ونسخه كان بافتراض الصلوات الخمس ليلة الإسراء •• ظهر أن وجوب صلاة الليل لم يكن متصلا بالبعث ، بل مضت عليه مدة أقلها خمس سنوات • يعني أنه أوجبت صلاة الليل بعد السنة الخامسة من البعث وبعد سنة نسخ الإيجاب إلا ما تيسر ، ثم نسخ وجوب هذا أيضا بفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء

الواقع بثلاث سنين قبل الهجرة . فعنوان يا أيها المزمل على تقدير أخذه من تزمّله باللحاف بعد رجوعه من غار حراء ونزول صدر سورة العلق عليه صلى الله عليه وسلم لا يعني أن فرض صلاة الليل عليه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم كان في أوائل نبوته مباشرة ، بل كان في عام الستة والأربعين من عمره الشريف أي بعد ست سنين من البعث وهذا ظاهر ان شاء الله تعالى .

فيقول الله سبحانه وتعالى : (يا أيها المزمل) أي بالثياب أو بالنبوة أو بالقرآن (قم الليل) أي قم للصلاة في الليل (إلا قليلا) يعني (نصفه) أي قم الليل إلا نصفه (أو انقص منه قليلا) أي انقص من النصف المستثنى قليلا ، يعني نصف النصف (أو زد عليه) أي على النصف الباقي قليلا أي قم الليل نصفه أو انقص منه قليلا بأن يبقى لك ربع الليل (أو زد عليه) أي على النصف بأن يبقى لك ثلاثة أرباع الليل للطاعة وقيام الليل (ورتل القرآن) في صلواتك بالليل أي في القيام لها (ترتيلا) أي اقرأه وتلفظ بالكلمات واضحة الحروف وحركاتها وشدها ومدها . من قولهم سن رتل أي مفلج . وعن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال : « بيّنه تبيينا ، لا تنثره نثر الدقل . ولا تهذه هذا الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » . (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا) وهو القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه الجملة المؤكدة معترضة بين الأمر بالقيام وتعليله الآتي لتسهيل ما كلفه صلى الله عليه وسلم من القيام .

(إن ناشئة الليل هي اشد وطأ وأقوم قيلا) أي إن النفس التي تنشأ من مضجعها بالليل إلى العبادة هي أشدّ وطأ ، أي أقوى من حيث ثبات القدم

وأقوم قيلا أي أعدل وأحسن وأوضح قولا • ومعنى الجملة تحسين قيام الليل في أقطار من له الميل إلى الطاعة أقوم ميل (إن لك في النهار سبحا طويلا) أي تقلبا في مهماتك وكسب أسباب المعيشة والراحة البدنية والنفسية • ومعنى الآيتين تنسيب النهار للأعمال الدنيوية والليل للأعمال الروحية والطاعة المرضية (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره حسب المستطاع تسبيحا وتهليلا وتحميدا وتمجيدا وصلاةً (وتبتل إليه) أي الى الربّ المربي لك وللعالمين (تبتيلا) انقطاعاً مؤكدا (رب المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتخذه وكيلا) متوكلا عليه ومرجوعا إليه •

(واصْبِرْ على ما يَقُولُونَ • وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً(١٠) وَذَرْنِي وَالمكذّبِينَ أولِي النَّعْمَةِ وَمهِّلْهُمْ قلِيلاً (١١) اِنَّ لَدَيْنَا أنْكالاً وَجَحِيماً(١٢) وطَعاماً ذاغُصَّةٍ وعذاباً أَلِيماً(١٣) يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبالُ ، وكانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً(١٤) إنّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ كما أَرْسَلْنَا إلى فِرْعَوْنَ رَسولاً(١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وبِيلاً(١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيباً ؟(١٧) السَّماءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كانَ وَعْدُهُ مَفعولاً(١٨) اِنَّ هذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبِيلاً)(١٩) •

(واصبر على ما يقولون) أي ما يقوله أولئك المتقولون الفاسدون المفسدون (واهجرهم هجرا جميلا) واترك الألفة الروحية معهم تركا حسنا موافقا لحسن الإدارة ورعاية المجاملة الاعتيادية (وذرني والمكذبين أولي

النعمة) والثروة والبطر والكبرياء (ومهلهم قليلا • إن لدينا أنكالا وجحيما ، وطعاما ذا غصة وعذابا أليما) أي طعاما ينشب في الحلق كالضريع والزقوم، ونوعا آخر من العذاب مؤلما جدا • وهذه الأمور الفظيعة تتحقق (يوم ترجف الأرض والجبال) من النفخة الأولى في الصّور (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أي رملا مجتمعا ناعما يصير هباءً (إنا أرسلنا إليكم) يا اهل مكة (رسولا كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) المعهود المرسل (فأخذناه) أي فرعون العاصيَ (أخذاً وبيلا) أي أخذا ثقيلا قويا •

وما دام الباري له الحكم الدائم الجاري (فكيف تتقون) عذابه وعقابه (إن كفرتم) به وبرسوله (يوما يجعل الولدان شيبا) لكثرة أهواله وتفاقم شدائده ، والحال إن (السماء منفطر) ومنشق ومتزلزل بذلك اليوم الصعب الضاغط على الكائنات • فإذا سألك سائل : هل ذلك اليوم يأتي ؟ قل : لاشك فيه فإن الله قد وعد به و (كان وعده مفعولا) وتخلف المعلوم عن العلم والمراد عن الإرادة محال (إن هذه) الآيات المستوعبة لجهات الرهبة والشدة (تذكرة) للمتذكرين الفاهمين (فمن شاء) الخلاص من العذاب والدخول في دار الثواب (اتخذ إلى ربه سبيلا) مستقيما لاعوج فيه ولا انحراف وهو سبيل الإيمان والإسلام والانصاف •

(إِنَّ ربَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وطائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ ، وَاللهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ ، عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ ، فَتابَ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ ، عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضى ، وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ، يَبْتَغُونَ مِنْ

فَضْلِ اللهِ ، وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلوةَ ، وَآتُوا الزَّكوةَ ، وَأَقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً ، وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ، وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(٢٠) ٠

قوله تعالى : (إن ربك يعلم) تمهيد لنسخ وجوب صلاة الليل على الأمة ، وتثمين وتقدير لطاعة رسوله الكريم وأمته المرحومة ٠ أي إن ذلك معلوم لنا أي إن ربك يعلم (أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أي زمانا أقل منهما (ونصفه ، وثلثه) بالنصب عطفا على أدنى كأنه قال : يعلم إنك تقوم من الليل أقل من ثلثيه ، وتقوم نصفه ، وتقوم ثلثه (وطائفة من الذين معك) عطف على ضمير تقوم ، وجاز من غير تأكيد للفصل وقيام طائفة كذلك للتأسي به ٠ ومنهم من كان لا يدري كم صلّى من الليل وكم بقي منه ، فكان يقوم الليل كله احتياطا ، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم (والله يقدر الليل والنهار) أي يحصيهما (علم أن لن تحصوه) أن مخففة من الثقيلة ، أي علم أنه لن تحصوه (فتاب عليكم) ورجع بكم إلى التخفيف (فاقرأو ما تيسر من القرآن) في الصلاة بأن تصلّوا ما تيسر (علم أن سيكون منكم مرضى) جمع مريض (وآخرون يضربون في الأرض) أي يسافرون (يبتغون من فضل الله) من رزقه بالتجارة وغيرها (وآخرون يقاتلون في سبيل الله) وكل من تلك الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ، أي في حقّ الأمّة إتفاقا ٠ وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم بل بقي وجوب التهجد عليه لكن في خصوص الحضر ٠ وقال الشافعي نسخ في حقه أيضا ٠

فإن قلت : وجوب الصلوات الخمس لا ينافي وجوب قيام الليل ، ومن شرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا للحكم المنسوخ . فالحق أن النسخ بالحديث وهو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابيا بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة . فقال الأعرابي : هل علي غيرها يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « لا إلاّ أن تطوع » فقوله لا ، نفي لوجوب أي صلاة كانت غير الخمس (فاقرءُوا ما تيسّر منه) أي من القرآن من غير تحمل المشقة التي لا تطاق عادة (وأقيموا الصلوة) المفروضة (وآتوا الزكوة) كذلك أي المفروضة . واستشكل بأن السورة من أوائل ما نزل بمكة ولم تفرض الصلوات الخمس إلا بعد الإسراء والزكاة إنما فرضت بالمدينة ! وأجيب بأن الذاهب إلى ذلك يجعل هذه الآيات مدنية .

وفي فتح الباري ما نصه : نعم ذكر أبو جعفر النحاس أنها مكية إلاّ الآية الأخيرة ، وقوّى محمد بن نصر هذا القول بما أخرجه من حديث جابر أن نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع أبي عبيدة في جيش الخبط ، وكان ذلك بعد الهجرة ، لكن في إسناده علي بن يزيد بن جدعان وهو ضعيف . وأما ما رواه الطبري ، عن طريق محمد بن طحلاء عن أبي سلمة عن عائشة قالت : احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا ... فذكر الحديث الذي تقدمت الإشارة إليه قبل خمسة أبواب ، وفيه كلفوا من العمل ما تطيقون ، فإن خير العمل أدومه وإن قل . ونزلت عليه يا أيها المزمل ، فكتب عليهم قيام الليل ، وأنزلت منزلة الفريضة حتى أن كان بعضهم ليربط الحبل فيتعلق به ، فلما رأى الله تكلفهم ابتغاء رضاه وضع ذلك عنهم فردهم إلى الفريضة ، ووضع عنهم قيام الليل بهم إلاّ ما تطوّعوا به ، فإنه يقتضي أن السورة كلها مدنية ، لكن فيه موسى بن عبيدة وهو شديد الضعف فلا حجة فيما تفرد به . إنتهى المقصود نقله . قلت : ظاهر الآية الكريمة ، أي علم أن

سيكون منكم مرضى .. يشعر بوضوح أن الآية مدنيـة ، ويؤيد ذلك ما سبق من حديث جابر أن نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مـع أبي عبيدة في جيش الخبط ، وكان ذلك بعد الهجرة . فالذي يطمئن إليه القلب أن السورة مكية إلا الآية الأخيرة . ولما تحققت الهجرة نسخت صلاة الليل بهذه الآية في حق الأمة وبقيت تطوعا لها . ويؤيد ذلك ترك الرسول الخروج إلى القوم في الليلة الرابعة لصلاة التراويح .

(وأقرضوا الله قرضا حسنا) يريد الصدقات والإنفاقات في سبيل الله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذي تؤخرونه للورثة على أمل الإنفاق منه في سبيل الله أو صـرفه في أنفسهم وحاجاتهـم ، ومن الوصايا التي تهمل غالبا ، وقلما تتنفذ شـرعا (واستغفروا الله) خطاياكم الصغيرة والكبيرة لكن لا استغفاراً بارداً في الفم بل استغفارا حارا يفور من القلوب تطفىء نار جهنم ، وذلك توبة من الحوبة، واعتراف بالذنوب نوبة بعد نوبة . ولا تيأسوا من قبوله (إن الله غفور) كثير المغفرة للذنوب (رحيم) كثـير الستر للعيوب سـتر الله عيوبنا وغفر ذنوبنا بمنه وفضله ، إنه أرحم الراحمين .

سورة المدثر ، مكية ، وآياتها ست وخمسون
نزلت بعد سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣)
وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن
تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فإذا نقر في الناقور (٨)
فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠)
ذرني ومن خلقت وحيداً (١١) وجعلت له مالاً ممدوداً (١٢)
وبنين شهوداً (١٣) ومهدت له تمهيداً (١٤) ثم يطمع أن
أزيد ! (١٥) كلا إنه كان لآياتنا عنيداً (١٦) سأرهقه صعوداً (١٧)
إنه فكر وقدر (١٨) فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف
قدر (٢٠) ثم نظر (٢١) ثم عبس وبسر (٢٢) ثم أدبر
واستكبر (٢٣) فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر (٢٤) إن هذا
إلا قول البشر (٢٥) سأصليه سقر (٢٦) وما أدراك ما
سقر ؟ (٢٧) لا تبقي ولا تذر (٢٨) لواحة للبشر) (٢٩) .

قوله تعالى (يا أيها المدثر) أصله المتدثر فقلبت التاء دالا وأدغمت في الدال • أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما ، فلما أكلوا قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فاختلفوا ، ثم اجتمع رأيهم على أنه سحر يؤثر • فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر ، أي كما يفعل المغموم • فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر إلى قوله تعالى ولربك فاصبر • وقيل : المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والرسالة والكمالات النفسية • أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وجماعة عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال : (يا أيها المدثر) قلت : يقولون (إقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة : سألت جابراً بن عبدالله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت ، فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت ، فنوديت ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا ، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض • فجئثت منه رعبا ، فرجعت فقلت : دثروني دثروني فدثروني • فنزلت يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر » •

وفي رواية : « فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني زملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر قم فانذر) إلى قوله فاهجر » فان القصة واحدة ، ولو كانت يا أيها المزمل هي النازلة قبل فيها لذكرت • نعم ظاهر هذا الخبر يقتضي أن يا أيها المدثر نزل قبل إقرأ باسم ربك والمروي في الصحيحين وغيرهما عن عائشة أن ذاك أول ما نزل من القرآن ، وهو الذي ذهب إليه أكثر الأمة حتى قال بعضهم : هو الصحيح ، ولصحة الخبرين احتاجوا للجواب فنقل في الإتقان خمسة أجوبة :

الأول : أن السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملة ، فبين أن سورة المدثر نزلت بكمالها قبل تمام سورة اقرأ فإن أول ما نزل صدرها .

الثاني : أن مراد جابر بالأولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة .

الثالث : أن المراد أولية مخصوصة بالأمر بالإنذار . وعبر بعضهم عن هذا بقوله : أول ما نزل للنبوة إقرا باسم ربك ، وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر .

الرابع : أن المراد أول ما نزل بسبب متقدم ، وهو ما وقع من التدثر الناشىء عن الرعب . وأما إقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم .

الخامس : أن جابرا استخرج ذلك باجتهاده ، وليس هو من روايته ، فيقدم عليه ما روت عائشة رضي الله عنها . ثم قال وأحسن هذه الأجوبة الأول والأخير . إنتهى . وفيه نظر فتأمل ولا تغفل .

فيقول الله تعالى (يا أيها المدثر) اللابس للدثار (قم) من مضجعك ، أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) الكافرين من عذاب الله تعالى (وربك فكبر) واخصص ربك بالتكبير ، وهو وصفه تعالى بالكبرياء ، والعظمة لذاته المقدس . ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الله أكبر » فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وذلك لأن الشيطان لا يأمر بذلك (وثيابك فطهر) عن الأوساخ والأقذار الغير اللائق بأن تلبسها في الجامع مقدمة لتطهير نفسك عن كل ما يخالف كرامة قدسك (والرجز فاهجر) أصل الرجز العذاب ، والمراد هنا ما يوجب العذاب ، فكأنه قال : والمآثم والمخالفات الدينية اهجرها واتركها حتى تبقى روحك صافية ، ولمقابلة الحق كافية صافية ، وقيل : الرجز اسم لصنمين آساف ونائلة وعليه يكون

تعريضا بالمشركين المحبين لهما وإلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يمل ولم يتوجه إلى غير الله تعالى لمحة عين (ولا تمنن تستكثر) أي ولا تعط المال لأحد حالكونك تطلب منه اكثر مما أعطيته • هذا على قراءة رفعه • وأما على قراءة جزمه فمعناه أن لا تمنن عند احسانك على الذي أنعمت عليه تستكثر من الخيرات والصدقات والجزاء يوم القيامة • وأما على قراءة النصب فالمعنى ولا تمنن أي ولا تعط الناس لطلب تكثير مالك ، أي حتى يعطوك مالا فيزيد مالك بذلك •

ويحتمل أن يكون المعنى على قراءة الرفع ولا تمنن أي لا تعط الناس الأموال حالكونك تعدّ ما تعطيه كثيرا أي كلما أعطيت شيئا اعتبره قليلا ، وبذلك ترغب في الإعطاء للفقراء كثيرا (ولربك فاصبر) أي ولأجل ابتغاء مرضاة ربك فاصبر على أذى الأعداء وكلامهم المهجور المنفور فإن شأن الرسل الصبر حتى ينالوا الغاية القصوى (فإذا نقر في الناقور) أي نفخ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت (فذلك يومئذ يوم عسير ، على الكافرين غير يسير) أي إذا نقر في الناقور عسر الأمر عليهم ويؤخذ منهم انتقام الأول والآخر •

ثم توجه الباري إلى تهديد أحد الكفرة الفجرة الذي أتى بما لا ينبغي ولا يليق ، وهو وليد بن المغيرة فقال تعالى : (ذرني ومن خلقت) أي خلقته (وحيدا) أي طريدا فريدا لا مال له ولا ولد (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا فصار له الضرع والزرع والتجارة (وبنين شهودا) أي وخلقت له بنين حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم وينتفع ببقائهم (ومهدت له تمهيدا) أي وبسطت له بساط الرئاسة على الناس والجاه حيث جعلنا له وقرا ومهابة في قلوبهم (ثم يطمع أن أزيد) على ما ذكرناه بالرغم من أنه لم يشكرنا على النعم بل كفر بأنعمنا بين الأمم • (كلا) لا يمكن أن أزيد في نعمته ولا نزيد

له أبدا (إنه كان لآياتنا عنيدا) معاندا غير موافق وغير راض وغير شاكر (سأرهقه صعودا) سأغشيه عذابا صعودا يصعد على جسده ، أو محنة وعذابا يستوعب جميع جهات تمتعه وصحته وراحته ، ونسلبه كل ما آتيناه ، فإذا سأل سائل : لماذا قال (إنه فَكَّرَ وقَدَّرَ) أي فكّر لتحصيل مطاعن يطعن بها في الرسول أو في الكلام المنزل عليه وقدّر في نفسه أمورا لرمي الرسول بها ، أو لرمي القرآن المنزل عليه (فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر) قلنا كرر الجملة لتكرار الحملة ، لأن ذلك الشيطان وسوس إليه الشيطان الكبير بما يجعله مستحقا لكل نقمة وعذاب ، ثم نظر في أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عبس) على عادة أولي الأنانية من الأغنياء الأغبياء (وبَسَرَ) جعل وجهه بُسرا ، وهو من أتباع العباسة (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر ، فقال : إن هذا) أي ما هذا القرآن (إلا سحر يؤثر) يروى وينقل يعلم ويتعلم (إن هذا) أي ما هذا (إلا قول البشر) ولم يتفكر هذا الكفور الفكور أنه كلام الله ولا يشبه كلام البشر وليس على أسلوبه ، وليس فيه مزايا كلام الناس من الميل إلى الباطل في تضاعيف البيان ، ولا إلى الكذب ولا المبالغة الخارجة عن عادة الأدب • وفيه إخبار بالغيب وحكم وفوائد بلا ريب ، ولا يحوم حوله النقص والعيب •

وما دام ذلك الإنسان الفاسد ألقى نفسه في المهالك (سأصليه سقر) أي سأدخله في سقر (وما أدريك ما سقر ؟ لا تبقي ولا تذر) أي لا تبقي على شيىء يلقى فيه ، ولا تذره كما كان بل ينضجه فيحرقه (لواحة للبشر) أي ملوحة ومسودة لأعالي جلد الإنسان ، أو لائحة ظاهرة للعيون وليست مستورة •

(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) ومَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلَٰئِكَةً ، وما جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا

لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ اوتوا الكِتابَ وَيَزْدادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيماناً ، ولا يَرْتابَ الَّذِينَ أوتوا الكِتابَ والمُؤْمِنُونَ ولِيَقُول الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكافِرُونَ : ماذا أَرادَ اللهُ بِهذا مَثَلاً ؟ كَذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشاءُ ، وَيَهْدي مَنْ يَشاءُ ، وَما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلاّ هُوَ ، وَما هِيَ إلا ذِكرى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاّ وَالقَمَرِ (٣٢) واللَّيْلِ إذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إذا أَسْفَرَ (٣٤) إنَّها لإحْدَى الكُبَرِ (٣٥) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ)(٣٧) •

قوله تعالى : (عليها تسعة عشر) أي على السقر تسعة عشر صنفا من الملئكة ، أو تسعة عشر شخصا منهم • روي عن ابن عباس أنه لما نزلت : عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أسمع أن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم ، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ فقال له أبو الأشد بن الأسيّد بن كلدة الجمحي ، وكان شديد البطش : أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين ! فأنزل الله تعالى : (وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملئكة) فإنهم هم القادرون على التعذيب المستمر بدون فتور (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) قال بعض المحققين : الجعل قوليّ ، أي وما قلنا أن عدتهم تسعة عشر إلا ابتلاء للكافرين حتى يستقلّوه • وظاهر الحال أن الكفار استقلوا ذلك وقالوا : كيف يقدر رجال محدودون على تعذيب ملايين من البشر والجن ؟ ولم يعلموا أن قوة الباري تظهر بالآثار في كل شيء (وليَسْتَيقِنَ الذين أوتوا الكتاب) أي ليكتسبوا اليقين بنبوته (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أي يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب ولتصديقهم أنه كذلك (ولا

يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله (وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك أو نفاق (والكافرون) الجازمون في التكذيب : (ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟) أي ماذا أراد بهذا العدد المستغرب ؟ (وما يعلم جنود ربك إلا هو) لأن كل ممكن من الممكنات يحتمل أن يجعله الله جنديا يستعمله في قهر أعدائه (وما هي إلا ذكرى للبشر) أي وليس ذلك العدد إلا مذكرا للبشر بأن الله فاعل مختار يقدر أن يتصرف في كل ممكن ليكون من جنوده وأعوان دينه (كلا) ردع للمنكرين اي اقسم بالقمر المنور الليل الذي يختلف اوضاعه بالنسبة الى العالم (والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر) أي واقسم بالليل اذا ادبر وبالنهار واقسم بالصبح اذا اسفر اي اضاء (إنها لإحدى الكبر) أي إن السقر لإحدى البلايا الكبر (نذيرا للبشر) تمييز أي لإحدى الكبر إنذاراً (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) فمن كان له قابلية التحول من الشر إلى الخير ومن الفساد إلى الصلاح فليعمل إرضاء لرب العالمين •

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا : لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فما تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ(٥٤) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ(٥٥) وما يَذْكُرونَ إلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ ، هُوَ أَهْلُ التَّقْوى وأَهْلُ المَغْفِرَةِ)(٥٦) .

قوله تعالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) قال أبو حيان : الرهينة مما غلبت الاسمية فيه على الوصفية كالنطيحة ولذلك ألحقت تاء التأنيث ، وإلا فالفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ، ويستعمل للمؤنث بدونها كالمذكر . وقيل : إن الكلمة مصدر كالشتيمة والتاء للمصدرية ، واختير المصدر لإفادة المبالغة في إفادة ارتهان النفس بمكاسبها ، فكأنها هي الرهن . ويراد بما كسبت المكاسب المطلقة ، وإلا فلو أريدت المكاسب الحسنة فلا مجال لارتهان النفوس بها ، أو المكاسب السيئة فلا وجود لها في أصحاب اليمين ، فالمعنى : إن كل نفس مرهونة بمكاسبها إلا أصحاب اليمين ، فليسوا مرهونين بها لأن مكاسبهم كلها حسنة ، ولا ارتهان للنفوس بالأعمال الحسنة . (إلا أصحاب اليمين) والمراد بأصحاب اليمين المسلمون المخلصون المجردون عن الأعمال السيئة ، ولا يناسب تفسيره بالملائكة لأنهم لا حساب عليهم ولا عقاب فلا رهن ولا فك بالنسبة إليهم ، ولا بأطفال المشركين لأنهم غير مكلفين ، ويدخلون الجنة على الصحيح لأن الجحيم دار العقاب للمكلفين على أعمالهم السيئة وهم لم يصلوا إلى درجة التكليف .

وقوله (في جنات) خبر لمبتدأ محذوف أي هم في جنات ، وتكون الجملة جوابا لمن قال أين أولئك الناس ؟ فأجيبوا بأنهم في جنات . وقوله (يتساءلون عن المجرمين) بيان لبعض أحوال أصحاب اليمين أي لما اطمأنوا في مقرهم من الجنة يَرَوْنَ أصحاب الجحيم لاسيما المبتلين منهم بأشدّ العذاب ، وهم أهل سقر فيسألونهم : (ما سلككم في سقر ؟) أي ما العمل السقيم الذي أدخلكم في سقر ؟ (قالوا : لم نك من المصلّين ، ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع الخائضين ، وكنا نكذب بيوم الدين) أي يجيبون

السائلين عن سبب الدخول في الجحيم ، ولاسيما سقر بما مضى • وحاصله : فساد أعمالنا أما من حيث أداء الواجبات فكففنا أنفسنا عن أداء الصلاة التي هي صلة بين العبد وبين ربه • وأما من حيث خدمة المجتمع ورعاية الضعفاء فكففنا أنفسنا عن إطعام المساكين بما يسدّ رمقهم ، وبخلنا بذلك عليهم ، وأهملنا هذا الواجب الإسلامي الاجتماعي ، فإن الغني يجب عليه إطعام الفقير الفاقد ، غير أنه يجوز له إذا لم يتبرع بما ينفق عليه أن يشهد عدلين على أنه ينفق على هذا على اعتبار أخذ العوض منه عند الإمكان • وأما من ناحية الانتباه لإصلاح حالنا فتركنا ذلك وكنا نخوض أي نخوض في أعماق البطالة واللعب والجهالة مع الخائضين وأما من ناحية الاعتقاد والمعنويات فكنا كافرين ، وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم الجزاء ، أي كنا نعتقد أن لا مسئولية علينا ولا سؤال ولا جواب ، واستمررنا على هذه الصفات اللازمة للفاسقين (حتى أتينا اليقين) أي الموت المحقق الذي لاشك فيه من العاقلين • أو حتى متنا وبعثنا وعلمنا بيوم الدين علم اليقين • وما داموا كذلك (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لأن أولئك الكفار قرناء للشيطان اللعين •

ويستفاد من حرف الفاء ووقوع مابعدها من تلك الصفات الذميمة بعدها أن غيرهم من المؤمنين تنفعهم الشفاعة ، ولو كانوا عاصين فاسقين •

ثم يستنكر الباري تعالى إعراضهم عن الحق حتى يبتلوا بهذه البلايا ويقول : (فمالهم عن التذكرة معرضين) أي فأي نفع يحصل لهم حالكونهم معرضين عن التذكرة وهي القرآن الكريم ، أو بحث سقر وسائر منازله

العقاب في الآخرة ، وإذا وجدوا الرسول يقرأ القرآن أو يذكرهم بالسقر والسعير ركضوا وابتعدوا عنه (كأنهم حمر مستنفرة) أي كالحمر الوحشية التي تنفر وتعدو في الجبل (فرت من قسورة) أي أسد لقينها فيه . وانظروا إلى بلاغة القرآن بحسن البيان وتشبيه الجهال الذين لا يريدون أن يفهموا الحقائق باخس الحيوان ، وتشبيه الرسول المسعود بأسد من الأسود . والقسورة الأسد . وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشره) أي أعرض عن استماعهم لوعظ الرسول وإرشاده وإطاعة الحق في أحكامه وخطابه ، يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا مكتوبة واضحة منشورة يؤتى بها إليه معنونة من حضرة الباري جل جلاله إلى فلان بن فلان حتى يترفع في مقامه بأنه مخاطب من الله تعالى أو صديقه ويهدي إليه كتابه . روي أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن سرك أن نتابعك فأت كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان ، نؤمر فيها باتباعك ! فنزلت الآية .

(كلا بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون عن التذكرة (كلا إنه تذكرة) أي إن القرآن تذكرة أو ذكر سقر تذكرة (فمن شاء ذكره) وتلاه وتبعه وتفكر فيه ونال من الخير ما يبتغيه (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) فإن الله علم في الأزل حال العباد المطيعين والعصاة المتمردين ومن الذي يتوجه الى ذكره وأراد عند علمه بذلك تحقق المعلوم في المستقبل كما هنالك ، فلما جاء وقت عمل العامل تتقدم بالذات إرادته التابعة لعلمه الحاكي عن المعلوم على إرادة العامل وعمله تشريفا للخالق على المخلوق ، فشاء الخالق وشاء العامل وتحقق المعلوم على القدر المرسوم (هو أهل التقوى) يعني ان الله الأهل المستحق بالذات لأن يتقى مخالفته ويلتزم طاعته (وأهل المغفرة) لذنوب عباده المؤمنين به الراجين لرحمته . ونسأله تعالى أن يرحمنا ، ويغفر ذنوبنا ، ويستر عيوبنا ، ويكشف كروبنا ، فإنه هو الغفور الرءوف الرحيم .

سورة القيامة ، مكية ، آياتها أربعون
او تسع وثلاثون ، نزلت بعد القارعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ؟(٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤) بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ : أَيْنَ الْمَفَرُّ ؟(١٠) كَلاَّ لا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)(١٥) .

قوله تعالى (لا أقسم بيوم القيامة) أي أقسم بيوم القيامة ، وحقيقته أقسم بالقادر المقتدر الذي يأتي بيوم القيامة الجامع لأنواع الأحوال المدهشة والتغيرات العجيبة في الكون والكائنات في الأرض والسماوات . وقالوا

لتوجيه زيادة حرف النفي إن إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض وشائع بين الناس . والتحقيق الذي ارتضاه بعض المحققين أن كلمة لا في مقام القسم لم تكن ولا تكون زائدة أبدا ، بل هي لإفادة غاية التأكيد والقوة في المقام ، وذلك لأن القسم والحلف واليمين بمعنى القوة تذكر لتأكيد الجمل الخبرية ، فإن الجمل الإنشائية لا تناسبها التأكيد . فإذا وردت الأيمان مثبتة فالأمر ظاهر ، وإن كانت منفية نحو لا أحلف بالله إن الأمر الفلاني كذا ، فمعناه أن المقسم عليه في غاية الوضوح والبداهة ، وفي نهاية الجلاء فلا يناسبه التأكيد ، ففي هذا يستفاد تأكيد فوق التأكيد بإيرادها على صورة النفي .

ومعنى الكلام هنا لا أقسم بيوم القيامة ومحصلها العظيم . ولا أقسم بالنفس اللوامة التي تحير العاقل الحكيم أن البعث بعد الموت حق وجمع العظام الرميمة بعد الفناء ثابت . بقي شيء هو أن الحلف بغير الله وصفاته مذموم ، فكيف يقسم الباري بأشياء من مصنوعاته ؟ والجواب أن أصل اليمين الواردة في محاورات الإنسان بعضهم مع بعض لتأكيد الكلام وإفادة قوته وتحققه على جريان العادة ، فإذا كان شخص عزيزا عند شخص أو محبوبا له كالولد عند الوالدين أو الصديق لصديقه فهو يؤكد بذكره مع إخباره بمطلوبه فيقول : وحياتك يا ولدي أو يا صديقي أو يا سيدي إن الامر الفلاني كذا ، سواء كان صادقا في ذلك أو كاذبا . وذلك كان معتادا منذ خلق البشر والمحاورات .

وأما النهي عن الحلف بغير الله تعالى سواء كان خلاف الأولى أو مكروها أو جريمة كبيرة أو كفرا على بعض الوجوه فهو عرف طارىء ورد مع ورود الشريعة . قال الشوكاني في الجزء الثامن من كتاب نيل الأوطار في شرح النهي عن الحلف بغير الله تعالى : قال العلماء : السر في النهي عن الحلف

بغير الله تعالى أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه ، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده ، فلا يحلف إلا بالله وذاته وصفاته . وعلى ذلك اتفق الفقهاء . واختلف : هل الحلف بغير الله حرام أو مكروه ؟ للمالكية والحنابلة قولان . ويحمل ما حكاه ابن عبدالبر من الإجماع على عدم جواز الحلف بغير الله تعالى على أن مراده بنفي الجواز الكراهة أعم من التحريم والتنزيه . وقد صرح بذلك في موضع آخر . وجمهور الشافعية على أنه مكروه تنزيها . وجزم ابن حزم بالتحريم . وقال إمام الحرمين : المذهب القطع بالكراهة . وجزم غيره بالتفصيل : فإن اعتقد في المحلوف به ما يعتقد في الله تعالى كان بذلك الاعتقاد كفرا . ومذهب الهادوية أنه لا إثم في الحلف بغير الله مالم يسو بينه وبين الله تعالى في التعظيم ، أو كان الحلف متضمنا كفرا أو فسقا . وسيأتي الكلام على من يكفر بحلفه إنتهى .

(ولا أقسم بالنفس اللوامة) تطلق النفس على معان ، والمشهور منها معنيان :

الأول : القوة الجامحة للغضب والشهوة المشار إليها بالحديث الشريف « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك » .

والثاني : اللطيفة التي يعبر عنها بالإنسان ، فهي في ذاتها واحدة ، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب اختلاف أحوالها . فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة . قال الله تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعارضة ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاه . قال الله تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) . وإن تركت الاعتراض وأذعنت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس

الأمارة . قال تعالى حكاية عن عبده يوسف عليه السلام : (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) ويجوز أن يقال : المراد بالنفس الأمارة بالسوء هي النفس بالمعنى الأول فإن النفس بالمعنى الأول مذمومة غاية الذم ، وبالمعنى الثاني محمودة لأنها نفس الإنسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وسائر المعلومات .

ومنهم من يقول : إن النفس مطلقا هي الروح الإنسانية لكنها لها أسام باعتبارات : فباعتبار انقيادها لله نفس مطمئنة ، وباعتبار لومها لنفسها في الأعمال الفاسدة تسمى باللوامة وباعتبار أمرها بالسيئات تسمى بالنفس الأمارة .

فإقسامه تعالى بالنفس اللوامة على اعتبار الشرف للنفس الإنسانية المتأثرة بالوعظ والإرشاد ، واللائمة لنفسها عند ارتكاب الفساد . وقال بعض المفسرين : إن المراد بالنفس اللوامة مطلق النفس الإنسانية الشاملة للتقية والفاجرة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة ؛ فإن عملت خيرا قالت : كيف لم أزد منه ، وإن عملت شرا قالت : ليتني قصرت » وضم هذا القسم إلى القسم بيوم القيامة لأن هذه التأثرات تظهر هناك . والمقسم عليه على كل حال هو أن الموتى يبعثون يوم القيامة بعد جمع عظامه كيف كانت ، والدليل عليه قوله العظيم (أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه ؟) أي أيحسب أن الشأن لن نجمع عظامه المتمزقة البالية الصائرة ترابا ثابتا أو غبارا طائرا أدراج الرياح ؟ (بلى) أي بلى كنا (قادرين على أن) نجمع عظامه ونكسوها لحما ونزيد عليها الأعصاب وسائر مقومات شخصه بالمادة والصورة والهوية الشخصية التي بها يمتاز إنسان عن أخيه بل أحد التوأمين عن الآخر بأن (نسوّي بنانه) أي أطراف أصابعه بحيث لا يشارك إنسان إنسانا في

خطوطها . (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) أي دع تعنيفه ولومه فإنه أبعد من ذلك وأنى يرتدع وهو يريد ليدوم على فجوره فيما أمامه من الأوقات وفيما يستقبله إلى الممات (يسأل) استهزاء (أيان يوم القيامة ؟) أي متى تكون القيامة المقررة أن تكون بعد خراب هذا العالم ؟ (فاذا برق البصر) أي طغى وتحير فزعا (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) أي في ذهاب الضوء أو الطلوع من المغرب ، أو اتحد مدارهما بأن يتغير الوضع ويتحد مدار منطقة البروج والمعدل (يقول الإنسان يومئذ) مستفهما : (أين المفر ؟) يطلب مكانا يفر اليه أو يطلب عن إمكان الفرار (كلا لا وزر) أي لا ملجأ يلتجيء إليه (إلى ربك يومئذ المستقر) أي استقرار العباد أو محل فرارهم وقرارهم هل هو الجنة أو النار (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم) من الأعمال الحسنة (وأخر) منها ولم يعملها (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أي إطلاع وعلم وخبرة مصدر حمل على الإنسان مبالغة ، أو شاهدة بتقدير الموصوف ، أي نفس شاهدة وحجة واضحة (ولو ألقى معاذيره) أي طرحها أمام المحاسب ، فلا قيمة لها لأن العيان مغن عن البيان .

(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ : مَنْ رَاقٍ ؟ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ(٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى(٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى(٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ؟(٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى(٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ؟!(٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ؟)(٤٠)

وقوله تعالى : (لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه) : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة ، فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن يتفلت منه ، يريد أن يحفظه ، فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) يقول إن علينا أن نجمعه في صدرك ثم تقرأه ، (فإذا قرأناه) يقول : فإذا أنزلناه عليك (فاتبع قرآنه) يقول : فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) يقول أنْ نُبينهُ بلسانك فتقرأه ، فكان رسول الله بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق واستمع ، فإذا ذهب جبريل قرأه كما أقرأه الله تعالى • أخرجه البخاري ومسلم • (كلا) ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة أو عن الإنسان من الاغترار بالعاجل فيقول : (بل تحبون العاجلة) أي التمتعات الحاضرة في الدنيا (وتذرون الآخرة) وتتركون الآخرة ولا تهتمون بأمورها ، مع أن الآخرة خير وأبقى (وجوه يومئذ ناضرة) بهية مستبشرة متهللة (إلى ربها ناظرة) تراه مستغرقة في أنوار جماله غافلا عن أحواله •

والجمهور يستدلون بهذه الآية الجميلة على وقوع رؤية الله في الآخرة بالعيون • ويكشف هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « إنكم سترون

ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » وما عارضنا به المخالف من الشواهد الدالة على امتناع رؤيته تؤول بامتناع رؤيته تعالى من الكافرين ، أو في هذه الدنيا لا في الآخرة ، أو مؤول برؤية استيعابية إلى أقصى درجة كشفية • على أن المخالف بنى خلافه على اعتبار شرائط الرؤية بيننا في هذه الدار معتبرة في رؤية الباري تعالى في تلك الدار ، وليس ذلك أمرا معقولا معتبرا ، لأن ذلك مبني على قياس الغائب على الشاهد ، وذلك غير مفيد قطعا • فنحن جمهور المسلمين نؤمن برؤية الباري تعالى بأعيننا في الآخرة على استناد هذه الآية والحديث الشريف •

(ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس (تظن أن يفعل بها فاقرة) أي داهية تكسر عظام فقرة ظهره • وهي نائب فاعل يفعل أي اذا أراد أن ينظر إلى ربه تعالى أتته حالة فظيعة وداهية شديدة لا يمكنه معها رفع الرأس والنظر إلى الرئيس • وتلك قوة غضبية انتقامية من ربه تعالى تمنعه من نيل هذا المقام لما تحمله في الدنيا من الكفر والآثام •

(كلا إذا بلغت التراقي) أي إذا بلغت النفس أعالي الصدر (وقيل : مَنْ راق ؟) أي من يرقيه مما به من المحنة ليخلص منها (وظن) أي المحتضر (أنه الفراق) له من الدنيا وما فيها من الأولاد والأحباب والأموال (والتفت الساق بالساق) أي والتوت ساقه بساقه بحيث لا يقدر أن يميز بينهما وقوله (إلى ربك يومئذ المساق) أي سوقه دليل على جواب الشرط المحذوف ، أي انكشف حينئذ للمرء جزاؤه وصفاؤه ومجازاته وجفاؤه لأنه يساق إلى الله تعالى فيحاسب وتتبين الأمور وحينئذ يحاسب الكافر (ف) يظهر أنه (لا صدق) وما آمن بما يجب الإيمان به (ولا صلى) في الأوقات المحدودة الفرائض المعدودة (ولكن كذب) برسول ربه فكذب بما يجب التصديق به (وتولى) وأعرض عن أداء الواجب صلاة أو صياما أو زكاة

أو غيرها • (ثم ذهب إلى أهله يتمطّى) يتبختر ويتمشى مشـي المتكبرين (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) أي أولى لك الهلاك من النجاة فأولى لك هذا من ذلك ، ثم أولى لك فأَوْلى • عن سعيد بن جبير أنّه سأل ابن عباس عن قوله : أولى لك فأولى أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهل من قبل نفسه أم أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قِبَل نفسه ثم أنزله الله تعالى • أخرجه النسائي والحاكم وصححه • قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات ليلة فاستقبله أبو جهل على باب المسجد فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد أبي جهل فهزه مرة أو مرتين ثم قال له : أولى لك فأولى • فقال له أبو جهل : أتهددني ؟ فوالله إني لأَعَزّ أهل الوادي وأكرمه ! ونزل على رسول الله صلى الله عليـه وسلم ما قاله النبي لأبي جهل ، وهي كلمة وعيد •

(أيحسب الإنسان أن يترك سُدًى ؟) أي مهملا لا يكلف ولا يجزي ولا يجازى • والسـدى الخيوط الممتدة لصنع الثياب ، واللحمة الخيوط التي تقابلها وترتبط بها ويحصل منهما الثياب (ألم يك نطفة من منيّ يُمنى) أي يمنيها الرجل ويصبّها في الرحم (ثم كان علقة) أي صار قطعـة دم (فخلق فسوى) أي فخلق منها اللحم والعظم والعروق والأعصاب فسواه إنسانا مستويا على حسب إرادته (فجعل منه الزوجين) الصنفين من الآدميين (الذكر والأنثى • أليسَ ذلِكَ بقادِرٍ علَى أن يُحييَ الموتى ؟) أي يعيد خلقهم وتصويرهم وإعادتهم رجالا ونساء فيأخـذ كل مقامه المناسب لأعماله وأحواله في مآله • بلى إنه على كل شيء قدير ، وبإفاضة الرحمة على عباده حري حقيق جدير • سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين •

سورة الإنسان ، مدنية

وآياتها إحدى وثلاثون ، نزلت بعد الرحمن *

بسم الله الرحمن الرحيم

(هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ؟(١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ، فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً(٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ، إِمَّا شَاكِراً ، وإِمَّا كَفُوراً(٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيراً(٤) إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً(٥) عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً(٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً(٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً(٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولا شُكُوراً(٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً(١٠) فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وسُرُوراً)(١١) .

قوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) قالوا إن أصل هل أهل والهمزة للاستفهام ، وهل بمعنى قد وهي للتقريب ولما كثر استعمالها كذلك أفادت معناها ومعنى الهمزة ، وصار بمعنى أهل . وقيل : هي نفسها للاستفهام ولا تقريب . والاستفهام للتقرير . أي جعل المخاطب مقرا بما ذكر بعدها حتى يقول المخاطب نعم قد أتى على الإنسان أي مادته الأصلية ، حين لم يكن ذلك الإنسان شيئا مذكورا فيه ، فإذا أقر المخاطب بذلك قلنا له : فكيف لا تقر بأن الخالق الذي خلقه بصنعه أساساً قادر على أن يُعيده ويبعثه بعد الموت للجزاء ؟

(إنا خلقناه من نطفة أمشاج) إذا كان المراد بالإنسان المذكور سابقا آدم عليه السلام وجب اعتبار الاستخدام في ضمير خلقناه ، فإن آدم لم يكن مخلوقا من النطفة ، وإنما المخلوق منها نسله ، وإن كان المراد غيره فالإضمار على العادة الثابتة . يقول الباري تعالى : إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج أي أخلاط ، فإنه مخلوق من مجموع نطفتي الرجل والمرأة . فأمشاج جمع مشيج بمعنى خليط وقيل : إن أمشاج مفرد كأعشار . وقوله نبتليه جملة حالية أي حالكوننا نكلفه ونختبره ونمتحنه ليتبين هل يعمل عملا نافعا لنفسه ولغيره أو لايعمل هكذا ؟ (فجعلناه سميعا بصيرا) حتى تكون فيه قابلية الاختبار والابتلاء (إنا هديناه السبيل) أي أرشدناه سبيل الخير والشر بنصب الدلائل المستفادة من بعث الرسول (إما شاكرا وإما كفورا) أي فهو بعد إرشاده إلى سبيل الخير والشر إما يكون شاكرا لأوامر الله تعالى ونواهيه بالتزامه لهما ، وإما يكون كفورا برفضه لهما .

ثم بين ما يترتب على الشكر أو الكفر فقال : (إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا) أي سلاسل بها يقادون إلى جهنم ، وأغلالا بها يقيدون ، وسعيرا فيها يدخلون ويحرقون . هذا حال الكفور ، وقدّمه

لأن الإنذار أهم من التبشير • وأما الشاكرون فقد بين أحوالهم بقوله (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) أي يشربون في الجنة من كأس من خمر لذة للشاربين ، وما تمتزج به هو الكافور لبرده وعذوبته وطيب رائحته حالكون ذلك الكافور (عيناً يشرب بها) أي منها (عباد الله يفجرونها تفجيرا) يُجرونَها حيث شاءوا إجْراءً سَهْلاً (يوفون بالنذر) مما رزقوا منه (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أي فاشيا منتشرا (ويطعمون الطعام على حبه) أي على حب الله ، أو حب الطعام وذوقهم فيه (مسكينا ويتيما وأسيرا) أسر من الكفار إذا كانوا عندنا قائلين (إنما نطعمكم لوجه الله) ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أي مقابلا ، أو شكرا فإن الخالص لله خالص له (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أي نخاف من عذاب يوم عبوس شديد العبوس والعسرة (فوقيهم الله شر ذلك اليوم) أي ولما كان غايتهم ذلك فوقيهم الله شر ذلك اليوم العبوس (ولقيهم نضرة وسرورا) ولقيهم أي وأوصلهم نضرة وسرورا •

(وجَزَاهُمْ بما صَبَرُوا جنّة وحَرِيراً(١٢) مُتَّكِئِينَ فِيها عَلَى الأَرائِكِ لا يَرَوْنَ فِيها شَمْساً ولا زَمْهَرِيراً)(١٣) •

قوله (وَجزاهُم بما صَبَروا) اي جزاهم بما صبروا في الدنيا على قبول مشاق التكليف (جنة) يسكنونها (وحريرا) يلبسونها (متكئين فيها على الأرائك) وهي جمع أريكة وهي السرير في الحجلة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) والمراد من ذلك أن هواءها معتدل لا حر شمس يؤذي ولا برد هواء يؤذي •

(وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُها وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلاً(١٤) ويُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وأَكْوابٍ كانَتْ قواريرا(١٥) قواريرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوها تَقْدِيرا(١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيها كَأْساً

كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً(١٧) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً(١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً(١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً(٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ، وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً(٢١) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً)(٢٢) •

قوله (ودانية عليهم) حال معطوفة على الجملة الحالية وهي لا يرون ، أي حالكونهم دانية أي متدلية قريبة (عليهم ظلالها وذللت قطوفها) أي وذللت ثمارها (تذليلا) أي جعلت سهلة التناول لآخذيها • (ويطاف عليهم بآنية) جمع إناء ، ككساء (من فضة وأكواب) جمع كوب عطف على آنية ، أي ويطاف عليهم بأكواب (كانت) تلك الأكواب (قواريرا) جمع قارورة وهي إناء رقيق من الزجاج تُصَبُّ فيه الأشربة (قوارير من فضة) بدل والكلام على التشبيه (قدروها تقديرا) أي قدروا تلك القوارير في أنفسهم فجاءتحسب ما قدروا بلا زيادة ونقص (ويُسْقَون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أي مزاج تلك الكأس الخمرية كان زنجبيلا حالكون ذلك (عينا فيها) أي في الجنة (تسمى سلسبيلا) وكون الزنجبيل اسما لعين في الجنة مروي عن قتادة والظاهر أنهم تارة يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، وتارة من كأس كان مزاجها زنجبيلا •

(ويطوف عليهم) للخدمة (ولدان مخلدون) أي دائمون على ما هم عليهم (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلوءا منثورا) لحسنهم وصفاء ألوانهم (وإذا رأيت ثم) أي في الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) عظيم القدر من المواد المنورة والمفرحة والأنهار والأشجار • (عاليَهُم ثيابُ سُندُسٍ خُضرٍ

وإستبرق) قيل عاليهم ظرف بمعنى فوق على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر ، أي ثياب سندس خضر واستبرق فوقهم ، أي فوق أبدانهم أي يلبسونها . والسندس ما رق من الديباج ، والإستبرق الغليظ منها . (وحلوا أساور من فضة) حلوا فعل ماض للجمع المذكر أصله حليوا من باب التفعيل ، أي وزينوا بحلي هي أساور من فضة لائقة بتلك الدار وذلك الدثار (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) قالوا هذا نوع آخر من الخمر غير ما مزج بالكافور وما مزج بالزنجبيل ، ولذلك أتى بذكر هذا السقي بعد ذكر الكأسين السابقين . والمراد أن الشراب طاهر في ذاته وطهور يطهر قلوبهم ، ويأتيهم النداء من جانب الحق جل جلاله (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم) في الدنيا (مشكورا) مقبولا .

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ، وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ، وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً)(٣١) .

قوله (إنا نحن نزلنا عليك القرآن) أي نزلناه منجما مفرقا مقسما كل جملة منه على بعض الأوقات (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على كفار

مكة وغيرهم (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أي كل واحد من مرتكب الإثم الداعي إليه ومرتكب الكفر الداعي إليه . فإن قلت : إن النهي عن إطاعة الآثم يكفي عن إطاعة الكفور لأن الآثم منهم كفور قلنا التقسيم باعتبار الدعوة ولا يلزم من الدعوة إلى الإثم الدعوة إلى الكفر ولا العكس ، فكانوا منقسمين إلى قسمين ، فمنهم من يدعو الناس إلى الكفر والإشراك ، ومنهم من كان يدعو إلى الإثم وهو عدم إطاعته الرسول في الخير وعدم المبالاة به ، فنهى الله تعالى رسوله عن إطاعة كل من القسمين .

(واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً) وظاهر الآيــة ينادي إلى ذكر الله تعالى نحو الله الرحمن الرحيم وغيرها من الأسماء الحسنى فإن التلفظ بها تبركا وإيقاظا للقلب الغافل عن غفلته من المدلولات الأولية لمثل هذه الآية ، ومثلها كثير في القرآن الكريم كقوله تعالى (فاذكروني أذكركم) وقولــه (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) وقوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار) وقوله (واذكر ربك في نفسك تضرعا) وقولــه (واذكر ربك إذا نسيت) وقوله (واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا) وقوله (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وقوله (وإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وقوله (واذكروا الله في أيام معدودات) وقوله (فإذا قضيتــم الصلوة فاذكروا الله) وقولــه تعالى (إن الذين آمنــوا وعملــوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) ... وغيرها من الآيات الجليلة . فإنها كلها تعم لوجوه كثيرة من الذكر كذكره تعالى على سبيل تعداد المفردات المعدودة في التعبير نحو الله ، الله ، الله ... أو على سبيل النداء نحو يا ألله ، يا ألله . أو مع كلمة التوحيــد نحو لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله . أو مــع التسبيح والتحميد والتكبــير نحو سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم . ونحو سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ... وغيرها من التعبيرات .

وبيان معنى بعض الآيات بوجه خاص كالبسملة عند الذبح ، أو التلبية عند الإحرام بالحج لا ينافي ولا يمنع شمولها لما ذكرنا ، فإن العام الوارد على سبب خاص لا يختص به ويبقى على عمومه ، وعدم اشتغال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه بذلك النوع لأنه كان عندهم واجبات مهمة ، وقد ورد النهي عن مطاوعة الغافلة عن ذكر الله تعالى . وقال (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) أو أن معناه الأمر بالدوام على صلاة الفجر والظهر والعصر .

(ومن الليل فاسجد له) أي وفي بعض أوقات الليل فاسجد ، أي فصل له تعالى لكن التقيد بذكر ركن هو أفيد الأركان لأن أقرب أوقات الإنسان من الله وقت السجود له . ولعل المراد به صلاة المغرب وصلاة العشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي وتهجد له مقدارا طويلا من الليل (إن هؤلاء يحبون العاجلة) وهي الدنيا ومتاعها (ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) تحمله لما فيه من العذاب والعقاب (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) أي وأحكمنا ارتباط مفاصلهم بعضها ببعض (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا . إن هذه) أي هذه السورة (تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي طريقا يفيد السير عليه الوصول إلى المأمول .

(وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وبيان ذلك أن الله تعالى عالم أزلا وأبدا بجميع المعلومات ولا يتخلف المعلوم عن علمه ، ومريد لكل الموجودات ولا يتخلف المراد عن إرادته ، ومنفرد بالقدرة فهو الخالق لكل مخلوق من المخلوقات . وقد علم أزلا أنه يخلق العباد مع قوة الاستعداد ، وأن فيهم رغبة إلى ما يحبون موافقا للحق أولا ، ويريدون جلبه ولما كان هو المتفرد بالخلق التابع للإرادة التابعة لعلمه الحاكي عن أعمال العباد في المستقبل فإذا جاء وقت عمل العبد توجه إلى ما علم أزلا أنه يفعله باختياره وإرادته لو

كان مستقلا .. أراده إرادة متقدمة بالذات على إرادة العبد وخلق المراد لأن الله هو السابق في ميدان الخلق فلا إجبار منه على عباده ، لأنه خلقهم سالمين عالمين عاملين مع الحواس السليمة والمشاعر المستقيمة ، ولهم أسماع يسمعون بها وأبصار يبصرون بها ، ودماغ يتخيلون به ، وقلوب يتفكرون بها ، ورغبات في مشتهيات ، ورهبات عن مكروهات ، والجذب والدفع موجودان ، والجهاز مناسب للسلب والإيجاب وهو برغبته يحب ذلك ، وبكراهته يكره ذلك ، وقد علم الله تعالى أزلا كيف يتصرف العبد وإلى أين يميل وعن أي طريق ينحرف . ولا خالقية للعباد لأنهم لو كانوا خالقين لخلق كل كاسب صنعته من أفضل الصنائع ، فكان كرسي ذلك النجار أحسن الكراسي ، وكتابة ذلك الكاتب أحسن الخطوط على القرطاس ، وإنما هم كاسبون بتفويض الميل الجزئي إليهم ليكون سببا لخلق الباري تعالى مرادهم على حسب إرادتهم وهذا هو حاصل تحقيق أهل العلم بالأصول فمن الله التوفيق على الخير وبه العون للوصول .

(إن الله كان عليما) بأعمالنا (حكيما) في توديع القوى والمشاعر إلى عباده (يدخل من يشاء في رحمته) حسب سعي العبد في تحسين نيته (والظالمين) بإضاعة الميل إلى الخير (أعدّ لهم عذابا أليما) أعاذنا الله منه بفضله ورحمته آمين .

سورة المرسلات ، مكية ، إلا آية ٤٨ وآياتها خمسون .
نزلت بعد الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً(١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً(٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً(٣) فالفَارِقَاتِ فَرْقاً(٤) فالمُلْقِيَاتِ ذِكْراً(٥) عُذْراً أو نُذْراً(٦) إنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ(٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ(٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ(٩) وإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ(١٠) وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ(١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(١٢) لِيَوْمِ الفَصْلِ(١٣) وما أَدْرِيكَ ما يَوْمُ الفَصْلِ ؟(١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمكَذِّبِينَ(١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينَ ؟(١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ(١٧) كَذلِكَ نَفْعَلُ بِالمُجْرِمِينَ(١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلمكَذِّبِينَ)(١٩) .

قوله تعالى (والمرسلات عرفا) روي أن هذه السورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . قال ابن مسعود : ونحن معه نسير حتى وصلنا إلى غار مِنى فنزلت ، فبينما نحن تتلقاها منه وفُوهُ رَطب بها إذ وثبَت حيّة فتَوَثَبنا عليها لنقتلها ، فذهبت ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

« وقيتم شرّها كما وقيتْ شرّكم » والغار المذكور مشهور في منى يسمى غار المرسلات .

وقد أقسم الباري سبحانه وتعالى بصفات خمسة موصوفها محذوف ، فقدّره بعضهم الرّياح في الكلّ . وبعضهم قدّره الملائكة في الكل . وبعضهم غاير فجعله تارةً الرياحَ وتارةً الملائكة . ومن جعله الملائكة فقال : المُرْسَلات ، والعاصفاتُ طوائف ، والنّاشرات والفارقات والملقياتُ طوائف اخرى . فالأول طوائف أرْسِلت بأمره تعالى وأمرن بانفاذه أي تنفيذ الأمر فعَصَفْنَ بالمُضيّ وأسْرَعن كما تعصِف الريح تخففاً في امتثال الأمر وإيقاع العذاب بالكفرة إنقاذاً للأنبياء ونصرةً لهم . والثاني طوائف نَشَرن أجنحتهنّ في الجوّ عند نزولهن بالوحي فَفَرّقْنَ بين الحق والباطل فألْقَيْنَ ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام .

والمعنى أُقسِمُ بالملائكة المُرْسلات بأمره تعالى عُرفاً أي متتابِعاً بعضُهم لبعض فعَصَفْن وأسْرعن بالحَرَكة إلى محلّهم المقصود . وأقسم بالملائكة النّاشرات أجنحتَهن عند انحطاطهن بالوحي ففرّقنَ بينَ الحق والباطل فألْقَين ذكراً للأنبياء عليهم السلام . ولعل من يلقى ذكراً لهم غير مختص بجبرئيل عليهم السلام بل هو رئيسهم .

وقوله (عذرا أو نذرا) أي للأعذار والإنذار وقوله (إنما توعدون لواقع) هو المُقْسَمُ عليه أي إن الذي توعدونه لواقع متحقق في الخارج إنْ عاجلا أو آجلاً (فإذا النجوم طُمِسَت) أي مُحِيَ ضوؤها (وإذا السماءُ فرجت) أي شقّت (وإذا الجبال نُسفَت) أي فتّتت وسيّرت (وإذا الرّسُل أقتت) أي جمعت لوقت عند الباري تعالى ليشهدوا على عباد الله تعالى (لأيّ يوم أجّلت) الشهادة منهم على النّاس (ليوم الفصل)

بين الخلق (وما أدريك ما يوم الفصل ، وَيْلٌ يَومئذ للمكذّبين) أي في ذلك اليوم الهائل ، وويل في الأصل مصدر بمعنى الهلاك (ألم نهلك الأولين ؟) كقوم نوح وعاد وثمود (ثم نتبعُهُمُ الآخرين) أي كمشركي مكة وَمَن يحذو حذوهم (كذلك نفعل بالمجرمين) أي بكل مَن أجْرَمَ ، فإن سنة الله لا تتبدل (ويل يومئذ للمكذبين) بآيات الله ومعجزات المرسلين.

(أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهِينٍ ؟(٢٠) فَجَعلناهُ فِي قرارٍ مَكِينٍ(٢١) إلى قَدَرٍ مَعْلُومٍ(٢٢) فَقَدَرْنا فَنِعْمَ الْقادِرُونَ(٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً ؟(٢٥) أَحْياءً وَأَمْواتاً(٢٦) وَجَعَلْنَا فِيها رَواسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ ماءً فُراتاً(٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلمكذِّبِينَ)(٢٨).

قوله تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين ؟) أي ألم نخلقكم من نطفة قذرة مهينة (فجعلناه) أي ذلك الماء (في قرار) أي (مكين) مستحكم وهو الرحم (إلى قدر معلوم) أي مقدار من الزمان معين عند الله تعالى وهو زمان الحمل (فقدرنا) أي ففرضنا ذلك الزمان لنمو النطفة فيه إلى أن يستعد للخروج (فنعم القادرون) أي فنعم الفارضون المقدرون ذلك الزمان لبقاء النطفة مع تطوراتها في الرحم (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك (ألم نجعل الأرض كفاتا ؟) أي ضامّة لكم تضم في كل وقت وزمان (أحياء وأمواتا) فكما تضمكم في الحياة تضمكم في الممات أيضا حيث أنتم مقبورون (وجعلنا فيها رواسي) أي وخلقنا في الأرض جبالا عوالي ثوابت في الأرض (شامخات) مرتفعات على سطحها (وأسقيناكم ماء فراتا) أي ماء عذبا صافيا عن الملوحة والمرارة بأن خلقناه في أصولها وأظهرناه لكم من منابع وعيون فصارت أنهارا (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم المفيدة.

(إِنْطَلِقُوا إِلى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢٩) إِنْطَلِقُوا إِلى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ(٣٠) لا ظَلِيلٍ ولا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ(٣١) إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كالقَصْرِ(٣٢) كأَنَّهُ جِمالَةٌ صُفْرٌ(٣٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٣٤) هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ(٣٥) ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ(٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٣٧) هذا يَوْمُ الفَصْلِ جَمَعْناكُمْ والأَوَّلِينَ(٣٨) فإِنْ كانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ(٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٤٠) إِنَّ المُتَّقِينَ فِي ظِلالٍ وعُيُونٍ(٤١) وفَواكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ(٤٢) كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ(٤٣) إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ(٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٤٥) كُلُوا وتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ(٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٤٧) وإِذا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ(٤٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ(٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ؟)(٥٠) .

قوله (إنطلقوا) أي يقال لهم : إنطلقوا (إلى ماكنتم به تكذبون) من العذاب وشدته (إنطلقوا إلى ظل) يعني ظل دخان جهنم (ذي ثلاث شعب) يتشعب لكثرته وبُعْدِ أَقْطاره (لا ظَلِيلٍ) ذلك الظل (ولا يُغني من اللّهب) أي ليس ذلك الظل كظل مفيد ببرودة مّا يستريح تحته المقيمون هنا ، ولا يغني الناس أي ولا يدفع عنهم شيئا من اللهب وحره . وهذا تهكم بهم لأن ظل دخان جهنم لا ينتظر منه الخير والراحة مطلقا ، كيف وقد قال (إنها ترمي بشرر كالقصر) أي إن نار جهنم ترمي بموجات من الشرارة كل شرارة منها كالقصر في عظم حجمها وقوله (كأنه جمالت صفر) يبين لونها

يعني إن تلك الموجات النارية لامتزاجها بالدخان وغلبة النارية فيها تشبه الجمل الكبير الأصفر (ويل يومئذ للمكذبين) وجمالت جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع ، وصفر بضم الصاد جمع صفراء •

(هذا يوم لا ينطقون) أي وهذا الوقت أعني وقت دخولهم النار وقت لا ينطقون فيه لغلبة الدهشة عليهم بحيث بقوا مبهوتين (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أي لا يؤذن لهم في الاعتذار حتى يعتذروا عما اقترفت أيديهم من السيئات (ويل يومئذ للمكذبين • هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل (جمعناكم) فيه (والأولين) أي من تقدمكم من الأمم حتى نحاسبهم على أعمالهم ونميز المحقين عن المبطلين (فان كان لكم كيد) أي حيلة لطيفة تتخلصون بها من المحاسبة أو من عسرتها أو من إصابة عاقبتها (فكيدون) أي فأتوا بذلك الكيد إلينا أو فافعلوها بغية استخلاصكم (ويل يومئذ للمكذبين) حيث يظهر لهم أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه •

ولما بين حال الكافرين أخذ في بيان أحوال المؤمنين وقال : (إن المتقين) أي عن الكفر والمعاصي (في ظلال) جمع ظل وهو فيء بساتين الجنة (وعيون) جارية من البساتين (وفواكه مما يشتهون ، كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة الناشئة من النيات الحسنة • (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي العاملين بإحسان (ويل يومئذ للمكذبين) الباقين في العذاب الذين يقال لهم في وقت تعذيبهم (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وقد أجرمتم في الدنيا كما شئتم ونعذبكم اليوم كما نشاء • وتعبير كلوا وتمتعوا وارد على سبيل التهكم والتحقير ، وكذلك قليلا ، ومعناه : إن هذا العذاب لشيىء قليل لا يضركم (ويل يومئذ للمكذبين) (وإذا قيل لهم اركعوا) أي صلّوا (لا يركعون) أي ما كانوا يركعون (ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده) أي بعد القرآن (يؤمنون ؟) إذا لم يؤمنوا بذلك الكتاب الهادي إلى الصواب •

الجزء الثلاثون

سورة النبأ ، مكية ، وآياتها أربعون ،
نزلت بعد سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

(عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً ؟)(١٦) .

قوله تعالى : (عمّ يتساءلون ؟) أصل عم عما بحرف الجر وأداة الاستفهام ، فحذف ألفها على أصل مقرر كما يقول ابن مالك :

وما في الاستفهام إن جرّت حذف ألِفها وأولِها الها إن تقف

ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه وهو البعث بعد الموت ، وضمير الجمع في يتساءلون راجع إلى كفار قريش وإن لم يتقدم ذكرهم ،

لكنهم لما كانوا يبحثون عن هذا الأمر بالاستمرار فكانوا كالحاضرين في معرض السؤال عن الآخرة • وقوله (عن النبأ العظيم) جواب للاستفهام ، وبيان لشأن المسئول عنه بإبهام أمره وتوصيف النبأ بالعظيم (الذي هم) أي كفار مكة الذين هم (فيه مختلفون) سلبا وإيجابا فمنهم من يعترف به ويقرره ، ومنهم من ينحرف ولا يعترف به • (كلا سيعلمون) ردع وزجر وإبعاد لمن لا يقر به وينكره فيقول : كلا سيعلمون أي أولئك المتسائلون المستهزءون (ثم كلا سيعلمون) ما يلاقونه من أنواع العذاب بعد الموت الذي ينكرونه ، وكيف ينكرون البعث الذي هو بالنسبة إلى صنع الكائنات كحلقة في فلاة (ألم نجعل الأرض مهادا ؟) أي ألم نخلق الأرض وجعلناها فراشا ممهدا مفروشا تحت أقدام الماشين عليها ومقرا للقاعدين الساكنين عليها (والجبال) الراسية النافذة في أعماقها (أوتادا) لتوازن أثقال الأرض وتوازنها في حركتها ودورانها •

(وخلقناكم) عليها حالكونكم (أزواجا) مؤلّفة من الذكر والأنثى لتتراحموا وتتآلفوا وتتزاوجوا ويستأنس كلٌ بالآخر وتعاونوا في المعيشة براحة ، وتتوالدوا لبقاء النسل على طبيعة الأصل (وجعلنا نومكم) بعد العمل (سباتا) أي راحة لأبدانكم واستعادة لقواكم (وجعلنا الليل) لكم (لباسا) يستركم عن أعين الناس ويقيكم عن الأعداء ، لأنه يستركم بظلامه عن هجمات الناس القاصدين لإبادتكم (وجعلنا النهار معاشا) أي زمان كسب للمعيشة (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) من السماوات قوية الخلق محكمة لا يسقط بدون عمد يرى بل بجاذبة إلهية ربانية (وجعلنا) فيها بل في الأولى منها (سراجا وهاجا) مشرقا صافيا متلألأ ليتنور فضاء الكائنات ليكتسب الكاسب ما أعِدّ له من البركات (وأنزلنا من المعصرات) أي من السحب التي هي ذات عصر من ضغط الرياح الهابة القوية التي لها ضغط

على السحاب (ماءً) مقطرا (ثجاجا) أي منصبا بكثرة (لنخرج به) من أعماق الأرض (حبا ونباتا) أي زراعة تكون ذات سنابل وفي كل سنبلة حبوب ، أو ترتبط بها الحبات مباشرة ونباتا مما يأكله الإنسان والأنعام ، وسائر الطيور والحشرات والهوام ، أو أشجارا تعلو وتثمر مدة بقائها بحسب ما لها من القوام • وقوله (ألفافا) جمع لفيف أي ملتفة يدخل بعضها في بعض يصح اعتبارها للنبات على اختلاف أنواعها وأصنافها وأشخاصها ، فإنها إذا كثرت وازدحمت دخل بعضها في بعض •

(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً(١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً(١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً(١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً(٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً(٢١) لِلطَّاغِينَ مَآباً(٢٢) لَا بِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً(٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً(٢٤) إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً(٢٥) جَزَاءً وِفَاقاً(٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً(٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً(٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً(٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً)(٣٠)

قوله تعالى (إن يوم الفصل) شروع في بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويقول إن يوم الفصل كان في علمنا وتقديرنا ميقاتا لجمع المكلفين كلهم وحساب أعمالهم وأخذ كل ما يستحقه ، فلذلك تأخر إلى الوقت الموجود • وقوله : (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أي إن يوم الفصل يوم ينفخ (في الصور) النفخة الثانية لبعث الموتى وحشر الناس في المحشر (فتأتون أفواجا) أي فإذا نفخ فيه أتيتم أفواجا وجماعات متعددة (وفتحت السماء فكانت) لكثرة الفتح فيها (أبوابا) والمراد بالفتح الشق ، والمقصود أن عند النفخ

لا تبقى السماء على ما كانت ، ويختل نظامها فتصير كالنحاس المذاب ، أو الدهن المحمي ، كما قال فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (وسيرت الجبال) أي حركت وأزيلت من موضعها (فكانت سرابا) أي فصارت من أثر هذا التسيير كالسراب .

ولما بعث الناس وحشروا في موضع وحوسبوا وتبينت الأعمال والعمال والجزاء والنكال كان الجزاء ما قاله تعالى : (إن جهنم كانت مرصادا) موضع رصد وترقب للناس من الذي يدخل فيها ومن لا يدخل (للطاغين مآبا) أي مآبا للطاغين على الله ورسوله وعلماء أمته (لابثين) أي حالكون الناس الداخلين فيها لابثين فيها (أحقابا) جمع حقب وهو زمان ممدود وغير محدود (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما) أي ماء حارا جدا (وغساقا) وهو صديد أهل النار فجزيناهم بذلك (جزاء وفاقا) لأعمالهم (إنهم كانوا لا يرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذابا) أي تكذيبا (وكل شيىء) من الحسنات والسيئات (أحصيناه كتابا) أي ضبطنا كل شيىء ضبط كتابة بحيث لا يفوتنا علم بشيىء (فذوقوا) أيها المشتاقون لمتاع الهوى والدنيا الدنية شراب الحميم والغساق المستقذرة والمحمية (فلن نزيدكم إلا عذابا) على عذاب وبلاء على بلية .

(إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً(٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً(٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً(٣٣) وَكَأْساً دِهَاقاً(٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً ولا كِذَّاباً(٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً(٣٦) رَبِّ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وما بَيْنَهُمَا الرَّحمنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً(٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمنُ وَقَالَ صَوَاباً(٣٨) ذلِكَ الْيَوْمُ الحَقُّ فَمَنْ

شاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ مآباً(٣٩) إنّا أَنْذَرْناكُمْ عَذاباً قَرِيباً ، يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ ما قدَّمَتْ يَداهُ ، ويَقُولُ الْكافِرُ : يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً)(٤٠) •

قوله تعالى ان للمتقين شروع في بيان احوال المؤمنين فيقول (إن للمتقين) من الكفر والمعاصي (مفازا) أي فوزا وظفرا بالخيرات وسعادة لا سعادة فوقها في الأرض والسماوات ، أو صحراء واسعة كلها صارت بساتين ورياحين لا تمدح ولا توصف من كثرة عطرها ونشرها فقوله (حدائق) بدل من مفازا بدل كل من الكل وقوله (وأعنابا) بتقدير المضاف أي حدائق وبساتين ذات أعناب (وكواعب) أي حورا ارتفعت ثدياها واستدارت حالكونهن (أترابا) لدات على ولادة واحدة وعمر واحد (وكأسا) من الخمور الطاهرة (دهاقا) مترعة مملوءة من الشراب (لايسمعون فيها لغوا) من الكلام لا فائدة فيه (ولا كذابا) أي تكذيبا من بعضهم لبعض وجوزوا بذلك (جزاء من ربك) حالكونه (عطاء) أي تفضلا وإحسانا (حسابا) أي كافيا لهم (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه عز وجل بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه تعالى (يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) •

في بيان المراد من الروح أقوال أرجحها أنه جبريل عليه السلام فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن جبريل لقائم يوم القيامة بين يدي الجبار ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله تعالى يقول : سبحانك لا إله إلا أنت ما عبدناك حق عبادتك • وقوله (إلاّ مَن أذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لا يتكلمون وهو عائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملئكة • وذكر قيامهم مصطفين لتحقيق عظمة

سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته عز وجل ، وتهويل البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها .

وهذه الآية الكريمة ليس فيها ما يدل على نفي الشفاعة من أي نبي أو ولي أو شهيد أو صالح من الصلحاء لأنها تنفي الكلام بدون إذن من الله . وأصحاب الشفاعة لا يتكلمون إلا بإذن من الله سبحانه وتعالى (ذلك اليوم الحق) أي قيامهم على الوجه المذكور في ذلك اليوم حتى يعتني به (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) يعني فإذا كان الأمـر على ما ذكره الله تعالى فمن شاء اتخذ إلى ربه وجواره (مآبا) أي رجوعا وإنابة إليه .

(إنا أنذرناكم عذابا قريبا) هو عذاب الآخـرة وقربه لتحقق إتيانه في (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) والمراد يوم يشاهد المكلف المؤمن والكافر ما قدمت يداه من خير أو شـر (ويقول الكافر : ياليتني كنت ترابا) ولا أتحول إلى المواد المأكولة ولا أنقلب نطفة إنسانية ولا أخلق كإنسان مكلف حتى لا أنهمك في شهوات نفسي ، ولا أترك رعاية جانب القدس ، ولا أرى يوم الحساب ولا أدخل في هذا العذاب ، ولا ينفعه هذا التحسر والتأثر لأنه قضى وقته بالغرور وجاء وقت البعث والنشور .

وأما المؤمن فيرتاح في النعم وينقلب في أمواج وأمواج من الإحساس والكرم ، ويقول : الحمد لله الذي خلقني كإنسان ، وهداني إلى طريق الخير والإحسان ، فعشت ببركات ، ومت على خيرات ، وفزت بدرجات . فالحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافىء مزيد فضله ، وسلام على جميع المرسلـين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله ربّ العالمين .

سورة النازعات ، مكية ، وآياتها ست واربعون ،
نزلت بعد سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنَّازِعاتِ غَرْقاً(١) والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً(٢) والسَّابِحاتِ سَبْحاً(٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً(٤) فَالمُدَبِّراتِ أَمْراً(٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ(٦) تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ(٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَةٌ(٨) أَبصارُها خَاشِعَةٌ(٩) يَقُولُونَ : ءَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرَةِ ؟(١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظاماً نَخِرَةً ؟!(١١) قالوا : تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خاسِرَةٌ !(١٢) فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ واحِدَةٌ(١٣) فَإِذا هُمْ بالسَّاهِرَةِ)(١٤) •

قوله تعالى : (والنازعات) هذه الأوصاف إما صفات الملائكة المأمورين بقبض الأرواح فيقول أقسم بالملائكة اللاتي ينزعن الأرواح من الأجساد (غرقا) أي نزعا بإغراق أي بقوة ومبالغة في نزعهم لها منها • (و) أقسم (بالناشطات) أي بالملائكة التي تنشط الأرواح أي ينزعها بسهولة وسلامة مثل ما تأخذ شعرة من حليب (و) أقسم بالسابحات سبحا أي بالملائكة التي تسبح في إخراج الأرواح سبح الغواص الذي يخرج الدر من أعماق البحار

(ف) أقسم بالملائكة (السابقات سبقاً) بالأرواح إلى مقارّها أينما كانت (ف) أقسم بالملائكة (المدبرات) التي تدبر أمر الأرواح بالتنعيم أو بالتعذيب في عالم البرزخ . أو المراد بالمدبرات سائر الملائكة المدبرات لأمور العالم حسب تلقي الأوامر من الله تعالى ، فإن العالم كلها عالمْ الأسباب المادية والمعنوية ، وذلك ليس لعجز الباري تعالى عن إيجاد أيّ شيىء أراده من تأثير ذاته فيه بذاته ، فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . بل لتطبيق سنة سنية ربانية أجراها في الكائنات حتى بين الجمادات ، فالنبات محتاج إلى الأرض والماء ونموّه إلى أشعّة الشمس في السماء ، وبين الحيوانات المتزاوجة للتناسل وبقاء النوع سواء ذوات الولادة أو البيض، وبين الجن والملائكة والإنسان ، فجعل بعضا من العارفين ليفيدوا مَنْ عداهم بالرّوْح أو المادة على طريق التعاون في الأمور ، وكل ذلك جائز وواقع وسليم بلا مانع ، إلا فيما نهى عنه الشارع نهيا خاصا أو عامّا . ومع ذلك كله فهذه الأسباب ليس لها تأثير بالخلق والإيجاد والإبداع في مثقال ذرة في الأرض والسماوات وغيرها . كما قال تعالى : (وآتيناه من كل شيىء سببا فأتبع سببا) والتأثير مختص به بذاته الجليل (الله خالق كل شيىء وهو على كل شيىء وكيل) .

والله سبحانه وتعالى أقسم بكل ذلك على أن مجيىء البعث والحساب حق ، وحذف المقسم عليه لأنه يدل عليه قوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) أي أن البعث سيتحقق يوم ترجف كل راجفة أي كل ما من شأنه أن يرجف كالأرض والجبال والأشجار والأحجار (تتبعها الرادفة) أي وإذا رجفت الرواجف السفلية تتبعها الرادفة أي الأجرام العلوية . يعني أنه بعد زلزال الأرض كلها تتزلزل الأجرام السماوية أيضا (قلوب يومئذ واجفة) أي شديدة الاضطراب والقلق (أبصارها) أي أبْصار أصحابها (خاشعة) .

وقوله تعالى : (يقولون أءنا لمردودون في الحافرة ؟) جملة مستأنفة حاكية لأقوالهم في إنكار البعث • يعني أنا أقسمنا بالأمور السابقة الواقعية على أن البعث الموعود سيتحقق فلا تنظروا إلى أولئك المشركين البسطاء السذّج يقولون في حال الإنكار للبعث أإنا لمردودون في الحافرة أي في الأرض ذات الحفر أو في المحفورة (أءِذا كنّا عظاما نخِرة) أي بالية متفتتة (قالوا) أي أولئك المشركون (تلك إذا كرة خاسرة) أي قالوا تلك الرجعة رجعة خاسرة أي ذات خسارة يعني إن صحت فإنا خاسرون حيث أهملنا واجبنا وكسبنا في سبيل نيل السعادة وأنكرناها حتى جاءنا اليوم بهذه الداهية العظمى (فإنما هي زجرة واحدة) أي لا تستعصبوها فإنما هي صيحة واحدة (فإذا هم بالساهرة) أي فإذا هم أحياء على وجه الأرض يمشون عليها فيعلمون أنه جاءهم الأمر الموعود وهو البعث من القبور للحساب والميزان ثم النشور •

(هَلْ أَتيكَ حديثُ مُوسى ؟(١٥) إذْ ناديهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى(١٦) اذهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى(١٧) فَقُلْ : هَلْ لَكَ إلى أَنْ تَزَكَّى ؟(١٨) وَأَهْدِيكَ إلى رَبِّكَ فَتَخْشى(١٩) فَأَريهُ الآيَةَ الْكُبْرى(٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصى(٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى(٢٢) فَحَشَرَ فَنادى(٢٣) فَقالَ : أَنَا رَبُّكُمُ الأَعلى !(٢٤) فَأَخَذَهُ اللهُ نَكالَ الآخِرَةِ والأُولى(٢٥) إنَّ في ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى)(٢٦) •

قوله تعالى (هل أتيك حديثُ موسى ؟) أي أليس قد أتاك حديثه حتّى تتسلى به وتعلم أنه ما من إنسان له شأن في خدمة الحق وإرشاد الخلق إلا عارضته الموانع والمفاسد وأصحاب الضلال من الجاحد والحاسد ؟ وحديثه وقع (إذ ناديه ربه بالوادي المقدس) من شعاب جبل طور ، وهو المشهور

المعروف بـ (طوى) وقال له ربه : (اذهب إلى فرعون ، إنه طغى) وتجاوز عن حد العبودية بادعاء الألوهية ، ولا يفهم أن العبد ذليل أمام المقتدر الجليل (فقل) له (هل لك) الميل (إلى أن تزكى) وتتطهر من الأخلاق الدنية (وأهديك إلى ربك فتخشى) بأداء الواجبات وترك المعاصي فطلب منه المعجزة (فأريه الآية الكبرى) وهي قلب العصى الخشبية حية تسعى (فكذب) فرعون موسى (وعصى) ولم يهتم بالحية ولا العصا (ثم أدبر يسعى) لجمع الناس لتأييده على أنانية الشيطان (فحشر) جميع السحرة الموجودين في بلاده (فنادى) فيهم وفي من اجتمعوا حولهم (فقال) أيها الناس (أنا ربكم الأعلى) ولا رب سواي وكلكم تحت أمري وقوتي (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وأخذ أيضا فيه معنى النكال أي فنكل الله به وعاقبه نكال الآخرة والأولى أي عقاب كلمته هذه أعني قوله أنا ربكم الأعلى وكلمته الاولى ما علمت لكم من إله غيري أو بالعكس فأغرقه وشتت قومه ومزقه ، وأغرق ركبه ثم أحرقه ، وجعلهم مثلا للعالمين (إن في ذلك) الحادث المهم الخارج عن العادة الداخل في عقول أهل السعادة (لعبرة لمن يخشى) •

(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً ؟ أَمِ السَّمَاءُ ؟ بَنيها(٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوّيها(٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحيها(٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحيها(٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعيها(٣١) وَالْجِبالَ أَرْسيها(٣٢) مَتَاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعامِكُمْ(٣٣) فَإِذا جاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرى(٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعى(٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرى(٣٦) فَأَمَّا مَنْ طَغى(٣٧) وَآثَرَ الْحَيوةَ الدُّنْيا(٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى(٣٩) وَأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ

رَبِّهِ ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهوى(٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ المأوى(٤١) يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسيها(٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْريها ؟(٤٣) إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها(٤٤) إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشيها(٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحيها)(٤٦)

قوله تعالى (أأنتم أشد خلقا) خطاب مع الجمع المصدر بهم السورة ، وبعد بيان آثار قدرته في دحر أشد أعداء الأنبياء والمرسلين ، وهو فرعون فيقول لهم مذكرا ببيان بعض آثار قدرته : أأنتم أشد خلقا أي أقوى وأحكم (أم السماء ؟) التي وردت عليها التصرفات الآتية (بنيها ، رفع سمكها) أي علاها إلى الفوق بقدر ما تعلقت به قدرته (فسوّيها) أي جعلها مستوية كاملة حسب حكمته وتقديراته (وأغطَشَ لَيلَهَا) أي وأظلم ليلها (وأخرج ضحيها) أي وأبرز نور نهارها ، وخص الضحى لصفاء النور فيه وميله إلى التزايد (والأرض) منصوب على الاشتغال أي دحا الأرض (بعد ذلك دحيها) أي بسطها ووسعها ، فإن بناء أصل مادتها قبل السماء ودحوها قبل ذلك (أخرج منها ماءها) بتفجير عيونها (ومرعيها) أي مواضع الرعي فيها بأن خص بعض المواضع بمزيد النبات والعشب التي ترعى وتعيش منها الحيوانات (والجبال أرسيها) أي وأرسى الجبال وأثبتها وأحكمها ، وفعل ذلك (متاعا لكم ولأنعامكم) فإن من المأكولات ما هو مشترك بين الإنسان وغيره ، ومنها ما يخص الأول ، ومنها ما يخص الثاني ، ومنشأ الكل عبارة عن الأرض .

والذي ذكرنا لكم متعلق بمعاشكم وانتعاشكم في الدنيا (فإذا جاءت الطامة الكبرى) أي الداهية التي هي أعظم الدواهي وهي الساعة ، فإنها من طمّ بمعنى علا وفي المثل جَرَى الوادي فطَمّ على القَرى ، وجاء السيلُ فَطم الرّكي . وأبدل منها يوم في قوله (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) فهل

عنده شيىء ينفعه أولا ؟ (وبُرِّزَتِ الجحيمُ لمن يرى) أي لمن يمكن منه الرؤية كائنا من كان • روي أنها تتكشف مدة من الزمان على أعين الناس حتى يراها كل راءٍ مزيدا في حسرة الكافرين على ما فرطوا ، وفي شكر المؤمنين على أنعم الله تعالى عليهم حيث نجاهم من الجحيم وأوصلهم إلى جنان النعيم (فأما من طغى) وتجاوز عن حد الشرع (وآثر الحيوة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى • وأما من خاف مقام ربه) أي عظمته وشأنه وهيبته أو أوامره ونواهيه والخزي بين عامة مشاهديه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن اتباعه والعمل على مقتضاه (فإن الجنة هي المأوى) •

(يسئلونك عن الساعة : أيان مرسيها ؟) أي متى إرساؤها أي إقامتها وثبوتها (فيم أنت من ذِكراها ؟) أي في أيّ شيىء أنت من أن تذكُرَ لهم وقتَها ، ولماذا تقبل سؤالهم لتجيب عنه ؟ فإنهم لا يسألونك استرشاداً وإنما يسألون استنكارا وعنادا • والجواب المسموح به هو أنه (إلى ربك منتهاها) أي العلم بوقتها ونهاية الزمان السابق على وجودها عائد إلى ربك ومخصوص به ، وهذا من الغيب الذي لا يظهر عليه إلا من ارتضى من رسول (إنما أنت منذر من يخشيها) أي ما أنت برجل مكلف ببيان المغيبات للناس لاسيما الغيب الذي في بيانه هتك الأستار وكشف الأسرار ، وإنما أنت مكلف بإنذار من يخشى مجيىء الساعة والحساب والميزان فيه لعله يسترشد بكلامك ويتوجه إلى إطاعة ربه العزيز العلاّم • والساعة تأتيهم بغتة ومفاجأة (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحيها) أي ولَيْسَ الاهتمام للعاقل الهمام بقرب الساعة وبعدها فإن الساعة آتية لا ريب فيها ، وإن زمان العمر ، وإن طال جدا فهو لا قيمة له بالنسبة إلى من تأتيه حيث أنه لو بقي ألف سنة في الدنيا فإذا جاءته الساعة تحولت حالته إلى استقلال حياته الألفية وكأنه لم يلبث في الدنيا إلا ساعة من الزمان وكأنهم لم يلبثوا إلا عشية أو ضحيها •

سورة عبس ، مكية ، وآياتها
اثنتان واربعون ، نزلت بعد النجم

بسم الله الرحمن الرحيم

(عَبَسَ وَتَوَلَّى(١) أَنْ جَاءَهُ الأَعْمى(٢) وَمَا يُدْرِيكَ ؟
لَعَلَّهُ يَزَّكَّى(٣) أو يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرى(٤) أَمَّا مَنِ
اسْتَغْنى(٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى(٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى(٧)
وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعى(٨) وَهُوَ يَخْشى(٩) فَأَنْتَ عَنْهُ
تَلَهَّى(١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ(١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ(١٢) في
صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(١٤) بِأَيْدي
سَفَرَةٍ(١٥) كِرامٍ بَرَرَةٍ)(١٦) •

قوله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلى) روي أن عبدالله ابن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها ، واسمه عمرو بن قيس ، وأم مكتوم كنية أمّه ، واسمها عاتكة بنت عبدالله المخزومية ، وتكنيتها بأم مكتوم لكون ولدها عبدالله وُلد أعمى • وقد جاء إلى رسول الله وعنده صناديد قريش : عتبة ، وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ، والعباس بن عبدالمطلب ، وأمية بن خلف ،

والوليد بن المغيرة ، يناجيهم ويدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم . فقال : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى ، وكرر ذلك ، ولم يعلم انشغاله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس ، وأعرض عنه . فنزلت ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول إذا رآه : « مرحبا بمن عاتبني فيه ربي » ويقول : « هل لك من حاجة ؟ » واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة فكان يصلي بالناس ثلاث عشرة مرة كما رواه ابن عبدالبر في الاستيعاب فنزل على واقعة سؤاله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) أي من أن جاءه الأعمى وهو عبدالله ابن أم مكتوم يسأله الإقراء والتعليم (وما يدريك لعله يَزكى) أي يتزكى من أوساخ الجهل ويتطهر بما يتلقّن من الشرائع أو يذكر أي يتعظ (فتنفعه الذكرى) أي ذكرك وموعظتك (أما من استغنى) عن الإيمان بالله ورسوله وسائر المعارف القدسية (فأنت له تصدى) أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده وتُتعبُ نفسك لإرشاده (وما عليك ألا يزّكى) أي ولا بأس عليك في أن لا يتزكى (وأما من جاءك يسعى) أي حال كونه مُسْرِعاً طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أي يخاف الله تعالى (فأنت عنه تلَهّى) أي تتشاغل عنه وعن تفهيمه .

(كلا) ردع عن معاودة مثل ذلك الإهمال (إنها) أي القرآن ، والتأنيث نظراً إلى الآيات (تذكرة) أي موعظة تذكر الإنسان أحكام الدين (فمن شاء ذكره) أي القرآن العظيم وقوله (في صحف) متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة أي مثبتة (في صحف مكرّمة) عند الله مرفوعة أي مرفوعة القدر (مطهرة) أي منزهة عن مساس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أي كتبة للقرآن الكريم (كرام بررة) نعتان للسفرة ، والمراد بهم إما الملائكة الكتاب للقرآن الكريم المستنسخون له من اللّوح المحفوظ ، أو العلماء المستنسخون

للقرآن الكريم بعد نزوله واستقراره في العالم الإسلامي ، وهذا إخبار بالغيب لأن القرآن الكريم لم يكن مكتوبا في الصحف كذلك في صدر تأريخ الإسلام، وإنما حدثت كتابته بعدُ كما هو معلوم للمتتبع .

(قُتِلَ الإِنسَانُ ما أَكْفَرَهُ(١٧) مِنْ أيِّ شيءٍ خَلَقَهُ ؟(١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ(١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ(٢٠) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ(٢١) ثُمَّ إِذَا شاءَ أَنْشَرَهُ(٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ(٢٣) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إلى طَعَامِهِ(٢٤) أنَّا صَبَبْنا الماء صَبّاً(٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً(٢٦) فَأَنْبَتْنا فِيها حبّاً(٢٧) وعِنَباً وقَضْباً(٢٨) وَزَيْتوناً وَنَخْلاً(٢٩) وحَدائِقَ غُلْباً(٣٠) وفاكِهَةً وَأَبّاً(٣١) مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعامِكُمْ(٣٢) فَإِذَا جاءَتِ الصَّاخَّةُ(٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِن أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ(٣٥) وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ(٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ(٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ(٣٨) ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ(٣٩) ووجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ(٤٠) تَرْهَقُها قَتَرةٌ(٤١) أولئكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ)(٤٢)

قوله تعالى (قُتِلَ الإنسانُ) دعاء على الإنسان المشرك اللدود الفاسد ، يقول قُتِلَ هذا الإنسان الفاسد ما أكْفَرَه صيغة التعجب أي ما الذي جعله كافرا بأنعم الله تعالى ؟ لماذا لا ينظر إلى فرحه بإفاضة نعم الله تعالى عليه التي لا يمكن تعدادها ؟ ولم لا ينظر إلى الحقائق ؟ لم لا يتفكر أنه من أي شيء خلق ذلك الإنسان المشرك الداعي إلى الكفر والإشراك (من نطفة خلقه) لا من غيرها (فقدره) أي هيأه لما يصلح له من الأعمال والأحوال

والكيفيات وغيرها (ثم السبيل يسره) ثم يسر له سلوك سبيل الهدى والرشد بالعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب والأمر بمجاورة العاقلين وصحبة الصالحين الصادقين ، ونهاه عن أضداد ذلك فعمل بما اختاره (ثم أماته فأقبره) بأن هيأ أناسا لحمله ودفنه في تربته (ثم إذا شاء) في المستقبل (أنشره) أي أحياه وبعثه بعد عروض التغيرات على جسده . (كلا) ردع للإنسان عما هو عليه من كفران النعم الكثيرة من لدن خليقة آدم عليه السلام إلى يومنا (لما يقض ما أمره) لم ينجز ما أمره الله تعالى به إلا من شذ وفذ فإن لكل إنسان قصورا في الأعمال أو لم ينجز من أول رشده إلى وقت موته ما أمره الله به بل اشتغل بما يوافق هواه ويخالف هداه .

واذا كانت النعم الكثيرة السابقة المتوالية على نوع الإنسان كثيرة لا تحصى أو خفية لا تدرك بسهولة (فلينظر الإنسان إلى طعامه) الذي يطعمه لعله يعتبر به ويتذكر حقوق ربه ويتوجه إلى الله الذي رزقه به وقوله : (أنا صببنا الماء صبّا) بدل عن طعامه بدل اشتمال لأن أسباب الشيء لها به علاقة تامة وبيانه (أنا صببنا الماء) من السماء (صبا) مناسبا للإنبات والتنمية (ثم شققنا الأرضَ شقّا) بالنبات النامي من الماء (فأنبتنا فيها) أي في الأرض (حبا) أي زراعة ذات حبّ (وعنبا) أي وكرما يثمر عنبا (وقضبا) أي ونباتات رطبة تؤكل بالذات أو بعد المعالجات من جانب الإنسان أو غيره من الحيوان أو كليهما بعادة أهل الزمان (وزيتونا ونخلا وحدائق) مشتملة على أصناف الأشجار (غُلْباً) أي عِظاماً (وفاكهة) تؤخذ من الحدائق (وأبّا) أي كلأ يؤخذ مِنَ المَراعي وقوله (متاعاً لكم ولأنعامكم) مفعول له لفعل محذوف مستفاد من الكلام أي خلقنا ذلك متاعاً لكم ولأنعامكم وتعيشون على الأرض كذلك (فإذا جاءت الصّاخّة) أي الداهية العظيمة ، من صَخّ بمعنى أصاخّ أي استمع والمراد بها النفخة الثانية . وجواب إذا

محذوف أي تبعثون (يوم يفر المرء من أخيه) الملازم له في الحياة (وأمه) التي احتضنته في الصغر (وأبيه) الذي سعى في إعاشته (وصاحبته) التي تستريح نفسا بمجاورتها (وبنيه) وقوله (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) أي أمر يشغله عن باقي الواجبات ، وإذا أردت أن تعرف أحوالهم عند ذلك فاعلم أنه (وجوه يومئذ مسفرة) أي مضيئة متهللة (ضاحكة مستبشرة) أي مسرورة بما تشاهد من النعيم المقيم . (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار وتراب (ترهقها) أي تتراكم عليها (قترة) كدورة أو سواد وظلمة (أولئك) الناس أي أصحاب الوجوه التي عليها الغبرة (هم الكفرة الفجرة) أعاذنا الله ونجانا وقبل دعاءنا ورجاءنا .

سورة التكوير ، مكية ، وآياتها
تسع وعشرون ، نزلت بعد المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ(١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ(٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ(٣) وَإِذا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ(٤) وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ(٥) وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ(٦) وإذا النُّفوسُ زُوِّجَتْ(٧) وإذا المَوْءودَةُ سُئِلت(٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ(٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ(١٠) وَإِذَا السَّماء كُشِطَتْ(١١) وَإِذَا الجَحيمُ سُعِّرَتْ(١٢) وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ(١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ)(١٤) •

قوله تعالى (إذا الشمسُ كوّرت) إذا ظرف للزمان المستقبل والعامل فيها وما بعدها من المتعاطفات جوابها أعني علمت نفس ما أحضرت • والشمس مرفوع بفعل يفسره كورت لأن إذا الشرطية تطلب الفعل ، وكوّرت بصيغة مجهول ماضي باب التفعيل ، يعني لُفّت وأديرت ، لأن مادة الفعل للإدارة والجمع ، والمقصود ذهابها لقيام الساعة (وإذا النجوم انكدرت) أي انقضت

وسقطت . ومنه انكدر البازي إذا نزل بسرعة على ما يأخذه . روي عن ابن عباس أنه قال لا يبقى يومئذ نجم إلا سقط في الأرض . وسرّ ذلك انحلال القوة الجاذبية التي فيها ، فلا يبقى دورانها ، إذا كانت من السيارات ، ولا استمساكها لشخصها إذا كانت من الثوابت (وإذا الجبال سيرت) أي أزيلت عن أماكنها من الأرض بالرجفة الأرضية العامة القوية وسيرت في الفضاء بعد أن تمزقت وكانت كالعهن المنفوش . (وإذا العشار) جمع عشراء كنفاس جمع نفساء وهي الناقة التي أرسل عليها الفحل وأتى عليها عشرة أشهر وقاربت ولادها ، وهي من أحب الحيوان إلى أصحابها مع أنها (عطلت) وأهمل أمرها لابتلاء الناس بزلزال الساعة (وإذا الوحوش حشرت) أي الحيوان البرّي غير المستأنس بالإنسان ، وعادتها إذا سمعت صيحة تجمعت مخافة الإصابة بالأذى (وإذا البحار سجّرت) أي أحميت بتأثير البراكين والزلازل الناتجة من أعماق الأرض في كل جهة من جهاتها (وإذا النفوس زوّجت) أي كل فرد مع من يناسبه وكل طبقة مع ما يوافقها ، فالأنبياء مع الأنبياء والصلحاء مع الصلحاء ، والأشقياء مع الأشقياء ، ولكن هذا إنما هو في الموقف لا في أول الساعة . ومنهم من فسرها بتزويج النفوس مع الأبدان أي أعيدت إلى أبدانها وهذا إنما يكون في النفخة الثانية ويمكن التزامها لأن المقصود من الآيات انتهاء العالم والدنيا ومجيىء عالم جديد يسمى بعالم الآخرة وقوله (وإذا الموءودة سئلت) وهي البنت التي تدفن في الحفرة وهي في حال الحياة سئلت (بأيّ ذنب قتلت ؟) وذلك كناية عن حلول موعد تعذيب الوائدين على ذلك العمل الفاسد (وإذا الصحف) التي كتبت فيها أعمال المكلفين (نشرت) لمحاسبتهم على مافيها (وإذا السماء كشطت) وقلعت وأزيلت عن محلها أي أمحيت وتلاشت (وإذا الجحيم سعرت) أي أوقدت فالتهبت وطارت شراراتها (وإذا الجنة أزلفت) أي قربت من المتقين كما قال تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين)

وإزلافها بمعنى عرضها على المتقين ، أو اقتراب وقت دخولها ، وهو بعد نهاية حساب الأعمال وقوله (علمت نفس ما أحضرت) جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع الأمور المذكورة كلها • أي عند ذلك الوقت علمت نفوس المكلفين بأجمعهن ما أُحْضِرت لهن من الحسنات والسيئات ، أو من الجحيم والجنات ، أو من الدرجات والدركات •

(فَلا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ(١٥) الجَوارِ الكُنَّسِ(١٦) واللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ(١٧) وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ(١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ(١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ(٢٠) مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ(٢١) وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ(٢٢) ولَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ(٢٣) وَما هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِضَنِينٍ(٢٤) وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ(٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟(٢٦) إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلعالَمِينَ(٢٧) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ(٢٨) وما تَشاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ)(٢٩) •

ولما ذكر الباري سبحانه وتعالى أمورا مهمة تحدث من بدء قيام الساعة إلى استقرار الفريقين في المكان المعدّ لهما ، وفي ذلك قدرة وعظمة ظاهرة •• أضاف إليهما الإقسام بأوضاع سماوية عجيبة لا يقدر عليها إلا الله القادر المقتدر على الكائنات وجعل المقسم عليه صحة رسالة سيد الانبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم بإسناد الكلام المنزل عليه إلى رسوله السفير بينه وبين حبيبه وقال (فلا أقسم بالخنّس الجوار الكنس) وهذه الألفاظ جموع فالخنس جمع خانس بمعنى الراجع من نقطة إلى مبدأ حركته ، والكنس بمعنى الكانس أي المختفي المتستر ، والجواري جمع الجارية بمعنى المباشرة للحركة والسير •

وهذه الأوصاف ، وإن احتملت لأشياء كثيرة لكنها اشتهرت في إسنادها إلى الكواكب الخمسة المشهورة أعني : زحل ، وعطارد ، والمريخ ، والزهرة ، والمشتري • فإنها تعرض لها بحسب ما رآها أهل الأرصاد السابقون أحوالا ثلاثة : الأول سرعة السير ، وتسمى في عرفهم بالاستقامة • والثاني الوقوف في بادىء النظر ويسمى بالإقامة • والثالث الرجوع يعني بينما يراها الرائي تتحرك نحو المغرب بتغير اتجاهها وتتحرك نحو المشرق ويسمى بالرجوع ، فعبارة الخنس جمع خانس بمعنى الرواجع ، وعبارة الكنس جمع كانس بمعنى الواقفات ، وعبارة الجواري جمع الجارية بمعنى السائرات سيرا محسوسا ملحوظا • وسر تلك الأحوال مذكور في علم الهيئة ، ولا يفهمه الا علماؤها وهو بالنسبة إليهم شيىء بسيط • والمعنى المقصود هو أن الله تعالى يقول فلا أقسم بالكواكب الخنس الرواجع من اتجاه حركاتها في بعض الأوقات والجواري السريعة في بعض الأوقات ، والكنس الواقفات بحيث يراها الناظر إليها بالرصد كالواقف •

(والليل) أي ولا أقسم بالليل (إذا عسعس) أي أقبل بعد ضوء النهار واستولت ظلمته على سطح الكرة (والصبح) ولا أقسم بالصبح (إذا تنفس) أي ظهر منه نسيم كنفس له يستريح عنده الناس • والمقسم عليه قوله (إنه) أي القرآن الكريم (لقولُ رسول) بين الله وبين عباده المرسلين (كريم) ذي كرامة عنده (ذي قوة) بخلق الله كما وصفه بشديد القوى (عند ذي العرش مكين) أي ذي مكانة واحترام عند صاحب العرش وهو الله تعالى ، وإسناد القول إليه على وجه السفارة بين الله وبين الرسل وإلا فالقرآن كلام الله تعالى المكتوب في اللوح بنقوش كتابته الموجودة عند الله بالصورة العلمية الازلية ، لا علاقة ولا دخل فيه لغيره تعالى لا للملائكة ولا الجن والإنس ، وكل نجم من نجومه نزل به جبريل الأمين ، إما أخذه من بيت العزة بأمره تعالى ، أو

أخذه من اللوح ، أو تلقاه روحيا من الله الكريم وقوله (مطاع ثم أمين) صفتان لرسول معناه أن ذلك الرسول مطاع للملائكة بأمر الله وأمين على الوحي والتبليغات إلى الرسل (وما صاحبكم بمجنون) أي وكما أن القرآن قول بلغه الرسول السفير وهو جبريل ليس صاحبكم الذي نزل عليه ذلك القرآن بمجنون أي بمختل العقل •

(ولقد رآه بالأفق المبين) أي ولقد رأى محمد صاحبكم ذلك الملك الكريم بالأفق الأعلى المبين الواضح (وما هو) أي صاحبكم أي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي على بيان الوحي المنزل بالغيب (بضنين) بخيل يبلغ بعضه ويترك تبليغ بعضه ، وإنما هو أمين عليه فيبلغه آية فآية وجملة فجملة • وقرأ بعضهم (بظنين) بالظاء المعجمة المشالة ، أي وما هو على إلقاء القرآن في الغيب بظنين أي بمتهم ، ولا يجوز أن يتهم ، وليس بمقام التهمة (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وما هو بقول واحد من الشياطين الأفاكين المتقوّلين المسترقين للسمع ، ولا بقول شيطان رجيم أعني إبليس ، فإنه إبليس المطرود من ميدان الرحمة والتقديس (فأين تذهبون ؟) وأين استضلال لهم فإن كلام الشياطين يدعو للاعوجاج والانتهاج شرّ المنهاج وهذا القرآن يدعو إلى صراط الله العزيز الحميد •

(إن هو) أي وما هو أي القرآن الكريم (إلا ذكر للعالمين) أي ذكر لله من العالمين يذكرون الله تعالى بتلاوته وبالعمل بما فيه من الأحكام ، أو ما هو إلاّ ذكر وتذكّر وموعظة وعبرة وإرشاد للعالمين (لمن شاء منكم أن يستقيم) على الصراط المستقيم (وما تشاءون) الاستقامة لسبب من الأسباب (إلا أن يشاء الله رب العالمين) مشيئتكم وتقدم مشيئته تعالى على مشيئة المكلفين مبنيّ

على ما قررنا في آخر سورة الإنسان وهو أن الله تعالى علم في الأزل أن عبده الفلاني يتوجه إلى الأعمال الصالحة ويختار ذلك ويشاؤه في المستقبل ، فلما جاء وقت تحقق تلك المشيئة تقدمت مشيئة الله تعالى على مشيئته لأن الإنسان ليس بخالق وإنما هو كاسب بصرف الإرادة إلى أعماله المعلومة لله أزلا فيبادر الباري بالمشيئة فيشاء هو فيتبعه تبعية ذاتية بتأخر ذاتي مشيئة العبد لعمله المحكي في علم الله الأزلي والله هو الموفق والمعين .

سورة الانفطار ، مكية وآياتها تسع عشرة ،

نزلت بعد سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وإذا القبورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يا أيها الإِنْسَانُ ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ؟ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَكَ ؟ (٨) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وما هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ؟ (١٧) ثُمَّ ما أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ ؟ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً ، وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)(١٩) .

قوله تعالى : (إذا السماء انفطرت) أي انشقت لنزول الملائكة كما في قوله تعالى (يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا) ويوم القيامة

لا تبقى السماء ولا كواكبها (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت متفرقة كالدراري المنتشرة (وإذا البحارُ فجرت) أي وإذ البحار سجرت فغلت وفارَت وفاضت (وإذا القبورُ بُعثرت) أي قلب ترابها الذي سترته الأموات (علمت نفس ما قدَّمَت وأخرت) أي علمت كل نفس عند ذلك ما قدمته أو أخرته وتركته من الأعمال .

(يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) أي ما الذي خدعك وجعلك مغرورا في مقابل أوامر ربك ونواهيه ، فلا تهتم بها (الذي خلقك) الرب الذي إذا تأملت قليلا علمت أنه هو الذي خلقك من مادة حقيرة فطوّرها وجعلها أساسا لخلقك بهذه الصورة والسيرة (فسوّيك) بأن جعل أعضاءك سوية سليمة متناسبة قابلة لاستفادة ما خلق لها منها (فعدلك) أي فساوى برعاية النسبة بين أعضاء بدنك ورجليك ، وخديك ، وشفتيك ، وعينيك ، وأذنيك ... وإلا لو جعل إحدى يديك أطول من الأخرى ، واحدى رجليك أقصر من الأخرى ، وإحدى عينيك صغيرة كخرزة والأخرى كبيرة طافية كعنبة ، أو إحدى أذنيك مساوية للرأس والأخرى عالية متدلية لرأيت منك أعجوبة يضحك منها والناس يفدون عليها للتفرج بالنظر إليها .

وقوله (في أي صورة ما شاء ركبك) أي وركبك في صورة إنسان ما لا على التعيين بحسب اقتضاء مشيئته وحكمته وإلا فلو جعلك على صورة شخص آخر بحيث لا تتمايزان لاختلفت الأفكار واختل الحساب والميزان .

(كلا) ردع من الاغترار أي ليس الأمر على الاغترار مع بقاء الإيمان بالجبار والقادر القهار (بل تكذبون بالدين) أي بجزاء الأعمال والعدالة في

الموازين وسره التكذيب بوجود رب العالمين ، أو بوجود نظام إلهي أرسله مع المرسلين •

(وإنّ عليكم لحافظين) أي والحال أنه مع تكذيبكم بيوم الجزاء للأعمال قد قرر الله عليكم ملائكة حافظين وضابطين لأعمالكم (كراما) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) قليلا كان أو كثيرا • وفي ذلك تجهيل وتسفيه المشركين حيث أنهم يكذبون بالجزاء وكتّاب أعمال الجزاء يلازمونهم • ثم إن هؤلاء الحافظين غير المعقبات في قوله تعالى (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) فمع الإنسان عدد من الملائكة • روي عن عثمان أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم من ملك على الإنسان ؟ فذكر عليه الصلاة والسلام عشرين ملكا •

وقوله (إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتابة • وخلاصة ذلك أن الأبرار أي المحسنين ، وكذا المحسنات ، لفي نعيم الجنة ، وأن الفجار أي الخارجين من طريق الدين وكذا الخارجات لفي جحيم (يصلونها يوم الدين) أي يدخلون أولئك الفجار الجحيم يوم الدين أي يوم القيامة (وما هم عنها) أي عن الجحيم (بغائبين) والمراد بذلك استمرارهم ودوامهم في تلك المحنة العظيمة (وما أدريك ما يوم الدين ؟ ثم ما أدريك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) بطريق القوة والنصر كما يدعيه الكفار المشركون من إسناد العفو القسري إلى أصنامهم (والأمر يومئذ لله) أي والحكم النافذ يومئذ لله لا لغيره قطعا •

وليس في هذه الآية الكريمة نفي الشفاعة ومنفعتها لأهل الاستحقاق فإنها تنفي نفي الملك والسلطة لأي واحد على إيصال المنفعة لغيره والشفاعة

ليست مبنية على استعمال السلطة والقوة في إنفاع الغير ، وإنما هي دعاء واستغفار واستعفاء . وقد دلت الأحاديث الكثيرة على وجودها ومنفعتها في مواضع كثيرة ، كما هو مذكور في فتح الباري وغيره من الكتب المعتمدة .

ونسأله تعالى قبول شفاعة حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب الكرم والجود والمقام المحمود وعلى آله وصحبه وأتباعه الصلاة والسلام .

سورة المطففين ، مكية ، وآياتها ست وثلاثون
نزلت بعد العنكبوت وهي آخر سورة مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا
يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ؟(٥) يَوْمَ
يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي
سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرِيكَ مَا سِجِّينٌ ؟(٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١)
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثيم (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا
قَالَ : أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ :
هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ)(١٧) .

قوله تعالى : (ويل للمطففين) الويل شدة الشر والهلاك وواد في جهنم، وهو مبتدأ وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها في موقع الدعاء ، وللمطففين خبره • والمطففون هم (الذين اذا كتالوا على الناس) لأنفسهم (يستوفون) أي يأخذونه وافيا كاملا (وإذا كالوهم) أي كالوا لهم المكيل (أو وزنوهم) أي وزنوا لهم الموزون (يخسرون) أي يخسرونهم ، أي يجعلونهم في خسارة، أي يعطونهم ناقصا • فيزجرهم الباري تعالى عن هذا العمل الفاسد ويقول (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم ؟) لا يقادر قدر عظمه ويحاسبون على أعمالهم ، فالظن بمجيء ذلك اليوم ، وإن كان ضعيفا كاف لردعهم عن هذا العمل السّخيف ، فضلا عن ان يكون ظنا صاعدا إلى اليقين ، وذلك (يوم يقوم الناس لرب العالمين) الذي لا تخفى عليه خافية وهو شديد القوة وسريع الحساب •

وصح من رواية الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره مرفوعاً : « خمسٌ بخمس » قيل : يا رسول الله وما خمسٌ بخمس ؟ قال : « ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت • ولا طففوا الكيل إلا مُنِعوا النباتَ وأخذوا بالسنين • ولا منعوا الزكوة إلا حُبس عنهم القطر » •

(كلّا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف (ان كتاب الفجار لفي سجين) في موضع التعليل للردع (وما أدريك ما سجينٌ ؟ كتابٌ مرقوم) وسجّين عَلَم لكتاب جامع وهو ديوان الشرّ دُوِّنَ فيه أعمال الفَجَرَة من الثقلين (ويل يومئذ للمكذبين • الذين يكذبون بيوم الدين • وما يكذّبُ بِهِ إلا كلُّ معتدٍ أثيم) متجاوز عن حدود الله كثير الإثم • (إذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بوجوب اتباع الحق ورعاية العدالة والشعور بمسئولية

العباد أمام الله (قال) من فرط غباوته وشدة شقاوته : (أساطير الأولين) أي حكايات الأولين ولا يفهم أن الحق كيف كان يجب اتباعه في كل زمان ومكان فضلا عن أن يبلغه رسول من خالق الكائنات مؤيد بالمعجزات .

(كلا) ردع لذلك ولأمثاله عن القول بالباطل (بل ران على قلوبهم) أي ركبها وتراكم عليها كأوساخ ترسخت (ما كانوا يكسبون) ولا يزالون يكتسبون (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لا يرون ربهم ولا يخلّون أن يَرَوه مع أنه حاضر ظاهر ويراه أهل الأبصار بالعيون والبصائر (ثم إنهم) علاوة على عذاب الحجب عن رؤية الربّ (لصالوا الجحيم) أي لداخلون قسرا وقوة في الجحيم ليتشرفوا برؤية النار وإدراك العذاب للأشرار (ثم يقال) لهم (هذا) المحل هو (الذي كنتم به تكذبون) فذوقوا العذاب الدائم الأليم مع الغساق والحميم بما كنتم تكتسبون .

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ(١٨) وما أَدْرِيكَ ما عِلِّيُّونَ ؟(١٩) كِتَابٌ مرقومٌ(٢٠) يَشْهَدُهُ المُقَرَّبُونَ(٢١) إِنَّ الأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ(٢٢) عَلَى الأرائِكِ يَنْظُرُونَ(٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ(٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ(٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ، وَفِي ذلِكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتَنَافِسُونَ(٢٦) وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ(٢٧) عَيْناً يَشْرَبُ بِها المُقَرَّبُونَ(٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ(٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغامَزُونَ(٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إلى أهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فكِهِينَ(٣١) وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا : إِنَّ هؤلاءِ لَضالُّونَ(٣٢) وَما أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حافِظِينَ(٣٣)

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ؟)(٣٦) .

قوله (كلا) تكرير للردع السابق حتى يبقى الاتعاظ به في قلب المسلم الصادق (إن كتاب الأبرار) أي المؤمنين المحسنين للأعمال (لفي علّيين وما أدريك ما عليون ؟ كتاب مرقوم) أي كتاب مكتوب فيه أعمال جميع المحسنين من الثقلين و (يشهده المقربون) أي يحضر عند تثبيت أعمال المحسنين فيه الملائكة المقربون من الله تعالى . والظاهر من قوله صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملئكة بالليل وملئكة بالنهار) أن أولئك الملائكة هم الكرام الكاتبون ويتعاقبون بالليل والنهار فجمع يأتون صباحا يبقون عند العبد إلى المساء فتأتي ملائكة الليل وتصعد ملائكة النهار إلى المحل المعين فيقدمون كتاب الأعمال الحسنة إلى جمع من مقربي الملائكة فيثبتون تلك الأعمال في عليين وهو علم لديوان الخير الجامع للخيرات . وإذا كانت من السيئات سلمت إلى الملئكة المأمورين على السجين فأثبتوها فيه . وفي لفظ العليين آراء والظاهر أنه جمع للمذكر العاقل كالصديقين جمع للصديق ، وكان وصفا للمبالغة في علو جمع من الصلحاء ومفرده علّيّ بكسر العين وتشديد اللام والياء من العلو ، كسر فاؤه ، وضعف عينه ، وقلب ياؤه واوا ، وأدغم فيه على القاعدة وجمع بالواو والنون حسب الأصول ، ثم أطلق على كتاب الأعمال الحسنة تسمية للكتاب باسم أصحابه .

وقوله (إن الأبرار لفي نعيم) بيان لمحاسن أعمالهم فيقول (إن الأبرار) أي أصحاب البر والحسنة (لفي نعيم) الجنة متمكنون فيه تمكن المظروف في ظرفه ويقعدون (على الأرائك) جمع أريكة بمعنى الكرسي (ينظرون) أي إلى ما يرغبون في منظره من الحور ، أو باقي الرغائب حالكونهم (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي بهجة وحسنا وجمالا يحدث من اللقاء بالنعيم (يسقون من رحيق) أي كأس خمر (مختوم) لم يمسّ شفاهَ الكأس غيره من الناس و (ختامه مسك) أي والذي سدّ به أفواه الكئوس من مادة المسك لتعطير الرحيق (وفي ذلك) أي وفي نيل ذلك والحصول عليه (فليتنافس المتنافسون) لا في نيل المواد الدنيوية الدنية أعلاها تورث الرذيلة وتجعل النفوس مريضة عليلة (ومزاجه) أي والماء الذي يجعل مزيجا لذلك الرحيق (من تسنيم) حالكونه ، أو أعني (عينا) في الجنة (يشرب بها) أي منها (المقربون) السابقون •

ثم يستعرض أحوال الكافرين في الدنيا حتى يبين جزاءهم في الآخرة بقوله (إن الذين أجرموا) أي جاءوا بالإجرام ومباشرة قبائح العمل من رءوساء المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) استهزاء بهم (وإذا مروا بهم) أي مر المؤمنون بالمجرمين (يتغامزون) بينهم أي يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم إليهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أي متفكهين متلذذين باستخفافهم بالمؤمنين (وإذا رأوهم قالوا إنّ هؤلاء لضالّون) طريق العيش السعيد ولا يفهمون الدنيا ومتاعها (و) الحال أنهم (ما أرسلوا) أي المجرمون (عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) عليهم أحوالهم ولا علاقة لهم بهم ، فليس من حقهم أن يتكلموا بنقدِهم وفقدِهم (فاليوم) وهو يوم

القيامة (الذين آمنوا) بالله ورسوله في الدنيا (من الكفار يضحكون) أي يضحكون منهم ويسخرون بهم جزاء لما سخروا بهم في الدنيا (على الأرائك) أي هم على الأرائك أو (ينظرون) إلى المجرمين متفرجين على الأرائك وقوله (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) إما كلام المؤمنين في شأن المجرمين ، أو كلام الباري سبحانه . وعلى أيّ الحالين فالجواب : نعم ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون . كما ثوب المؤمنون بالجنة والأرائك . والجواب ألذّ وأنعم ، والله أعدل وأحكم .

سورة الانشقاق ، مكية ،
وآياتها خمس وعشرون ، نزلت بعد الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ(١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ(٢) وإذا الأَرْضُ مُدَّتْ(٣) وَأَلْقَتْ ما فيها وَتَخَلَّتْ(٤) وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ(٥) يا أَيُّهَا الإنسانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إلى ربِّك كَدْحاً فَمُلاقِيهِ(٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ(٧) فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسِيراً(٨) وَيَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً(٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ(١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً(١١) ويَصْلى سَعِيراً(١٢) إنَّه كانَ في أَهْلِهِ مَسْرُوراً(١٣) إنَّه ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ(١٤) بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيراً)(١٥) •

قوله تعالى : (إذا السَّماءُ انشقت) أى بالغمام ويشهد له قوله تعالى : (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا) • (وأذنت لربّها) أي استمعت لربها وأطاعت (وحُقَّت) أي جعلت حقيقة بالاستماع والإطاعة (وإذا الأرض مدّت) أي بُسطت وتَوَسَّعَت باندكاك الجبال عليها (وألقت ما فيها) من الدفائن والكنوز ، أو من سائر المواد الثقيلة ، فإن

الزلزال يحول باطن المتزلزل إلى ظاهره (وتخلت) عنها (وأذنت لربها وحقت) كررها للتأكيد • وجواب إذا محذوف يدل عليه قوله تعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أي ساع إلى ربك لنيل جزاء الأعمال فملاقيه أي فتلقى ربك سواء قصدت ذلك أو لم تقصد ، فإن الله خلق الجنّ والإنس ليَعْبدوه ، ولابد أن يحشروا ليوم لا ريب فيه ؛ فمن عمل بما خلق له من الطاعة أخذ أجر البضاعة ومن لم يعمل كما أمر أخذ وزر المخالفة والإضاعة كما قال تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا ، وينقلب إلى أهله مسرورا) والحساب اليسير هو السهل الذي لا مناقشة فيه كما قيل ، وفسره عليه الصلاة والسلام بالعرض وبالنظر في الكتاب مع التجاوز ، فقد أخرج الشيخان والترمذي وأبو داود عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس أحد يحاسب إلا هلك » فقلت : يا رسول الله جعلني الله فداك أليس الله تعالى يقول : فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ قال : « ذلك العرض يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك » وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته : « أللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما انصرف عليه الصلاة والسلام قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال : أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه •

(وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره • قيل : تغلّ يمناه إلى عنقه ، وتجعل شماله وراء ظهره ، فيؤتى كتابه بشماله (فسوف يدعو ثبورا) ويقول : يا ثبوراه ! وهو الهلاك (إنه كان في أهله) في الدنيا (مسرورا) بالمال والجاه كفرا وبطرا (إنه ظن أن لن يحور) أي لن يرجع إلى الله تعالى بعد موته (بلى) إيجاب لما بعد لن (إن ربه كان به بصيرا) عالما بحركاته وسكناته وأعماله ونياته •

(فلا أقْسِمُ بِالشَّفَقِ(١٦) واللَّيْلِ ومَا وَسَقَ(١٧) والقَمَرِ إذَا اتَّسَقَ(١٨) لتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ(١٩) فما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ(٢٠) وإذا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ القُرْآنُ لايَسْجُدونَ(٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ(٢٢) واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ(٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(٢٤) إلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)(٢٥) .

(فلا أقسم بالشفق) الحمرة التي ترى في الأفق بعد غيبوبة الشمس ، وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه البياض الذي يليها (والليل وما وسق) أي وما جمعه من الحشرات والدواب تدخل أكنافها (والقمر إذا اتسق) أجزاؤه وأطرافه وتم نوره ، وهو فيما إذا كان بدرا (لتركبن طبقا عن طبق) أي حالا بعد حال وشدة بعد شدة . والصيغة بضم الباء جمع للمذكر المخاطب ، فإن كان المراد جماعة من الإنسان مطلقا فالمراد مراتب من الشدة بعد المراتب وهي الموت وأهوال البرزخ والبعث والحشر والحساب والميزان والصراط ، أو المراد تلك المراتب وما قبلها من الشدائد في الدنيا من المرض والفقر والذل والغربة والكربة والأذى . وإن قرىء بفتح الباء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد إما شدائد نالها من الكفار والمعاندين من إيذاء نفسه وإيذاء أتباعه ثم إخراجه وعشيرته إلى شعب أبي طالب ثم هجرته وغيرها مما أصابه صلى الله عليه وسلم . ويجوز أن يراد بالطبق بعد الطبق المراتب العالية التي نالها في أيام نبوته ورسالته ككثرة الأتباع ، وانتشار دينه في الآفاق ، وفتحه لمكة وغيرها من الأماكن وبقاء دينه وعدم اجتماع أمته على الضلال ونزول القرآن عليه . والمقصود بالآية تقوية داعي الرسول صلى الله عليه وسلم وتأييد معنوياته في خدمة الإسلام . يعني كلما مر عليك الزمان فأنت في

حال أقوى من الحال السابق (فما لهم) أي لهؤلاء الكفرة المشركين (لا يؤمنون ؟) بالله ورسوله وبيوم القيامة الذي فيه الحساب (واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون) سجود التعظيم لله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أي بيوم القيامة بل بالقرآن الذي فيه جميع المهمات ومنها يومها (والله أعلم) منهم (بما يوعون) أي بما يضمرونه في صدورهم من الكفر بالله ورسوله ووضع العثرات في طريق وصوله • (فبشرهم بعذاب أليم) أي قل لهم استهزاء : أبشروا بعذاب أليم يأتيكم من الله العليم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) غير مقطوع والاستثناء منقطع •

سورة البروج ، مكية ، وآياتها
اثنتان وعشرون ، نزلت بعد الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

(والسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصحابُ الأُخْدودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ (٥) إِذْهُمْ عَلَيْها قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بالمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنوا باللهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ (٨) الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأَرْضِ ، وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) اِنَّ الَّذِين فَتَنوُا الْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) اِنَّ الَّذِينَ آمَنوُا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ ذلِكَ الفَوْزُ الْكَبِيرُ)(١١) .

قوله تعالى (والسماء ذات البروج) أي أقسم بالسماء المحتوية للبروج الإثني عشر المعروفة للحساب ، التي تحتوي على ثلاثمائة وخمس أو ست

وستين يَوْماً بميزان السنة الشمسية البادئة من الربيع : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والاسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدي ، والدلو ، والحوت • (و) اقسم بـ (اليوم الموعود) وهو يوم القيامة اليوم المستمر الذي لا ليل فيه ، والأرض تشرق بنور الله وتستمر بإرادة الله ، ويوم قيام الساعة ، ويوم البعث ، ويوم الحشر ، ويوم الحساب والميزان ، ويوم استقرار أهل الإيمان في الجنان ، ويوم دخول أهل العذاب في النيران • كل ذلك بعض من الأوقات وداخل في اليوم الموعود ، ويسمى بيوم القيامة ، لأنه يوم قيام المكلفين إلى نيل الجزاء (وشاهد ومشهود) فسر الشاهد بمن يحضر في ذلك اليوم ، والمشهود بما يقع فيه من الأحوال والأهوال والإذلال والإجلال والإدبار والإقبال • ويفسر الشاهد بالرسول الشاهد على أمته بالإطاعة والعصيان ، وبرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الشاهد على الصدق لأولئك الشهداء الشرفاء قال تعالى : (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم ، وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أو الشاهد على صدق أمة نفسه في الشهادة على الأمم كما في قوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول شهيدا عليكم) وفي قوله الكريم (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) ويجوز أن يراد بالشاهد كل من يرى ربه يوم القيامة ، وبالمشهود ذاته الكريم •

وقوله : (قتل أصحاب الأخدود) بتقدير (لقد) جواب القسم أي لقد قتل أصحاب الأخدود ، أو الجواب محذوف أي لقد قتل المشركون المعاندون لك كما قتل أصحاب الأخدود ، فقد قتل صناديد الإشراك في بدر الكبرى كما قتلوا في وقت إهلاكهم • والأخدود جمع خد بمعنى الشق •

روي مرفوعا أن ملكا كان له ساحر فلما شاب ضم إليه غلاما ليعلمه السحر مخافة أن يموت ولا يبقى الساحر في بلده ، وكان في طريق الغلام راهب ، فمال إليه قلبه ، وآمن بالله العظيم على توجيهاته . فرأى في طريقه يوما حية قد حبست الناس عن المرور ، فأخذ الغلام حجرا وقال : اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها . وكان الغلام بعد يبرىء الاكمه والأبرص بإذن الله . وعمي جليس الملك فدعا له وشفاه الله ورد عليه بصره . فسأله الملك عمن أبرأه فقال : ربي . فغضب الملك فعذبه ، فدل على الغلام ، فعذبه فدل على الرّاهب ، فقده بالمنشار ! وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا ، فرجف بالقوم فهلكوا ونجا ، وأجلسه في سفينة ليغرق ، فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا . فقال للملك : لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني ، وتأخذ سهما من كنانتي ، وتقول : بسم الله رب الغلام ثم ترميني به ، فرماه فوقع في صدغه فمات ، فآمن الناس برب الغلام . فأمر بأخاديد أوقدت فيها النيران ، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها ، حتى جاءت امرأة معها صبي ، فتقاعست فقال الصبي : يا أماه اصبري فإنك على الحق ! فاقتحمت .

وقوله (النار ذات الوقود) بدل من الأخدود بدل الاشتمال ، والوقود هو الحطب الموقد به النار (إذ هم عليها قعود) قاعدون (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنهم لم يقصروا فيما أمروا به ، أو يشهدون على ما يفعلون يوم القيامة (وما نقموا منهم) أي وما أنكروا منهم (إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد . إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) أي العذاب الزائد في الإحراق بفتنتهم

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير) لأن الدنيا حقيرة بالنسبة إليها •

(إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ(١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ(١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ(١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ(١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ(١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ؟(١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ(١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ(١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ(٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ(٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)(٢٢) •

قوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بالصولة ، أي إن أخذ ربك لشخص أو صنف أو نوع لشديد لا يستهان به (إنه هو يبدىء ويعيد) جملة استئنافية ويستفاد منها التعليل للجملة الأولى ، أي ووجه كون بطشه شديدا أن الله هو المبدىء للموجودات والمعيد لها بعد إماتتها ، وكل من كان له قدرة كذلك فإذا أراد الأخذ والانتقام كان أخذه وانتقامه شديدا جدا (وهو الغفور) أي لمن يشاء (الودود) المحب كثيرا لمن أطاعه (ذو العرش المجيد) العظيم في ذاته عز وجل وصفاته (فعال لما يريد) لا يتخلف عن ارادته أي مراد (هل أتيك حديث الجنود ؟) أي الجنود الذين أخذناهم بذنوبهم (فرعون وثمود) أي جنود فرعون وقوم ثمود ، فإن جنود الطرفين كانت كثيرة مع أنه لما أراد إهلاكهم أهلكهم ولم تفدهم الجنود (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) لك ولما جئت به (والله من ورائهم محيط)

رد لتأثير كفرهم وعنادهم فيقول إن الله محيط بهم من أمامهم وخلفهم ولا ينفلتون من قدرته أبدا (بل هو قرآن مجيد) أي أعرض عن ردهم وتكذيبهم فأولئك لاقيمة لهم فإن القرآن المنزل عليك قرآن مجيد شريف عظيم القدر وهو (في لوح محفوظ) ذلك اللوح عن تعرض أي مفسد له هناك ، والآيات المنزلة منه أيضا محفوظة . إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون .

سورة الطارق ، مكية ، وآياتها سبع عشرة ، نزلت بعد سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ؟ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ؟ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا)(١٧) .

قوله تعالى : (والسماء) المراد به معلوم ، وقيل : المراد هو المطر (والطارق) أي الكواكب البادية بالليل (وما أدريك ما الطارق ؟ النجم الثاقب) أي هو النجم الخارق بضوئه حجاب الظلام، وجواب القسم قوله (إن كل نفس لما عليها حافظ) يعني إن الخالق الذي قدر أن يخلق سماوات متعددة أثيرية ويخص كلا منها بصفات وآثار ، ويزين السماء الدنيا منها بكواكب لامعة

وأنجم ثاقبة تخرق حجاب الظلمة في الجو وتجعل في جو السماء الأثيرية شهبا ونيازك نارية مستطيلة بحيث تكون كحجر العثرة في طريق الصواريخ والصواعد العلوية ، ولا تجتاز طريقها إلا بسلطان وقوة فوق تلك القوى قادر على أن يخلق لكل نفس منفوسة حافظا لها يحفظها ويحرسها ، وإلا فالإنسان النائم في محل خالٍ يمكن دخول الحشرات والهوام في منافذ رأسه من الأذنين والفم والأنف ويبتلى بكثير من الآلام والأسقام .

وكلمة (إن) في صدر الآية الكريمة نافية ، و (لمّا) بمعنى إلاّ أي ما كل نفس إلاّ عليها حافظ . أو مخففة من الثقيلة ، ولام لما للتأكيد ، وما زائدة أي أن كل نفس لعليها حافظ ، أو ما موصولة وعليها صلتها ، وحافظ خبر أي إنه كل نفس للذي يراقب وحارس عليها حافظ له من الأذى إلى وقت مقدر معلوم ، وهذا الحافظ يحفظها كما في قوله تعالى : (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) وكما في الحديث المروي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب » وبعض الناس فسره بالحافظ لأعماله أي من الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يعمله وهذا أو ذاك مبني على جريان سنة الله في الكون بقاعدة الأسباب وإلاّ فالله عالم بكل شيء ولا يحتاج إلى الكرام الكاتبين لضبط أعمال العباد ، وقادر على صيانة كل شيء فلا يحتاج إلى إرصاد الحراس والحفاظ لأيّ حيّ . وما دام الله سبحانه ترحم على عباده بإرسال الحفاظ الحراس إليه فليتق الإنسان ربّه ولا يغتر بنفسه وبسلامة بدنه وكثرة ماله أو جاهه أو أولاده ، وليتفكر في مبدأه ومعاده .

(فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق من ماء دافق) أي ماء المني الذي هو ذو دفق وذو حركة في الخروج من محله ، أو مدفوق منه (يخرج من بين الصلب) أي من بين أجزاء صلب كل رجل (والترائب) أي ومن بين ترائب

كل امرأة أي عظام صدرها ، وهي جمع تريبة ، وتوجد لكل امرأة تريبة واحدة لكن جمعت باعتبار ما حولها منها . (إنه على رجعه لقادر) أي كما أنه خلقه من ماء كذلك ورباه وأعاشه مدة من الزمان وأماته كذلك على رجعه وإحيائه بعد الموت وبعثه من القبر لقادر وذلك الرجع (يوم تبلى السرائر) أي يتعرف ويتصفح السرائر أي ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وما أخفي من الناس من الأعمال وما لا يعلمه إلا الله (فما له من قوة ولا ناصر) أي فما لذلك الإنسان الراجع عند رجوعه وحساب أعماله ووقوعه في تهلكة العقاب والعذاب من قوة يمتنع بها ولا ناصر خارج ينصره وينتصر به (والسماء ذات الرجع) أي المطر أو النبات الراجع في المواسم على عروقها (والأرض ذات الصدع) والانشقاق لنبات النوابت ، أو لانفجار العيون والأنهار ، أو لإبراز المعادن السيالة . أي اقسم بخالق تلك المخلوقات على تلك الأوصاف (إنه) أي القرآن المنزل عليك (لقول فصل) أي فاصل بين الحق والباطل . أو قول مفصول مقطوع به ليس محل الشكوك والأوهام ، وما هو بالهزل أي بما يتكلم به في اللهو ، وإنما هو جد وبيان من الله وشفاء لما في الصدور (إنهم) أي إن كفار مكة (يكيدون كيدا) أي يعملون المكائد لإطفاء نور الإسلام بكل اهتمام (وأكيد كيدا) أي وأنا أقابلهم بكيد وكيدي متين . ونسبة الكيد إلى الباري للمشاكلة ، وإلا فالكيد لا ينسب إليه بالحقيقة ، فإن الكيد عمل دقيق خفي المدرك يباشر للوصول إلى الظفر بالعدو ، والله تعالى قادر على كل شيء في كل لمحة وأوان (فمهل الكافرين) ولا تشتغل بالانتقام منهم حتى تعلم كيف أكسرهم من الفقرات وأنصرك عليهم في الكائنات . ولما كان الأمر مطلقا ولم يقيد بزمان قريب ، وذلك مما لا يطاق الصبر له أوضحه بقوله (أمهلهم رويدا) أي أمهلهم إمهالا قريبا قليلا فلم يلبث صلى الله عليه وسلم كثيرا حتى وجد الله تعالى نصيرا ورأى يومها على الأعداء عسيرا .

سورة الأعلى مكية ، وآياتها تسع عشرة ،

نزلت بعد سورة التكوير

بسم الله الرحمن الرحيم

(سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلى(١) الَّذي خَلَقَ فَسَوّى(٢) وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدى(٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ المَرْعى(٤) فجَعَلَهُ غُثاءً أحْوى(٥) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى(٦) إِلاَّ ما شاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَما يَخفى(٧) ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى(٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكرى(٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى(١٠) وَيَتَجَنَّبُها الأَشْقى(١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرى(١٢) ثُمَّ لا يَموتُ فيها وَلا يَحيى(١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّى(١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّى(١٥) بَلْ تُؤْثِرونَ الحيوة الدُّنْيا(١٦) والآخِرَةُ خَيرٌ وَأَبْقى(١٧) إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الأُولى(١٨) صُحُفِ إِبْراهِيمَ وموسى)(١٩) .

قوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى) أي نزه اسم ربك الأعلى أي اسم كان عما لا يليق به فلا تؤول مما ورد منها شيئا من غير مقتض ، ولا تطلقه على غيره سبحانه وتعالى إذا كان من الأسماء المختصة ، ولا تستعمله في مقام

يغتاظ الناس من استعماله ، ولا تحلف به إذا كان في صدق حلفك شبهة • ولا تحمله معك إذا دخلت الخلاء ، ولا تستعمله في الدعاء بالشر على من لا يستحقه (الذي خلق فسوى) أي خلق ما خلقه من العلويات أو السفليات فسوى خلقه وأبرزه كما تقتضيه الحكمة • والموصول مع صلته صفة ثانية للرب ، كما أن الأعلى صفة أولى له (والذي قدر فهدى) أي جعل الأشياء على مقادير مخصوصة فهدى أي فوجه كلا منها إلى ما يناسبه فهدى الإنسان إلى معرفة الخالق والمخلوق وعيش إنساني محترم والحيوان إلى طريق العيش ورعاية الشئون اللازمة لنفسه ولأولاده وهدى النبات إلى طريق استفادة الرطوبة لعروقه والرياح لأغصانه (والذي أخرج المرعى) أي النبات الذي هو محل الرعي للحيوانات (فجعله غثاء أحوى) أي فجعله حشائش يابسة لا قوة لها ولونه بالسواد أو لون يضرب إلى السواد ، وقال بعض أسمر ، ومن جزئيات ما هدى الإنسان بل أشرف نوع الإنسان إليه ما أفاده بقوله (سنقرئك فلا تنسى) أي سنقرئك ما يوحى إليك الآن أو في المستقبل على لسان الملك جبريل فلا تنسى ما تأخذه منه وكرره وراعه حق الرعاية لفظا وتلاوة وتطبيق أحكام ، فإن الألفاظ للمعاني والمعاني لنيل المقاصد (إلا ما شاء الله) أن تنساه من سهو البشر أو بسبب نسخ جاء على تلاوته (إنه يعلم الجهر وما يخفى) من أمورك وغيرها ويعلم ما يوافق الحكمة من التذكر والنسيان •

(ونيسرك لليسرى) أي ونوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وعملا وتعليما وهداية واهتداء • وكان عليه الصلاة والسلام يختار من الأمور أيسرها ويقول : « أنا وأمتي براء من التكلف » (فذكر) الناس بالواجبات والمحرمات وسائر الأحكام ونيل الجزاء عند اللقاء يوم القيامة (إن نفعت الذكرى) وأما إذا صادفت كافرا

عنودا أو إنسانا فاسدا حسودا ، أو جاهلا عدوا لدودا فلا تذكره لأنه كلما ذكرت استدبر وكلما عظمت أيام الله استصغر . والإنسـان قسمان سعيد يخشى ربّه ولا يترك دربه ، وشقي ينسى ربه ولا يخشى ضربه . (سيذكر من يخشى) ويتعظ بوعظك وإرشادك (ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى) أي الشديدة الالتهاب وهي الدرجة السفلى (ثم لا يموت فيها) ليخلص (ولا يحيى) ليستأنس فيبقى في النار المسعرة الملتهبة حسبما شـاء الله (قد أفلح من تزكى) أي تطهر عن أوساخ الكفر والشرك (وذكر اسـم ربه) بلسانه وأدى العبادة بإحسانه (فصلى) الصلوات الخمس على مقتضى الشرع وبيانه (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) إلتفات من الغيبة إلى الخطاب (والآخرة خير وأبقى) فطوبى لمن اهتدى إلى الصواب (إن هـذا) أي ما ذكر من أول سورة الأعلى إلى هنا (لفي الصحف الأولى : صحف إبراهيم وموسى) والأنبياء إخوة أشقاء في أصول الدين فما عندهم فهو عندك ، وما عندك فهو عندهم بلا تفاوت .

سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون ،

نزلت بعد سورة الذاريات .

بسم الله الرحمن الرحيم

(هَلْ أتيكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ؟(١) وجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(٣) تَصْلى ناراً حامِيَةً(٤) تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ(٦) لا يُسْمِنُ ولا يُغْني مِنْ جُوعٍ(٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(٨) لِسَعْيِها رَاضِيَةٌ(٩) في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(١٠) لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً(١١) فِيها عَيْنٌ جارِيَةٌ(١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(١٣) وأكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(١٤) ونَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)(١٦) •

قوله : « هل أتاك حديث الغاشية ؟ » المختار أن هل للإستفهام ، لكن الاستفهام هنا فيه معنى التعجب مما بعده • أي هل أتاك حديث المحنة التي تغشى العباد بشدائدها وأهوالها وأحوالها ؟ والمراد يوم القيامة ونفخ الصور مرتين ؛ مرة لإماتة الأحياء وزلزلة الأرض وقلع الجبال وسائر الأمور الأخرى، ومرة لبعث الموتى وإحيائهم وسوقهم إلى المحشر • والناس عند ذلك نوعان :

أحدهما من الكفار المخلدين في النار . وأحدهما من الفائزين بالجنة والنعيم في دار القرار . وعبر عن النوعين بالوجوه لأن الحزن والفرح يظهران على الوجوه فقال : (وجوه يومئذ خاشعة) أي خائفة ذليلة حقيرة عليلة (عاملة) بجر السلاسل والأغلال (ناصبة) أي ذات نصب وتعب فيما يشق عليها من الأعمال (تصلى نارا حامية) أي تدخل نارا قوية الحرارة (تسقى من عين آنية) حارة جدا قطاعة للأمعاء (ليس لهم طعام إلا من ضريع) شجرة شائكة ترعاه الإبل (لا يسمن ولا يغني من جوع) يعني إن طعامهم ليس من نوع طعام الإنس الذي يطعم للإغناء عن الجوع وتسمين البدن ؛ فلا يفيد شيئا منهما . (ووجوه يومئذ ناعمة) ذات بهجة وحسن تدرك فيها نضرة النعيم (لسعيها) في الدنيا وكسبها الخير فيها (راضية . في جنة عالية ؛ لا تسمع فيها لاغية) مصدر بمعنى اللغو أي لا تسمع فيها كلاما لغوا لا فائدة فيه (فيها عين جارية) قيل : تجري دائما بلا انقطاع (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب موضوعة) بين أيديهم (ونمارق مصفوفة) أي وسائد ضم بعضها إلى بعض (وزرابي) أي بسط فاخرة (مبثوثة) .

(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ؟(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ؟(٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)(٢٦) .

قوله تعالى (أفلا ينظرون) معناه أن عند بني آدم أشياء معلومة لو نظر فيها كانت تدلهم على الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له فيقول : (أفلا

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) خلقا دالا على حكمة خالقها ومدبر أمرها حيث خلقها لحمل الأثقال إلى البلاد النائية فجعلها باركة للحمل ، صابرة على الأحمال الثقيلة مع العطش ، قانعة بالأشواك والنوى ، نافعة بالحليب والنسل والوبر واللحم إلى غير ذلك من المنافع المعلومة (وإلى السماء كيف رفعت ؟) بلا عماد ولا استمساك وتتبلور فيها الكواكب اللامعة كالشموع في مجالس الجموع (وإلى الجبال كيف نصبت) وجعلت كأوتاد الأرض في الطول والعرض ، وجعلت حاجزة عن طغيان الناس في مجاري العادات وجعلت منابع للمعادن وأنواع الأشجار والنبات ونبعت منها عيون متفجرات، وأنهار وشلالات ؛ وإلى الأرض الكروية كيف سطحت بحيث يرى كأرض مسطحة بالاستدارة ومن النيرين في استنارة (فَذَكِّر) عباد الله المتبصرين ليتذكروا ويتفكروا (إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) أي بمستول غالب بالمادة حسب العادة (إلا من تولى وكفر) أي لكن كل من تولّى عن الحق وكفر به وبحقوقه (فيعذبه الله العذاب الاكبر) بالنسبة إلى كل عذاب في الدنيا ، فإن الآخرة خير وأبقى ومن شقى فيها فهو أشقى ومن سعد فيها فهو أسعد وأعلى وأرقى . ولا تهتم بأحوال المعاندين (إن إلينا إيابهم) أي رجوعهم (ثم إن علينا حسابهم) فانظر أيها العاقل إلى التخصيصات والتأكيدات ترى لهم أسفل الدركات وللمسلمين أعالي الدرجات . والحمد لله على كل الهبات .

سورة الفجر ، مكية ، وآياتها ثلاثون ،
نزلت بعد سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

(والفجرِ (١) وليالٍ عشرٍ (٢) والشفعِ والوترِ (٣) والليلِ إذا يسرِ (٤) هلْ في ذلك قسمٌ لذي حجرٍ ؟(٥) ألمْ ترَ كيفَ فعلَ ربُّكَ بعادٍ ؟(٦) إرمَ ذاتِ العمادِ (٧) التي لمْ يُخلقْ مثلُها في البلادِ (٨) وثمودَ الذينَ جابوا الصخرَ بالوادِ (٩) وفرعونَ ذي الأوتادِ (١٠) الذينَ طغوا في البلادِ (١١) فأكثروا فيها الفسادَ (١٢) فصبَّ عليهم ربُّكَ سوطَ عذابٍ (١٣) إنَّ ربكَ لبالمرصادِ)(١٤) .

قال تعالى : (والفجر) أقسم سبحانه وتعالى بالفجر الذي هو مطلع نور الصباح وانشراح الأرواح وانتباه الناس إلى كسب المعاش ووسائل خير المعاد بالطاعة والعبادة للرب سبحانه وتعالى كما أقسم به في قوله : والصبح إذا تنفس (وليال عشر) الليالي جمع الليل أصلـه ليالي على صيغة منتهى الجموع فأعل إعلال قاض ، والمراد بها العشر الأول من ذي الحجة الحرام . أخـرج أحمد والبخاري عن ابن عباس مرفوعا : « ما من أيام العمل فيهن

أَحَبّ إلى الله عز وجل وأفضل من أيام العشر . قيل : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل جاهد في سبيل الله بنفسه وماله ولم يرجع من ذلك بشيء » .

دروي أنهن العشر الأواخر من رمضان وأيدوا ذلك بالحديث المتفق على صحته قالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر تعني العشر الأخير من رمضان شدّ مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله . وعن جماعة أنهن العشر الأول من رمضان . ويؤيد بأنّ الإنسان يصعب عليه المبادرة بما خالف عادته في أوائل المباشرة حتى يألف به ويتعوّده . وعن جماعة أنهن العشر الأول من المحرّم وفيها يوم عاشوراء . وقد ورد في فضله ما ورد . أخرج الشيخان وغيرهما قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهودُ تصوم يوم عاشوراء . فقال عليه الصلاة والسلام : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ قالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله تعالى فيه موسى ، وأغرق آل فرعون فيه فصامه موسى عليه السلام شكرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فنحن أحق بموسى منكم » فصامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه . وصح في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أرسل غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار التي حول المدينة « من كان أصبح صائما فليتم يومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه » فكان الصحابة بعد ذلك يَصُومُونَه ، ويُصَوّمونه صبيانهم الصغار ، ويذهبون بهم إلى المسجد ويجعلون لهم اللعبة من العهن ، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطوه إياها حتى يكون الإفطار .

وأخرج أحمد وغيره عن الحبر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « صوموا يوم عاشوراء وخالِفوا فيه اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوماً » . (والشفع والوتر) هما يوم النحر ويوم عرفة . وقالت جماعة :

إن خلق الله هو الشفع أي الذكر والأنثى ، والله هو الوتر (والليل إذا يسر) أقسم بالليل إذا يسري بما فيه من الظلام أو من طاعة العباد من الأنام • أو ليلة النحر يسري فيها الحجاج من عرفات إلى مزدلفة أو الليل الذي سـرى فيه الحبيب إلى المسجد الأقصى ، ثم عرج به إلى ما شاء الله من الدرجات (هل في ذلك قسم لذي حجر ؟) أي هل في الإقسام بما ذكر وما يحتويه من آثار قدرة الباري عز وجلّ قسم وتأكيد للمقسم عليه لذي حجر أي عقـل يحجره ويمنعه عن السوء والمقسم عليه لنهلكن الطغاة بقرينة قوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) وقوله (إرم) عطف بيان للإشعار بأن المراد بعاد عاد الأولى وقوله (ذات العماد) فسر بذات القامة الطويلة ، كما يقال رجـل عمدان إذا كان طويل القامة • أو المراد ذات الأعمدة الطوال في المخيمات ، لأنها كانت سيارة ولها خيام يسكنونها (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لعاد أي القبيلة التي لم يخلق مثلها من جهـة الهيكل وطول القامة واليدين والصدر والهامة •

ومن المحققين من قال : إن إرم اسم مدينة لهم بين عمان وحضرموت ، وهي أرض رمال وأحقاف فأحكموا بناءها بالعمدان القوية الطويلة الغائصة في الأرض جدا حتى لا تتزلزل بالرياح والعواصف ، وكانت مدينة ذات أبنية رفيعة ، وقلاع منيعة وأعمدة طويلة ، وقصور جميلة وحدائق ذات بهجـة جميلة • فلم يكن لها مثيل في تلك العصور السابقة في جزيرة العرب • ويروى أنه كان لعاد ولدان هما شديد ، وشداد • ومات الشديد وصفا الجو لشداد ، وملك واستولى على العباد والبلاد ، وبنى تلك المدينة في بعض صحارى عدن في مدة طويلة من الزمن ، ولما أكملها وأراد أن يدخلها دمرها الله وإياهم برجفة هائلة مخيفة ، وخسف بالجميع الأرض وبقي الملك لله الواحد القهار ، قهرهم لطغيانهم وتمردهم على الله تعالى ورسوله هود عليه السلام •

وقوله (وثمود) عطف على عاد يعني ألم تر كيف فعل ربك بثمود (الذين جابوا الصخر) أي قطعوا الصخر في الجبال ونحتوها وصنعوا فيها بيوتا حصينة منيعة . وقوله (بالواد) أي وادي القرى في مملكة الاردن . وبقوا مالكين مدة حتى أرسل الله إليهم صالحا ، فأهلك الله ديارهم بالرجفة والزلزال (وفرعون) عطف على ثمود أو على عاد ونعت بـ (ذي الأوتاد) لأنها شعار ظلمه المشئوم ، فكان اذا عاقب شخصا شد يديه ورجليه بأربعة أوتاد حتى لا يقدر على الحركة فيحرقه ، أو يكويه حتى يموّته .

وقوله (الذين طغوا في البلاد) نعت للمذكورين المشهورين بالطغيان فقرره عليهم بالموصول وصلته المعهودة لأصحاب التواريخ المعدودة (فاكثروا فيها الفساد) باضلال العباد وتحريفهم عن عبادة الله وتوحيده وبإذلال من عصاهم وبإشباع نفوسهم الأمارة من هواهم . فكان ذلك عقباهم (فصبّ عليهم ربك سوط عذاب) دمرهم في الدنيا بالعذاب ، وقرر لهم في الآخرة أشد العقاب ، والله سريعُ الحِساب . والسّوط في الأصل مصدر ساط يسوط بمعنى الخلط ، وشاع عرفا في الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوطا من طاقات عديدة ، لتكون آلة للتعذيب شديدة . وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وإشعار بأن كفار مكة أيضا لما كانوا يمشون مشية السابقين الفاسقين يقربون من ورود مثل ذلك العذاب عليهم ، لأن سنة الله تعالى دائمة ونافذة في اللاحقين كما نفذت في السابقين . والمرصاد في أصل اللغة اسم لآلة الرصد والمراقبة ، والمقصود أنه سبحانه وتعالى ينظر إلى الناس كيف يعملون كالرصدي لما يترصده ، فلا يفوته الذين يظلمون .

(فَأَمَّا الإِنْسانُ إذا مَا ابْتَلَيهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ : رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وأمّا إذا ما ابْتَلَيهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

رِزْقَهُ فَيَقُولُ : رَبِّي أَهَانَنِ(١٦) كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ(١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا(٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا(٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ، يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ ، وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ؟(٢٣) يَقُولُ : يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي !(٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ(٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً(٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي)(٣٠) .

قوله تعالى : (فأما الإنسان) له اتصال بما بعده فكأنه تعالى يقول : إنا لبالمرصاد للعباد حتى يعملوا للمعاش ويعملوا للمعاد ، ولكنهم على الأغلب يغلبون الأولى على الآخرة (فأما الإنسان إذا ما ابتليه ربه) أي عامله معاملة المختبر وأكرمه ونعّمه ، وهنالك يحصل الاختيار له هل يشكر على النعم أو لا ؟ (فيقول : ربي أكرمن) بحذف الياء أي أكرمني وسكت عند ذلك ولم يذكر من فضله ورحمته فكأنه يدعي أنه هو المستحق لذلك بالذات لا من فضل خالق البريات (وأما إذا ما ابتليه) أي عامله معاملة الممتحن (فقدر عليه رزقه) أي فقلله عليه (فيقول ربّي أهانن) أي حقرني ورذلني وليس كذلك لأنه ربما يكون في فقر الإنسان حكم ومصالح كثيرة لا يعلمها إلا الله فليس الإغناء إكراما وإجلالا ، ولا الإفقار تحقيرا وإذلالا وذلك ظن الجاهلين . (كلا) ردع للإنسان عن قوليه كليهما ، فإن ذينك القولين من الأقوال الفاسدة كما أن بعض أعمالكم من الأعمال الفاسدة وأبرزها بقوله الكريم: (بل لا تكرمون اليتيم)

لقساوة القلب اللئيم (ولا تحاضّون) أي ولا يحض بعضكم بعضا (على) إطعام (طعام المسكين ، وتأكلون التراث) الواصل إليكم من الموروثين بدون تقسيم صحيح (أكلا لمّا) أي أكلاً ذا لمّ وجمع للحرام والحلال (وتحبّون المال حبّاً جمّاً) أي كثيرا (كلاّ إذا دكّت الأرض دكّا دكّا) ردع للناس عن الأقوال الفاسدة والأعمال الباطلة ، والغفلة بالعاجلة عن الآجلة • ويقول إذا دكت الأرض دكّا على دك أي دكا متتابعا من انشقاقها وانقلاع الجبال عليها وخروج ما فيها من الأثقال والأحمال (وجاء ربك) أي ظهر ذاته الحي القيوم لمحاسبة العباد (و) جاء (الملك صفّا صفّا) مصطفين صفا تلو صف (وجيىء يومئذ بجهنم) أي وبرزت وعرضت لأهل الحساب طرا أجمعين فرأوها ونارها (يومئذ يتذكر الإنسان) أعماله الفاسدة العاطلة وآماله الهوائية الباطلة بعد أن خاب الأمل وضاع العمل (وأنّى له الذكرى ؟) أي ومن أين تكون له الذكرى النافعة ؟ (يقول) إذ ذاك من تيقن خسرانه هناك (يا ليتني قدمت لحياتي) أي قدمت الأعمال الصالحة وقت حياتي الدنيا أو في وقتها أو لأجل حياتي الطيبة بعد البعث (فيومئذ لا يعذب عذابه) أي مثل عذاب الله (أحد" ، ولا يوثق وثاقه) أي ولا يشد مثل شد وثاقه (أحد") ومعنى الكلام أن الله تعالى يتولى تعذيب أولئك الكافرين بعد شدّ وثاقهم بالسلاسل والأغلال ، ولا يتولى عمليات التعذيب والتوثيق أحد" مثله ، بل هو أشد المعذبين وأقوى الموثقين • ومن الذي يعمل عملا مثل رب العالمين ؟ فهذه أحوال أصحاب النفوس الأمارة بالسوء •

وأما أحوال أصحاب النفوس المطمئنة فهو ما يستفاد من قوله الكريم (يا أيتها النفس المطمئنة) أي بذكر الله وباستمرار الحضور (ارجعي إلى ربك) أي إلى محل عناية ربك وإفاضة انواره (راضية) من الله (ومرضية عنده ، فادخلي في) زمرة (عبادي) المقبولين (وادخلي جنتي) •

سورة البلد ، مكية ، وآياتها عشرون ،

نزلت بعد (ق)

بسم الله الرحمن الرحيم

(لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ : أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً (٦) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ؟ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ، (٨) وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ؟ (١٠) فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ! (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ؟ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ)(٢٠) .

قوله تعالى (لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد) أي لا أقسم بهذا البلد الذي جعلته أول بيت وضع للناس ، وحرما آمنا للصيانة من الجنة

والناس ، ولاسيما أنت حال وثابت بهذا البلد تضيىء الأطراف والأكناف كالنبراس (ووالد وما ولد) أي ولا أقسم بوالد شريف نشر التوحيد في العالم وهو إبراهيم خليل الرحمن واسماعيل ومحمد سيد بني عدنان وإسحاق ويعقوب والأسباط الذين دعوا الناس إلى طاعة الدّيان ، والمقسم عليه (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي خلقنا الإنسان المعهود المشار إليه بأنامل السعود في كبد ونكد ومحن ضاربة للقلب والجسد ، فالإنسان من واجبه طاعة الرحمن ونشر الأمان والإيمان ، وكل من هو كذلك اعترضت دونه عداوة الإنسان الفاسد والعدو المعاند والجاهل الحاسد والكافر الجاحد ، وكل منهم يرمونه بما عندهم من السهام ، ولو كان سهما واحدا كان يتقى فلا مجال إلا الصّبر والعزم . ومنهم من فسر الكبد بظلمة الرحم والمشيمة وبطن الأم والآلام التي ترد عليها بعد الانفصال .

وقوله : (أيحسب) الانسان (أن لَنْ يقدر عليه أحد ؟) يعني بَعد أَنْ بينا شرفكم التالد ووضعكم مع أهل المكايد أيحسب الإنسان المغرور الذي يؤذيك أن لن يقدر عليه أحد حتى ينتقم منه ؟ مع أنه أخف شيىء تحت قدرتنا ، ولا قيمة له تحت صولتنا ، ويتوعّد ويهدد ، ويغتر بما عنده من الامكانية والمعونة في سبيل الكفر والإشراك . و (يقول أهلكت مالا لبدا) في سبيل جمع الناس والمكالمة معهم في معارضة الرسول (أيحسب أن لم يره أحد) عند وقوفه بين الناس وتكلمه بما ألقي إليه من شيطان الوسواس ؟ ألا يخاف ذلك الجاهل ربه المنعم عليه بالنعم الكثيرة ؟ (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما ما يحتاج إلى الإبصار (ولسانا) يتكلم به عند الحاجة إلى بيان ما في ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه (وهديناه النجدين) أي نجد حجاز ونجد تهامة ، أي طريقي الخير والشر ، أو ثديي أمّه فهل يناسب مقابلة هذه النعم الجليلة بكفران الرب وإنكار رسوله ومنع الناس عن سلوك سبيله ؟ ومع

ذلك كله فذلك الإنسان اللدود ليس له قيمة واقعية اجتماعية (فلا اقتحم العقبة) لحد الآن (وما أدريك ما العقبة ؟ فك رقبة) أي عتق عبد (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أي ذي مجاعة (يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة) أي فقر وقوله (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفي المذكور أي فلا اقتحم العقبة (و) لا كان من الذين آمنوا بالله الواحد العظيم ، ولا كان من الذين (تواصوا) أي أوصى بعضهم بعضا (بالصبر) على الإيمان والثبات عليه (وتواصوا بالمرحمة) أي ولا كان من الذين تواصوا بالمرحمة أي بالرحمة على عباد الله تعالى • (أولئك) الموصوفون بتلك الإيجابيات الحسنة (أصحاب الميمنة) أي جهة اليمين التي هي شعار السعداء (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة) والشؤم والخسارة في دار القرار (عليهم نار مؤصدة) أي غلبت عليهم نار مطبقة أبوابها لا تفتح كما قدره الله تعالى أبد الآبدين •

سورة الشمس ، مكية ، وآياتها
خمس عشرة ، نزلت بعد القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا(١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا(٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا(٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا(٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا(٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا(٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا !(٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)(١٠) .

قوله تعالى (والشمس وضحيها) أي أقسم بالشمس هذا الكوكب النهاري المنور لأزيد من نصف كرة الأرض منذ خلقت وما أودع فيها من الأجزاء الشعاعية التي انبهرت العقول في تحقيق حقيقتها ، ومن جملة ما أودع فيها ضوؤها والضوء هو الذاتي للمضيىء ، والنور هو العرضي المستفاد من الغير (والقمر إذا تليها) أي تبعها في الطلوع إذا طلع في الافق الشرعي بعد طلوعها ، أو تبعها أي خلفها فإذا غربت هي طلع هذا ، أو تبعها أي كان فرعا لها ، فإن ضياء الشمس ذاتي والقمر عرضي وتبعي (والنهار إذا جلّيها) أي أظهرها ، فإن طلوع الشمس علة لوجود ، ووجود النهار علة للعلم بطلوع

الشمس (والليل إذا يغشيها) أي إذا يستر نورها وضياءها وهذا الإسناد مجازي (والسماء وما بنيها) أي والسماء وبنائها إذا كانت ما مصدرية . وأما إذا كانت موصولة فهي مستعملة للباري سبحانه لانبهام حقيقته (والأرض وما طحيها) أي وطحوها وبسطها من كل جانب (ونفس وما سويها) أي وتسويتها أي إنشائها مستوية مستعدة للأعمال التي أودعها (فألهمها فجورها وتقويها) اى وأفهمها فجورها وتقواها ببعث الرسل ، وبيان السبل وتمييز الرشد من من الغي ، أو جعلها مستعدة ومتمكنة من فهم الزيغ والفجور وفهم التقوى والأجور (قد أفلح من زكيها ، وقد خاب من دسيها) أي أقسم بكل ما اقسمت به أنه قد أفلح وفاز بالفلاح وسعادة الدارين من جعل نفسه زكية بأن تطهر من دنس الهوى واتبع هدى الرسول وفتح باب الوصول، وقد خاب وخسر من دسيها أي أخفاها أي لم يعالجها ولم يظهرها حتى غمست في دنس المعاصي وخفيت فيها . وقد ظهر ظهور الشمس في رابعة النهار من هذه الآيات الكريمة أن تزكية النفس عن الرذائل والأمراض الباطنية واجب من الواجبات ، بل أهمها لأن النفس مدار التصور والتصديق والإخلاص والتوجه الصادق ، فيجب عليه اتباع الشرع الشريف خالصا لوجه الله ، فإن تنور وتزكى فذلك خير وبركة ، وإلا وجب عليه السعي في حصول صديق رفيق يستأنس به ويستفيد منه ، فإذا وجده وجب أن يستمر معه لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) .

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوِيها(١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقيها(١٢) فَقالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ : نَاقَةَ اللهِ وسُقْياها(١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّيها(١٤) وَلا يَخافُ عُقْبيها)(١٥) .

قوله تعالى : (كذبت ثمود بطغويها) أي بسبب طغيانها وتمردها عن إرشاد أخيها الصالح صالح عليه السلام . وقوله (إذ انبعث) ظرف للمصدر السابق والطغيان كان عند انبعاث أشقى قوم ثمود وهو قدار بن سالف فتهيأ واستعد لعقرها (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام : (ناقة الله وسقياها) أي ذروا ناقة الله وسقياها ولا تمسوها بسوء ولا تمنعوها شربها وإلا حل بكم عذاب الله (فكذبوه) في هذا التحذير (فعقروها) أي فقطعوا قوائمها فمات (فدمدم عليهم ربهم) أي فأطبق عليهم ربهم العذاب وجعلهم في عذاب عام شامل (بذنبهم) الكبير (فسويها) أي فسوى الدمدمة وطبق عليهم ما أراد من العذاب (ولا يخاف) الباري جل شأنه عاقبة هذه الدمدمة وسوء نتيجتها ، فإن الله لا يخاف لا من الإرسال ولا من الإيقاف .

سورة الليل مكية وآياتها

احدى وعشرون نزلت بعد الاعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

(والليل إذا يغشى(١) والنهار إذا تجلى(٢) وما خلق الذكر والأنثى !(٣) إن سعيكم لشتى(٤) فأما من أعطى واتقى(٥) وصدق بالحسنى(٦) فسنيسره لليسرى(٧) وأما من بخل واستغنى(٨) وكذب بالحسنى(٩) فسنيسره للعسرى(١٠) وما يغني عنه ماله إذا تردى)(١١) .

قوله تعالى : (والليل إذا يغشى) أي أقسم بالليل إذا يغشى ضوء النهار وفي الإسناد ما سبق (والنهار إذا تجلّى) أي ظهر بزوال ظلمة الليل لطلوع الشمس (وما خلق الذكر والأنثى) أي والقادر العظيم الذي خلق صنفي الذكر والأنثى أُقسم بذلك كله (إن سعيكم لشتّى) أي على وجوه عديدة متفرقة (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) أي أعطى ماله للناس المستحقين سواء كان البذل واجبا أو مستحبا واتقى محارم الله أو اتقى عقابه فأخلص نيته في بذل ماله (وصدق) بالكلمة (الحسنى) وهي لا إله إلا الله أو أن الدين عند الله الإسلام أو كل كلمة موافقة للحق (فسنيسره) أي

نهيئه ونعده (لليسرى) أي للخصلة التي تؤديه إلى يسر وراحة (وأما من بخل) بصرف المال وما أنفق المال الذي يجب إنفاقه في حقوق الله أو حقوق الناس ولا تصدّق منه في سبيل الله (واستغنى) بما عنده من الحطام عن المثوبة الحسنى عند الملك العلام أو استغنى بشهوات النفس والهوى في الدنيا وترك حظه في الآخرة (وكذب بالحسنى) أي بالخصلة الحسنى المعهودة المذكورة (فسنيسره) ونهيئه (للعسرى) أي للخصلة العسرى العسيرة جدا ، وهي عذاب النار في دار القرار (وما يغني عنه ماله) الذي ادخره لنفسه (إذا تردى) أي هلك واستحق العذاب وتردى في نار جهنم إذ ليس الوقت وقت الفداء .

(إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى(١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى(١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى(١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى(١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى(١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى(١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى(١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى(٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَى)(٢١) .

قوله تعالى : (إن علينا للهدى) أي إن علينا بموجب قضائنا المبنيّ على الحكمة الهدى والإرشاد لكم إلى الحق وتمييز طريق الخير والشر (وإن لنا للآخرة والأولى) أي وإن داري الدنيا والآخرة لنا تتصرف فيهما كيف نشاء ، لكن قررنا أن نعمة الدنيا وهي الدار الأولى قد تكون لأهل الكفر كما قد تكون لأهل الإيمان ، وأما نعمة الدار الآخرة فلا يمكن إعطاؤها إلا للعباد المخلصين (فأنذرتكم ناراً تلظى) أي تتلظى وتتلهّب بقوة وشدة (لا يصليها) أي خالداً (إلا الأشقى الذي كذب) بالحق (وتولّى) عنه (وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله) للمستحقين حالكونه (يتزكى) عن حب الدنيا (وما لأحد

عنده من نعمة تجزى) حتى يتوهم أن صرف المال له في مقابل تلك النعمة (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) أي لكن يبتغي ويطلب وجه ربه الأعلى (ولسوف يرضى) بما يعطيه ربه .

وقوله : (وسيجنبها الأتقى) الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه لما اشترى بلال بن رباح من سيده ، وهو أمية بن خلف ، وكان الصديق رضي الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم ، فقال له أبوه : أي بُنَيّ لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ؟ فقال : منعَ ظهري أزيد . فنزلت الآية .

وبلال ابن رباح الحبشي واسم امه حمامة ، كان صادق الإسلام ، طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ! فيقول وهو في تلك الحال : أَحَدٌ أَحَدٌ ! فمر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال : « أحَد ينجيك » يعني الله تعالى ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : « إن بلالا يعذب في الله » فعرف أبو بكر الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله ، فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال له : ألا تتقي الله في هذا المسكين ؟ قال : أنت أفسَدْتَه فأنقذه بما ترى . ففي رواية أنه فداه برطل من ذهب . وفي رواية أنه قال له : عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى ، وهو على دينك فأعطاه ، وأخذ بلالا فأعتقه . وكان قد أعتق قبله ست رقاب ، وهم : عامر بن فُهَيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا . وأعتق أم عميس زهرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش : ما أذهبَ بصرها إلا اللات والعزى . فقالت : كذبوا وبيت الله ما تضر اللات

والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها • وأعتق الفهيرية وبنتها وكانتا لامرأة لبني عبدالدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما تحتطبان لها وهي تقول لهما : والله لا أعتقكما أبدا • فقال أبو بكر : كلاّ يا أم فلان • فقالت : كلا أنت أفسدتهما • قال : فبكم ؟ قالت : بكذا وكذا • قال : قد أخذتهما وهما حرّتان • ومرّ بجارية من بني المرسل وهي تعذب فابتاعها فأعتقها • ولما أعتق أبو بكر بلالا قال الكفار : إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده • فنزل (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى) بما يُعطى من الثواب فتبين من المقام أن المراد بالأتقى أبو بكر رضي الله عنه كما أن المراد بالأشقى أمية بن خلف •

واستشكلت هذه الآية في مقابل الآية السابقة (لا يصليها إلا الأشقى الذي كذب وتولى) فإن مفهوم الأولى لا يدخل النار الشقي كافرا أو مسلما ، ومفهوم الثانية أنه لا يجنبها التقي غير الأتقى وهو التقي والشقي وهما متعارضان ! وأجيب عنه بأجوبة •

الأول : أن الصلي هو الدخول في أتعس الدركات في النار فتلك مختصة بالأشقى الذي كذب وتولّى ، ثم قال : وسيجنبها أي يبعّد من صَليها الأتقى • وأما التقي والشقي فيجوز أن يعذبا في غير تلك الدركة سواء خرج منها بعد ، وذلك إذا كان مسلماً ، أو لم يخرج ، وذلك إذا كان كافرا •

الثاني : أن المراد بالصلي الصلي المخلد كما قيدناه به بقرينة الآية الكريمة (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وأمثالها من الآيات •

الجواب الثالث : أن من لم يعتبر مفهوم الكلام فلا إشكال عليه ، وأما من اعتبره فقد اشترط أن لا يكون الوصف أو القيد لموافقة الواقع كما في

قوله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) فإن الآية نزلت في قوم والوا اليهود دون المؤمنين ، وإلا فمن اتخذهم أولياء مع المؤمنين أيضا كذلك ، أي إن عمله حرام . وهنا واقع الحال أن أبا بكر وهو الأتقى اشترى العبد وأعتقه وسيجنب النار في دار القرار ، ومقابله وهو الأشقى أي أمية بن خلف يصلاها في أشد عذاب بالنار . ولا يعتبر هنا حكمُ الشقي بعد الأشقى ولا حكم التقي مع الأتقى . وهذا ظاهر الحال واندفع الإشكال ، ولله الحمد في كل مقام وحال .

سورة الضحى ، مكية ، وآياتها
إحدى عشرة ، نزلت بعد الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالضُّحى(١) واللَّيْلِ إذا سَجى(٢) ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى(٣) ولَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولى(٤) وَلَسَوْفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى(٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوى ؟(٦) وَوَجَدَكَ ضالاً فَهَدى(٧) وَوَجَدَكَ عائِلاً فَأَغْنى(٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ(٩) وَأَمَّا السّائِلَ فَلا تَنْهَرْ(١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)(١١) .

قوله تعالى : (والضحى) ولما نزلت كبر صلى الله عليه وسلم آخرها وروي الأمر بها خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها وهي الله اكبر . وفي رواية لا إله إلا الله والله اكبر . وفي رواية ثالثة لا إله الا الله والله أكبر ولله الحمد وعليها العمل .

والضحى الوقت بعد الإشراق إلى الزوال . أقسم الباري سبحانه وتعالى بالضحى والوقت المعتدل المبارك الذي فيه ينشط كل عامل لعمله ، وهو وقت كسب زاد المعاش وزاد المعاد (والليل إذا سجى) أي غطى بظلامه ضوء

النهار . وفي مجيىء ذلك الوقت أسرار كراحة العباد بعد العمل طول النهار ، وفراغ الإنسان للطاعة والعبادة والابتهال إلى ربه الغفار ، والاستتار من الأعداء والأشرار ... إلى غير ذلك فأقسم بالأمرين أنه (ما ودعك ربك) أي ما تركك ترك تعسف (وما قلى) ك أي ما أبغضك بغضا خارجا عن التلطف .

واختلف في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال :

الأول: ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبي لهب وقالت : يا محمد إني لأرجو أن يكون قرينك تركك! لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث فنزلت .

الثاني : أنه أبطأ الوحي حتى شق عليه ، فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية .

الثالث: ما روي من أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إن جرواً دخل البيت ، فدخل تحت السرير فمات ، فمكث النبي صلى الله عليه وسلم أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة هل حدث في بيتي ؟ إن جبريل لا يأتيني . قالت خولة : فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير ، فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه . وكان إذا نزل الوحي استقبلته الرعدة فقال : يا خولة دثريني فلما نزل جبريل سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخر فقال : أما علمت أنّا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة ؟

الرابع: ماروي من أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح، وذي القرنين ، وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم : سأخبركم غداً ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحتبس منه الوحي إلى أن نزل جبريل عليه السلام

بقوله تعالى (ولا تقولن لشيىء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) ثم أخبره بما سأل عنه ونزلت •

والصحيح أن هذه الحادثة أي فتور الوحي حدثت مرتين مرة بعد نزول الوحي عليه السلام في غار حراء حيث توقف نزول الوحي عنه مدة واختلف الناس في حسابها فمنهم من قال : ثلاثة أيام بلياليها ومنهم من قال : كانت خمسة عشر يوما • ومنهم من قال خمسا وعشرين يوما ومنهم من قال أربعين يوماً وهذه المرة كانت في مكة المكرمة • ومرة انقطع الوحي عنه بعد سؤال اليهود عنه عن الروح وأصحاب الكهف وذي القرنين • وهذه المرة كانت في المدينة بعد الهجرة وكانت المدة مدة وجيزة •

وقوله (وللآخرة خير لك من الأولى) أي إن آخر مدة نبوتك خير لك من أول مدتها ، حيث يتم فيها النصر المبين وانتشار الدين • أو إن الآخرة خير لك من الأولى لأنها تصفو لارتقاء الروح ، والفوز بالفتوح ، والوصول إلى كل ما وعد الله به عباده المؤمنين ، وتحصل لك رتبة الشفاعة ومقام الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود (ولسوف يعطيك ربك) الآخرة ودرجاتها وبركاتها من لقاء الله تعالى ورؤية وجهه الكريم وإذن الشفاعة الكبرى لجميع الأمم في الخلاص من وقوف الموقف والشفاعة لبعض العصاة المستحقين للعذاب بالعفو ، وللمستحقين لرفع الدرجات إلى غير ذلك من اللطائف • ويجوز تفسير العطاء بما قلنا وبما خصه به في الدنيا من هجرته واستقراره في دار الهجرة ، وما ناله من العز والنصرة ، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائه من مسيرة شهر ، ووفور الصلاح والتقوى ، ومزيد العلم واكتساب الكمالات في أمته المرحومة •

وقد أخرج مسلم ، كما في الدر المنثور ، عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام (فمن تبعني فإنه منّي) وقوله

تعالى في عيسى (إن تعذبهم فإنهم عبادك) ... الآية فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، وقال : « اللهم أمتي أمتي » وبكى فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد صلى الله عليه وسـلم فقل له إنا سـنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . ثم أشار الباري إلى الاستدلال على شمول النعمة عليه في المستقبل بشمولها له في الماضي فقال (ألم يجدك يتيما فآوى ؟) أي ألم يجدك يتيمـا بفقـد الأب قبل ولادتك فآواك وأرجعـك إلى من تكفل تربيتك من جدك عبدالمطلب ثم عمك أبي طالب على توصية جـدك فكنت تعيش فارغ البال واسع الحال (ووجدك ضالا) أي خاليا عن الشريعة والأصول الاعتقاديـة والعملية (فهدى) لك إليها هداية بالتوفيق والعناية والرعاية ؟ . وليس المراد عن الحق إلى الباطل، وحاشاه فإنه ولد نظيفا شريفا متوجها إلى ربه، ولم يسجد لصنم قط ، ولم يعتمد على غير الباري تعالى ، لكن لم تكن له شريعة إلى أن بعثه الله تعالى وأنزل عليه القرآن الهادي للطريق الأقوم ، فالمراد من الضلال الابتعاد عن الشرع والخلو عنه إلى أن صار ينبوع الفضل والعلم والحكمة ومنبع الخير والكرم والرحمة ، (ووجدك عائلا) أي عديم الثروة والمال على ضنك من الفقر وقلة ذات اليد فأغنى أي فاوسع لك الثروة وما تحتاج اليه وذلك قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بما حصله من أرباح التجارة ، وبعده بما صار له من الفيء الواصل إليه ، كما هو مقرر في الدين . فلما أدركت تلك الأحوال مباشرة ووصلت إلى مقابلها من فيضان رحمة الحـق سبحانه (فأما اليتيم فلا تقهر) اليتيم منصوب بالفعل بعده أي فلا تقهر اليتيم أي اصنع مع يتامى عبادي كما صنعت معك (وأما السائل فلا تنهر) والسائل منصوب بما بعد ، أي ولا تنهر السائل ولا تزجره . والمعنى إما أن تطعمه أو ترده برفق ولطف ولين كلام (وأما بنعمة ربك) أي ومتى نظرت إلى نعمة ربك الواصلة إليك منه تعالى (فحدث) بها بيانا لفضله وكرمه وفيض نعمه ولا تسترها ،

فإن التحدث بها كذلك من جملة شكرها ، كما أن صرفها فيما يناسبها من شكرها .

عن جابر بن عبدالله مرفوعا من أعطي عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور .

ونسأل الله تعالى أن يحفظنا عن لبس ثوبي الزور وأن يلبسنا لباس الأدب والتقوى والنور بمنه وفضله آمين .

سورة الشرح ، مكية ، وآياتها ثمان ،

نزلت بعد الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟(١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ(٢) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ(٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ(٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ(٧) وإلى ربِّكَ فَارْغَبْ)(٨) .

قوله تعالى : (ألم نشرح لك صدرك ؟) الشرح في الأصل بسط اللحم ونحوه . يقال : شرحت اللحم أي بسطته وشققته . وشاع استعماله في الإيضاح . ومنه شرحت الكتاب ، وشرحت المقصود ، أي أوضحته . والمراد هنا توسعة صدره صلى الله عليه وسلم بالأنوار الإلهية ، وإفاضة العلوم اللدنية عليه ، وإكمال قوته المعنوية ، ليكون قابلا للصبر على المكروهات ، والثبات عند مزيد الهبات ، والتمكن من مقابلة المهمات ، وقابليته لمناجاة الحق سبحانه ، ومداراة الخلق ليقبلوا شرحه وبيانه . وهذه المعاني تدور على شرح الصدر غيبا فالمعنى : ألم نفسح صدرك حتى عالمي الغيب والشهادة ؟ وجمع بين ملكتي الاستفادة والإفادة ، فما منعك العلائق الجسمانية عن اقتباس

أنوار الملكات الروحانية ، وما عاقك العلاقة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق .

وفسره بعض بشق صدره الشريف شقا غيبيا ملكيا . فقد روي أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة ، وهو ابن ثلاث سنين أو أربع ، فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه ، وملأه علما وإيمانا ، ثم رده في صدره . وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال ، وشق أيضا بعد بلوغه عشر سنين ليأتي عليه البلوغ ودور المراهقة ، وهو على حالة جميلة فائقة . وشق أيضا عند البعثة ليتحمل القرآن الشريف بقلب لطيف نظيف ، وليلة الإسراء ليتهيأ له مناجاة الحق سبحانه وتعالى وهو على أطيب الأحوال وكل ذلك مذكور في كتب السير المفصلة ، كالمواهب اللدنية وغيرها ومن أراد الاطلاع على رواية ذلك فليطالع تلك الكتب .

وسر دوران الأمر على الصدر هو أن الصدر كرسي القلب أي من جوانب القلب ، وليس الكلام في القلب وهو لحم صنوبري ، بل الكلام فيما أودع فيه من أسرار الحق وأنواره ، وكيف جعل مظهرا لآثار الروح الإنسانية فإن الإنسان ممتاز عن أنواع الحيوان بالروح الإنسانية المعبر عنها بالنفس الناطقة . وهذه الروح الإنسانية مميزة بإدراك الكليات والجزئيات المجردة والمادية وعليه مدار السعادة ، وهذا الإدراك علم وصفة نفسانية من أهم أسبابها القوة العاقلة ، والقوة العاقلة صفة للروح الإنسانية وآثار الروح تظهر في القلب ومحله الصدر ، ولذلك كرر في القرآن الكريم الصدر وينوه بشأنه بآيات مثل قوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ؟) ومثل قوله تعالى (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) وقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله (ألم نشرح لك صدرك ؟) وقوله (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في

الصدور) فشرح الصدر أساس لكل عز روحي وفخر إنساني وعلاقة ربانية وقد شرح الله صدر حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم للنبوة والرسالة ، وكفى بشرح صدره لتحمل أعباء الرسالة بين أولئك المشركين المعاندين وتحمل أذاهم في كل وقت وحين ، واستمراره مع ذلك على دعوة العباد إلى الله ونشر حقائق الدين .

(ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك) الوضع إذا تعدى بعن فهو للإزالة ، كما أنه إذا تعدى بعلى فهو للتقرير . والوزر الشيء الثقيل ، والانقاض التصويت ، فإن الإنسان إذا حمل شيئا ثقيلا على كتفه فالكتف يحصل منها نوع تعب عند اعتماد ذلك الشيء الثقيل عليها . وهذا الوزر كان عبارة عن كلفة مواجهة المشركين ودعوتهم إلى توحيد الله وصعوبة مقاومته لكلامهم البذيء في الرد عليه والصبر على ما يسمعه من أقوالهم الباطلة ، وخوف إبادة أتباعه الفقراء من الغيظ والعداء ، وكلفة حمل أقاربه الأقربين من بني عبدالمطلب لهجمات سائر المشركين ، وضيق صدره من قلة أعوانه في ابتداء الدعوة . وقد رفع الله تعالى كل ذلك عنه ، فسهلت عليه مواجهة الكفار ، والكلام معهم والنصح لهم ، وسهلت مقاومته لهم ، وحصل له الصبر الكامل على ما يسمعه منهم ، ولم يبق عنده خوف إبادة أتباعه المؤمنين ، وتحمل أقاربه كلفة الذهاب الى شعب أبي طالب ، وصارت له سعة الصدر في مقابل الناس كيفما كانوا . وهذا الأمر وهذه المرونة حصل له بعد اسلام حمزة عمه ، وعمر بن الخطاب ، وعدد من رجال قريش واشخاصهم قبل الهجرة . والحقيقة أن وضع الوزر عنه صلى الله عليه وسلم وإن كان موجودا في أول عصر النبوة لكنه تحقق بعد الهجرة ولذلك أيد بعض العلماء ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه السورة مدنية . وحاصل المعنى : أزلنا

عنك تلك الكلف والمخاوف وضيق الصدر الموجود أول البعثة بما يسرناه لك من أسباب الفوز والنجاح .

(ورفعنا لك ذكرك) أي ألم نرفع لك ذكرك بأن سماك الله بالرحمة للعالمين وخاتم النبيين ، وقرن اسمك مع اسمه في كلمتي الشهادة ، وفي الأذان والإقامة يوميا خمس مرات افتراضا أو استحبابا ، وفي كل تشهد في الصلوات المفروضة والمندوبة ، وفي الخطب المنبرية وغيرها ، وفي الصلوات المشروعة للكسوف والخسوف والعيدين ، وفي الأمر بإطاعة الله ورسوله وإرجاع بعض الأمور إلى الله ورسوله ، وفي صحف الأنبياء والرسل السابقين ، وفي تأريخ أعيان البشر ، وفي كثير من الآيات القرآنية ؟ وكفى بجعلك صاحب المقام المحمود والشفاعة الكبرى للأنام رفعا للذكر .

وما دام خصاك الله بهذا المقام الرفيع اللائق بالنبي الشفيع فلا تنزعج من أذاهم وهواهم أبدا ، فانها أشياء مؤقتة تزول (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) قالوا : قد تقرر أن إعادة الشيء المعرف لتوحيد الثاني مع الأول، فعليه يلزم أن يكون كل عسر محفوفا بيسر قبله ويسر بعده ، مع أنه لا يطرد فإن كثيراً من المسلمين وقعوا في عسر وشدة واستمروا فيها إلى أن ماتوا متحسرين ! وأجيب عنه بأجوبة منها : أن الاستغراق الموجود في الآية عرفي ، أي غالب من وقع في العسر أتاه اليسر بعد مدة وجيزة . ومنها أن هذا الحكم مقيد بمشيئة الله تعالى نظير سائر الأمور المطلقة ، أي إن شاء ذلك كان كذلك. ومنها أن التنوين في يسرا للتنويع ، ومعناه أن مع كل عسر يسراً ما ، فإنه سبحانه لا يسد أبواب الخير على المبتلى ، فإذا ابتلاه بعسر أنعم عليه بيسر كيفما كان . وقوله (فإذا فرغت فانصب) أي إذا فرغت من الصلاة فانصب واتعب في العبادة (وإلى ربك) لا إلى غيره (فارغب) أو إذا فرغت من تبليغ الدين وجهاد الكافرين فانصب واتعب في العبادة وإلى ربك فارغب .

سورة التين ، مكية ، وآياتها ثمان ،

نزلت بعد سورة البروج

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (٥) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ؟ (٧) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ؟) (٨) .

قوله تعالى (والتين والزيتون) في المراد بهما أقوال كثيرة للمفسرين أسبها بسبب المقارنة مع طور سينين والبلد الأمين أنهما اسمان لجبلين . في تفسير الفخر الرازي رحمه الله تعالى قال ابن عباس رضي الله عنهما : هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية : طور تينا وطور زينا ، لأنهما منبتا التين والزيتون ، فكأنه تعالى اقسم بمنابت الأنبياء فالجبل المختص بالتين لعيسى عليه السلام ، والبلد المختص بالزيتون الشام مبعث أكثر أنبياء بني إسرائيل . والطور مبعث موسى عليه السلام ، والبلد الأمين مبعث محمد

صلى الله عليه وسلم فيكون المراد من القسم في الحقيقة تعظيم الأنبياء وإعلاء درجاتهم • إنتهى •

يعني أن الله تعالى أقسم بالأماكن التي ولد وظهر فيها الأنبياء الكرام المعهودون وحقيقته ترجع إلىٰ الإقسام بذاته الجليلة أي أقسم بذاتي الذي بعث عيسى بلا أبٍ من طورتيناء ، وبعث كثيرا من أنبياء بني إسرائيل من طورزينا ، وبعث موسى من طورسينا ، وبعث محمدا من البلد الأمين مكة المكرمة أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم •

القول الثاني : أنهما اسمان للشجرتين المعروفتين ، أو ثمرهما ووجه الإقسام بهما احتواء الثمرتين لمنافع مهمة •

أما التين فلأنه فاكهة لطيفة سريعة الهضم لا تمكث في المعدة كثيرا ، وتلين الطبع ، وتقلل البلغم ، وتطهر الكليتين ، وتزيل ما في المثانة من الرمل وهو مرض يستولي على مقر البول فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معه البول ويتأذى به الإنسان ، فإذا زاد صار حصاة ، وتفتح سدد الكبد والطحال ، وتسمن البدن ، وتقطع البواسير ، وتطول الشعر ••• إلى آخر ما قاله المجربون حسب تجاربهم •

وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح • والمقسم عليه قوله الكريم (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) أي في أحسن تعديل لصورته وسيرته ، أما صورته وهيكله فأحسنيته معروفة من مقايسته بسائر الأنواع من الزحافات والمشاة على أرجل كثيرة ، أو على أربع ، أو على رجلين من الطيور • وأما تعديل سيرته فهو أنه لو خلي وطبعه وترك وخليقته اقتضى عقله أن يعترف بربه ويطيع أوامره ويجتنب منهياته • وإذا ألقيت إليه التعليمات الدينية القويمة تقبلها وعمل بها (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى

سيرة هي أسفل سير السافلين بواسطة تبعيته للقوى النفسية المخلوقة فيها من الطمع والشهوة والغضب الداعية إلى الانحراف عن السبيل القويم (إلا الذين آمنوا) بالله حق الإيمان (وعملوا الصالحات) بإخلاص وإتقان (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع (فما يكذبك بعد بالدين ؟) أي بعد أن علمت أن الإنسان مخلوق بقدرة الله على أحسن تقويم صورة وسيرة وأعطاك الله قابلية للخير والشر وهداك ببعث الرسول وبالقـرآن المنزل عليـه إلى مـا فيه سعادة الدين فأي شيء يدعوك إلى أن تكذب بالدين وتزعم أو تقول أنه لا جزاء في الآخرة ، على معنى أنه لا تأتي الآخرة حتى يتسلم كل عامل حقه أو تأتي ، ولكن غرورهم يجعلهم بحيث يدعون أنهم لا جزاء عليهم ولا تمسهم النار مطلقا أو إلا أياما معدودات (أليس الله بأحكم الحاكمين ؟) أي أليس الخالق الذي فعل كل ما ذكر وظهرت قدرته على كل ما أراد فعله بأحكـم الحاكمين ؟ ولا مجال في الجواب إلا بكلمة بلى ، وإلا فنعم يجلب أشد البلاء أعاذنا الله منه .

سورة العلق ، مكية ، وآياتها تسع عشرة
وهي أول ما نزل من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى(٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى(٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى)(٨) .

قوله تعالى (إقرأ بسم ربك الذي خلق) هـذه السورة التي تسمى سورة اقرأ ، وسورة العلق هي أول ما نزل من القرآن ثم بعده (ن والقلم) ثم (المزمل) ثم (المدثر) وهكذا قال الخازن ، ولكن المشهور عن غيره إن أول ما نزل بعد اقرأ سورة المدثر . وهذه السورة صدرها إلى مالم يعلم أول ما نزل من القرآن ، وذلك بغار حراء رواه البخاري وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصّالحة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصباح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء فكان يخلو بحراء ويتحنّث فيه اللياليَ ذواتِ العدد ، ثم يرجع إلى خديجةَ ويتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ؛ فجاءه الملك

فقال له : (إقرأ) قال : ما أنا بقارىء فأخذني فغطّني حتّى بلغ مني الجهدَ ثم أرسلني فقال إقرأ ، قلتُ : ما أنا بقارىء فغطّني الثانية حتى بلغ منّي الجهد ، ثم أرسلني فقال : إقرأ فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم) . فرجع بها صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زمّلوني، زمّلوني، فزملوه حتى ذهب الروع . فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيتُ على نفسي . فقالت له : كلاّ أبشر فوالله لا يُخزيك اللهُ أبدا ؛ إنك لتَصل الرَّحِم ، ولتَصْدُقُ الحَديث ، وتحمِلُ الكَلّ ، وتَكسِبُ المُعْدِمَ ، وتقري الضّيفَ ، وتُعين على نوائِبِ الحق .

فانطلقتْ به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي وهو ابن عم خديجة ، وكان ممن تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتُب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة : يا ابن العم اسمع من ابن أخيك . فقال له : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره صلى الله عليه وسلم خبَرَ ما رأى . فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَوَ مُخْرجيَّ هُمْ ؟ قال : نعم لم يجىء رجل قط بمثل ما جئت به إلاّ عُودِيَ ، وإنْ يدركني يومُك حيّا أنصرك نصرا مؤزّراً . ثم لم يلبث ورقة أن تُوفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنا ، حزنا شديدا غدا منه مِراراً إلى أن يتردّى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يُلقيَ نفسَه منه تبدّى له جبريلُ فقال : يا

محمد إنك رسول الله حقا ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر عينه ، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة الجبل ليلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك • ومعنى قوله تعالى (إقرا باسم ربك) إقرأ مبتدئاً باسم ربك الذي خلق الخلائق كلها •

(خلق الإنسان من علق) أي ربك القادر المقتدر الذي خلق الإنسان وهو أشرف مخلوق ممتاز بالعقل والعلم من علق أي دم جامد ، فإن النطفة تبقى في الرحم على حالها أربعين يوما ، لكن مع تحول تدريجي حتى تصير في آخر المدة دما ، ويبقى دما إلى أربعين يوما • والدم دم ماكث جامد ليس بسائل لأنه في صدد التحول إلى مضغة وهي قطعة لحم • والمراد بالإنسان النوع ، وذلك النوع مخلوق من علق وإن كان أبو النوع وهو فرد منه خلق من تراب لا من علق • ومن الناس من قال إن المراد بالإنسان آدم ، والمراد بالعلق الطين يتعلق به اليد فيتصرف فيه ويصوره حسبما أراد ، ولكن تفسيره به مما يخفى على العقول • واستدل المثبتون للبسملة جزءً من السور بهذه الآية الكريمة حيث قال إقرا باسم ربك أي إقرا مفتتحا باسم ربك ، وقل بسم الله ثم اقرأ وهو ظاهر في أنه لو افتتح بغير اسمه عز وجل لم يكن ممتثلا • وقد أخرج الواحدي عن عكرمة والحسن أنهما قالا : أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم ، وأول سورة نزلت اقرأ ، وكذلك أخرج جرير عن طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : أول ما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم • وقد عد القول بأنها أول ما نزل أحد الأقوال في تعيين أول منزل من القرآن •

(إقرأ) كرره للتأكيد (وربك الأكرم) الزائد في الكرم وحده على الحقيقة (الذي علم بالقلم) أي علم الخط والكتابة باستعمال القلم (علم الإنسان مالم يعلم) بالوحي إلى الأنبياء وإلهامهم وإلهام الأولياء ، وتوفيق

المتفكرين الأذكياء وتنوير الصالحين الأتقياء ، وبالتجاريب العديدة في الأمور الحيوية العالمية في الدنيا ، وبزيادة قوة الاستنباط واستخراج المفاهيم الدقيقة الخفية من النصوص السماوية والدساتير المقررة ، فهذه الأمور كلها كما ذكرنا من أسباب تعليم الإنسان وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، ولما ذكر تلك النعمة العظيمة وهي نعمة التعليم التي عليها أساس الترقي والفوز بسعادة الدارين ، أو معرفة وجوه الطاعات والعبادات ، وكان الواجب على الإنسان العاقل الخضوع والتذلل مع أنهم عاملوا على خلاف ذلك ، وكانوا يعادون الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلاة التي هي أشرف العبادات البدنية .. ردعهم الباري وزجرهم بقوله (كلا) ردع لمن كفر من نوع الإنسان لاسيما المشركين الموجودين في مكة وقت النزول (إن الإنسان ليطغى) أي ليتجاوز الحد في المعصية (أن رآه استغنى) من أجل أن رأى نفسه استغنى بقوته ، أو ثروته ، أو عشيرته ، أو أولاده ، أوجاهه ، أو وظيفته ، أو جهالته ... ونسي ضعفه وحاجته إلى ربه ولا حق له في ذلك الطغيان فإن الأحوال سجال ، والدنيا دولة ، والآخرة دار الجزاء (إن إلى ربك الرجعى) أي رجوعه ورجوع غيره إلى الباري فينال جزاء شره وخيره ، وينتقم منه على سوء سلوكه وفساد سيره .

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى(٩) عَبْداً إِذَا صَلَّى ؟(١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلى الْهُدى ؟(١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى(١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى ؟(١٣) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى ؟(١٤) كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ(١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ(١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ(١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ(١٨) كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ ، واسْجُدْ واقْتَرِبْ)(١٩) .

ثم ذكر بعض آثار الطغيان المتحقق في بعض بني الإنسان وقال (أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلّى ؟) والعبد المصلي هو الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والناهي هو الكافر أبو جهل . أخرج أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أباجهل حلف باللات والعزى : لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلّي لَيَطَأن على رقبته ، وليعفّرن وجهه ! فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليفعل ، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ! فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » فنزلت الآية (كلا إن الإنسان) إلى آخر السورة (أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ؟ أرأيت إن كذب وتولّى ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أي أخبرني لو كان المنهي عن الصلاة ثابتا على الهدى ومتمكنا فيه أو أمر الناس بتقوى الله وطاعته أو كان على خلاف ذلك وكذب بالحق وتولى واستدبره (ألم يعلم بأن الله يرى) كل ظاهر من الأحوال وباطن من طبيعة الإنسان ؟ فأي علاقة له بذلك الإنسان وربه يراقبه كيف كان ؟ فلم يزجره عن الصلاة والعبادة ؟ (كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية) أي لنأخذن بناصيته ولنسحبنه إلى النار يوم القيامة ، والسفع الجذب بقوة وشدّة . (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية السابقة (فليدع) ذلك الكافر الناهي المعاند (ناديه) أي أهل ناديه لنصره ومعونته (سَنَدعُ الزبانية) أي ملائكة العذاب ليجروه إلى النار ، وهو في الأصل الشرط أي أعوان الولاة ، وهي جمع لا واحد له من لفظه كعباديد ، وقيل : مفرده زبنية كعفرية ، أو زبني كأنه نسب إلى الزبن وهو الدفع (كلا) ردع للناهي الغريق في المناهي (لا تطعه) ودم على ما أنت عليه من مخالفته (واسجد) وواظب غير مكترث به على أداء الصلوات لربك (واقترب) وتقرب بذلك إلى ربك .

سورة القدر مكية واياتها خمس نزلت بعد عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ؟(٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)(٥) .

قوله تعالى (إنا أنزلناه) أي القرآن الكريم وهو وإن لم يسبق ذكره قريبا لكن شهرة أمره وعظم قدره جعله كأنه مذكور وحاضر ومسطور . والإنزال متعلق به باعتبار إنزال الملك الموكل به وهو جبريل ، أو أن الإنزال بمعنى الإيحاء . ونوقش بأنه لم ينزل كله مرة واحدة فكيف قال أنزلناه ؟ والجواب : أنه مبني على إنزال كله مرة واحدة من اللوح إلى بيت العزة في السماء الدنيا ، أو المراد ابتدأنا إنزاله والشيء المتتابع اللامنقطع بعضه عن بعض إذا نزل بعض منه فكأنه نزل كله (في ليلة القدر) إما بمعنى ليلة الشرف والعظمة ، أو بمعنى ليلة تقدير الأمور المستقبلية ، فإنها تقدر المتعلق بكل سنة من السنين في هذه الليلة ، وما يقال من أنها قدرت في ليلة النصف من شعبان ، فجوابه أنها قدرت في نصف شعبان ، ولكن نفذت من ليلة القدر في رمضان . روي أنه ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني

إسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل ألف شهر تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى لأمته فقال: « يا رب جعلت أمتي أقصر الأمم أعمارا، وأقلها أعمالا » فأعطاه الله ليلة القدر فهي من خصائص هذه الأمة، وهي باقية على الصحيح، والعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر وهي ثلاث وثمانون سنة .

وإنزاله كان في ليلة القدر إلى بيت العزة مرة واحدة، ثم نزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة في ما بين البعث ووفاته صلى الله عليه وسلم . ومعنى إنزاله من اللوح إلى بيت العزة أن جبريل أملاه على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه في صحف، وكانت تلك الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة . فإن قلت: إن البعثة كانت على رأس الأربعين وميلاده صلى الله عليه وسلم كان في ربيع الأول ؟ فكيف يكون مبدأ الوحي في رمضان في ليلة القدر ؟ أجيب بأن مبدأ الوحي كان بالرؤيا في ستة أشهر، وبدأ بربيع الاول وانتهى بأوائل رمضان . ثم نزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في رمضان .

والذي يظهر من الأحاديث الشريفة أن ليلة القدر ليلة شريفة خير من ألف شهر، وتكون في رمضان المبارك، وتنتقل أي قد تكون الليلة الأولى وقد تكون غيرها من الليالي . والظاهر من أقوال المحققين في الحديث الشريف أنها في العشر الأواخر من رمضان، فقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان . وحكمة انبهام عينها أن يرغب الناس في إحياء ليال كثيرة من هذا الشهر المبارك . وإذا أمكن لشخص أن يحيي ليالي رمضان كلها فذلك بركة لا يساويها بركة أخرى من إحياء الليالي بالطاعة .

(وما أدريك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر) وهذه الآية بيان إجمالي لشأنها وشرفها عند الله تعالى ، ودرجات الأجور لأهل الاحياء فضل" من الله تتبع درجات نياتهم ، ومن أحوالها أنه (تنزل الملئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) الملئكة : وإن كان اسما للنوع لكن المراد جمع مخصوص مأمورون بالنزول في تلك الليلــة . والروح : هو جبريل عليــه السلام . ونزولهم يكون بأمر صادر من ربهم سبحانه وتعالى . وقوله : من كل أمر أي من أجل كل أمر يتعلق به التقدير وقوله (سلام) خبر لقوله هي أي سلام مبالغة في تعظيم الليلة كأنها عين السلامة ، لكثرة البركات النازلة إلى أهل الأرض وقوله (حتى مطلع الفجر) غاية تبين تعميم السلامة فيهـا لكل من أسلم لله .

ونقل الطحاوي عليه الرحمة في حواشي الدر المختار عن بعض الشافعية أن أفضل الليالي ليلة مولده عليه الصلاة والسلام ، ثم ليلة القدر ، ثم ليلة الإسراء والمعراج ، ثم ليلة عرفة ، ثم ليلة الجمعة ، ثم ليلة النصف من شعبان ، ثم ليلة العيد . هذا هو المنقول فإذا ثبت هذا الترتيب بدليل فعليه التعويل . وإلا فأحي الليالي الفاضلة وتوكل في ثوابها على الله الجليل .

وبعض المحققين شــبهوا الأزمنة والأمكنــة الشــريفة باللباس الناعم الجميل ، ونية العامل هــي لابس الألبسة فإذا كان اللابس حسن الصورة والسيرة فنعم اللابس والملبوس ، والإ فلا قيمة له حسب ما تحقق من الأدلة الشــرعية . جعلنا الله تعالى من أصحاب النيات الحسنة وأفاض علينا من هباته برحمته إنه أرحم الراحمين .

سورة البينة مدنية وآياتها ثمان ، نزلت بعد الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ(١) رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً(٢) فيها كُتُبٌ قَيِّمَةٌ(٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ(٤) وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤْتُوا الزَّكوةَ ، وذلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)(٥) .

قوله تعالى : (لم يكن الذين كفروا) ... الآية نقل وبيان لما زعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأهل الإشراك من أنهم أناس طيبون ولهم نوايا حسنة ، وأنهم عندما بعث الرسول الموعود في جزيرة العرب وأتاهم بالبينة من الله أسلموا ودخلوا في الإسلام مع أنه لما أتاهم ذلك النبي الموعود المسعود كفروا به وعاندوا فقال تعالى : (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اليهود والنصارى (و) من (المشركين منفكين) عن دينهم الأساسي وعن تقاليدهم السابقة المتوارثة (حتى تأتيهم البينة) أي الحجة الواضحة

والبرهان القاطع . وقوله (رسول من الله) عطف بيان للبينة أو بدل منه . وقوله (يتلو) نعت له ، أي يتلو على الناس (صحفا مطهرة) من إلقاء شياطين الجن والإنس (فيها كتب قيمة) أي فيها فرائض محكمة وعزائم ثابتة ، أو فيها أحكام مكتوبة على صحف أمنه قيمة مستقيمة (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) أي ما تفرقوا عن الإيمان حيث آمن قليل منهم وكفر كثيرون (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) المعهودة المسعودة ، مع أنّه ما كلّفهم بما لا يطاق ، وما أمرهم بشيء خارج عن الأدب والأخلاق كما قال (وما أُمِرُوا إلا ليَعْبدوا الله) وحده لا شريك له (مخلصين له الدين) بدون شوب شائبة أخرى .

(حنفاء) مائلين من الكفر إلى الإيمان ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن العصيان إلى الطاعة والإحسان (ويُقيمُوا الصَّلاةَ) أي ويؤدوا الصلوات المفروضة (ويؤتوا الزكوة) المفروضة (وذلك دين) الملة (القيمة) المستقيمة وهو دين الاسلام الذي ارتضاه للعالمين .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فيها أُولئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ (٧) جزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ، رضي اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)(٨) .

قوله تعالى (إن الذين كفروا) استئناف لبيان خلود أهل الكفر في النار سواء كانوا من أهل الكتاب أو المشركين ومن الموجودين في عصر النزول أو اللاحقين ، لأنّ أساس الاستحقاق هو الكفر وقد تحقق ، فقال (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك

هم شرّ البريّة) أي شر الخليقة • وما دام أهل الكفر المنقسم إلى ما سبق مستحقين لذلك فأهل الإيمان والأعمال الصالحة يستحقون النعيم الخالد وقد قال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) وأفضل من هذا الجزاء ما يستفاد من قوله (رضي الله عنهم) فلم يبق عنده سخط عليهم (ورضوا عنه) أي ولم يبق عند الله تعالى ملل عنهم • وليس ذلك مختصا بقوم مخصوصين بل (ذلك لـ) كل (من خشي ربّه) لأن الخشية ملاك الأمر •

سورة الزلزلة ، مدنية وآياتها ثمان ،

نزلت بعد سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٢) وَقَالَ الإِنسَانُ : مَا لَهَا ؟(٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا(٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا(٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ(٦) فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(٨) •

قوله (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي إذا حركت الأرض تحريكا عنيفا مشتدا متكررا ، وزلزلت ذلك الزلزال الذي يليق بها عند نفخ الصور في المرة الأولى المدمرة للكائنات بأرضها وسمائها (وأخرجت الأرض أثقالها) أي الأثقال المكنوزة فيها ، أو المدفونة فتشمل الموتى والمعادن والكنوز التي دفنت فيها (وقال الإنسان) أي كل فرد من الموجودين إذ ذاك : (مالها ؟) تزلزلت هذه الدرجة من الزلزال وأي سبب حدث لها (يومئذ) أي يوم إذ كان ذلك (تحدث أخبارها) الأرض بانطاق الباري لها أو الملائكة المأمورة عليها أو بلسان الحال مجيبة عن الاستفهام السابق

(بأن ربك) أيها الإنسان السائل مالها (أوحى لها) أي أمرَها أو سخرها لذلك (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ الناس أشتاتا) جمع شتيت بمعنى أفواجا متفرقة أي يخرجون من قبورهم أفواجا وجماعات متفرقين (ليروا أعمالهم) أي ليحاسبوا عليها وليُبْصَروا جزاء أعمالهم ، فإن كانت الزلزلة ناشئة من النفخة الثانية فالامر واضح ، وإن كانت من نفخ الصور في المرة الأولى ففيه مسامحة ، لأن صدور الناس من المقابر لا يتصل بالنفخة الأولى بل بالثانية ، لكن لما كان الفصل قليلا كان كأنّه متصل بها (فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يَرَهُ ، ومن يعمل مثقالَ ذرّة شرا يَرَهُ) والذرة نملة صغيرة حمراء دقيقة جدا . ويجوز أن يراد بها المعنى المشهور وهو الجزء الذي لا يتجزأ . وهذه الآية أبلغ ما يقال في المحاسبة مع أي شخص ، لأن الذرة بأحد المعنيين لا يقبلها الميزان حتى يدخل في الحساب والله أعلم بالصواب .

سورة العاديات ، مكية ، وآياتها إحدى عشرة ،
نزلت بعد سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً(١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً(٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً(٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً(٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً(٥) إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ(٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ(٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ؟(٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ؟(١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ)(١١) .

قوله تعالى (والعاديات) ... الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى أناس من بني كنانة فأبطأ عليه خبرها ، واستمرت شهرا لا يعلم عنهـا شيئا ، ولم يأته منهـا خبر ، وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري . فقال المنافقون : إنهـم قتلوا . فنزلت هذه السورة إخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامة السرية وبشارة له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم . أخرجه البزار والدار قطني .

أقسم الباري سبحانه بالخيل تعدو في ميدان الحرب وتضبح ضبحا أي تصوت أجوافها إذا عَدَتْ وَرَكضت بقوّة ؛ فالعاديات هي الافراس العادية (فالموريات قدحا) وأقسم بالخيول التي تضرب بنعالها الأحجار النارية فتوري النار فالموريات المشعلات ناراً حين تقدح قدحاً (فالمغيرات صبحا) وأقسم بالخيول التي تغير على العدو عند الصباح (فأثرن به نقعا) أي فهيّجن في مكان عدوهن غبارا ، والنقع الغبار (فوسطن به جمعا) أي فوقعن مع ملابسة الغبار والعجاج وسط الأعداء بدون مبالاة بأيّ بلاء ، وعطف الفعل على الأوصاف لأن اللام عليها موصول فهي في معنى الموصول ، وصلة من جملة فعلية أقسم بها متلبسة بقيودها على مقسم عليه وبينه بقوله (إن الإنسان لربه لكنود) أي إن نوع الإنسان لكفور بالرب الذي خلقه وجحود لنعمته حيث أنعم عليه ورزقه (وإنه) أي الإنسان على ذلك الكنود والجحود الثابت له (لشهيد) يشهد على نفسه (وإنه لحب الخير) أي المال والثروة (لشديد) أي قوي العزم ثم يزجره على ذلك ويقول (أفلا يعلم إذا بعثر) أي بعث وأخرج ما في القبور من الموتى وأحياهم الله تعالى للحساب (وحصل ما في الصدور ؟) وأظهر وأخرج وأوضح ما في الصدور من الكفر والجحود وشدة حب الخير (إن ربهم بهم) أي بأحوالهم (يومئذ لخبير) ويجازيهم جزاء وفاقا .

سورة القارعة ، مكية ، وآياتها إحدى عشرة ،

نزلت بعد سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

(الْقَارِعَةُ(١) مَا الْقَارِعَةُ(٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ(٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ(٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ(٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ(٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ(٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ؟(١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ)(١١) .

قوله تعالى (القارعة) هي في الأصل الصوت الشديد ويراد بها هنا حادثة مجيء يوم القيامة بالنفخ في الصور ، لأنها تقرع القلوب والأجساد الكبيرة بالفزع ، فإنها تؤثر في السموات بالانشقاق ، وفي الأرض بالتبديل ، وفي الجبال بالدك والتفرق والتلاشي ، والكواكب بالانتشار ، وفي الشمس والقمر بالتكوير ، والقارعة مبتدأ ، وما استفهامية للتعجب والتهويل مبتدأ ثان ، والقارعة خبره ، والجملة خبر للمبتدأ الأول . واستغنى عن الضمير بتكرار نفس المبتدأ (يوم يكون الناس كالفراش) يوم ظرف لمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم ، أو لتأتي مقدرا أي القارعة تأتي

وتتحقق يوم يكون الناس كالفراش (المبثوث) المنتشر في الأرض ، والفراش جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت في النار . وقيل هو طير رقيق يقصد النار ولا يزال يقتحم على المصباح ونحوه حتى يحترق . وقيل هو الجراد المنتشر في الأرض ويركب بعضه بعضا . والمقصود أن الإنسان في ذلك الوقت يحتار ويضطرب من الدهشة والخوف (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض . وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) بيان لأحوال المكلفين في ذلك اليوم ، وفيه إيجاز الحذف ، أي فيموت المكلفون وغير المكلفين ثم يبعث الجميع ويحاسب المكلف منهم ، فأما من ثقلت موازينه أي موازين حسناته (فهو في عيشة راضية) أي راض صاحبها بها (وأما من خفت موازينه) أي موازين حسناته (فأمه هاوية) أي فمسكنه هاوية وتؤويه كالأم الحنون لولدها (وما ادريك ما هي ؟) أي الهاوية (نار حامية) والهاوية في الأصل البقعة النازلة السافلة ، والمراد هنا درك من دركات الجحيم أسفل الدركات ، وهي ملأى من النار فجعلها نفس النار تسمية للحال باسم المحل . أعاذنا الله منها بكرمه وإحسانه آمين .

سورة التكاثر ، مكية ، وآياتها ثمان ،
نزلت بعد سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلْهَيكُمُ التَّكَاثُرُ(١) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ(٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ(٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ)(٨) .

قوله (ألهيكم) ألهى من باب الإفعال ، والضمير مفعوله . والتكاثر فاعل ألهى ، والمعنى شغلكم التباهي بكثرة الأنفس والأفراد عن الله تعالى والإيمان به وبرسوله وتوحيده وتحميده (حتى زرتم المقابر) أي توسلتم إلى التكاثر بالأموات المدفونين في المقابر ، فزيارة المقابر كناية عن التفكر في عدد الأموات وتعدادهم للحصول على الغلبة على المقابل في كثرة .

روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرتهم بنو عبدمناف ، فقالت بنو سهم : إن البغي أهلكنا في الجاهليــة ، فعادّونا بالأحياء والأموات ، فكثرتهم بنو سهم . ومنهم من فسر الآية بأنه أغفلكم عن الطاعة لله والإيمان به وبرسوله التكاثر بالأموال والأولاد والأمور الدنيوية

حتى متم وزرتم المقابر . وفيه إشارة الى التهكم بهم والسخرية بعقولهم ، حتى صرتم كالموتى ووصل بكم الناس إلى المقابر للدفن .

(كلا) ردع عن الاستمرار في الغفلــة عن الحق (سوف تعلمون) ما أمامكم من الحساب والميزان ، ومن العذاب والعقاب (ثم كلا سوف تعلمون) ذلك ، وكرره للتأكيد في التوبيخ (كلا لو تعلمون علم) الأمر (اليقين) المتيقن الغير المشوب ، أو علما يتحقق في ضمن القسم الكامل وهو اليقين أي الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع في أحــوال الآخرة وأهوالها وحالها ومآلهــا (لترون الجحيم) أي لصرتم إلى حالة نفسانية وتحولتم إلى حالة إنسانيــة كأنكــم ترون الجحيــم بعيون أبصــار فتكون الرؤية رؤية البصــر ، أو أدركتم وعلمتم بأحوالكم في الآخرة علم اليقين لأن العلم بالنتيجة تابع للعلم بالمقدمات ، فلو تفكرتم بالنظر الصحيح في صدق الرسول في كلامه وأحكامه لوصلتم إلى العلم بالنتيجة وصولا فعليا بدون اشتباه . وقوله (ثم لترونّها) جملة مستأنفة معناها أنكم تفكرتم أولا أو غفلتم عن الآخرة أولا ستأتي القيامة وترون الجحيم (عين اليقين) لأن الإبصار بالعين يزيل الاشتباه في البين .

قالوا : إن الإنسان يمتاز عن غيره بالعقل والعقل أساس العلم ، والعلم إما بديهي لا يحتاج إلى الدليل ، أو نظري يحتاج إليه ، وما حصــل بالنظر الصحيح القطعي يسمى علم اليقين ، وما لم يحصل به يبقى في مقام النظر إلى وقت التّبيين . وأما العلم البديهي فإما يحصل بالحواس السليمة من العين أو السمع أو غيرهما فتسمى حسيات وقد تسمى عين اليقين بتغليب العــين على غيرها من الحواس فالصوت الذي تسمعه من عين اليقين ، كما أن العلم بالشيء الذي تبصره يسمى عــين اليقين . وإن لم يكتسب من الحواس فإما يستغنى عما عدا تصورات الأطراف والنسبة فهو موسوم بالعلم الأوّلي والكل عنوانه الأوليات ، وغــيرها فطريــات ووجــدانيات ، وتجريبيــات ، ومتواتــرات

وحدسيات . والأوّلي إذا لم يغب عن الذهن إلا في فترات فهو علم أوّلي ضروري ويسمى حق اليقين كعلمك بوجود نفسك ، وعلى هذا المنوال استعمال كلمة حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين .

ثم إني جعلت قوله تعالى لترون الجحيم جوابا لكلمة لَوْ وحملته على ما في الدنيا على معنى لو تعلمون علم اليقين صدق الرسول فيما جاء به من الله تعالى لترون الجحيم ولتعلمنّ بوجودها في هذا العالم قبل الموت علم اليقين أو تكونن كمَن يَرَوْنها عين اليقين فكونوا على البصيرة من هذا البيان .

وأصل تَرَوُنّ ترأيون كتعلمون نقلنا حركة الهمزة إلى ما قبلها وحذفناها للتخفيف وقلبنا الياء ألفا ، وحذفناها لدفع إلتقاء الساكنين ، ثم أكدناه بالنون الثقيلة فحصل التقاء الساكنين بين النون الأولى وواو الجمع فضممنا الواو لدفعه ولم نحذفها لعدم وجود دليل قبلها فاحفظه .

(ثم لتسئلن يومئذ) أي والله لتسئلن كلكم يومَ إذ جاء العِلمُ بعد الخبر (عن النعيم) الذي تنعمتم به في الدنيا ، لأن الكائنات مخلوقة لله ، وما خلقها عبثا وإنّما خلقها للعبودية له لا من جهة الاحتياج بل لاستحقاق الكامل المطلق للعبادة المطلقة ، فمن أوْفى بما خُلق له أو قارب فهو في أمان من عذاب الرحمن ، ومن لم يوف فيوفى حسابه حسبما يقتضيه كتابه . نسأل الله أن يحاسبنا حسابا يسيرا بمنه ورحمته آمين .

سورة العصر ، مكية ، وآياتها ثلاث

نزلت بعد الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

(والعَصْرِ (١) إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْرٍ (٢) إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ ، وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ)(٣) ٠

قوله تعالى : (والعصر) هذه السورة جمعت من العلوم ما جمعت فقد روي عن الإمام الشافعي رضي الله عنه لو لم ينزل غير هذه السورة لكفت الناس ، لأنها شملت جميع علوم القرآن ٠ وروى البيهقي في الشعب عن أبي حذيفة وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسلّم أحدهما على الآخر ٠ والمراد بالعصر صلاة العصر لفضلها لأنها الصلاة الوسطى عند الجمهور لقوله صلى الله عليه وسلم ٠ « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر شغلهم الله تعالى » وفي الحديث : « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهلَه ومالَه » وقيل : المراد به عصر النبوة ، وكأنه عني به وقت حياته صلى الله عليه وسلم ٠ وقيل : المراد الوقت الباقي من الدنيا لأمة

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ويؤذن بذلك ما رواه البخاري عن سالم بن عبدالله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول إنما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس » وقيل : المراد به العصر والزمان لكثرة الحوادث والتقلبات فيه بإذن الله تعالى والمقسم عليه (إن الإنسان لفي خسر) أي في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم التي لا ينتفعون بها في الآخرة بل ربما تضرّهم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سواء كانت من الإيجابيات كأداء الواجبات والمندوبات أو السلبيات كترك المحرمات والمكروهات ، فإنهم في تجارة تأتيهم وتعود عليهم بالخير في المساء والصباح . وهاتان المتعاطفتان تشملان كل خير اعتقادي أو عملي فعلاً أو تركاً . ولكنه لما كان التواصي بالحق والصبر من أهم الأمور تعرض لهما بالخصوص وقال (وتواصوا بالحق) أي وصى بعضهم بعضاً باتباع الحق في نفسه وفي كل ما يمكنه تنفيذه قولاً أو عملاً (وتواصوا بالصبر) أي وصى بعضهم بعضا بملازمة الصبر عند فعل كل ما يشق فعله ، وترك كل ما يشق تركه ، وليس المراد بالصبر حبس النفس عما تشتاق إليه من فعل أو ترك وإنما المراد به السعي في تحويل نفسه إلى مقام الرضا بكل ما يأتي عليه من الله .

سورة الهمزة ، مكية ، وآياتها تسع ،
نزلت بعد القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ(١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ(٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ(٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ(٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ؟(٥) نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ(٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ(٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ)(٩) •

قوله تعالى : (ويل لكل همزة) عن ابن إسحاق قال : كان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه ، فأنزل الله فيه هذه السورة أخرجه ابن المنذر وفي بعض الآثار : إن هذه السورة نزلت في أمية بن خلف وفي بعضها في الأخنس بن شريق • وفي بعضها في جميل بن عامر الجمحي وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب • وهمزة صيغة مبالغة في اتصاف صاحبه • والهمز الكسر كالهزم ، واللمز الطعن كاللهز ، شاعا في الكسر من أعراض الناس ، والغض منهم واغتيابهم ، والطعن فيهم (الذي جمع مالا وعدّده) الموصول بدل من كل همزة بدل كل من الكل (الذي جمع مالا

وعدّده) وكان أحد من روي أن السورة نزلت فيه وهو أخنس بن شريق عنده عشرة آلاف • ومعنى قوله (عدده) أنه عدّه مرة بعد أخرى حبا له وشغفا به (يَحسَبُ أن ماله أخلَده ، كلا) ردع له عن ذلك الحسبان (لينبذن في الحطمة) أي في النار التي شأنها أن تحطم كل من يلقى فيها (وما أدريك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة) باذن الله عز وجل (التي تطلع على الأفئدة) أي تعلو أواسط القلوب وتغشاها • وفي الحديث أنها تأكل جزء من الجسد حتى تنتهي إلى فؤاده ، فإذا بلغت فؤاده ابتدأ خلقه (إنها عليهم مؤصدة) أي إن تلك النار مطبقة عليهم حالكونهم (في عمد ممددة) وحاصل المعنى أن المعذبين موثقون في عمد طوال حتى لا يخلصوا ، والنار مستولية مطبقة عليهم بأمر الله تعالى •

سورة الفيل ، مكية ، وآياتها خمس ،
نزلت بعد الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ؟(١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ(٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ(٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ(٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)(٥) •

قوله تعالى : (ألم تر)الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من تمكن منه الرؤية ، وليست الرؤية رؤية معاينة ، بل علم حصل للناس من الروايات الكثيرة التي وصلت حد التواتر فصار كالمعاينة (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) المعنى أنه فعل بالفيل واسمه محمود ، وبصاحبه وهو أبرهة ملك اليمن من جهة أصحمة النجاشي وبجيشه وهذه الحادثة كانت من تباشير طلوع شمس طلعة الرسول المختار من أفق العالم ، وقد ولد عليه السلام في تلك السنة •

والقصة أنّ أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها القُلَّيْسَ وأراد أن يصرف الحاج إليها ،

فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا ، فأغضبه ذلك فحلف ليهدمنّ الكعبة! فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود ، وفيلة أخرى . فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه ، قدّمَ الفيل ، وكان كلما وجّهوه إلى الحرم برك ولم يبرح . وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى جهة أخرى هرول ، فأرسل الله طيرا كل واحد في منقاره حجر ، وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا (ألم يجعل كيدهم) في تضييع الكعبة وتخريبها (في تضليل) وإبطال (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أي جماعات جمع إبّالة وهي الحزمة الكبيرة (ترميهم) من السماء (بحجارة من سجيل)أي من طين متحجّر (فجعلهم كعصف مأكول) أي كورق زرع وقع فيه الأكال وهو أن يأكله الدود أو أكل حبه فبقي صفرا منه ، أو كتبن أكلته الدواب وراثته . وبذلك الجيش السماوي أهلك ذلك الجيش الأرضيّ بدون أن يتصوره أحد ، ومعنى ذلك أن الله إذا أراد صيانة شيىء حفظه ، وهو على الله سهل يسير .

سورة قريش ، مكية ، وآياتها أربع ، نزلت بعد التين

بسم الله الرحمن الرحيم

(لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ(١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ(٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ(٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)(٤) .

قوله تعالى : (لإيلاف قريش) جعل بعض المفسرين هذه اللام متعلقة بقوله تعالى فجعلهم أي فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) يعني جعلهم كذلك لبقاء ألفة قريش بتجارتهم ورحلتيهم السنويتين : رحلة إلى الشام في وقت الصيف ، ورحلة إلى اليمن في الشتاء . فإنه لو لم يهلك جيش أبرهة لاستولوا على الحجاز وما والاها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة وأفسدوا فلم تبق تجارة ، ولا جلب عيش لهم ، ولا أمان من الظالمين. (فليعبدوا) أي وما دام الأمر كذلك ووجب عليهم الشكر فليعبدوا (رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف) من أصحاب الفيل ، أو من أهل الإفساد والسوء من أي قبيلة وجيل .

سورة الماعون ، مكية ، إلا ثلاث آيات الأولى منها
وهي سبع آيات نزلت بعد التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

(أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ؟!(١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) ولا يَحُضُّ على طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الماعُونَ)(٧) .

قوله تعالى : (أرأيت الذي يكذّب بالدين) نزلت في العاص بن وائل ، أو الوليد بن المغيرة ، وصدر الكلام استفهام معناه التعجب ورأيت إما بصرية متعدية لمفعول واحد هو الموصول أو إخبارية متعدية إلى مفعولين الأول الموصول ، والثاني محذوف . أي من هو ؟ والدين يراد به الجزاء في الآخرة أو الحساب . أي هل عرفت ذلك المفصول الموصول فإن لم تعرفه (فذلك الذي يدع اليتيم) أي يدفعه دفعا عنيفا إذا جاءه ويطلبه حاجة (ولا يحض على طعام المسكين) أي يمنع نفسه وغيره عن إطعام المسكين ، مع أنه يجب على الأغنياء إطعامه إما تبرعا وهو الأحسن ، أو بنية الرجوع عليه بالبدل إذا امكن ، وعليه فليشهد ذوي عدل لأداء الشهادة في وقتها . وقوله (فويل للمصلين) لفظ ويل مبتدأ وللمصلين خبر . فإذا أريد به الموصول السابق

فالمراد به من يجب عليه الصلاة وكلف بها وإن كان كافرا ولم يؤمن حتى يصلي بناء على أن الكافر مكلف بالفروع • وإن أراد به غيره من المصلين الكسالى كما يدل عليه قوله (الذين هم يراءون) فالأمر سهل ، والمعنى فويل للكافرين الذين تجب عليهم الصلاة ولم يؤدوها إلا اذا وقعوا في مجتمع وصلّوا رياء ، أو الويل للمؤمنين (الذين هم عن صلاتهم) أي عن فعلها (ساهون) أي غافلون ، أي معرضون عنها وتاركون لها إلا ما ندر مما وقع وصادف لهم في جماعة • (الذين هم يراءون) في الصلاة ، وكالصلاة غيرها من العبادات التي يرائي فيها صاحبها فيسقط ثوابها ، كلا عند بعض ، وبعضا بمقدار ما قصده من الرياء عند آخرين •

وقوله : (ويمنعون الماعون) جاء الماعون بمعنى المال وبمعنى المعونة وبمعنى القصعة التي فيها الطعام وبمعنى الزكاة وبمعنى الظروف والأدوات البيتية التي يعتاد الناس أخذها من الجار لاستعمالها في أوقات مخصوصة ثم ردها إلى أهلها • وليس المراد بها الأواني النفيسة التي يصعب على أصحابها استعمالها عندهم فضلا عن غيرهم أبدا • والكلام من قوله فويل إلى آخر السورة ترقي الباري تعالى من المعرف إلى معرف أقوى أي إذا كان دع اليتيم وعدم الحض بتلك المثابة فما بال المصلي الذي هو ساه عن صلاته التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر ؟ ومرتكب للرياء في اعماله الذي هو شعبة من الشرك ، ومانع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام ، ومانع لإعارة الشيء الذي تعارف الناس إعادته فضلا عن إخراج الزكاة من ماله فذلك العلَم الأوضح الأوفى على التكذيب الذي قد يخفى ، والغرض

التغليظ في أمر هذه الرذائل التي ابتلى بها الكثير من الناس ، وأنها لما كانت من سيما المكذب بالدين كان على المؤمن المعتقد المخلص أن يبعد عنها بمراحل، ويظهر أن أم كل معصية التكذيب بالدين ، والمراد بالمكذب على هذا الجنس، والإشارة لا تمنع منه كما لايخفى ، وإن ورد في موارد معينــة كما روي أن المورد عاص بن وائل أو وليد بن المغيرة أو أبو جهل ، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وفقنا الله للوفاء بالدين وحقوقه المميزة للمسلمين آمين .

سورة الكوثر ، مكية ، وآياتها ثلاث ،

نزلت بعد العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)(٣) .

وسبب نزولها أن العاص بن وائل السهمي تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد عند باب بني سهم فتحدثا ، وناسٌ من صناديد قريش جلوس في المسجد ، فلما دخل العاص قالوا له : من الذي كنت تتحدث معه ؟ فقال : ذلك الأبتر ، يعني به النبي صلى الله عليه وسلم . وكان قد توفى ولده القاسم فنزل (إنا أعطيناك الكوثر) أي أنا بجلالنا وعظمتنا ولتشريفك في العالم أعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة ، أو حوضه المشهور بالحوض المورود يرد عليه المؤمنون قبل الدخول فيها ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوة والرسالة ، والقرآن الكريم ، والخلق العظيم ، وانتشار دينه في الآفاق ، ووقوع الرعب منه في قلوب الأعداء مسيرة شهر ، وأن أمته خير الأمم ، وإجماعهم حجة على مر الزمان ، وأنهم لا يجتمعون على ضلالة (فصَلِّ لربِّك وَانْحَرْ) أي فما دمت أنتَ وربك يهتم بشئونك أينما كُنتَ فصل لربك صلاة عيد النحر وسائر الصلوات المفروضة وانحر الإبل في الأضحية ،

وهذا يؤيد أن السّورة مدنية لأن الصلاة المفروضة كانت ليلة الإسراء قبيل الهجرة وكذلك صلاة العيدين والنحر في عيد الأضحى ، وإذا كانت مكية فمعنى الآية صل وانحر اذا فرضنا عليك ، وهذه بشارة قدّمت إليك من إحسانه (إن شانئك) أي مبغضك الذي يبغضه العالم في العالم (هو الأبتر) المنقطع عن كل خير لا أنت وانت ينبوع الحكمة ورسول الرحمة ، وترد عليك من الله النعمة تلو النعمة وستستمر المواهب من فياض الخير ، وتنزل عليك وعلى كل من تبعك بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله .

سورة الكافرون ، مكية
وآياتها ست ، نزلت بعد الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ : يا أيها الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (٢) ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ (٤) ولا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)(٦) •

قوله تعالى : (قل يا أيها الكافرون) هذه السورة نزلت عندما قال رهط من المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تعبدُ آلهتَنا سنة ، ونَعبُدُ إلهَك سنة • وورد في فضلها أحاديث منها أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني فقال « اقرأ عند منامك قل يا أيها الكافرون ، فإنها بـراءة من الشرك » ومنها قول ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في القرآن أشدّ غيظا منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك وإنما زاد الإخلاص في الثواب عنها لأنها مشتملة على صفات الله تعالى صريحا مع دلالتها على الإخلاص في التوحيد • والكافرون الذين ناداهم صلى الله عليه وسلم جماعة مخصوصون من الكفار علم الله تعالى عدم إيمانهم أصلا • والجملتان المكررتان بالعطف تكرارهما للتأكيد والمبالغة في المتاركة والمباعدة ، وأن الفريقين متباينان في العقيدة والإيمان إلى أن ختم السورة بقوله المبين (لكم دينكم ولي دين) أي

لكم اعتقادكم وأعمالكم والجزاء المترتب عليهما ولنا اعتقادنا وأعمالنا والجزاء المرتب عليهما . فتكون السورة للمنابذة والمعاندة والمفارقة الأبدية . ثم نسخت بالإذن في الحرب والقتال بعد أن هاجر صلى الله عليه وسلم ومضت مدّة ، وإن كانت الجملتان المكررتان على اعتبارات مختلفة كما قالوا : إن النفي الأول في قوله الكريم (لا أعبد ما تعبدون) محمول على الحال ، والثاني على الاستقبال أي لا أعبد في الحال ما تعبدونه من الأصنام (ولا أنتم عابدون) أيضا في الحال (ما أعبد) وهو الله الذي لاإله إلاهو الحي القيوم (ولا أنا عابد) في المستقبل أبدا (ماعبدتم) فيه من الآلهة (ولا أنتم عابدون) فيه (ما أعبد) ه. إذ ذاك فإنهم كانوا قوما علم الله حرمانهم من الإيمان والأمان . ولذلك وقعت هذه المنابذة بينهما ف (لكم دينكم ولي دين) والحكم لله رب العالمين .

سورة النصر ، نزلت في منى في حجة الوداع ، فهي مدنية باعتبار ان ما نزل بعد الهجرة مدنيــة ، وآياتها ثلاث نزلت بعد التوبة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ، إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً)(٣) .

هذه السورة مدنية بالإجماع على ما ذكرنا ، وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا . واتفقت الصحابة على أن هــذه السورة دلّت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأمور منها : أنه صلى الله عليه وسلم خطب وقال إن عبدا خيّره الله تعالى بين الدنيا ولقائه فاختار لقاء الله تعالى . فقال أبو بكر : فديناك بأنفســنا وأموالنا وآبائنا وأبنائنا . ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا دل على حصول الكمالات ، وآنَ الأوانُ للّقاء ونيل البركات .

فيقول (إذا جاء) أي تحقق فعلا وتقرر بإذن الله (نصر الله) لك على أعدائك في الدين فأيدكم بالعون والعزيمة وأبادهم بالهون والهزيمة (و) جاء (الفتح) أي فتح مكــة المكرمة التي كانت عاصمة الحجاز وصارت مسلمة مؤمنة مطمئنة بذكر الله (ورأيت الناس يدخلون في دين الله) أي في ملــة

الإسلام وقبول القرآن الكريم وبيانك قولاً وفعلا وتقريرا للأحكام (أفواجا) أي جماعات بعد فرادى متفرقات (فسبّح بحمد ربك) أي فسبّح ربك متبركا بحمده معه . وقل : سبحان الله والحمد لله (واستغفره) وقل استغفر الله (إنه كان توابا) أي إن الله كان توابا رجاعا إلى عباده بالستر والعفو والقبول وفتح باب الوصول ، وذلك آخر محصول . متعنا الله والمسلمين بهذه الكرامات برحمته إنه أرحم الراحمين .

وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة وتوفي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول سنة عشر منها . وعن ابن عمر رضي الله عنهما نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزل (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي) فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ، ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ، ثم نزل (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) فعاش بعدها واحدا وعشرين يوما . وقيل سبعة أيام ، ثم توفي ولقي الرفيق الأعلى .

سورة المسد مكية ، وآياتها خمس ،
نزلت بعد الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١) ما أَغنى عَنْهُ مالُهُ وما كَسَبَ(٢) سَيَصْلى ناراً ذَاتَ لَهَبٍ(٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ(٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ)(٥) .

روي أنه لما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) دعا صلى الله عليه وسلم قومه ولاسيّما الأقربين فأنذرهم وقال لهم (إني نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد) فقال أبو لهب : تبا لك ألهذا دَعَوْتَنا ؟ وأخذ حجرا ليرميه به فنزلت هذه السورة . فلما سمعت امرأته ما نزل في زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضي الله تعالى عنه وفي يدها فهر من حجارة ، فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله فلم تر إلا أبا بكر ، فقالت : يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه ، والله إني لقائلة :

مذمّما عَصَينا ، وأمرَه أبَينا ، ودينَه قلينا . ثم انصرفتْ فقال أبو بكر : يا رسول الله أما تراها رأتك ؟ قال : ما رأتني ، لقد أخذ الله بصرها مني ، وكانت قريش يسمى رسول الله مذمما ثم يسبونه أي ذو ذمة وعهد صادق .

(تبت يدا أبي لهب) أي خسرت وهو كناية عن هلاكه بالجملة ، ونسبة التباب إلى يديه لأنهما من أقوى مظاهر العمل في الأخذ والدفع وغيرهما . وقد أخذ الحجر بيده ليرميه بها إليه صلى الله عليه وسلم (وتب) أي خسر هو وهذا إخبار بحصول التباب الذي دعا به عليه . ولما خوفه النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال : إن كان الذي يقوله ابن أخي حقا فإني أفتدي منه بمالي وولدي فنزل : (ما أغنى عنه ماله وما كسب) والمراد مكسوبه من النتائج والأرباح والوجاهة والأتباع أو ولده عتبة ، وقد افترسه أسد في طريق الشام ، ومات أبو لهب بعد واقعة بدر بأيام معدودات بالعدسة ، وهي قرحة . فمات وترك ثلاثة أيام حتى أنتن ، فاستأجروا بعض الناس حتى دفنوه (سيصلى نارا ذات لهب) أي ذات اشتعال (وامرأته) عطف على الضمير المستتر في سيصلى لوجود الفصل بينهما ، وهي أم جميل أخت أبي سفيان . وقوله (حمالة الحطب) منصوب على الذم أي اشتم ، أو أعني والمراد بحملها الحطب التفتين بين الناس أو إثارة المشركين على الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو أنها كانت تحمل حزمة من الأشواك بحبل من الليف لتضعها في طريقه صلى الله عليه وسلم كي يتأذى بها . وقوله (في جيدها حبل من مسد) أي من الليف كالنص في هذا الأخير لولا رواية أنها تؤمر في جهنم لحمل الأحطاب بحبل في عنقها لتلقيها في جهنم كوقود هناك . والله المتعال أعلم بحقيقة الحال .

سورة الإخلاص ، مكية ، وآياتها اربع ، نزلت بعد سورة الناس .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ : هُوَ اللهُ أَحَدٌ(١) أللهُ الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ)(٤) .

روي أن قريشا قالوا : يا محمد صِف لنا ربك الذي تدعونا إليه . فنزلت أي إن الذي أدعوكم إلى عبادته وتوحيده (هو الله) أي الذات الواجب الوجود الموصوف بالكمال ، والمنزه عن النقص ، وهو ضمير الشأن كما في هو زيد عالم ، ومرجعه مضمون الجملة الواقعة بعده . والتركيب مغتفر وإن كان فيه الإضمار قبل الذكر لفظا ورتبة لنكتة احتواء المقام على الإجمال والتفصيل ، ويقع مبتدأ ، والله مبتدأ ثان ، وأحد خبره . والجملة خبر للمبتدأ الأول واستغنت عن الضمير لكونها عينه في المعنى . ولفظ (أحد) يدل على مجامع الصفات الجلالية السلبية كما يدل لفظ الجلالة على الصفات الذاتية الكمالية ، وذلك لأن الواحد الحقيقي لابد أن يكون منزها عن التركيب والتعدد والاحتياج إلى الغير ومماثلة شيء مما سواه . وقوله (الله الصمد) مبتدأ وخبر وبيان لكونه مرجعا لحوائج ما سواه لأن الصمد هو السيد الذي ليس فوقه أحد ويصمد الناس إليه في قضاء الحوائج .

وما عدا الجملة الأولى كالبيان لها لأنه لما كان لفظ الجلالة رمزا لاحتواء الصفات الذاتية الإيجابية ولفظ أحد رمزا للصفات السلبية كانت الجملة

الأولى مستوعبة لكل ما يناسب مقام الذات الواجب الوجود لأن صفاته تعالى عشرون صفة : الأولى هي الصفة النفسية وهي الوجود . والثانية إلى الثامنة صفات المعاني وهي الصفات الكمالية التي يعبر عنها بالحياة ، والعلم ، والقدرة، والإرادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . والتاسعة إلى الخامسة عشرة هي الصفات المعنوية ككونه تعالى : حيا ، عليما ، قديرا ، مريدا ، سميعا ، بصيرا ، متكلما ، وتستفاد من الصفات الكمالية التي تسمى بصفات المعاني . والسادسة عشرة إلى العشرين هـي الصفات الخمس السلبية أعني القدم ، والوحـدة ، والبقاء ، والقيام بنفسه ، ومخالفة الحـوادث . والكل مستفاد من مفهوم أحَد" .

والجُمَل الباقية كالبيان لما سبق فإن الله الأحد لابد أن يكـون صمدا ومرجعا لجميع ما سواه ومن لوازم حقيقـة ذلك الذات أنه (لم يلد) لأنـه لايحتاج إلى فرد من نوعه يحفظ به ذلك النوع إذ هو فرد مطلق مجـرد عن التركيب ، وأنه (لم يولد) لأن المولودية معناه الحدوث بعد العدم وسـبق مرجع له يعود إليه وهو تعالى واجب الوجود وقديم ذاتا وزمانا وأنه (لم يكن له كفوا) أي مكافئا مماثلا (أَحَد") لأن مماثلة الحوادث مسلوبة عنه تعالى وفي الحقيقة أن الدين يسر وآيات الكلام المجيد نزلت على مقاربة فهم الناس ومناسبتهم ليستفيد الناس منها ما يحتاجون إليه من العقائد والأعمال ، ولذلك صرح بتلك الجمل الأربع بعد جملة (الله احد) وإلا فهذه الجملة كافية في فهم صفاته تعالى مطلقا .

وبالجملة إن هذه السورة العظيمة جامعة لصفات الباري تعالى الثبوتية والسلبية ، وحقيقتها ترجع إلى ما يستفاد من لفظ الجلالة بالذات ولذلـك اعتبرت (لا إله إلا الله) شعار التوحيد والله أعلم .

سورة الفلق ، مكية او مدنية ،
وآياتها خمس ، نزلت بعد الفيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) ومِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ (٤) ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(٥) .

قوله تعالى : (قل أعوذ برب الفلق) نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سَحَرَ اليهوديّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم . وذلك بإجماع الصحابة .

وحاصل الموضوع أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ، ودخل المحرم سنة سبع ، وفرغ من واقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم ، وكان حليفا في بني زريق ، وكان ساحرا ، فقالوا له : أنتَ أسحَرُنا ، أي أَعلَمُنا بالسحر ، وقد سَحَرْنا محمداً فلم يؤثر فيه سحرنا شيئا ، ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحَرَه لنا سحرا يؤثر فيه . فجعلوا له ثلاثة دنانير . فأتى غلاماً يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يَزَل به حتى أَخَذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وعدة أسنان من مشطه ، وأعطاه له ، فسحره بها . وكان من جملة

السحر صورة من شمع على صورة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد جعلوا في تلك الصورة أبرا مغروزة إحدى عشرة ، ووترا فيها إحدى عشرة عقدة .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلّت عقدة ، وكلما نزع أبرة وجد لها ألماً في بدنه ، ثم يجد بعدها راحة ، وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما .

إن قلت : كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بنص قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ؟ أجيب بأن المعصوم منه ما أدى لخبل في عقله ، أو لضياع شرعه ، أو لموته . وأما ما عـدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة في حقه كما أن جرحه وكسر رباعيته لا يقـدح في عصمته . إنتهى المقصود . وقد روي الواقعة في البخاري .

فيقـــول البـــاري آمـــراً حبيبـــه محمـــدا صلـــى الله عليه وسلم (قل : أعوذ بـــرب" الفلق) والفلق الصبح . وقيل : الرحـــم لانفلاقه عن الولد . وقيل : كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات . وقيل غير ذلك . وقوله (من شر ما خلق) أي من شر ما خلقه من حيوان مكلف وغير مكلف ، وجماد كالسم وغير ذلك (ومن شر غاسق) أي من شر الليل (إذا وقب) أي اشـــتد ظلامه ، أو القمر إذا غاب (ومن شر النفاثات في العقد) أي ومن شر النفوس السواحر التي تنفث في العقد التي تعقدها في الخيط وتنفخ فيها بشيىء تقوله من غير ريق (ومـــن شر حاسد إذا حَسَدَ) أي ومن شر حاسد أي من له قوة الحســـد ، وهو حب زوال النعمة عن المحسود إذا أظهر الحسد ، وأما إذا أهمله فلا يضر أحدا لكنه يحترق بناره في قعر داره أعاذنا الله تعالى منه ومن كل داء .

سورة الناس ، مكية ، أو مدنية
وآياتها ست . نزلت بعد الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قُلْ : أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلٰهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ)(٦) .

قوله تعالى : (قل أعوذ برب الناس) هذه السورة قال بعض إنها مكية ولكن الصحيح أنها مدنية ، وكذلك سورة الفلق لأنّ سبب نزولهما واقعة السحر ، وهي كانت بالمدينة المنوّرة بعد واقعة الحديبيّة سنةَ سبع .

وقال الله تعالى (قل أعوذ برب الناس) وإن كان هو ربّ الخلائق كلهم لأن الناس بالمعنى المشهور أي الإنس هم أشرف المكلفين ، وهم الذين وقعوا في معرض الهلاك من دسائس النفس ووساوس الشياطين والملائكة لهم أمان من ذلك لعصمتهم . والأنبياء ، وإن كانوا معصومين لكن لهم النفس ومخافة الخطر من الظفر ولذلك قال سيدنا يوسف عليه السلام (وما أبرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء) والرب هو المربي والمدَرِّجُ من طور إلى طور ، والحافظ لما يربّيه ، والناس إما من النوْسِ بمعنى التحرك لأن البشر يتحرك على الأرض وصار متحركا في الجو ، أو من الأنس ضدّ الوحشة ،

وهو مختص بالبشر ، خلافا لمن قال إنه يطلق على الجن أيضا ، فيقال كما نقل عن بعض أهل اللغة : ناس من الجن كما يقال نفر ورجال منهم إذ المعروف عند الناس خلاف ذلك ، ثم كرر الناس في السورة باعتبارات مختلفة ، فالناس في قوله (برب الناس) يراد به الكل لأن الكل في أشد الحاجة إلى التربية والتنمية والإيصال إلى الحد المناسب حسب الحكمة الفائقة الربانية . وفي (ملك الناس) يجوز النظر إلى اعتبار القوة والغلبة فيهم عند الشباب والاستواء الداعية إلى الحاجة الملحة إلى ملك مهيمن مسيطر عليهم وفي (إله الناس) ينظر إلى اعتبار الكهولة ومافوقها المناسبة للعبادة والإنابة والطاعة. وفي قوله (من الجنة والناس) إلى قسم خاص من الناس المفسدين الموسوسين في قلوب البشر الدافعين لهم إلى الخطر ، وبتلك الاعتبارات حسن التكرار .

(قل أعوذ برب الناس) أي خالقهم ومربيهم ومالك أمورهم (ملك الناس) المصيطر على كل قوي إذ لاقوة في مقابلة الله القوي العزيز (إله الناس) ومعبودهم الذي يليق بالمعبودية لكونه خالقا رازقا منعما متوفيا (من شر الوسواس) أي الوسوسة كالزلزال بالفتح بمعنى الزلزلة والمراد به الموسوس الملقي لها إلى القلوب (الخناس) أي الموسوس الذي عادته أن يخنس ويتأخر إذا عارضه شيء ، فالشيطان الموسوس يتأخر عند مدافعة نور القلب له سواء حصل من الذكر أو الفكر ، والإنسان الموسوس يتأخر إذا صادف عقلا سليما وفكرا مستقيما يدقق ما ألقي إليه حتى لا يقع في المهالك (الذي) نعت الوسواس بمعنى الموسوس (يوسوس في صدور الناس) وقوله (من الجنة والناس) بيان للوسواس . والجنة اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده

بالياء ، فيقال جن وجني كما يقال زنج وزنجـي • والتاء لتأنيث الجماعة ، وظاهر الآية الشريفة أن الوسواس كما يوجد في الجن فهو موجود في الإنس ، وغالب ذلك يحصل من المجاورة والمحاورة • فعلى المسلم أن يختار أهـل الصدق لصحبته بقدر الإمكان قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) • جعلنا الله تعالى معهم في الدنيا والآخرة مع سلامة البصيرة وصحة الباصرة •

هذا آخر ما يسر الله تعالى ، ووفقني عليه من تفسير كتابه الكريم آخذا من تفاسير المفسرين ، وتقارير الأساتذة المتفكرين ، جزاهم الله تعالى بالخير يوم الدين .

وقد صادف الختام ضحوة يوم الخميس السابع والعشرين من رجب سنة ألف وأربعمأة وأربع هجرية الموافق لسنة ألف وتسعمأة وخمس وثمانين ميلادية ، في بلدة بغداد التي كانت عاصمة الخلفاء والأئمة المجتهدين والأولياء العرفاء ، وكنت مدرسا في مدرسة حضرة سيدنا القطب الرباني الشيخ عبدالقادر الحسني الحسيني الكيلاني ، نور الله ضريحه ، وروّح روحه ، ونفعنا ببركاته ونفحاته وأنواره القدسية آمين .

وأنا الخادم للعلم والدين عبدالكريم بن محمد بن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد الشهرزوري من عشيرة القاضي القاطنين في ناحية سيد صادق رحمه الله . وأحمد الله الكريم على أن وفقني لطبعه ونشره ، كما وفقني على جمعه وتأليفه في مدة سنتين . والله على كل شيىء قدير وبإجابة دعاء المضطرين جدير . سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد عاصرت زمان نقابة النقيب الجليل

السيد يوسف عبدالله الكيلاني

والسيد أحمد مظفر الكيلاني

حفظهما الله تعالى

بفضله وإحسانه

آمين

فهرس المجلد السابع من مواهب الرحمن

الصفحة	الموضوع
٥	سورة غافر •
٦	ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا •
٧	الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم •
٨	قالوا : ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين •
١٠	هو الذي يريكم آياته •
١١	وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر •
١٢	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين •
١٤	ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض •
١٦	ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات •
١٧	وقال فرعون : يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب •
١٨	وقال الذي آمن : يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد •
١٩	وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا •
٢١	ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب •
٢٢	إن الذين يجادلون في آياتنا •
٢٣	وقال ربكم ادعوني استجب لكم •
٢٤	الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه •
٢٥	هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة •
٢٦	ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون •

الصفحة الموضوع

٢٧ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك •
٢٨ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله •
٣٠ سورة فصلت •
٣١ وقالوا : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه •
٣٣ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود •
٣٥ فأما عاد فاستكبروا في الأرض •
٣٦ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون •
٣٧ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم •
٣٨ وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن •
٣٩ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا •
٤٠ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة •
٤١ ومن آياته الليل والنهار •
٤٢ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا •
٤٣ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا : لولا فصلت آياته •
٤٤ لا يسئم الإنسان من دعاء الخير •
٤٦ قل : أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به
٤٧ سورة الشورى •
٤٨ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم •
٤٩ وما اختلفتم فيه من شيىء فحكمه إلى الله •
٥٠ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا •
٥٢ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له •
٥٣ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان •
٥٤ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه •

الصفحة	الموضوع
٥٥	أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين •
٥٦	معنى المودة في القربى •
٥٧	أم يقولون افترى على الله كذبا •
٥٩	وهو الذي يقبل التوبة عن عباده •
٦٠	وما أصابكم من مصيبة •
٦٠	ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام •
٦٢	آراء في معنى الكبائر •
٦٣	ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده •
٦٥	استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له •
٦٥	وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا •
٦٧	وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا
٦٨	سورة الزخرف •
٦٩	وكم أرسلنا من نبي في الأولين •
٧٠	وجعلوا له من عباده جزء إن الإنسان لكفور مبين •
٧٢	وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم •
٧٣	وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه : إنني براء مما تعبدون •
٧٤	وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم •
٧٥	ولولا أن يكون الناس أمة واحدة •
٧٥	ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين •
٧٧	حتى إذا جاءنا قال : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين •
٧٨	ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه •
٧٩	وقالوا : يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك •
٨٠	ونادى فرعون في قومه •

الصفحة	الموضوع
٨١	ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون •
٨٢	نزول عيسى علامة من علائم الساعة •
٨٣	هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة •
٨٤	الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو •
٨٥	إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون •
٨٦	قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين •
٨٧	وتبارك الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما •
٨٩	سورة الدخان •
٩٠	الليلة المباركة هي ليلة القدر •
٩٢	ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون •
٩٤	كم تركوا من جنات وعيون •
٩٥	إن هؤلاء ليقولون إن هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين •
٩٧	وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما لاعبين •
٩٨	إن شجرة الزقوم •
١٠٠	سورة الجاثية •
١٠١	وفي خلقكم وما يبث من دابة •
١٠١	ويل لكل أفاك أثيم •
١٠٢	الله الذي سخر لكم البحر •
١٠٣	قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله •
١٠٣	سبب نزول هذه الآية •
١٠٤	ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب •
١٠٦	أم حسب الذين اجترحوا السيئات ؟

الصفحة	الموضوع
١٠٧	أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟
١٠٨	وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا •
١١٠	وترى كل أمة جاثية •
١١٠	وإذا قيل : إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها •
١١١	ومما ينبغي التنبيه عليه •
١١٢	وبدا لهم سيئات ما عملوا •
	الجزء السادس والعشرون
١١٥	سورة الأحقاف •
١١٦	ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة •
١١٧	وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم •
١١٨	قل : ما كنت بدعا من الرسل •
١١٩	قل أرأيتم إن كان من عند الله •
١٢٠	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلاخوف عليهم •
١٢١	ووصينا الانسان بوالديه إحسانا •
١٢٢	ويوم يعرض الذين كفروا على النار •
١٢٤	واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف •
١٢٥	وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن •
١٢٧	مواضع ذكر الجن في القرآن الكريم •
١٢٨	وفادة الجن إلى رسول الله ــ ص ــ •
١٢٩	أولو العزم من الرسل •
١٢٩	دعاء قضاء الحوائج •
١٣١	سورة محمد •

الصفحة	الموضوع

١٣٢ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب •
١٣٣ الأسرى وسعي الاسلام لتقليل الرق •
١٣٥ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم •
١٣٦ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار •
١٣٧ ومنهم من يستمع إليك •
١٣٨ شيىء من أشراط الساعة •
١٣٩ ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة •
١٤٠ أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها •
١٤٢ أم حسب الذين في قلوبهم مرض •
١٤٣ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول •
١٤٥ سورة الفتح •
١٤٦ إنا فتحنا لك فتحا مبينا •
١٤٧ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين •
١٤٩ إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا •
١٥٠ سيقول لك المخلفون من الأعراب : شغلتنا أموالنا •
١٥٢ سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها •
١٥٤ قل للمخلفين من الأعراب •
١٥٥ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة •
١٥٦ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها •
١٥٧ وهو الذي كف أيديهم عنكم •
١٥٨ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام •
١٥٩ كتابة وثيقة صلح الحديبية •

الصفحة الموضوع

١٦٠ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق •
١٦١ محمد رسول الله •
١٦٣ لطيفة •

١٦٤ سورة الحجرات •
١٦٥ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي •
١٦٦ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات •
١٦٧ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا •
١٦٩ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما •
١٧٠ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم •
١٧١ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن •
١٧٢ شيىء عن الغيبة •
١٧٣ عدم التفاخر بالانساب •
١٧٤ قالت الأعراب آمنا •
١٧٦ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا •

١٧٧ سورة ق •
١٧٨ قراءة سورة ق في الجمعة •
١٧٩ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ؟
١٨٠ كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود •
١٨١ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه •
١٨٣ ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد •
١٨٤ وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد •
١٨٥ ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام •

الصفحة	الموضوع

الجزء السابع والعشرون

١٨٩ سورة الذاريات .
١٩٠ قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون .
١٩١ إن المتقين في جنات وعيون .
١٩٢ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ؟
١٩٣ وبشروه بغلام عليم .
١٩٤ وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين .
١٩٥ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم .
١٩٦ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون .
١٩٧ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين .
١٩٩ سورة الطور .
٢٠٠ يوم تمور السماء مورا .
٢٠١ إن المتقين في جنات ونعيم .
٢٠٢ رفع درجة ذرية المؤمن إلى درجة الآباء .
٢٠٣ كل امرىء بما كسب رهين .
٢٠٤ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون .
٢٠٦ ام خلقوا من غير شيىء أم هم الخالقون ؟
٢٠٧ وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك .
٢٠٨ سورة النجم .
٢٠٩ وما ينطق عن الهوى .
٢١٠ ولقد رآه نزلة أخرى .
٢١١ من المقصود بالرؤية هنا ؟
٢١٢ أفرأيتم اللات والعزى ؟

الصفحة **الموضوع**

٢١٣ الأصنام الثلاثة •
٢١٤ أم للانسان ما تمنى •
٢١٥ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى •
٢١٦ أفرأيت الذي تولى ؟
٢١٧ الانتفاع بعمل الغير •
٢١٩ وأن سعيه سوف يرى •
٢٢٠ وأنه هو أغنى وأقنى •
٢٢١ هذا نذير من النذر الأولى •

٢٢٢ سورة القمر •

٢٢٢ انشقاق القمر •
٢٢٣ وإن يروا آية يعرضوا •
٢٢٤ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا : مجنون وازدجر •
٢٢٦ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ؟
٢٢٧ عقر ناقة صالح •
٢٢٨ كذبت قوم لوط بالنذر •
٢٢٩ ولقد جاء آل فرعون النذر •
٢٣٠ إن المجرمين في ضلال وسعر •
٢٣١ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر •

٢٣٣ سورة الرحمن •

٢٣٥ ووضع الميزان •
٢٣٥ والارض وضعها للانام •
٢٣٦ خلق الإنسان من صلصال كالفخار •

الصفحة الموضوع

٢٣٧ شيىء عن الجن •
٢٣٧ مرج البحرين يلتقيان •
٢٣٨ كل من عليها فان •
٢٣٩ سنفرغ لكم أيها الثقلان •
٢٤٠ معنى نفوذ الجن في أقطار السماوات •
٢٤١ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان •
٢٤٢ ولمن خاف مقام ربه جنتان •
٢٤٤ ومن دونهما جنتان •
٢٤٦ سورة الواقعة •
٢٤٧ الواقعة •
٢٤٨ إعراب إذا رجت •
٢٤٩ ثلة من الاولين وقليل من الآخرين •
٢٥١ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين •
٢٥٢ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال •
٢٥٤ نحن خلقناكم فلولا تصدقون •
٢٥٦ أفرأيتم ما تحرثون •
٢٥٧ فلا أقسم بمواقع النجوم •
٢٥٩ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون ؟
٢٦٠ معنى اليقين •
٢٦١ سورة الحديد •
٢٦٢ معنى التسبيح •
٢٦٣ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه •

الصفحة	الموضوع

٢٦٤ أخذ الميثاق .
٢٦٥ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا .
٢٦٦ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا ...
٢٦٨ إعطاء النور للمؤمنين والمنافقين .
٢٦٩ إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا .
٢٧٠ اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو .
٢٧١ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب .
٢٧١ المراد بالكتاب .
٢٧٣ لقد ارسلنا رسلنا بالبينات .
٢٧٥ ولقد ارسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهم النبوة .
٢٧٦ شيىء عن البدعة والمراد منها .
٢٧٧ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله .

الجزء الثامن والعشرون

٢٨١ سورة المجادلة .
٢٨٢ الظهار وأحكامه .
٢٨٤ إن الذين يحادون الله ورسوله .
٢٨٥ الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه .
٢٨٧ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا .
٢٨٨ سبب نزول هذه الآية .
٢٨٩ الم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم .
٢٩٠ سبب نزول هذه الآية .
٢٩٢ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ...

الصفحة الموضوع

٢٩٣ سورة الحشر .

٢٩٤ سبب نزول هذه السورة .
٢٩٤ معنى التسبيح
٢٩٦ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله .
٢٩٧ تقسيم الفيىء .
٢٩٩ إيثار الأنصار .
٣٠٠ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا .
٣٠١ سبب نزول هذه الآية .
٣٠٤ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد .
٣٠٥ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة .

٣٠٧ سورة الممتحنة .

٣٠٨ سبب نزول هذه الآية .
٣١٠ قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه .
٣١١ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
٣١٢ سبب نزول هذه الآية .
٣١٣ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن .
٣١٤ سبب نزول هذه الآية .
٣١٥ ولا تمسكوا بعصم الكوافر .
٣١٧ بيعة النساء .

٣١٩ سورة الصف .

٣٢٠ سبب نزول سبح لله ما في السماوات وما في الارض .
٣٢٠ وإذ قال موسى لقومه .

الصفحة الموضوع

٣٢٢ اسماء لرسول الله ــ ص ــ •
٣٢٤ يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟
٣٢٦ حواريو عيسى •
٣٢٧ سورة الجمعة •
٣٢٩ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها •
٣٣١ أول جمعة صليت في الاسلام •
٣٣١ الاذان للجمعة •
٣٣٢ عدد الذين تتم بهم الجمعة •
٣٣٤ تعدد الجمعة •
٣٣٦ حكم البيع والشراء أثناء الجمعة •
٣٣٨ سورة المنافقون •
٣٣٩ إذا جاءك المنافقون •
٣٤٠ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم •
٣٤١ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله •
٣٤٣ سورة التغابن •
٣٤٤ ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل •
٣٤٥ زعم الذين كفروا •
٣٤٦ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم •
٣٤٧ إنما أموالكم واولادكم فتنة •
٣٤٨ فاتقوا الله ما استطعتم •
٣٤٩ سورة الطلاق •
٣٥٠ الطلاق للسنة •
٣٥٠ إحصاء العدة •
٣٥١ الطلاق الثلاث •

الصفحة	الموضوع
٣٥٣	سكنى المعتدة .
٣٥٥	واللائي يئسن من المحيض .
٣٥٥	السكنى حسب الوجد .
٣٥٦	وكأين من قرية عتت عن أمر ربها .
٣٥٧	السماوات السبع والارض مثلهن .
٣٥٩	سورة التحريم .
٣٦٠	سبب نزول يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله .
٣٦١	وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا .
٣٦٢	يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
٣٦٣	يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم .
٣٦٤	ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط .
٣٦٥	وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون .
	الجزء التاسع والعشرون
٣٦٩	سورة الملك .
٣٧٠	الموت والحياة .
٣٧١	ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح .
٣٧١	وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير .
٣٧٣	إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير .
٣٧٣	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا .
٣٧٥	قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة .
٣٧٦	قل : أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا .
٣٧٧	سورة القلم .
٣٧٨	القلم المقسم به .

الصفحة الموضوع

٣٧٩ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله •
٣٨٠ سنسمه على الخرطوم ووليد بن المغيرة •
٣٨١ إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة •
٣٨٢ مصير أصحاب الجنة الظالمين •
٣٨٣ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم •
٣٨٤ يوم يكشف عن ساق •
٣٨٥ ام تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون •
٣٨٧ سورة الحاقة •
٣٨٨ ثمود وعاد ومصيرهما •
٣٨٩ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة •
٣٩٠ فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرأوا كتابيه •
٣٩١ فلا أقسم بما تبصرون •
٣٩٣ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين •
٣٩٤ اعلى مراتب حق اليقين •
٣٩٥ سورة المعارج •
٣٩٦ سبب نزول سأل سائل بعذاب واقع •
٣٩٧ إن الإنسان خلق هلوعا •
٣٩٨ فمال الذين كفروا قبلك مهطعين ؟
٤٠٠ سورة نوح •
٤٠١ تأخير الأجل وتقديمه •
٤٠٢ دعوة نوح قومه •
٤٠٣ ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا ؟
٤٠٥ أصنام وآلهة المشركين •
٤٠٧ سورة الجن •

الصفحة | الموضوع

٤٠٨ الجن : وجودهم ، بعثة محمد ــ ص ــ إليهم ، ورؤيته لهم .
٤٠٩ قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن .
٤١٠ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن .
٤١١ الشهب الراصدة .
٤١٢ وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الارض أم اراد بهم ربهم رشدا ؟
٤١٣ وأن المساجد لله .
٤١٤ وأنه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا .
٤١٥ قل : إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا .
٤١٦ ما يظهر الله على غيبه إلا من ارتضى من رسول .
٤١٨ سورة المزمل .
٤١٨ قيام رسول الله .
٤١٩ المزمل والمتزمل .
٤٢١ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا .
٤٢٢ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه .
٤٢٤ قيام الليل ونسخ وجوبه .
٤٢٥ واقرضوا الله قرضا حسنا .
٤٢٦ سورة المدثر .
٤٢٧ سبب نزول يا أيها المدثر ووقت نزولها .
٤٢٩ ذرني ومن خلقت وحيدا .
٤٣٠ عليها تسعة عشر .
٤٣٢ كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين .
٤٣٤ فما لهم عن التذكرة معرضين .
٤٣٥ كلا بل لا يخافون الآخرة .
٤٣٦ سورة القيامة .

الصفحة الموضوع

٤٣٧ الكلام عن زيادة لا وعدم زيادتها في (لا أقسم) •
٤٣٧ الحلف بغير الله •
٤٣٨ النفس اللوامة ، والنفس المطمئنة ، والنفس الأمارة •
٤٤٠ لا تحرك به لسانك لتعجل به •
٤٤١ وقوع رؤية الله في الدنيا والآخرة •
٤٤٢ كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق •
٤٤٣ أيحسب الإنسان أن يترك سدى •
٤٤٤ سورة الإنسان •
٤٤٥ هل أتى على الانسان حين من الدهر •
٤٤٦ ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا •
٤٤٧ ويطوف عليهم ولدان مخلدون •
٤٤٨ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا •
٤٤٩ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا •
٤٥٠ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا •
٤٥٢ سورة المرسلات •
٤٥٣ الحلف بالرياح والملائكة •
٤٥٤ ألم نخلقكم من ماء مهين ؟
٤٥٥ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون •
الجزء الثلاثون
٤٥٩ سورة النبأ •
٤٦٠ النبأ العظيم •
٤٦١ إن يوم الفصل كان ميقاتا •
٤٦٢ إن للمتقين مفازا •
٤٦٣ في بيان المراد من الروح أقوال •

الصفحة الموضوع

٤٦٤ إنا انذرناكم عذابا قريبا .
٤٦٥ سورة النازعات .
٤٦٦ المراد بالنازعات ... والمدبرات .
٤٦٧ هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ؟
٤٦٨ أأنتم أشد خلقا أم السماء ؟
٤٧٠ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟
٤٧١ سورة عبس .
٤٧١ سبب نزول عبس .
٤٧٣ قتل الإنسان ما أكفره ؟!
٤٧٦ سورة التكوير .
٤٧٨ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس .
٤٨٠ ولقد رآه بالأفق المبين .
٤٨٢ سورة الانفطار .
٤٨٣ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟
٤٨٤ إن الأبرار لفي نعيم .
٤٨٦ سورة المطففين .
٤٨٧ عقوبة التطفيف .
٤٨٨ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين .
٤٩٠ إن الأبرار لفي نعيم .
٤٩٢ سورة الانشقاق .
٤٩٣ فأما من أوتي كتابه بيمينه .
٤٩٤ فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق .
٤٩٦ والسماء ذات البروج واليوم الموعود .
٤٩٧ قصة أصحاب الأخدود والملك الجائر .

الصفحة	الموضوع
٤٩٩	إن بطش ربك لشديد •
٥٠١	سورة الطارق •
٥٠٣	كل نفس عليها حافظ •
٥٠٤	سورة الأعلى •
٥٠٥	ونيسرك لليسرى •
٥٠٧	سورة الغاشية •
٥٠٨	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت •
٥١٠	سورة الفجر •
٥١١	الليالي العشر •
٥١٢	مدينة إرم •
٥١٣	إن ربك لبالمرصاد •
٥١٤	فأما الإنسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول •
٥١٦	سورة البلد •
٥١٩	سورة الشمس •
٥٢٠	كذبت ثمود بطغواها •
٥٢٣	سورة الليل •
٥٢٤	سبب نزول وسيجنبها الأتقى •
٥٢٧	سورة الضحى •
٥٢٨	سبب نزول ما ودعك ربك وما قلى •
٥٣٢	سورة الشرح •
٥٣٣	معنى شرح صدره الشريف •
٥٣٦	سورة التين •
٥٣٧	التين والزيتون ومنافعهما •
٥٣٩	سورة العلق •

الصفحة	الموضوع

٥٤٠ بدء نزول الوحي •
٥٤١ خلق الإنسان من علق •
٥٤٣ سبب نزول أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى •
٥٤٤ سورة القدر •
٥٤٥ ليلة القدر •
٥٤٧ سورة البينة •
٥٤٨ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم •
٥٥٠ سورة الزلزلة •
٥٥٢ سورة العاديات •
٥٥٤ سورة القارعة •
٥٥٦ سورة التكاثر •
٥٥٩ سورة العصر •
٥٦١ سورة الهمزة •
٥٦٣ سورة الفيل •
٥٦٥ سورة قريش •
٥٦٦ سورة الماعون •
٥٦٩ سورة الكوثر •
٥٧١ سورة الكافرون •
٥٧٣ سورة النصر •
٥٧٥ سورة المسد •
٥٧٧ سورة الإخلاص •
٥٧٩ سورة الفلق •
٥٧٩ كيف سحر النبي ـ ص ـ ؟ وكيف يؤثر فيه السحر ؟
٥٨١ سورة الناس •

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ـ بغداد
(٥٣٨) لسنة ١٩٨٩ م

دار الحرية للطباعة
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م